الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان -

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريــخ

إسهامات علماء تلمسان في الحياة الفكرية بإقليمي توات والسودان الغربي من القرن 8هـ إلى 10هـ / 14 م – 16م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ

تخصص تاريخ المغرب الاسلامي الوسيط

إعداد الطالبة:

عائشة بوشقيف

إشـــــراف:

أ.د. مبخوت بودواية

لجنة المنـــــاقشـــة:

د. محمدمكيوي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	رئيســـــا
أ.د مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي النعامة	مشرفا ومقررا
د. بالأعرج عبد الرحمن	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	عضـــــوا
د. ة. بكاي هوارية	أستاذة محاضرة "أ"	جامعة تلمسان	عضـــــوة
د. ة. تواتيقبودالية	أستاذة محاضرة "أ"	جامعة معسكر	عضـــــوة
د. ة. بلمداني نوال	أستاذة محاضرة "أ"	جامعة معسكر	عضـــــوة

السنة الجامعية1438هـ-1439هـ/ 2017م-2018م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان -
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم التاريــخ

إسهامات علماء تلمسان في الحياة الفكرية بإقليمي توات والسودان الغربي من القرن 8هـ إلى 10هـ / 14 م – 16م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ

تخصص تاريخ المغرب الاسلامي الوسيط

إعداد الطالبة:
عائشة بوشقيف

إشـــــراف:
أ.د. مبخوت بودواية

لجنة المنـــــاقشـــة:

د. محمد مكيوي	أستاذ محـاضر "أ"	جامعة تلمسان	رئيســـــا
أ.د مبخوت بودواية	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي النعامة	مشرفا ومقررا
د. بالأعرج عبد الرحمن	أستاذ محـاضر "أ"	جامعة تلمسان	عضـــــوا
د. ة. بكاي هوارية	أستاذة محاضرة "أ"	جامعة تلمسان	عضـــــوة
د. ة. تواتية بودالية	أستاذة محاضرة "أ"	جامعة معسكر	عضـــــوة
د. ة. بلمداني نوال	أستاذة محاضرة "أ"	جامعة معسكر	عضـــــوة

السنة الجامعية1438هـ-1439هـ/ 2017م-2018م

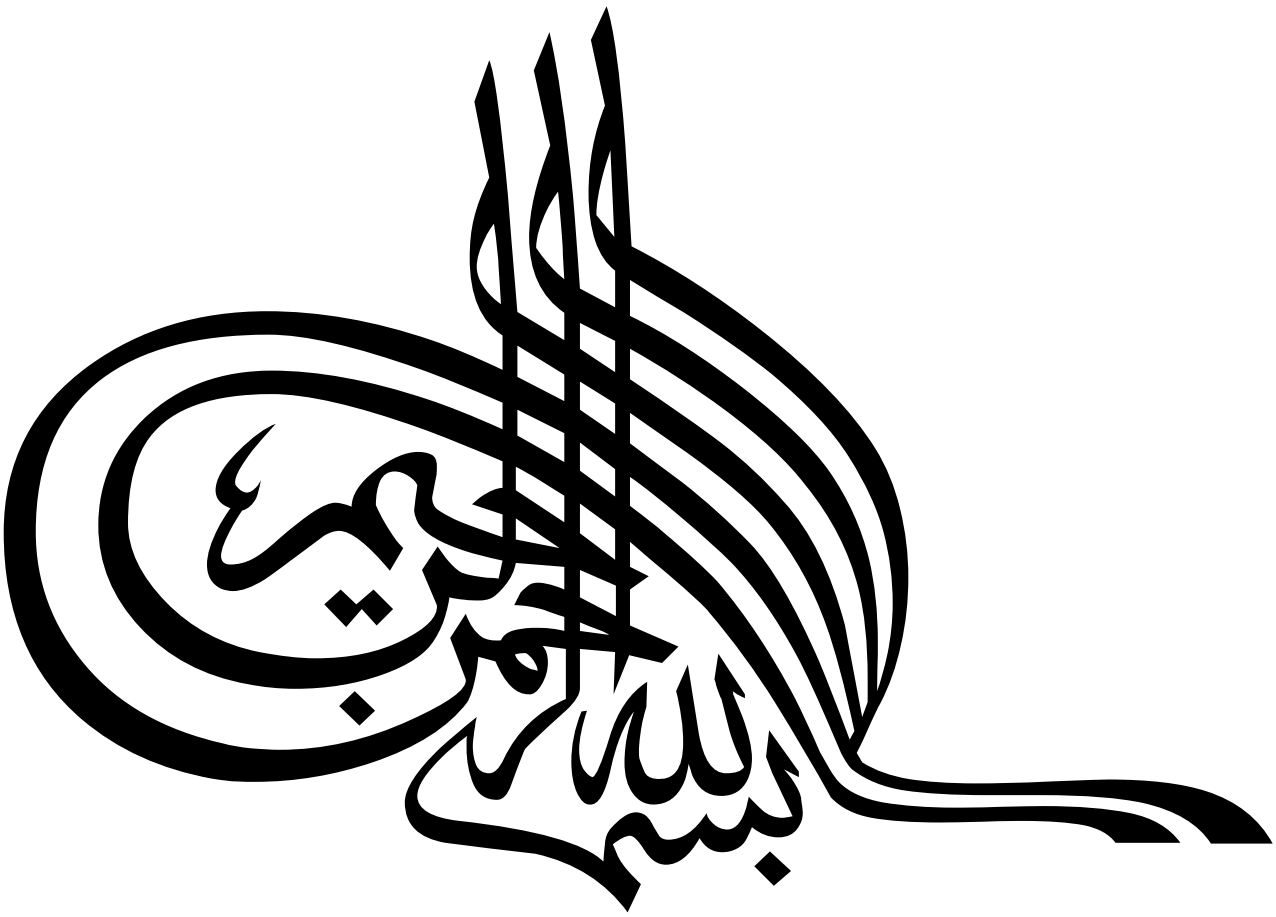
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبنوره تتنزل البركات أشكره وأحمده على ما هداني ووفقني إليه في إنجاز هذا العمل.

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف: الأستاذ الدكتور بودواية مبخوت الذي تكفل عناء متابعة هذا البحث فكان نعم الموجه والناصح.

وإلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة الذين تفضلوا بمناقشة هذا البحث.

إهداء

أهدي ثمرة جهدي

إلى روح والدي سقاه الله من شآبيب رحمته وأفاض عليه من نبع حنانه وعطفه.

إلى والدتي حفظها الله

إلى زوجي الكريم الذي ساندني وشجعني

إلى إخوتي وأخواتي وأزواجهم وأبنائهم رعاهم الله

إلى جميع أساتذتي

وإلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل سواء من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة

مقدمة

تشير الكثير من الدراسات التاريخية إلى الارتباط الحضاري بين المجتمعات الإفريقية جنوب الصحراء والثقافة العربية الإسلامية منذ قرون ومراحل تاريخية قديمة ، وكان لبلاد المغرب الدور البارز والقوي في هذا الوضع ، ومثلت منطقة غرب إفريقيا الجزء الجغرافي المتاخم لنهري النيجر والسنغال الأرض الخصبة والكتلة الأكثر ثراء فكريا وعلميا بسبب استقبالها واحتضانها للعديد من العلماء والفقهاء الذين تركوا بصمات عميقة على تلك المجتمعات وشعوبها وفي طليعة هؤلاء العلماء علماء تلمسان الذين ارتحلوا متحدين أخطار الصحاري وصعوبة مسالكها نحو هذه الأقاليم.

وكان هدفهم نشر الإسلام وتصحيح العقيدة الإسلامية في كثير من مناطق بلاد السودان الغربي والقضاء على الوثنية وما علق بالدين من شوائب وخرافات مركزين في نفس الوقت على نشر المذهب المالكي ، ونشر العلم والمعرفة ، فامتهنوا التعليم ودرسوا في المساجد والمدارس والزوايا ، مركزين في ذلك على العلوم الدينية ، وتخرج على أيديهم خلق كبير فازدهرت الحياة الفكرية والثقافية بفضل علماء تلمسان ، وكان على رأسهم الشيخ الفقيه الإمام " محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني " ، والذي أسهم مساهمة فعالة لا مثيل لها بإقليم توات وبلاد السودان الغربي ، فكان مفكرا ومصلحا هدفه تطوير الحياة الفكرية والعلمية وتصحيح العقيدة الإسلامية وفهمها فهما صحيحا ولم يقتصر هذا الدور على العلماء والفقهاء فقط بل تعدى ذلك التجار الذين مارسوا نشاطهم التجاري في الإقليمين وفي نفس الوقت محاولة إصلاحهم للمجتمعات الوثنية ، وتاجروا أيضا بالكتب ، مما زاد في ازدهار الحركة العلمية وكثرة المكتبات التي انتفع بها طلبة العلم

أسباب اختيار الموضوع :

إن من أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار موضوع " إسهامات علماء تلمسان في الحياة الفكرية بإقليمي توات والسودان الغربي من القرن 8 هـ إلى 10 هـ / 14 م إلى 16 م "

هو تساؤلي الدائم هل كان لعلماء تلمسان دور في ازدهار الحركة الفكرية والثقافية في مناطق ما وراء الصحراء كإقليم توات، وهل وصلت هذه الإسهامات إلى توات فقط أم استمرت إلى غاية بلاد السودان الغربي ، وكيف وصلت اللغة العربية والثقافة الإسلامية خاصة إلى مناطق ما وراء الصحراء .

فكل هذه الأسئلة أثارت اهتمامي مما دفعني للبحث ، كما أن الدراسات التاريخية المهتمة بتاريخ إفريقيا الغربية ركزت على الجانب السياسي والاقتصادي للمنطقة وأهملت الجانب الفكري

والثقافي لهذه الأقاليم ، ومدى تأثير علماء المغرب الإسلامي خاصة علماء تلمسان في كل من إقليم توات وبلاد السودان الغربي ، محاولين إبراز إسهامات أشهر هؤلاء العلماء وعلى رأسهم " الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني " .

إشكالية البحث :

تتمحور إشكالية الموضوع حول إظهار الإسهامات الفكرية لعلماء تلمسان بإقليم توات وبلاد السودان الغربي ومدى تأثيرهم على سكان المنطقة ، ولمناقشة هذه الإشكالية وجب علينا طرح مجموعة من التساؤلات أهمها :

ـ ما هي الأسباب التي دفعت بالعلماء إلى الارتحال من مدينة تلمسان والتوجه إلى جنوب الصحراء متحملين قفارها وقساوتها ؟

ـ ما هو موقف حكام وسلاطين المنطقة من توافد العلماء عليهم خاصة ملوك بلاد السودان الغربي.

ـ كيف كانت معاملة سكان توات وبلاد السودان الغربي اتجاه العلماء الذين توافدوا عليهم ؟

ـ هل اكتفى العلماء بتطوير الحياة الفكرية للإقليمين أم اهتموا بجوانب أخرى كالحياة السياسية والاقتصادية؟

ـ هل كانت هناك إسهامات أخرى إضافة إلى إسهامات العلماء في ازدهار الحياة الفكرية بإقليم توات وبلاد السودان ؟

ـ إلى أي مدى أسهم التجار والطرق الصوفية والزوايا في ازدهار الحركة الفكرية والعلمية بإقليم توات وبلاد السودان الغربي ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، قمت بتقسيم هذه الدراسة إلى مدخل وثلاثة أبواب وكل باب إلى مجموعة فصول.

المنهج المتبع:

اتبعنا في دراستنا منهجا تاريخيا وصفيا تحليليا وهو الوقوف عند بعض المخطوطات والمصادر التي لها صلة بموضوع البحث ، واقتبسنا منها المادة العلمية ومقارنتها وتحليلها إضافة إلى الاعتماد على الدراسات الحديثة خاصة المتعلقة بتاريخ كل من إقليم توات وبلاد السودان الغربي، إضافة إلى المنهج الإحصائي (إحصاء العلماء) .

ولدراسة هذا الموضوع قمنا بتقسيمه إلى مدخل وثلاثة أبواب وكل باب إلى مجموعة فصول.

ففي المدخل تطرقنا إلى دراسة الأوضاع السياسية للدولة الزيانية بحثنا فيه عن أصل بني عبد الواد ونشأة الدولة الزيانية وأشرنا إلى مؤسسها يغمراسن بن زيان والحدود السياسية لهذه الدولة كما تطرقنا إلى صراع الدولة الزيانية مع المرينيين والحفصيين .

أما الباب الأول من هذه الدراسة فقد أدرجنا فيه " الوضع الثقافي بتلمسان في العهد الزياني "

وقمنا بتقسيمه إلى ثلاثة فصول ، ففي الفصل الأول بحثنا عن عوامل الازدهار العلمي بتلمسان فكان من أهم عوامل الإشعاع الفكري والثقافي بالحاضرة هو اهتمام السلاطين الزيانيين بالعلم والعلماء إضافة إلى الهجرة الأندلسية وما أتى به الأندلسيون من علوم وثقافة ، كما كان للتصوف دور كبير في ازدهار الحركة العلمية .

أما الفصل الثاني فعالجنا الحركة العلمية بتلمسان في العهد الزياني، وتطرقنا فيه إلى المراكز التعليمية والمؤسسات الثقافية من كتاتيب ومساجد ومدارس وزوايا ومكتبات ، ودورها في ازدهار الحركة العلمية وجلبها للعديد من العلماء والطلبة .

كما تطرقنا إلى طرق التعليم ومراحله الذي أعتبر من العوامل المؤثرة في نمو الحياة الثقافية والحركة العلمية ومظهرا من مظاهر الازدهار الثقافي والعلمي فكان يمر عبر مراحل يتم فيها تحصيل مختلف المبادئ الأساسية للعلوم والمعارف كحفظ القرآن الكريم واللغة والحساب والخط ثم دراسة العلوم الدينية والعقلية .

أما الفصل الثالث فتناولنا فيه أهم العلوم المتداولة بالمؤسسات التعليمية بتلمسان وأشهر علمائها ، فقمنا بتقسيم العلوم إلى صنفين علوم نقلية وعلوم عقلية ، وقد احتوت العلوم النقلية على العلوم الدينية من (تفسير ، حديث ، علم القراءات ، الفقه ...) والعلوم اللسانية من

(اللغة ، الأدب كالشعر والنثر) والتاريخ ، فقد اهتم الزيانيون بالتاريخ لتسجيل أحداثهم كالغزوات والفتوحات وتناولوا فنون التاريخ وفروعه كالسير والتراجم .

أما العلوم العقلية فاحتوت على (علم المنطق ، الرياضيات ، علم الفلك ، الطب) ، أما العلماء بتلمسان فقد كثر عددهم ونبغوا في مختلف العلوم واشتهروا بمؤلفاتهم ، وساهموا بشكل كبير في ازدهار وتطوير الحركة العلمية والفكرية ونشر التعليم في العهد الزياني .

أما الباب الثاني من هذه الدراسة فكان تحت عنوان " دراسة عامة لإقليم توات وبلاد السودان الغربي " فتطرقنا في الفصل الأول من الباب الثاني لدراسة إقليم توات وذكرنا أصل تسمية توات التي اختلف فيها المؤرخون ثم موقع الإقليم وحدوده وأشهر مناطقه وقصوره وخصائصه الطبيعية وما اشتهر به من قسوة الطبيعة من كثرة الحر والرياح وبحثنا أيضا عن ذكر اسم توات في كتب المؤرخين وتناولنا أيضا الجانب السياسي والاجتماعي للإقليم وركزنا على الجانب الاقتصادي وما اشتهر به التواتيون كممارستهم للزراعة والصناعة والتجارة .

أما الفصل الثاني فتطرقنا لدراسة عامة لبلاد السودان الغربي وتناولنا أصل تسمية بلاد السودان وموقعه الجغرافي وذكره في كتب المؤرخين ، ودرسنا الحياة الاجتماعية بذكر أصل السودانيين وتركيبتهم السكانية اما الجانب السياسي فتطرقنا لأهم ممالك بلاد السودان كمملكة غانة ومالي وسنغاي ، أما الحياة الإقتصادية ، فتناولنا الزراعة والصناعة والتجارة التي كان لها دور فعال في ازدهار بلاد السودان الغربي وتراثه .

أما الفصل الثالث من الباب الثاني فتطرقنا للحياة الثقافية بإقليم توات وبلاد السودان الغربي بما في ذلك أشهر المؤسسات التعليمية بإقليم توات من (مساجد وزوايا وكتاتيب) ، وأشهر العلماء وطرق التعليم وأهم العلوم المدرسة بالإقليم ، والرحلة العلمية وأثرها الواضح في ازدهار الحركة الفكرية .

وتحدثنا عن أهم المدن العلمية لإقليم توات وهي مدينة تمنطيط ودورها في الحركة العلمية فعرفت بكثرة العلماء والفقهاء ، وتطرقنا للعلاقات الثقافية بين إقليم توات والمدن العلمية التي شهدت ازدهار العلم والمعرفة بها كتلمسان وفاس وبلاد السودان الغربي .

وأشرنا أيضا إلى حركة النسخ وبيع الكتب بتوات وتطرقنا أيضا لعوامل الازدهار العلمي ببلاد السودان الغربي ، وذكر أشهر المؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية كالمساجد والكتاتيب والمدارس والجامعات والمعاهد العليا والزوايا والمحاضر ، وذكرنا أيضا مراحل التعليم ومناهجه وطرق تدريسه ببلاد السودان الغربي الذي لم يختلف كثيرا عن التعليم ببلاد المغرب ، وذكرنا أيضا أشهر العلماء السودانيين إذ توجد بالأسرة العلمية الواحدة أكثر من عالم وفقيه ، وتطرقنا أيضا إلى أهم العلوم ومصنفاتها المتداولة في بلاد السودان الغربي .

أما الباب الثالث فكان بعنوان إسهامات علماء تلمسان بإقليم توات والسودان الغربي ، فتطرقنا في الفصل الأول إلى أشهر العلماء الوافدين على إقليم توات وبلاد السودان الغربي ، وأشرنا إلى مكانتهم الاجتماعية فقد حظي العلماء باحترام كبير ومكانة مرموقة من قبل عامة الناس وخاصتهم باعتبارهم ورثة الأنبياء ومنحوهم ألقابا خاصة تميزهم عن غيرهم (كالإمام والأستاذ والحافظ والفقيه والمحدث والشيخ والمدرس والمقرئ ...) .

وجعلت هذه المكانة العالية دورهم لا يقتصر على التدريس فحسب بل شملت مجالات أخرى نظرا لتمتعهم بثقة واحترام العامة والخاصة فامتهنوا (القضاء والإمامة و الخطابة...) وأشرنا أيضا إلى دورها في ازدهار الحركة الفقهية .

أما الفصل الثاني من الباب الثالث فهو بعنوان " إسهامات علماء تلمسان بإقليم توات وبلاد السودان الغربي (الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ـ أنموذجا) وتطرقنا فيه لحياة الشيخ المغيلي فذكرنا نسبه وتاريخ مولده الذي اختلف فيه الكثير من المؤرخين أما أسرته فلم نذكر الكثير عنها لأن المصادر لم تتحدث عنها كثيرا ، وذكرنا شيوخه الذين أخذ عنهم الكثير من العلوم وأشهر التلاميذ الذين أخذوا عنه ، ورحلاته إلى توات وفاس وبلاد السودان الغربي .

وذكرنا دوره بإقليم توات فعمل المغيلي التلمساني على نشر مختلف العلوم وامتهانه للتعليم بعد تأسيس زاويته المشهورة ، وقام أيضا بمحاربة اليهود وإخراجهم من توات بعدما تعدوا على الحدود الشرعية التي حددها الإسلام وألحقوا الأذى بالمسلمين .

ثم انتقاله إلى بلاد السودان الغربي وتقديمه النصح للملوك والأمراء ، كسلطان كانو وسلطان كاغو ، وقام أيضا بمحاربة ونبذ العادات السيئة بالبلاد (كالسحر والشعوذة واختلاط الرجال بالنساء وعدم التستر وقيام بعض السودانيين ببعض الطقوس الوثنية) ،كما ساهم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وغيره من علماء تلمسان بنشر المذهب المالكي في مختلف ممالك بلاد السودان الغربي .

أما الخاتمة فهي مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا هذه ، وأتبعناها بمجموعة من الملاحق التي تخدم الموضوع فاشتملت على صور لضريح الشيخ المغيلي التقطناها بعد زيارتنا للمنطقة المعروفة بزاوية سيدي الشيخ المغيلي بالقرب من زاوية كنتة بمنطقة أدرار ، كالمقبرة والزاوية والضريح ، إضافة إلى الخرائط وصور المؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية بتلمسان خاصة المساجد التي لا تزال متواجدة ليومنا هذا ، إضافة إلى قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في انجاز دراستنا ولا يخفى على أحد أن الباحث تعترضه مجموعة من الصعوبات والعوائق .

صعوبات البحث:

من الصعوبات التي واجهتني أثناء البحث صعوبة الحصول على المخطوطات إلا القليل منها على الرغم من تنقلي بين خزائن ومكتبات منطقة أدرار .

ـ تشابه المادة العلمية في الكثير من الدراسات خاصة الحديثة منها.

ـ إهمال جوانب كثيرة من حياة بعض علماء تلمسان الذين وفدوا على إقليم توات وبلاد السودان الغربي، وغياب تاريخ ارتحالهم من تلمسان إلى الإقليمين ، وحتى الدراسات التي تتحدث عن محمد بن عبد الكريم المغيلي، تتطرق في كثير من الأحيان إلى قضيته مع يهود توات ، مهملة جوانب أخرى مهمة من حياته .

ـ إضافة إلى تفرق إنتاج المغيلي في مختلف المكتبات سواء في الجزائر أو خارج الوطن كالمغرب ، كما أن الكثير من مؤلفاته لازالت مخطوطة وغير مطبوعة والعديد منها لا يزال في حكم المفقود ، ويرجع سبب ضياع مؤلفاته إلى اتساع مجال تحركاته وسفره إلى الكثير من البلدان .

عرض ونقد مصادر ومراجع البحث:

من أجل الخوض في هذه الدراسة اعتمدنا على مجموعة من المصادر خاصة كتب التراجم والطبقات والرحالة والجغرافيين.

ـ كتب التاريخ العام :

ـ كتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " لأبي زيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون ولي الدين التونسي الحضرمي الإشبيلي المالكي (ت:808هـ/1406م) ويعتبر هذا المصدر من أهم المصادر التاريخية، وتحدث ابن خلدون في الجزء السادس من كتابه على بلاد السودان الغربي وذكر ممالكه كغانة ومالي ، أما الجزء السابع فخصصه للحديث عن قبيلة زناتة وفروعها كبني مرين وبني عبد الواد ويعتبر مؤلفه خبيرا بمنطقة بلاد المغرب .

ـ كتاب " بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد " ليحيى بن خلدون ت(780هـ/1378م) والذي عد من أهم المصادر التي تحدثت عن الجانب الثقافي للدولة الزيانية خلال القرن (8هـ/14م) ، ويفيد هذا المصدر الباحث في دراسة الحركة العلمية خلال هذه الفترة .

ـ كتاب " نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان " لأبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي ، واعتبر هذا المصدر من المصادر الأساسية في تاريخ الدولة الزيانية وخاصة القرن (9هـ/15م)، حيث ذكر عناية السلاطين الزيانيين بالعلم والعلماء والمتصوفين وذكر المراكز التعليمية والثقافية ، والوضع السياسي لبلاد المغرب الأوسط في القرن 9هـ/15م خاصة الصراع الزياني الحفصي.

ـ كتاب " مصباح الأرواح في أصول الفلاح للمغيلي " الذي احتوى على آرائه العقدية وتحدث فيه عن يهود توات ، وهو كتاب كما قال عنه أحمد بابا في كراسين بعثه للسنوسي وابن غازي .

ـ أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي من تحقيق عبد القادر زبادية ثم حققه جون هنويك مع دراسة خاصة بمنطقة السودان الغربي ، فأجوبة المغيلي على أسئلة الأسقيا هامة جدا حيث تصور الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لمملكة كاغو وغيرها من الممالك الإسلامية ببلاد السودان الغربي .

كما وضع المغيلي رسالة لسلطان كانو ، نشرها " أحمد العلمي حمدان في مجلة كلية الأداب والعلوم الإنسانية بفاس تحت عنوان " استنصاح السودان أحد فقهاء توات وتلمسان " وتوجد هذه الرسالة بزاوية المغيلي بتوات ،وتعتبر رسالة مهمة توضح واجبات الأمير وكيفية تسيير شؤون المملكة .

ـ كتاب " تاريخ السودان لعبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي (ت:1066 هـ/1655م) الذي تحدث في كتابه عن ممالك بلاد السودان الغربي ونشأة المدن الإسلامية، وتكلم عن حياة الدعاة والقضاة الذين استقروا بهذه المدن وتطرق أيضا لذكر الملوك والأمراء والأئمة والخطباء، وكتب عن سلاطين أسرة الأسقيا ، كما ترجم السعدي لعلماء بلاد السودان الغربي الذي بلغ عددهم حوالي مائتي عالم وعلى رأسهم الشيخ أحمد بابا التنبكتي صاحب كتاب نيل الابتهاج .

ـ كتاب " المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب " وهو مقتطف من المسالك والممالك " لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (ت:487 هـ/1094م) ، ورغم أنه يعد من كتب الجغرافيا إلا أنه ذكر أحداثا تصنفه في الكتب التاريخية العامة ، حيث ذكر في الفصل الخامس بلاد السودان الغربي وذكر بالتفصيل غانة ومالي وانتشار الإسلام بهذه المناطق .

ـ كتاب " تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس " لمحمود كعت بن الحاج المتوكل (871هـ/1468م) الذي يعد من أهم المصادر التاريخية لأن المؤلف عاصر عددا من حكام دولة صنغاي وأدى فريضة الحج مع الأسكيا محمد الكبير عام (902هـ/1492م) وكان في صحبتهم عدد كبير من فقهاء المالكية ، ويحتوي تاريخ الفتاش على عرض لمختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لدولة صنغاي وكذلك يلقي الضوء على بعض الأحداث لدولة مالي، ووصف مالي وقوتها واتساعها وذكر المؤلف الكثير من فقهاء المالكية الذين أثروا على الحياة العلمية والثقافية والدينية زمن دولة صنغاي .

ـ كتاب " المعيار المعرب " لأحمد الونشريسي خاصة الجزء الثاني الذي ذكر فيه أجوبة علماء المغرب حول مسألة يهود توات ويتفرد المعيار بهذه الأجوبة دون غيره من مصادر تلك الفترة .

ـ كتاب " إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور " لمحمد بلو بن عثمان ، الذي تحدث فيه عن أثر الشيخ المغيلي في الممالك الإسلامية ببلاد التكرور ، وذكر أيضا الأوضاع بممالك السودان الغربي وعلاقاتها مع بعضها البعض .

2 .كتب الجغرافيا والرحلات :

.كتاب " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة (303هـ/1303م ـ 779 هـ/1377م)حيث قام ابن بطوطة برحلات زار فيها بلاد السودان الغربي ولم يكتب تفاصيل رحلاته بنفسه ولكنه أملاها قبل وفاته على كاتب في البلاط المريني لأبي عنان وهو محمد بن جزي،واستمرت رحلته إلى بلاد السودان الغربي من عام (1352م إلى عام 1354م) فذكر ما شاهده من عادات سيئة وثنية قام بها السودانيون ليست لها علاقة بالدين الإسلامي وأنكر ابن بطوطة ما شاهده انكارا كبيرا وأشار إلى وجود عدد كبير من المسلمين ببلاد السودان الغربي واستقرارهم بها أتوا من بلاد المشرق والمغرب كالتجار والعلماء.

. كتاب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق "لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي(493هـ/1100م)،درس بقرطبة واشتهر بحبه للسفر وأنهى من تأليف كتابه سنة(548هـ/1154م)،خصص فيه جزءا ببلاد السودان الغربي خاصة في القرن السادس الهجري فتحدث عن مملكة غانة وكثرة الذهب بها وتحدث ايضا عن حركة التجارية بين بلاد المغرب وبلاد السودان وذكر أهم مناطق استخراج الذهب في بلاد التكرور و ونقارة.

. كتاب " وصف إفريقيا " لصاحبه الحسن الوزان (864هـ/1489م ـ 959هـ/1552م) هاجرت عائلته بعد سقوط غرناطة إلى مدينة فاس وتمتعت بمكانة محترمة ، سافر عام (917هـ/1511م) إلى تمبكتو وتعرض للأسر من قبل القراصنة الإيطاليين فقدم هدية للبابا ليون العاشر فعمده وأصبح يلقب بليون الإفريقي، وإنتهى الوزان من كتابه في روما وتكلم فيه عن بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي وممالكه كجني و تمبكتو .

ـ رحلة القلصادي المسماة : " تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب " لأبي الحسن علي بن محمد القرشي السبطي المعروف بالقلصادي (ت 891 هـ/1486م) ،و ذكر تراجم الشيوخ الذين أخذ عنهم ببلاد المغرب الأوسط.

ـ إضافة إلى رحلة ابن جبير لأبي الحسن ، بن جبير (ت 614هـ/1217م) .

ـ كتب الطبقات والتراجم :

.كتاب " نيل الإبتهاج بتطريز الديباج " لأحمد بابا التمبكتي ، الذي أعتبر من أهم المصادر في الترجمة للمغيلي ، فالذين جاؤوا بعد أحمد بابا نقلوا هذه الترجمة دون أي إضافة ، وأهم ما جاء في تلك الترجمة الإشارات التاريخية التي تفيد الباحث المهتم بحياة المغيلي وتضمنت أيضا السجال الشعري الذي دار بين الشيخ المغيلي والسيوطي حول علم المنطق ، واعتمادنا أيضا على كتابه كفاية المحتاج في معرفة من ليس بالديباج ، الذي وضح فيه العديد من الأمور التي تطرق لها في كتابه نيل الابتهاج .

ـ كتاب " فتح الشكور في معرف أعيان علماء التكرور " لأبي عبد الله الطالب بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي(ت1219 هـ/1804م) ، ولهذا الكتاب أهمية كبيرة ترجم فيه المؤلف لحوالي مائتي عالم عاشوا في الفترة الممتدة مابين (1056هـ و1215م/1650م و1800م) ذاكر تاريخ ومكان مولدهم.

ـ كتاب " إنفاق الميسور في تاريخ التكرور " لصاحبه محمد بن عثمان فودي (1195هـ 1780م) وهو الشيخ عثمان مؤسس دولة الفولاني الإسلامية عرف بتعلقه بالثقافة العربية الإسلامية واحترامه للعلماء ،تطرق في كتابه لمنطقة التكرور فذكر موقعها الجغرافي و أصل سكانها و ترجم لأشهر العلماء ذاكرا سيرتهم وختم كتابه بذكر مؤلفاته.

وزاره عدد كبير من العلماء وقاموا بمراسلاته وأهمهم أحمد البكاي الكنتي ، زعيم تمبكتو الذي كان سببا في إثراء مؤلفاته فألف كتابه إنفاق الميسور الذي وضح فيه الوضع السياسي والثقافي لممالك بلاد السودان الغربي .

ـ "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان " لأبي عبد الله محمد بن مريم التلمساني (ت1014 هـ/1605م) ، وهو كتاب تراجم لمائة واثنين وثمانين عالم وولي وقاص ولدوا بتلمسان أو

استقروا بها ، كما أشار ابن مريم إلى آثارهم الفكرية وأورد في أغلب الأحيان أسماء شيوخهم وتلاميذهم والكتب المتداولة في زمانهم ، ورتب ابن مريم تراجمه حسب حروف الهجاء فبدأ باسم أحمد وختم تراجمه باسم يحي ، تفاوتت تراجم العلماء فيما بينها تفاوتا كبيرا فبعضها لا يزيد على سطر واحد وخصص لبعضها عدة صفحات من كتابه ، بينما ذكر في تراجم أخرى اسم المترجم له وأصله وتاريخ وفاته وأسماء شيوخه وتلاميذه وعناوين الكتب التي ألفها وأحيانا الكتب التي درسها والبلدان التي زارها وأسماء من أجازه من العلماء .

ـ " الضوء اللامع لأهل القرن التاسع " لشمس الدين السخاوي (ت902هـ/1498م) ، وهو تكملة لكتاب الدرر الكامنة ، وترجم فيه المؤلف لمشاهير القرن (9هـ/15م) ، من العلماء والقضاة والأدباء والشعراء والأمراء والملوك .

ـ ومن كتب التراجم أيضا " وفيات الونشريسي " لأحمد بن يحي الونشريسي ، وكتاب لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد لأحمد ابن القاضي ويعتبر كتاب مهم يترجم لعدد كبير من العلماء خاصة علماء بلاد المغرب الأوسط الذين عاشروا في القرن الثامن والتاسع هجري .

ـ المراجع :

وتكملة لما أورته المصادر حول الموضوع استعنا بمجموعة من المراجع والدراسات الحديثة ومن تلك المراجع نذكر :

ـ كتاب الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن 8 إلى القرن 13 هـ لصاحبه " عبد الرحمان محمد ميغا " ، وتحدث فيه على دور العلماء والفقهاء في ازدهار الحركة الفقهية ببلاد السودان الغربي .

ـ كتاب مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493م ـ 1591م) لصاحبه عبد القادر زبادية ، ذكر فيه تاريخ بلاد السودان في عهد مملكة سنغاي وعلاقاته ببلاد المغرب ، وتطرق للحياة الاقتصادية في بلاد السودان الغربي ، وأهم الطرق والمسالك التجارية بينه وبين بلاد المغرب .

ـ كتاب مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع أهم المراكز بالشمال الإفريقي (15/13م) ، للهادي مبروك الدالي وتحدث في كتابه على أهم المدن الحضارية ببلاد السودان الغربي وأهمها (تمبكتو، جني، غاو) .

ـ كتاب تلمسان في العهد الزياني " لعبد العزيز فيلالي " ، يتكون من جزئين ، حيث خصص الجزء الأول لدراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية لدولة بني زيان والجزء الثاني خصصه لدراسة الأوضاع الثقافية .

ـ كتاب أبي حمو موسى الزياني حياته وآثاره للدكتور عبد الحميد حاجيات ويدرس فيه الفترة الواقعة مابين بداية الدولة الزيانية إلى غاية حكم السلطان أبي حمو موسى الثاني ، وذكر المؤلف الصراع بين الدولة الزيانية والمرينية والدولة الزيانية والحفصية .

ـ كتاب إقليم توات لفرج محمود فرج الذي تناول بالدراسة الأقاليم الثلاثة لتوات (تيديكلت ، تيكورارين ، قورارة) .

ـ كتاب فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهد مالي وصنغي ، للأستاذ سحر عنتر محمد أحمد مرجان ، حيث تناولت في كتابها ، دور العلماء في نشر المذهب المالكي وازدهاره ببلاد السودان الغربي ، خاصة علماء وفقهاء بتلمسان بعد ارتحالهم إلى غرب إفريقيا .

ـ إضافة إلى بعض المقالات ذات الصلة بالموضوع أهمها : التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي بعض آثاره وأعماله في الجنوب الجزائري وبلاد السودان " لعبد القادر زبادية " والمقالة عبارة عن عرض مفصل وشامل لشخصية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي العلمية وآثاره وإسهاماته الفكرية في نشر العلم إلى جانب الدعوة والاصلاح بإقليم توات وبلاد السودان الغربي .

واعتمدت أيضا على الدراسات الأكاديمية كأطروحات الماجيستير والدكتوراه أهمها الأستاذ بودواية مبخوت لنيل دكتوراه دولة بعنوان " العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي خلال عهد بني زيان " ، ورسالة ماجستير لأحمد الحمدي بعنوان :" محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وآثاره " .

وبهذا القدر ينتهي هذا العرض الملخص للمصادر والمراجع وإن لم يأت ذكر مصادر ومراجع أخرى فهذا لا يعني اغفالها أو تجاهلها .

وفي الأخير أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور مبخوت بودواية على مجهوداته وملاحظاته القيمة ولجنة المناقشة وأشكر كل من ساعدني لاتمام الرسالة من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة .

عائشة بوشقيف

قسنطينة يوم الخميس 25 جانفي 2018

والله ولي التوفيق

الفصل التمهيدي

الأوضاع السياسية للدولة الزيانية من القرن 8هـ إلى 10 هـ/ 14م إلى 16م

أولا : أصل بني عبد الواد .

ثانيا : نشأة الدول الزيانية .

ثالثا : يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة الزيانية .

رابعا : الحدود السياسية للدولة الزيانية .

خامسا : الدولة الزيانية وصراعها مع المرينيين .

سادسا : الدولة الزيانية وصراعها مع الحفصيين .

اعتبرت مدينة تلمسان ساحة للغزاة وهدفا للطامعين حول الملك والسلطة فتكاثرت حولها الغارات والهجومات[1]، فبعد سقوط الدّولة الموحدية الّتي تأسّست على يد المهدي بن تومرت[2]والمعروفة كذلك بالدّولة المؤمنيّة نسبة إلى عبد المؤمن بن علي[3] بسبب ثورة بني غانية[4]واضطرابات الأندلس وموقعة العقاب[5] سنة (609 هـ -1212م)[6]، ظهرت بوادر الانفصال في أقاليم الدّولة فأسّست دويلات جديدة بالمغرب الإسلامي وهي دولة بني حفص بإفريقية سنة (625هـ-634هـ/1227م-1236م)[7] ودولة بني مرين بالمغرب الأقصى سنة (668هـ/1269م) وبينهما دولة بني عبد الواد بالمغرب الأوسط سنة 633هـ/1235م وتمكّن بنو نصر[8] من اِستخلاص الحكم لأنفسهم في الجزء الجنوبي بالأندلس.

---

[1]- جمال الدّين بوكلي حسن: الإمام ابن يوسف السّنوسي و علم التّوحيد، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص 13.

[2]- المهدي بن تومرت: ولد سنة (485 هـ /4092م)، ارتحل إلى طلب العلم بالمشرق ثمّ عاد إلى المغرب و بويع سنة 515 هـ -1121م، توفي سنة 524 هـ /1130م – أبو بكر علي الصنهاجي، البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، تح: عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للنشر و التّوزيع، الجزائر 1975، ص 33 – لسان الدّين بن الخطّيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام، تح: أحمد مختار العبادي، إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء 1964، ص 266، Rachid BOUROUIBA – Ibn Tumart, Sned Alger, 1982, p.9.

[3]- عبد المؤمن بن علي: أصله من تاجرا قرب هنين، حكم من (524هـ -558هـ) (1130-1163م)- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاح الدّين الهواري، المكتبة العصريّة، بيروت 2006، ص 148 – أبو عبد الله الزّركشي: تاريخ الدولتين، الموحديّة والحفصيّة، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس 1966، ص 13.

[4]- بنو غانية: من بقايا المرابطين قدِموا من الجزائر الشرقية (البليار)، و استولوا على عدّة أقاليم بالمغرب و أحدثوا خللاً كبيرًا للدّولة الموحديّة، المراكشي، المصدر نفسه، ص 195-198 – عبد الرّحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1981، ص 395 – عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلاميّة في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت 1969، ص 270-282.

[5]- العقاب: موضع بالأندلس بين جيان وقلعة رباح، وقعت فيه معركة بين الموحدين والنصارى الاسبان، انهزم فيها الموحدون سنة (609هـ/1212م)، أنظر: عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1975م، ص416.

[6]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 582. Jean BORIGNON, (et autres), histoire du Maroc, librairie Nationale, Casablanca, 1967, p.147.

[7]- نسبة إلى الشيخ أبو حفص عمر الهنتاتي: أعلنوا انفصالهم بالمغرب الأدنى و عاصمته تونس، و تلقبوا بالموحدين – ابن خلدون، العبر، ج6، ص 577 ؛ محمد بن أبي القاسم الرّعيني القيرواني (ابن أبي دينار)، المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، ط3، دار المسيرة، بيروت 1993، ص 153-200

[8]- بنو نصر أو بنو الأحمر نسبة إلى الشّيخ يوسف بن نصر حكموا الأندلس حتّى سقوط غرناطة (897هـ/1492م)؛ انظر: لسان الدّين بن الخطيب: تاريخ إسبانيا الإسلاميّة أو كتاب أعمال الأعلام، تح: ليفي بروفنسال مكتبة الثقافة الدّينيّة، القاهرة 2006، ص 292؛ ابن خلدون: العبر، ج4، ص 366.

و لقد اِتّخذ بنو عبد الواد تلمسان عاصمة لهم ومقرًّا لهم وكان حكّام كلّ عاصمة يستهدفون ضمّ العواصم الأخرى تحت لواء حكمهم فكلّ طرف بوسائله الخاصّة و بسياسة تجعل ولاء الغير له حقّا مشروعًا[1].

أولا: أصل بني عبد الواد:

هم فرع من فروع قبيلة زناتة البربرية[2]، وكانت حياتهم ذات طابع تميز بالبداوة والترحال، أما نشاطهم المعتاد فتمثل في الرعي مما جعلهم يجوبون صحراء المغرب الأوسط للبحث عن أماكن مناسبة لرعي مواشيهم.

ويسمى الفرع الذي ينتمي إليه العبد الواديين بفرع بني واسين[3] الذي ضم عدة بطون وهي: بنو مرين وبنو عبد الواد وبنو توجين[4].

وفي هذا الصدد ذكر ابن خلدون أن بني عبد الواد ينقسمون بدورهم إلى عدة بطون أهمها بنو ياتكين وبنو أرلو وبنو رهطف ونصوحة وبنو القاسم...[5]، وقد استقر بنو واسين ما بين نهر ملوية ومنطقة الزاب، وامتنعوا من دخول أراضي المغرب الأوسط لأنها كانت تحت سلطة القبائل الزناتية[6]

---

[1]- عبد الله شريط و محمد الميلي: الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، قسنطينة، ط1، 1965م، ص 89 ؛ مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1976، ص 727.

[2]- اعتبرت من أقوى القبائل البربرية، وقد اختلف المؤرخون حول أصلها وتسميتها، لكنهم أجمعوا على أنها من ولد جانا، وتفرعت عنها العديد من القبائل ، أنظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص14-15.

[3]- هم أبناء واسين بن يصلين إخوة مغراوة وبني يفرن، وهو فرع من ولد بادين بن محمد إخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد وبني مرين، أنظر: عبد عبد الرحمن بن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص114-147.

[4]- ينتسبون إلى زناتة واستقروا شرق بني عبد الواد وجنوب مغراوة، وتميزت حياتهم بالبداوة وبعدائهم للزيانيين طيلة فترة حكمهم، وضمت أرضهم قلعة بني سلامة التي كتب فيها ابن خلدون مقدمته، أنظر: عبد الرحمن بن خلدون، ج7، ص318-333.

[5]- ضم هذا الفرع عدة بطون أهمها: بنو يكتمين وبنو مطهر أبناء عمومة بني عبد الواد وبني يعلي وبني عبد الحق بن مغفان، أنظر: يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تح: عبد الحيد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية الجزائرية، 1980م، ص140-186؛ يحي بوعزيز، المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزناتية (1236-1554)، مجلة الأصالة، العدد26، الجزائر، 1975م، ص13.

[6]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص179-180.

كبني يفرن ومغراوة[1] التي كانت تدعم بني واسين بالأسلحة والمال والحبوب مقابل مد العون لهم أثناء حربهم مع قبيلة صنهاجة.

وبعد دخول الهلاليين إلى بلاد المغرب قاموا بالقضاء على قبيلة صنهاجة بالقيروان ثم واصلوا حركتهم إلى غاية بلاد المغرب الأوسط فحاربهم الحماديون دفاعا عن بلادهم بمساعدة بني يعلي ملوك تلمسان[2] من مغراوة وجمعوا أحلافهم من بني واسين وبني مرين وبني عبد الواد وبني توجين وبني راشد[3] وانطلقوا لمحاربة بني هلال لكنهم هزموا واضطروا إلى الخروج من بلاد المغرب الأوسط[4] بعد أن طردوا وعادوا إلى الصحراء من جبل راشد إلى ملوية وفقيق، فاستقر بنو مرين في الجهة الغربية بتوكرارين ثم إلى سجلماسة، واستقر بنو بادين في الجهة الشرقية ما بين فقيق ومديونة إلى جبل راشد ومصاب، مما أدى إلى ظهور الفتن والنزاعات مع المرينيين بحكم الجوار.

وبعد أن أعلن بنو عبد الواد الذين كانوا أحد بطون بني بادين الولاء للموحدين، قاموا بمنحهم بعض الأراضي في بلاد المغرب الأوسط ما بين البطحاء وملوية[5]، أما المرينيون فسيطروا على الصحراء وتوسعوا فيها بعد دخول بني عبد الواد إلى المغرب الأوسط، فأظهر بنو توجين ومغراوة

---

[1]- استقروا شمال الونشريس ووادي الشلف، وكانت حياتهم حياة بداوة، وتميزوا بصراعهم مع الزيانيين، أنظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص50-57.

[2]- تتكون كلمة تِلِمْسَان من جزئين "تلم" بِكَسْرِ التاء المثناة من فوق اللام، و سُكون الميم، و"سان" بفَتْح السّين المهملة وفي آخرها النون، ومعناها تجمع ما بين التل و الصحراء، وكانت قاعدة بلاد المغرب الأوسط، أختطها بنو يفرن ثمّ حكمها الأدارسة ثمّ بني عبيد، إلى أن إستولى عليها المرابطون وأسّسوا في المناطق القريبة منها مدينة تاجرارت أو تاقرارت واعتبروها قاعدة الجند وأصحاب السُلطان، أما المدينة القديمة عرفت باسم أغادير التي خربها عبد المؤمن بن علي مؤسّس الدولة الموحدية، ثمّ قام بإعمارها فزادت إعمارا واتسعت خطتها، وعرفت بصورها المشيدة بالآجر والقرميد ، كما قام بنو زيان ببناء القصور والمنازل، واغترسوا الرياض والبساتين، اشتهرت بها الصنائع وكثرة العُلماء وأصبحت بذلك دارا لملكهم وكرسيا لسلطانهم، أنظر: عز الدين بن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، 1980، ص220 – لسان الدين بن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح: محمد كمال شابانة، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت، 2002، ص183-185.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص120-147.

[4]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص128.

[5]- المصدر نفسه، ص159

منافستهم ومحاولتهم في مقاسمة بني عبد الواد الملك والسلطة[1]، إلا أن المرينيين والعبد الواديين قضوا على القبائل المنافسة لهم، وبالتالي قويت شوكتهم.

ثانيا: نشأة الدولة الزيانية:

تولى بنو عبد الواد الحكم بعد أن قام والي تلمسان أبو سعيد شقيق المأمون[2] سلطان الدولة الموحدية باعتقال بعض مشايخ بني عبد الواد، فطلب منه شيخ اللمتونيين إبراهيم بن إسماعيل أن يطلق سراحهم، لكن والي تلمسان رفض طلبه فغضب لذلك وثار عليه، فقام باعتقاله ثم أطلق سراح مشايخ بني عبد الواد، كما قام إبراهيم بن إسماعيل بخلع طاعة الموحدين ورغب في إحياء دولة له، فقرر القضاء على كبار بني عبد الواد اعتقادا منه بأنه لن يتم له ذلك إلا بقتلهم.

لكنه فشل في مسعاه لأن العبد الواديين تفطنوا لحيلته وعلى رأسهم جابر بن يوسف (عم يغمراسن)، وقاموا بأسره مع أصحابه[3]، ثم دخل جابر بن يوسف إلى تلمسان وأعلن طاعته للمأمون وعهد له هذا الأخير بولاية تلمسان[4] وتسيير امورها وما يليها من بلاد زناتة سنة (627هـ/1229م) مما جعل بني عبد الواد حكاما على تلمسان وما جاورها من مناطق، فكانت هذه المرحلة بداية لتأسيس دولة بني عبد الواد، ولما رغب جابر بن يوسف في توسيع نفوذه قتل بالقرب من مدينة ندرومة بعد أن رفض سكانها إعلان الطاعة له.

ثم خلفه ابنه الحسن ولكنه تخلى بعد مدة عن الحكم لعمه عثمان بن يوسف الذي رفض من قبل الرعية لنقص معرفته بأمور الحكم.

---

[1]- يحي بن خلدون ، المصدر السابق، ج1، ص101.

[2]- هو أبو علي إدريس المأمون بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، حكم سنة (624هـ/1226م) إلى سنة (630هـ/1232م).

[3]- محمد بن عبد الله التنسي، كتاب تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان، تح: محمود بوعياد، الجزائر، 1985، ص112-113.

[4]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص106-107 ؛ عبد الحيد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني (حياته وآثاره)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص12.

فانتقل الحكم إلى أبي عزة زيدان أو زكران بن زيان بن ثابت بن محمد[1]لكنّه حورب من قبل أبناء عمومة بني عبد الواد وهم بنو مطهر وبنو راشد[2] ورفضوا مبايعته، فدارت معركة بين الطرفين سنة 633هـ خارج مدينة تلمسان، وقتل خلالها أبوعزة زيدان.

لكن حكم تلمسان، تولاه من بعده يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد سنة (633هـ/ 1235م)[3]، الذي استطاع اخضاع كل من بني مطهر وبني راشد، وقام بإعلان استقلال الدولة العبدالوادية عن الدولة الموحدية، واتخذ من مدينة تلمسان عاصمة لدولته[4].

ممّا جعل الدولة العبدالوادية أو الزيانية تدخل عهدا جديدا فأصبح لها كيانها السياسي وقوتها على بلاد المغرب الأوسط[5].وما ميزها هو تعرضها للفتن والمشاكل والصراعات من قبل الدولة الحفصية من الناحية الشرقية والدولة المرينية من الناحية الغربية، إضافة الى محاولات التمرد من طرف القبائل العربية والبربرية المجاورة لها وكان الهدف من وراء هذه المؤامرات التوسع من أجل بسط النفوذ وتحقيق القوة.

ثالثا: يغمراسن مؤسس الدولة الزيانية:

عرف يغمراسن بن زيان بدهائه السياسي ومعرفته في تسيير أمور دولته وشجاعته وحزمه وعمله وأخلاقه الفاضلة، وقد ذكره ابن خلدون قائلا: "كان يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد من أشد بني عبد الواد بأسا وأعظمهم في النفوس مهابة وإجلالا وأعرفهم بمصالح قبيلته وأقواهم كاهلا اشتهر

[1]- محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص79.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق،ج7، ص150

[3]- ولد يغمراسن عام (603هـ/1206م)، وكانت مبايعته بعد وفاة أخيه أبوعزة سنة (633هـ/1235م)، أنظر : عبد الرحمن بن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص162.

[4]- التنسي، المصدر السابق، ص113.

[5]- عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص13.

بفصاحة الرأي وسداد التدبير وقوة العزيمة ، معظما عند الخاصة والعامة، يرجعون إليه في كل الأمور عندما تداهمهم النوازل والعوادي"[1].

واستطاع يغمراسن بن زيان بعد مقتل أخيه أبي عزة[2] اخضاع كل القبائل التي خرجت عن طاعة أخيه بعد أن أحسن إليهم كعرب زغبة وبطون زناتة واستمالهم لكي يتمكن من الدفاع عن دولته من الأخطار الداخلية والخارجية، فأسس جيشا من زناتة، ووفر الأسلحة والذخيرة للدفاع عن الدولة، واستحدث مجلسا وزاريا واختار لديوانه كتابا من المهاجرين الأندلسيين[3] الذين قربهم يغمراسن إلى مجلسه متخذا بذلك لنفسه مظهرا من مظاهر الملك والسلطة.

كما جعل من مدينة تلمسان[4]عاصمة له وقاعدة لحكمه التي تألقت بفضله مع مرور الزمن، وأصبحت من أشهر الحواضر في عهدها؛ وتميّز عهد يغمراسن بالاضطراب والقلق بسبب بروز زعامة الحفصيين بالمغرب الأدنى وزعامة بني مرين بالمغرب الأقصى وكان كل طرف يدعو لنفسه أحقية وراثة الوحدين، فأصبحت دولة يغمراسن ميدانا فسيحا للصراع بين هاتين الدولتين بحكم موقع الدولة الزيانية.

لكنّ يغمراسن اتّبع سياسة خاصة اتّصفت بالمرونة وارتكزت على الولاء لأواخر خلفاء الموحدين بمراكش ولأمراء بني نصر بالاندلس ليضمن دعمهم له ضد بني مرين والحفصيين الذين حاولوا القضاء على دولته من أجل التوسع[5].

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر،ج7، ص162.

[2]- بويع يوم وفاة أخيه أبي عزة زيدان يوم الاحد الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة (633هـ/1236)، أنظر:ابن خلدون، العبر، ج7، ص162.

[3]- وفد على يغمراسن بن زيان الأديب ابن وضاح وأبو بكر الخطاب، وولاهما كتابة الرسائل الموجهة الى الموحدّين، أنظر، ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص162-163.

[4]- يحي بن خلدون، بغية الرواد،ج1، ص84-إبن مريم، السبتان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص8- حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص152، محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص، ص135-136؛ Marçais (G), Tlemcen ville d'art et d'histoire 2eme congres de la fondation des sociétés avants de l'Afrique du nord ,Tlemcen publié par soin de la société historique Algérien, Alger,1963,p31.

[5]- يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 116-التنسي، نظم الدروالعقيان، ص175- 176- عبد الرحمن بن خلدون، العبر،ج7 ، ص 188-189.

وقام يغمراسن باخضاع القبائل المخالفة له من مغراوة وتوجين بمهاجمتها من حين لآخر حتى استقامت وأعلنت طاعتها وولاءها، وبفضل سياسته استطاع تدعيم أركان دولته رغم التهديدات والأخطار الداخلية والخارجية وكللت بالنجاح والانتصار، وأصبحت دولته من أعظم دول المغرب الإسلامي وذاع صيتها في جميع الأقطار، إلى أن وافته المنية سنة 1283م[1].

رابعا: الحدود السياسية للدولة الزيانية:

عرف إقليم الدولة الزيانية سابقا بالمغرب الأوسط، وسميت الدولة العبدالوادية نسبة إلى بني عبد الواد إحدى بطون زناتة، وسميت أيضا بالدولة الزيانية نسبة إلى زيان بن ثابت والد يغمراسن مؤسس هذه الدولة[2].

وتميز الاقليم باختلاف التضاريس والمناخ من منطقة لأخرى واشتهر بمدنه والتي كان لها ادوار سياسية واقتصادية وثقافية على رأسها الحاضرة تلمسان التي عدت عاصمة للدولة ومركز من مراكز الإشعاع العلمي والأدبي والفني ثم تليها مدينة ندرومة وهنين ووجدة ووهران ومستغانم ومازونة وملیانة والمدية والجزائر ودلس... [3].

أمّا حدود الدولة الزيانية فلم تكن ثابتة ومستقرة، تتسع أحيانا وتتقلص أحيانا أخرى تتبع القوة العسكرية والإقتصادية للزيانيين واستقرارهم وأمنهم ووحدة أمرائهم وانسجام قبائلهم وولائها[4]؛ وبعدها قام يغمراسن بن زيان بالتوسع غربا فصل بين دولته ودولة بني مرين وادي ملوية شمالا إلى

[1]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص166.

[2]- ابراهيم بلحسن العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 7 الى القرن 9هـ/15/13م، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، تلمسان 2005/2004، ص17.

[3]- بوزيان دراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1933، ص37

[4]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موقع للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002،ص 43.

إقليم فجيج جنوبا، ووصل الى مدينة تاوريرت الواقعة غرب وجدة والبلاد التي تلي نهر ملوية بمساعدة القبائل التابعة له[1].

أمّا من الناحية الشرقية للدولة الزيانية فقد عرفت تطورا ملحوظا منذ اعتلاء السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن عرش المملكة، فركّز معظم خلفاء يغمراسن بن زيان[2] على توسيع نفوذ دولتهم على حساب الحفصيين خاصة في عهد عثمان بن يغمراسن وأبي زيان محمد وأبي حمو الأول وابنه أبي تاشفين الأول، واستطاع الزيانيون في عهدهم الوصول الى بجاية وقسنطينة وعنابة[3]، في عهد أبي تاشفين الأول ثم تراجعت إلى أطراف بجاية وبلاد الزاب وهو أقصى اتساع لها في المنطقة الشرقية، أمّا شمالا فوصلت حدودها إلى البحر الأبيض المتوسط وجنوبا إلى غاية الصحراء الكبرى، واستمرت الدولة الزيانية على هذه الحدود في معظم الأحيان على الرغم من الهجمات التي كانت تشنها عليها الدولة المرينية والدولة الحفصية.

خامسا: الدولة الزيانية وصراعها مع المرينيين:

بعد سقوط الدولة الموحدية كما أشرنا سابقا ، ظهرت ثلاثة دول مقتسمة مجالها الجغرافي فالدولة الحفصية قامت بالمغرب الأدنى و الدولة المرينية ظهرت بالمغرب الأقصى والتي نحن في صدد الحديث عنها، بينما الدولة الزيانية فكان المغرب الأوسط من نصيبها[4] إذ تمكن "يغمراسن بن زيان"[5] من إرساء معالمها[6] وتعرضت هذه الدولة لحروب مستمرة مع جيرانها من كلتا الجهتين الشرقية والغربية

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 227-454- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1965م، ص 146.ابن خلدون، المصدر نفسه ، ج7، ص 189-190.

[2]- التنسي، المصدر السابق، ص137.

[3]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 7

[4]- عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني، حياته وأثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982م ص-ص 11-121 جون وولف، الجزائر واروبا، ترجمة أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986،ص 22-ص 23

[5]- يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص204،ص 207- محمد مكيوي، دور يغمراسن بن زيان في تأسيس الدولة الزيانية، مجلة قرطاس، الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسان، العدد ديسمبر 2008م، ص 207، ص216.

[6]- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب البشير بن سلامة ومحمد مزالي، الدار التونسية للنشر 1983م، ج2، ص 202- محمد مكيوي، المقال نفسه، ص 211.

يهاجمونها من حين لآخر بهدف القضاء عليها وضمها بالقوة، وتعيين من يرضونه من سلاطينها، فاستمرت التدخلات المرينية والحفصية في شؤون الدولة الزيانية[1] فكان بين المرينيين الذّين أسسّوا دولتهم إثر سلسلة من الغارات ضدّ الموحدين والتي قامت على يد أبي يوسف بن عبد الحق سنة(668هـ/1269م)، والزيانيين بغض ناشئ عن الجوار في الدولة ثم في الملك وعن المنافسة في الاستقلال بزناتة، ممّا أدّى الى شنّ هجمات على تلمسان في كل مرة.

إضافة إلى ذلك وجب الإشارة إلى الضعف الذي أصاب جميع بلاد المغرب الإسلامي في هذه الفترة وما تبعه من كثرة تحرّشات الإسبان والبرتغال، فالدولة الزيانية لم تسلم من خطر غارات المرينيين الذّي هددّها من النّاحية الغربية في الكثير من الأحيان، كما بلغ عدد هذه الهجمات والحملات أكثر من أربعة عشر حملة، بدأت سنة(671هـ/1272م) وانتهت عام (804هـ/1401م)، التي سيّرها الوطّاسيون واعتبرت آخر حملة قبل سقوط المرينيين وأصعب الحملات والتي ذاق أهل تلمسان خلالها الأمرين من المحن والآلام[2] هي الحملة التي قادها السلطان "أبي يعقوب" بسبب الحصار الذي فرض على الدولة الزيانية ودام ثمان سنوات (689هـ-706هـ/1307م)[3].

بعد رفع هذا الحصار الذي لم تشهد مثله الدولة الزيانية بسبب مقتل " أبي يعقوب يوسف المريني"[4]، عادت الحاضرة لما كانت عليه من استقرار وطمأنينة في عهد السلطان "ابي تاشفين الأول"[5]، لكن لم يدم هذا الاطمئنان طويلا، حيث أقدم السلطان المريني "أبو الحسن بن أبي سعيد" سعيد" على الاستيلاء على الدولة الزيانية، والذي حكم الدولة المرينية من (737هـ

[1]- أبو عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص 07.

[2]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 210- ص 211،عبد الرحمن بن خلدون،العبر،ج7 ص111-ص 115.

[3]- علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة الوراقة، الرباط 1972م، ص385-ص386-عبد الرحمن بن خلدون، العبر،ج7، ص289-ص291 يحي بن خلدون بغية الرّواد، ج1، ص209-ص211- التنسي، المصدر السابق ص130-ص131.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون،العبر، ج1، ص114.

[5]- هو أبو تاشفين الأول حكم ما بين (718هـ-737هـ/1318م-1337م) أنظر: التنسي، المصدر السابق، ص139- ص140.

إلى749هـ/1337م-1349م)[1]، ثم خلفه ابنه "أبي عنان" حكم من سنة 753هـ الى غاية سنة 759هـ[2].

لكن الدولة المرينية بدأت تضعف في هذه الفترة بسبب وفاة " أبي عنان " ممّا فتح مجال المنافسة والصّراع بين الأمراءحول السلطة، فكان هذا الوضع المزري للمرينيين لصالح الزيانيين الذين أعادوا إحياء دولتهم من جديد على يد السلطان " أبي حمّو موسى الثاني" (760هـ-791هـ/1359م-1389م)[3]، لكن المرينيين لم يستسلموا وبحثوا عن طرق أخرى ناجعة من أجل إبقاء نفوذهم على الدولة الزيانية، فعمدوا على سياسة إثارة التفرقة والشقاق داخل البلاط الزياني ممّا أدى إلى دخول "أبي تاشفين "(791هـ-795هـ/1389م-1392م) في صراع مع والده "أبي حمو موسى"، فكانت من نتائجه مقتل "أبي حمو" سنة (791هـ/1389م)[4]، وبدأ "أبوتاشفين" حكم الدولة الزيانية، لكن خضوعه لبني مرين وخطابه لهم على منابر المساجد وأداؤه للإتاوة أثار غضب البيت الزياني الذي أبدى رفضه في التبعية للدولة المرينية، ممّا دفع "أبي زيان بن ابي حمو"[5] حاكم مدينة الجزائر وأخ "أبو تاشفين" إلى محاولة الهجوم على تلمسان، الّا أنّه فشل ممّا أرغمه على طلب المساعدة من المرينيين الذين لم يتوانوا للحظة في قبول طلبه ضدّ أخيه[6]، وتجدر الإشارة إلى القول بأنّ المرينيين كانوا سببا في تناحر الأمراء والسلاطين الزيانيين فيما بينهم حول السلطة من أجل تحقيق هدفهم ومسعاهم في ضمان تدخلهم الدائم والمباشر في الشؤون الداخلية للدولة الزيانية وفرض سيطرتها وتشتيت البلاط الزياني.

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص136- يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص234- 237- الناصري أبو العبّاس أحمد، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م، ص123- اسماعيل بن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط3، المطبعة الملكية، الرباط، 2003-ص34- ص47.

[2]- ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص 341، الناصري، المصدر نفسه، ص 181.

[3]- ابن خلدون ، المصدر نفسه ،ج7 ،ص357،لبن الأحمر، المصدر نفسه، ص66- ص70-لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تح: لجنة إحياء التراث العربي ،ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980من ص119.

[4]- التنسي، المصدر السابق، ص180- ص181- ابن الحاج النميري، فيض العباب وإضافة قداح الآداب في الحركة السعيدة الى قسنطينة والزّاب، دراسة واعداد محمد شقرون،دار الغرب الإسلامي،ط1، 1990،ص 220.

[5]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002، ج1،ص 66.

[6]- ابن خلدون ، العبر،ج7، ص 124- لخضر عبدلي ، المرجع السابق ، ص 116 - 126.

فتوجّه "أبو زيان" نحو تلمسان للقضاء على أخيه سنة (795هـ/1394م) إلاّ انه في الطريق بلغه خبر وفاة أخيه " أبي تاشفين"، وهو بتازة[1]، فبايع أهل تلمسان ابن "أبي تاشفين" وهو أبو ثابت ولصغر سنّه عيّنوا الوزير "أحمد بن معز" وصيا عليه[2].

ولما سمع"أبو الحجاج يوسف بن أبي حمو"(796هـ-797هـ/1393م-1394م)[3]خبر وفاة أخيه "أبي تاشفين"، وتوليه ابنه مكانه،خرج من مدينة الجزائر التي كان وليا عليها نحو تلمسان فدخلها وقتل ابن أخيه ووصيّه[4] وتولى الحكم لكنّه لم يمكث فيه إلاّ عشرة أشهر[5]، بعد أن تمكّن منه " أبو زيان" بمساعدة المرينيين[6]، فتقلّد هذا الأخير الحكم وشهد المغرب الأوسط في عهده الأمن الأمن والإستقرار، كما يعبّر التنسي بقوله "حيث أقام سوق المعارف على ساقها، وأبدع في نضم مجالسها واتّساقها" [7]، لكن المرينيين قبضوا عليه وقاموا بنفيه إلى فاس، بعد أن رفض بقاءه خاضعا لهم فتمكّن وليّ عهد السلطان المريني" أبو فارس بن أبي العبّاس بن أبي سالم "(769هـ/1395م) من الاستيلاء على المغرب الأوسط[8]، وإدارة شؤونه، ثمّ تخلّى عنه المرينيون بعد أن استلم "أبو فارس" العرش بفاس بعد وفاة أبيه[9].

---

[1]- تازة: هي مدينة تقع شرق المغرب الأقصى وهي الحدّ الفاصل بينه و بين المغرب الأوسط أنظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق ص 128- مؤلف مجهول الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية الدار البيضاء 1985م، ص 186.

[2]- ابن خلدون ، المصدر السابق ،ج7، ط3، ص 391.

[3]- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت، لبنان، 1970م ص 172.

[4]- ابن خلدون، العبر،ج7، ص 145.

[5]- المصدر نفسه، ج7، 150.

[6]- عادل نويهض، المرجع السابق، ص 172.

[7]- التنسي، المصدر السابق، ص 172.

[8]- الناصري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته "حياة أبي راس الذاتية والعلمية"، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص-ص 76-77.

[9]- النميري، فيض العباب واضافة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب، دراسة واعداد: محمد بن شقرون،ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1990ص 344.

فقام بإطلاق سراح "أبي زيان بن أبي حمّو"، لأنّه كان معتقلا بفاس، باعثا إيّاه إلى تلمسان وعيّنه أميرا عليها[1]، فقام هذا الأخير بإحياء الدولة الزيانية من جديد[2]، ولما رأى أبو زيان بأنّ أخاه "أبا الحجاج يوسف" ينافسه في الحكم عمد على التخلص منه، بقتله وقطع رأسه على يد شيوخ القبائل[3] فنتج عن ذلك عودة الهدوء إلى المغرب الأوسط .

وعادت تلمسان إلى حركتها الفكرية والثقافية بفضل ما قام به "أبو زيان" حيث رسّخ الأمن وأصلح كلّ ما أفسدته الحروب واعتنى بالعلم والعلماء عناية فائقة[4] لكن هذا الأمر أغضب "أبا فارس" فاعتبر تطوّر القوة الحضارية والعسكرية للدولة الزيانية خطرا يهدّد دولته، ممّا دفع به إلى التفكّر في طريقة يتخلّص بها من "أبي زيان"، فقام إلى أخيه "أبي محمد عبد الله بن أبي حمّو" (801هـ-804هـ/1399م-1402م)، وساعده بالمال والرجال فتوجّه إلى تلمسان سنة (801هـ-1399م)[5]، وتمكّن من دخولها، فلمّا كان على "أبي زيان" إلاّ الفرار والبحث عن المساعدة من القبائل المتواجدة في المناطق الشرقية، لكنّه فشل في ذلك ولم يتوقّف التدخّل المريني في شؤون المغرب الأوسط، فقاموا بعزل وسجن السلطان "أبي محمد عبد الله" وولّوا مكانه أخاه "عبد الله" ويسمّى كذلك بابن الحمراء عام (804هـ/1403م)[6] حكم الدولة الزيانية مدّة تسع سنوات، وتميّز عهده بالاستقرار وازدهار الحياة العلمية والثقافية[7].

ثمّ خلفه ابنه "عبد الرحمن الثالث" (813هـ- 814هـ/1411م- 1412م)ولم يدم حكمه مدّة طويلة[8]، بسبب عمّه "السعيد بن أبي حمّو الثاني" الذي أجبره على الرحيل من تلمسان عام

[1]- الناصري، المصدر السابق، ج4، ص79 – 80 .

[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 67 .

[3]- التنسي، نظم الدر، ص 229 – النميري، المصدر نفسه، ص 484

[4]- التنسي، المصدر نفسه، ص – ص 210 - 211

[5]- المصدر نفسه، ص- ص 227- 228 .

[6]- المصدر نفسه ، ص 229 .

[7]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

[8]- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، 1983م- ص 107 .

(814هـ/1412م)[1] فحكم "السعيد بن أبي حمّو" إلاّ أنّ سياسته المالية أحدثت اضطرابا وتقهقرا في وسط الرّعية، ممّا أتاح للمرينيين فرصة للتدخل في شؤون الدّولة الزيانية وقاموا بدعم السلطان "أبي مالك عبد الواحد"، فتوجّه نحو تلمسان ودخلها سنة(814هـ/1411م) فأبعد أخاه عن الحكم ونفاه[2]، ولما وصل هذا السلطان إلى الحكم في البلاط الزياني اتبع سياسة جديدة وصارمة ألا وهي وضع حدّ للنّفوذ المريني، وإعادة قوّة الدّولة الزيانية مع بسط نفوذها على جميع مناطق المغرب الأوسط خاصّة التي خرجت عنها أثناء الحروب والهجوم على أراضي الدولتين المجاورتين[3]، وبعد سقوط دولة بني مرين على يد الوطاسيين أبناء عمومتهم، أحجموا عن مواجهة بني زيان، واستمر هذا الوضع إلى سقوطهم وقيام السعديين الذين بدؤوا يشنوا الغارات على تلمسان خلال القرن 16م إلى أن وضع الأتراك حدا لهم بعد ضم المغرب الأوسط إلى الخلافة العثمانية .

سادسا: الدولة الزيانية وصراعها مع الحفصيين :

عانت الدولة الزيانية خطرا آخر من الناحية الشرقية ألا وهو خطر الدولة الحفصية، والتي يعود تأسيسها إلى "أبي حفص عمر الهنتاتي"(571هـ/1175م)[4]، الذي اعتزّ به المهدي بن تومرت كثيرا كثيرا في نشر دعوته إلاّ أنّه اختار "عبد المؤمن بن علي" لرئاسة الدولة الموحّدية، وكان أبو حفص قائما بإفريقية تابعا لهذه الدعوة وما إن أخذ الموحدون في السقوط حتى أعلنت إفريقية استقلالها عام(627هـ/1229م)، مع أبي زكريّا يحي (700هـ/1300م) وكان هذا في شرق تلمسان[5] كما اعتبر بنو حفص أنفسهم ورثة الحكم الشرعيين للدولة الموحدية هذا ما جعل الهجومات والغارات تتكاثر على تلمسان الزيانية، فبعد أن خلّص " أبو مالك عبد الواحد" بلاده من سيطرة المرينيين واسترجاع بعض المناطق من الناحية الشرقية والتي قد خرجت عن نفوذها هذا الأمر دفع بـ"أبي فارس

[1]- التنسي، المصدر السابق، ص234؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص 127 .

[2]- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع نفسه، ج2، ص 109 .

[3]- التنسي، المصدر السابق، ص- ص 235- 236.

[4]- أبو حفص عمر الهنتاتي : هو ابن يحي بن محمد جدّ ملوك الحفصيين أصحاب تونس، اشتهر بموالاته للإمام المهدي بن تومرت ثمّ للخليفة عبد المؤمن الكومي و لابنه من بعده توفي سنة(571هـ/1175م).

[5]- جمال الدين بوكلي حسن، المرجع السابق، ص 15.

عبد العزيز"[1] وهو السلطان الحفصي إلى تصويب حملة عسكرية نحو تلمسان[2]، تمكّن " أبو فارس" من دخول تلمسان وانهيار السلطان الزياني "عبد الواحد" وعيّن " أبا عبد الله محمد" واليا عليها[3] لكنه يبقى خاضعا بالطّاعة والولاء لبني حفص، وهذا الأمر لم يلتزم به "أبو عبد الله" فقام بإلغاء ذكر اسم السلطان الحفصي على منابر مساجد بلاد المغرب الأوسط في خطب يوم الجمعة[4].

فطلب"أبو مالك عبد الواحد " من السلطان الحفصي مساعدته لكي يسترد عرشه فوافق على طلبه مدعّما إيّاه بحملة عسكرية، لكنّ هذه الحملة فشلت نتيجة استعداد "أبو عبد الله محمد" ومواجهته لها[5]، لكنّ " أبا مالك" لم يستسلم في الدخول الى تلمسان، فلجا الى بعض القبائل العربية والتي مكّنته من هدفه سنة (831هـ/1427م)، وبعث ببيعته للسلطان "أبي فارس" لكن حكمه لم يدم طويلا بسبب مقتله من طرف ابن أخيه "أبي عبد الله" بمساعدة عرب المغرب الأوسط سنة (833هـ/1429م)[6] وهذا ما دفع "بأبي فارس" الى تجهيز حملة عسكرية ومحاصرة تلمسان مرغما صاحبها على الخروج منها إلى جبال "بني زناسن"[7] وبذلك تمكن السلطان الحفصي من دخول تلمسان والقبض على"أبي عبد الله" ونقله إلى تونس إلى غاية وفاته بها عام(840هـ/1436م)[8]، فقلّد "أبو فارس" "لأبي العبّاس أحمد العاقل بن أبي حمو الثاني"

---

[1]- أبو عبد الله الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ناضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس،1966م،ص 144-155.

[2]- الزركشي، المصدر السابق، ص 125- ابن قنفد القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968م، ص 117.

[3]- الزكشي ، المصدر السابق، ص 126- التنسي، المصدر السابق، ص 241- أبو عبد الله ابن الشماع، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد العموري، الدار العربية للكتاب، 1984، ص 102.

[4]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 70- روبار برنشفيك ، تاريخ افريقيا في العهد الحفصي من القرن 13م الى نهاية القرن 15م، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص – 60-61.

[5]- التنسي، المصدر السابق، ص243- روبار برنشفيك، المرجع نفسه ص 257-268.

[6]- الزركشي، المصدر السابق، ص129- التنسي، المصدر السابق، ص- ص 244- 245.

[7]- تقع هذه الجبال في شمال غرب وجدة وشرق نهر ملوية.

[8]- التنسي، المصدر السابق، ص 131.

(834هـ-866هـ/1431-1462م)[1] حكم بلاد المغرب الأوسط، بعد مرور ثلاث سنوات لم يعد "أبو العبّاس" ملتزما بتبعيته للسلطان الحفصي[2]، فصوّب هذا الاخير حملة نحو تلمسان، لكنّها عادت أدراجها إلى تونس بسبب وفاته في الطريق سنة 837هـ[3]، ثم تولى الحكم بعد " أبي فارس" حفيده "أبو عبد الله محمد المنتصر"(873هـ- 839هـ/1433م-1435م)[4]، امام هذا الظرف أعاد أبو العبّاس أحمد العاقل" ولاءه للحفصيين خوفا من بطشهم، كما أنّ أوضاع الدولة الزيانية تدهورت بسبب ظهور الأطماع في الاستيلاء على الحكم من طرف أفراد البلاط الزياني[5].

وبعد وفاة السلطان الحفصي "أبو عبد الله محمد المنتصر" عام 893هـ، خلفه أخوه "أبو عمرو عثمان"[6] ، إلاّ أنّ حاكم تلمسان ثار عليه "المستعين بالله" وهو "أبو زيان محمد الزياني" مدعّما من من طرف الحفصيين سنة (842هـ/1438م)، فاحتل الكثير من المدن ومن بينها الجزائر إلاّ أنّ سكانها ثاروا عليه وقتلوه[7]، وظهرت ثورات أخرى مثل ثورة" أحمد بن الناصر بن أبي حمو " والتي قضى عليها سنة (850هـ-1446م)[8] وثورة "محمد بن محمد بن أبي ثابت "عام (866هـ-1461م)[9]، حيث تمكّن من الدخول الى تلمسان في نفس السنة فارضا الحصار، وقبض على "أبي

[1]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص- ص 187- 188.

[2]- الزركشي، المصدر السابق، ص 131.

[3]- الغالب عودة المزاري، طلوع سعد السعود، تح: يحيبوعزيز،ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1990،ص 131- ابن الشماع، المصدر السابق، ص- ص 120-121.

[4]- أبو عبد الله الرعيني بن أبي الدينار، المؤنسفي أخبار إفريقية وتونس، تح: محمد شمام ، المكتبة العتيقة، تونس، 1976م - ص 159- الزركشي، المصدر السابق، ص 131.

[5]- التنسي، المصدر السابق، ص249- الآغا بن عودة المزاري، المصدر نفسه، ص70- عبد الرحمن الجيلالي المرجع السابق،ج2،ص - ص- 197-198.

[6]- أبو عمرو عثمان: من أبرز سلاطين الدولة الحفصية حكم ما بين (839هـ-893هـ/1435م-1488م)، أنظر: الزركشي، تاريخ الدولتين، ص- ص- ص 134-135.

[7]- التنسي، نظم الدّر،ص251- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق،ج2،ص191- Henneri leon fey, histoire d'Oran avant Pendant et après la domination espagnol, Edition dar el Gharb , 2002,p-p 48-50.

[8]- التنسي، المصدر السابق ، ص253.

[9]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2،ص 192.

العبّاس أحمد العاقل" والذي نفاه إلى الأندلس[1]، وبذلك استولى على تلمسان عام (866هـ-873هـ/1462م-1468م)، وهذا ما دفع بالسلطان الحفصي "أبي عمرو عثمان" الى التوجّه نحو تلمسان[2] فخرج إليه أعيانها ملتزمين له بالبيعة فرجع إلى تونس من جديد إلاّ أنّ" محمد بن أبي ثابت ثابت المتوكل " أراد خلع بيعته للدولة الحفصية[3]، ولما سمع السلطان الحفصي بمثل هذا الخبر، توجّه إلى تلمسان لإخضاع حاكمها مستقرا بمنصورة معلنا الهجوم، فخرج له الشيوخ وطلبوا منه الصلح والعفو[4] وبذلك بقيت الدولة الزيانية خاضعة للدولة الحفصية حتى وفاة "محمد بن محمد بن أبي ثابت" (المتوكّل على الله)عام (873هـ/1468م) ليخلفه ابنه"أبو تاشفين الثالث" والذي لم تدم فترة حكمه طويلا حتى وافته المنية[5] ، لكن الزيانيين تخلصوا من التبعية للدولة الحفصية والانفصال عنها نتيجة الضعف والانحطاط والتقهقر الذي شهدته دول المغرب الإسلامي في هذه الفترة خاصة الدولة الحفصية، ومن أهم ما يمكن أن نستخلصه من هذه الفترة من عرضنا هذا والمتعلق بالصراع القائم بين الدولة الزيانية والدولة المرينية من الناحية الغربية والدولة الحفصية من الناحية الشرقية هو أنّ الاضطرابات السياسية والتناحر الإقليمي والخطر الخارجي الذي عاشته الدولة الزيانية كان الشغل الشاغل للسلاطين الزيانيين[6] حيث هدّد استقرار وأمن وحياة السكان الذين ذاقوا الأمرين خاصة خلال الحصار المريني لمدينة تلمسان.

كما أنّ المرينيين هم السبب في تناحر الأمراء و السلاطين الزيانيين فيما بينهم حول السلطة مثل ما ساعدوا "أبا تاشفين" على والده "أبي حمو موسى" و"أبا زيان بن أبي حمو" على أخيه "أبي تاشفين" ولم يترددوا للحظة في مساعدة أمير زياني للقضاء على أخيه أو أبيه وهذا لتحقيق هدفهم

[1]- التنسي، المصدر السابق، ص254- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص245.

[2]- الزركشي، المصدر السابق، ص152- ابن الشماع، المصدر السابق ، ص27؛ Henneri Leon Fey :OP-cit-p65.

[3]- عبد الباسط بن خليل بن شاهين الحنفي، الروض الباسم في حوادث العمر و التراجم، تح: روبير برونشفيك، باريس، 1936م ، ص45-46

[4]- الزركشي،المصدر السابق، ص15؛ عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص205-206؛ التنسي، المصدر السابق، ص193.

[5]- عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق،ج2ص195- - روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص- ص 290-291.

[6]- التنسي، المصدر السابق، ص-ص 115-116.

ومسعاهم في ضمان تدخلهم الدائم والمباشر في الشؤون الداخلية للدولة الزيانية وفرض سيطرتها وتشتيت البلاط الزياني.

كما أنّ الحفصيين كانوا يصوبون حملاتهم العسكرية نحو تلمسان من أجل الحدّ من قوة أيّ سلطان زياني[1] خاصة إذا سمعوا عن أيّ تطور عسكري أو حضاري ، لأنّه يهدّد كيانهم و سيطرتهم على الدولة الزيانية.

كما أنّ تدخّل الدولة المرينية والحفصية أرهق الدورة الزيانية خاصة تلك الهجمات والغارات المتتالية لأنّ الدولة لم تكن تدخّر جهدا في ردّه والدفاع عن أقاليمها إلاّ أنّ الضعف السياسي بدأ يسود دولة المغرب الإسلامي مع منتصف القرن (9هـ/15م)، نتج عنه ظهور خطر آخر جديد ألا وهو الخطر الإسباني والبرتغالي الصليبي.

الذي هدّد أراضي المغرب الإسلامي وسواحله بعد سقوط غرناطة عام (897هـ/1492م)[2] خاصة بعد ادراكه للضعف الذي مسّ جميع الجوانب سياسيا وعسكريا واقتصاديا الذي عاشته دول المغرب فقامت اسبانيا بتوجيه حملاتها وغاراتها نحو سواحل المغرب الإسلامي، خاصة على المغرب الأوسط، رغبة منها في الانتقام من سكان المغرب الدين ساعدوا المورسكيين[3] الفارين من الاضطهاد المسيحي الإسباني ومحاكم التفتيش[4] بالتالي نقل حرب الاسترداد من الأندلس نحو بلاد المغرب[5]،

---

[1]- عبد الحميد حاجيات، من مقدمة كتاب دولة الأدارسة ضمن كتاب نظم الدر والعقيان، ص10.

[2]- جون وولف، المرجع السابق، ص 25؛ Hennri Leon Fey ,op-cit,p39

[3]- الموركسيون أو الموريسكوس مصطلح إسباني، واختلف المؤرخون في تحديد معنى المصطلح واشتقاقاته،فالكثير منهم يرى أنّ أصل الكلمة لاتيني إغريقي مشتق من كلمة موري وتطلق على مجموعة ذات بشرة سوداء، وأصل الكلمة مشتق من الكلمة الإغريقية أموروس، ومنها اشتقت كلمة مورو ويقصد به شديد السمرة، أمّا ليفي بروفنسال فيرى أنّكلمة الموريكسيين كلمة إسبانية تطلق على المسلمين الذين بقوا في البلاد بعد أن استولى عليها الملكان الكاثوليكيان، ويرى الدكتور حسين مؤنس أنّ هذه الكلمة مشتقة من موري وتعني الداخلين تحت سلطان مسيحي، وتطورت إلى مورو الإسبانية واصبحت تعني عربي أو مسلم، أنظر: جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص- ص 41-42 – حمادي عبد الله، الموريكسيون ومحاكم التفتيش في الأندلس (1492،1916)، الجزائر، 1989، ص50، levis provensal Encyclopedia of Islam 1ERédition، حسين مؤنس، أسنى المتاجر فيمن غلب على دينه من النصارى ولم يهاجر ، العدد 1 و2 صحيفة بمعهد الدراسات الإسلامية مدريد، 1957، ص139.

[4]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 24.

[5]- يحي بوعزيز، المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية، مجلة الأصالة ، العدد 26، جويلية- أوت 1975، ص 24-27.

فبدأ الاستيلاء على أهم المراكز الساحلية للمغرب الأوسط كالمرسى الكبير عام (910هـ/1506م)، ومدينة تنس عام (909هـ/1505م) ووهران (914هـ/1510م)[1] ممّا مكّنهم من التدخل في الشؤون الداخلية للدولة الزيانية وفي هذه الفترة ظهر الأتراك العثمانيون في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط فتصدوا للغارات الإسبانية ولولاهم لتم احتلال كامل مدن المغرب الأوسط .

[1]- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، 1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1976م، ص96-102.

الباب الأول

الوضع الثقافي بتلمسان في العهد الزياني
القرن (8هـ – 10هـ/14م –16م)

الفصل الأول

عوامل الإزدهار العلمي بتلمسان

أولا : اهتمام السلاطين الزيانيين بالعلم والعلماء

ثانيا : دور هجرة الأندلسيين في الازدهار العلمي

ثالثا : دور التصوف في الحركة العلمية

شهدت الدولة الزيانية في القرن (8هـ و10هـ /14م-16م) اضطرابات سياسية بسبب الفتن الموجهة لها من الجهتين الشرقية والغربية على يد الحفصيين، إلاَ أن هذه الأحداث المزرية لم تؤثر على الحياة العلمية والفكرية، حيث ظهر الكثير من العلماء والأدباء في شتَى العلوم سواء النقلية (كالتفسير والحديث والفقه وأصوله)، والعقلية (كعلم المنطق والرياضيات وعلم الفلك...)، ونشطت المراكز التعليمية والمؤسسات الثقافية.

فأصبحت تلمسان تنافس مختلف الأقطار الإسلامية (كفاس وقرطبة والقاهرة) وغيرها من الحواضر الأخرى، وقد وصف أبو الحسن القلصادي (ت 891هـ / 1486م)[1] الوضع العلمي والثقافي لتلمسان لما زارها وزار مدنا أخرى كالجزائر ووهران سنة (840هـ/1437م)، إذ قال: "وأدركت فيها (أي تلمسان) كثيرا من العلماء و الصلحاء والعبَاد والزهَاد، وسوق العلم حينئذ نافقة وتجارة المتعلمين والمعلمين رابحة، والهمم إلى تحصيله مشرفة وإلى الجدَ والاجتهاد فيه مرتقية، فأخذت فيها بالاشتغال بالعلم على أكثر الأعيان المشهود لهم بالفصاحة والبيان..."[2]

وبيَن أيضا عبد الباسط بن خليل (ت920 هـ /1514م) الرحالة المصري[3] الحياة العلمية بتلمسان التي زارها ليتعلم الطب عن أطبائها نظرا لتفوقهم ومهارتهم، فأخذ هذا العلم عن الطبيب "محمد بن علي بن فشوش" الذي درَس الطب وامتهنه، وأخذ أيضا عن الطبيب "موشي بن صمويل بن يهود الإسرائيلي" المشهور بابن الأشقر اليهودي، الذي مدحه عبد الباسط بن خليل قائلا: "لم

---

[1]- القلصادي: هو علي بن محمد بن علي القرشي البسطي أبو الحسن الفقيه الصالح المؤلف الرحالة وأحد أئمة الأندلس ولد عام (815هـ / 1412م) ببسطة له تآليف كثيرة، وكانت وفاته بجربة بتونس سنة (891 هـ /1486م) عنه أنظر: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع:ت ح: أوفستكونر، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان (د د ت). ص 330-أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1 ، منشورات كلية الدعوى الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989، ص 339-341- الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، حرَره فيليب حتى، مكتبة المثنى، بغداد، المطبعة السورية الأمريكية في نيويورك، 1927، ص 131.

[2]- علي بن محمد القرشي الأندلسي القلصادي تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل، تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1978 ص 94.

[3]- هو عبد الباسط بن خليل ولد بملطية بالشام ونشأ بها وتعلم بدمشق وحلب ثم رحل للقاهرة لمواصلة تعليمه فبرع في علم الفقه والطب والمنطق، ثم شدَ رحاله نحو بلاد المغرب ثم عاد إلى القاهرة، توفي عام (920هـ / 1514م)، أنظر: السخاوي، المصدر نفسه ج4، ص27- السيوطي، المصدر نفسه، ص122 – زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد الغربي، بيروت، 1981، ص 172-177.

أسمع بذمي ولا رأيت كمثله في مهارته في هذا العلم وفي علم الوقف والميقات وبعض العلوم القديمة".[1]

والتقى " بمحمد العقباني " (ت 860 هـ) قاضي الجماعة والتقى أيضا لما كان بمدينة الجزائر بالعالم الشيخ " عبد الرحمن الثعالبي (ت 875 هـ)، فقال عنه: "... وتبركت بسيدنا الشيخ الولي العالم العلامة الشهير الخطير الكبير سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وسمعنا شيئا من فوائده وسألته بعض الأسئلة كانت تشكَل علي، فأفادنيها على أحسن وجه وأتمه ورأيت تفسيره..."[2]

ومن خلال ما أورده الرحالة الأندلسي أبو الحسن القلصادي والرحالة المصري عبد الباسط بن خليل يتبيَن لنا مدى الحركة العلمية والثقافية التي شهدتها مدن بلاد المغرب الأوسط وبالأخص الحاضرة تلمسان، في القرن (9 هـ/ 15 م) على الرغم من الأوضاع السياسية الصعبة التي كانت تعيشها.

واشتهرت بلاد المغرب الأوسط بعلاقاتها الثقافية بين بلدان المغرب الإسلامي وبلاد المشرق، فكان العلماء يتبادلون الزيارات فيما بينهم، إذ يسافر علماء المغرب الأوسط إلى غرناطة، كما ينتقل علماء الأندلس إلى بلاد المغرب الأقصى لامتهان التدريس والقضاء[3] وفي عهد السلطان أبي الحسن وابنه أبي عنان ازدادت العلاقات الثقافية بين تلمسان والدولة المرينية بفضل المحاضرات وعقد المناظرات العلمية على يد علماء تلمسان في مدارس الدولة المرينية[4] ولم يقتصر العلماء الزيانيين على التوافد إلى مدن الدولة المرينية فقط، وإنما انتقلوا أيضا إلى الدولة الحفصية مما أدى إلى انتعاش العلاقات الثقافية

[1]- عبد الباسط بن خليل، المصدر السابق ص 45

[2]- المصدر نفسه ، ص 41.

[3]- عمار هلال، العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين (10 /14م)- (4-8هـ) مجلة الدراسات التاريخية العدد الثامن، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1993-1994، ص 21-34.

[4]- عمار هلَال، العلماء الجزائريون في الأندلس فيما بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين (14/4هـ)، مجلة الدراسات التاريخية العدد 9، جامعة الجزائر، 1995، ص21-25

بين البلدين وتوافد علماء بني حفص على دولة بني زيان[1]،كما شهدت بلاد المغرب الأوسط رحلة علمائها أمثال العلامة ابن مرزوق الخطيب (7800هـ / 1378م) إلى بلاد المشرق (كمصر والعراق والشام...).

وما وصلت إليه عاصمة الزيانيين تلمسان من ازدهار وتفوق علمي وفكري في جميع العلوم يرجع لجملة من الأسباب والعوامل، والتي أدت دورها بشكل واضح وجلي، والتي نوردها فيما يلي:

أولا:اهتمام السلاطين بالعلم والعلماء:

من أهم أسباب انتعاش الحركة العلمية والثقافية وازدهارها في تلمسان اهتمام السلاطين بالعلم وأهله، فأنشأوا المراكز التعليمية والمؤسسات الثقافية من (مدارس ومساجد ومكتبات...)، واستدعوا أشهر العلماء من مختلف أقطار العالم الإسلامي للتدريس فيها فقربهم سلاطين الدولة الزيانية من مجالسهم وأدخلوهم بلاطهم منافسين في ذلك سلاطين الدولة الحفصية والمرينية والنصرية الذين لم يهملوا العلم والعلماء.[2]

أما أشهر السلاطين الذين قاموا بهذه الأعمال الجليلة من أجل دفع الحركة العلمية إلى الأمام السلطان الزياني "يغمراسن بن زيان " الذي جلب العلماء واهتم بهم وشجعهم للقيام بمهامهم على أحسن وجه، فاستدعى إلى تلمسان أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (ت680هـ/ 1281م)[3] وأبي بكر بن الخطاب المرسي الأندلسي (ت 686هـ / 1287م).[4]

[1]- عاشور بوشامة، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس، رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة القاهرة، قسم التاريخ، 1991م، ص 538-546 .

[2] محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981 ص177.

[3]-التنبكتي، المصدر السابق، ص38- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، نشره محمد بن أبي شنب وقدم له عبد الرحمن طالب. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر 1986. ص 66

[4]- هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن الخطاب من أشهر علماء القرن 7هـ/13م ، تولى الكتابة ليغمراسن وتوفي سنة 686هـ بتلمسان، أنظر: ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة ص 427.

كما اعتنى السلطان أبو سعيد عثمان (ت 703هـ / 1303م) بالعلم والعلماء فاستدعى الشاعر والأديب " عبد الله بن خميس " (ت 708هـ /1309م)[1] ، وبعد فك الحصار المريني عن تلمسان وفد إليها العالم "أبو زيد عبد الرحمن " (ت743هـ/1342م) وأخيه "أبو موسى عيسى" (ت750هـ/1349م)[2] من مدينة برشك[3]، فاعتنى بهما السلطان " أبو حمو موسى الأول وبنى لهما مدرسة سميت باسمهما " مدرسة ابني الإمام"، وأطلق عليها أيضا اسم " المدرسة القديمة" لأنها أول مدرسة بنيت بتلمسان بأمراض السلطان وبنى لهما بالقرب من المدرسة منزلين، وكان يجالسهما ويستمع لنصائحهما واتخذهما مستشارين له في تسيير أمور دولته ورعيته.

كما وفد على تلمسان الفقيه "أبي موسى عمران بن موسى بن يوسف المشدالي البجائي (ت 745هـ /1344م).[4] في عهد السلطان: أبي تاشفين الأول " الذي بنى المدرسة التاشفينية وعين العالم أبو موسى المشدالي للتدريس بها، فأكرمه وقربه منه وبعد أن استولى المرينيون على تلمسان أتموا ما بدأه الزيانيون في تطوير الحركة العلمية والثقافية وتشجيع العلماء وإكرامهم والاهتمام بهم، فقام أبو الحسن المريني بالاهتمام بابني الإمام أبي زيد وأخيه موسى وضمهما إلى مجلسه العلمي، واستقدم إلى

[1]- هو محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن خميس الحميري الحجري الرعيني التلمساني، ولد عام (650هـ /1251م)، وتوفي عام (708هـ/1309م)، انظر ابن الخطيب، المصدر نفسه، ص528- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط3، 1969، ص 201.

[2]-التنبكتي، المصدر السابق، ص245- 291 أحمد بن محمد بن أحمد ابن القاضي، درّة الحجال في أسماء الرجال.ع: محمد الأحمدي أبو لنوار، ج2ط1 المكتبة العتيقة، تونس، دار التراث القاهرة 1971 ص 80-81- ابن مريم، البستان، ص 123-126

[3]- برشك: من أشهر مدن المغرب الأوسط، تقع على شاطئ البحر بين شرشال وتنس – حسن بن محمد الفاسي الوزان، وصف إفريقيا. ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ج2، طبع الشركة المغربية للناشرين المتحدين ودار الغرب الإسلامي، بيروت،1983، ص 32-33 ابن حوقل المصدر السابق ص54.

[4]- هو أبو عمران المشدالي البجائي، ولد سنة (670هـ / 1271 م) ببجاية، كان متمكنا من علم الفقه والحديث والمنطق والنحو والفرائض وعالما بمذهب مالك، عنه أنظر: يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 130- يحي المازوني، مخطوط الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر، رقم 1335، ج1 ، الورقة 144 و- ظ.

تلمسان عبد الله الآبلي (ت 757هـ /1356م) [1]، والعالم أبي عبد الله محمد بن عبد النور الندرومي (ت749هـ /1348م)، والعالم أبي عبد الله محمد بن النجار (749هـ 1348م)[2].

وعرف عن بني مرين تشييدهم للمؤسسات التعليمية من المدارس ومساجد وأشهرها مدرسة العبّاد التي بنيت سنة (748هـ/1347م)، ومسجد أبي عبد الله الحلوي[3] سنة (754هـ/1355م) بأمر من السلطان " أبي فارس عنان".

ولما أحيا السلطان أبو حمو موسى الثاني الدولة الزيانية وقام بتجديدها اهتم أكثر بالعلم لأنه كان من أهله إذ ألمّ بمختلف العلوم كالأدب والشعر[4]، واشتهر بكتابه "واسطة السلوك في سياسة الملوك"[5]، وهو عبارة عن كتاب أدبي، كما اهتم ببناء المدارس وأشهرها المدرسة اليعقوبية سنة (765هـ/ 1364م) واهتم بالعلماء وشجعهم خاصة الشعراء والكتاب.

أما في القرن (9هـ /15م) ازداد اهتمام السلاطين بالجانب الثقافي لدولتهم رغم الوضع السياسي الخطير، فاهتم السلطان " أبو زيان محمد بن أبي حمو بالحركة العلمية، وهذا ما صوره التنسي قائلا: "... فأقام سوق المعارف على ساقها وأبدع في نظم مجالسها واتساقها... فلاحت للعلم في أيامه شموس، وارتاحت للاستغراق فيه نفوس".[6]

---

[1]- هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن أحمد العبدري التلمساني الشهير بالآبلي ولد سنة (681هـ / 1282 م) بتلمسان، وتوفي سنة (757هـ / 1356 م) بفاس، وكان مشهورا بالفقه، انظر: أحمد بابا التنبكتي المصدر السابق، ص 411- 415.

[2]- هو أبو عبد الله بن عبد النور الندرومي، من مشاهير القرن 8هـ / 14 م، توفي بجربا بتونس سنة (849هـ / 1348 م)، أنظر: ابن القاضي، درّة الحجال في أسماء الرجال، ص 126.

[3]- هو أبو عبد الله الشوذي الاشبيلي المعروف بالحلوي اشتهر بتصوفه، وتوفي في أواخر القرن 6هـ / 12م، أنظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص 68 – 70.

[4]- أحمد بن محمد المقرّي التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض، ع: مصطفى السقا وآخرون، ج1 مطبعة لجنة التأليف والنشر القاهرة، 1939، ص 243

[5]- محمد أمين بلغيث، النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 65 -67 – وداد القاضي، النظرية السياسية للسلطان أبي حمّو الزياني ومكانتها بين النظريات السياسية المعاصرة لها الأصالة، ع27، 1975 ص 23-98.

[6]-التنسي، المصدر السابق، ص210 – 211 .

وقام السلطان أبو زيان بنسخ الكتب خاصة في علم الحديث واهتم بالشعر والتصوف فألف كتاب " الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة " ولا يزال هذا الكتاب في حكم المفقود.

وازدهرت الحياة العلمية في عهد السلطان " أبي مالك عبد الواحد[1]" وذلك لعنايته بالعلم وأهله والسلطان أبي العباس أحمد العاقل[2] الذي اعتنى بالأولياء والزهاد والمتصوفين أمثال الحسن بن مخلوف الذي بنى له السلطان مدرسة وأوقف عليها الأوقاف[3].

وفي أواخر القرن (9هـ / 15م) قام السلطان " أبو عبد الله محمد الرابع الثابتي[4]" بالاعتناء بالحركة العلمية رغم الوضع السياسي المتردّي والمهدد بالخطر الإسباني الصليبي، فظهر في عهده الكثير من العلماء في مختلف العلوم وما يمكن استنتاجه مما سبق أن اهتمام ورعاية سلاطين بني زيان بالعلم وأهله جعل من الحاضرة تلمسان مكانا لاستقطاب العلماء الذين توافدوا عليها من كل حدب وصوب خاصة من الأندلس التي هجرها علماؤها وفقهاؤها وكتابها بسبب ما أقدم عليه الإسبان النصارى بما يعرف بحرب الاسترداد، ولكن مع مطلع القرن 10هـ/16م بدأت الحركة العلمية في تلمسان تفقد قوتها بسبب الصراع داخل الدولة الزيانية بين سلاطينها والتدخل الاسباني فيه وصراعهم مع الأتراك، أدى هذا الأمر إلى تلاشي الأمن والاستقرار وانتشار الخوف بين الناس.

ثانيا: دور هجرة الأندلسيين في الازدهار العلمي بتلمسان:

بعد سقوط المدن الأندلسية (بلنسية ومرسية وجيان واشبيلية...) على يد المسيحيين، اضطر أهلها إلى الهجرة خوفا من البطش والعقاب فارين بحياتهم نحو المدن الساحلية لبلاد المغرب الأوسط

[1]- حكم ما بين سنة (814 هـ / 1411م) إلى (827 هـ / 1424 م)، التنسي، المصدر السابق، ص 235 .
[2]- حكم دولة بني زيان لمدة 32 سنة، أي حكم من سنة (834هـ /1430 م) إلى (866هـ / 1462 م).
[3]-التنسي، المصدر السابق، ص 248.
[4]- حكم من سنة (873هـ / 1468 م) إلى (910 هـ / 1505 م).

(كالجزائر ووهران وتنس...)، واستقر آخرون بمدينة تلمسان نظرا لكونها مركزا للإشعاع العلمي والمعرفي كما اشتهرت أيضا بمجالها العمراني ونشاطها التجاري[1].

وبعد سقوط مملكة بني الأحمر في غرناطة سنة (897هـ / 1492م)، ازدادت هجرة الأندلسيين بسبب الآلام والويلات التي أذاقتهم إياها محاكم التفتيش[2] التي أنشأها الإسبان المسيحيين، فكانت تمنع المسلمين من ممارسة شعائرهم الدينية (كالصلاة و الصيام...) أو التحلي بمواصفات وأخلاق الإسلام، إلا أن الأندلسيين أثناء هجرتهم نحو بلاد المغرب الأوسط تعرضوا للسرقة والنهب بسبب انعدام الأمن جراء ضعف الدولة الزيانية[3]،وهاجر إلى تلمسان الكثير من المثقفين كالعلماء والكتاب وأصحاب الحرف فقام السلاطين بتقريبهم وإدخالهم إلى بلاطهم للاستفادة من ثقافتهم وفنونهم، فأثروا على جميع مجالات الحياة سواء السياسية أو الإدارية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية[4]، وفي هذا الصدد قال المقري الحفيد نقلا عن ابن غالب: "... ولما نفذ قضاء الله على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها في هذه الفتنة الأخيرة، فتفرقوا ببلاد المغرب من بر العدوة حتى بلاد إفريقية فأهل البادية قد مالوا إلى البوادي، إلى ما اعتادوه ودخلوا مع أهلها وشاركوهم فيها، فاستقوا المياه وغرسوا الأشجار وأحدقوا الأراضي وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها فشرقت بلادهم وصلحت أحوالهم..."[5].

---

[1]- حنفي هلايلي، الموريسكيون الأندلسيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16م و17م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 1999-2000، ص119-120.

[2]- أنشئت محاكم التفتيش في اسبانيا لأول مرة في الأراغون عام 1242 وفي سنة 1478م وتحصل الملكان الكاثوليكيان بأمر من البابا لإنشاء محاكم التفتيش، فكانت الأولى في اشبيلية وتوسعت لباقي المدن واختصت بمتابعة الموريسكيين، ويرى الدكتور عنان أن تسميتها الحقيقية هي " ديوان التفتيش" وليس "محاكم التفتيش"، لكن المؤرخين يستخدمون مصطلح المحاكم – جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين (1492م-1610م)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص 49.

[3]- المشرفي عبد القادر، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تح: محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص27-39.

[4]- محمد الطالبي، الهجرة الأندلسية إلى إفريقيا أيام الحفصيين، الأصالة، العدد 26، 1975 ص 78 – 83- أبو القاسم درارجة، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس، مجلة بحوث، العدد2، 1992، جامعة الجزائر، ص 167- ص183.

[5]- أحمد بن محمد التلمساني المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: يوسف الشيخ، محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1998م، ص4 – ص5.

وشغل السلاطين الزيانيين أهل الأندلس المهاجرين بوظائف سياسية هامة في الدولة، فأصبحوا يتدخلون في شؤون الحكم وكذلك الاقتصاد، وما يهمنا نحن هو تأثيرهم على المجال العلمي والثقافي في تلمسان الزيانية فقد تمثلت إسهاماتهم في:

– إحياء العلوم والمعارف والأدب والفنون نظرا لخبرتهم في هذا المجال وتفوقهم عن غيرهم فشهدت تلمسان خلال الفترة الزيانية نشاطا ثقافيا لا يستهان به.

– تنظيم حلقات التعليم بالمؤسسات التعليمية (كالمدارس والمساجد) خاصة المسجد الجامع بالحاضرة تلمسان فأصبح بفضل الأندلسيين يضاهي جوامع عدة كجامع القرويين بفاس وجامع الزيتونة بتونس وجامع الأزهر بمصر[1]، وقد نقل الأندلسيون إلى مدارس ومساجد تلمسان طريقتهم في التعليم والمتمثلة في تعليم القرآن الكريم وقراءاته ورواياته وعلم الحديث والقواعد الأساسية والهامة للعلوم[2]. كما أنهم استبدلوا الخط الإفريقي بالخط الأندلسي[3] ومن أشهر العلماء الأندلسيين الذين ساهموا في ازدهار الحركة العلمية سعيد العقباني (ت811هـ/1408م)[4] الذي درس بالمدرسة اليعقوبية وقاسم بن سعيد العقباني (ت 854هـ/1450م)[5] الذي اشتهر بتمكنه من العلوم الدينية الدينية وكان قاضيا بمدينة تلمسان وأيضا " محمد بن أحمد العقباني (ت860هـ) وابنه محمد بن قاسم العقباني الذي أظهر براعته في الفقه، فكل هؤلاء العلماء ينتمون إلى أسرة واحدة وهي أسرة العقباني " فبفضل هؤلاء الأندلسيين أصبحت تلمسان من أعظم حواضر العلم والمعرفة في العالم الإسلامي[6].

[1]– محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، ص109.

[2]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص35.

[3]– عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الفكر للطلبة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1996 ص441.

[4]– هو أبو عثمان سعيد بن محمد العقباني، أصله من عقبان وهي من قرى الأندلس، ولد بتلمسان سنة (720هـ/1320م)، أخذ فيها العلم عن ابني الإمام، وكان عالما بالتفسير والفقه وأصوله والتصوف والمنطق والحساب والتوحيد، ومن أشهر تلاميذه ابن مرزوق الحفيد وأبي يحي بن أبي عبد الله الشريف – أحمد البابا التنبكتي، المصدر السابق، ص189– ابن مريم، المصدر السابق، ص106–107– المالكي ابراهيم بن نور الدين ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: مأمون بن محي الدين الجنان ط1 دار الكتب العربية، بيروت، 1996، ص125–126.

[5]– هو قاسم بن سعيد العقباني ولد بتلمسان ودرس بها، ومن أشهر تلاميذه محمد بن أحمد العقباني وأبي زكرياء يحي المازوني – عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، الأصالة الجزائر، العدد26، 1975، ص 147.

[6]– محمد الطمار، المرجع نفسه، ص109.

فذاع صيتها في جميع الأقطار وأصبحت مركزا للإشعاع الحضاري فتوافد عليها العلماء والطلبة لينهلوا من علومها وآدابها، وما المحنة التي أصابت مسلمي الأندلس فبقدر ما كانت إذاية وألما عليهم، كانت على أهل تلمسان منطلقا للازدهار والرقي في شتى مجالات الحياة وخاصة العلمية.

ثالثا: انتشار تيار التصوف وأثره على الحياة العلمية:

إن من الصعوبات التي يواجهها الباحث في موضوع التصوف هو إيجاد تعريف حقيقي وشامل له، وذلك لعدة اعتبارات منها أن التصوف تجربة روحية ذاتية، فكل من سلكها يعطي تعريفا خاصا به، وتوجد تعاريف عديدة للتصوف جاء بها الكثير من الصوفية، إذ يعرف مثلا أنه "الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني"، أما من صفات الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغنى ويذل بعد العز، ويحظى بعد الشهرة"[1].

وهو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق، " التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق، فقد زاد عليك في الصفاء"[2]، فهو " رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الآخرة"[3].

وجاء بعض المتأخرين من الباحثين والمؤرخين ليجعل من التصوف علما قائما بذاته " هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عن سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم طريق الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله

[1]- بوداود عبيد، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13 -15م)، دار الغرب للنشر والتوزيع، (د.ت)، ص31

[2]- مقداد يالجن، فلسفة الحياة الروحية، منابعها ومشاربها، ونشأتها ونشأة التصوف والطرق الصوفية، ط1، دار الشروق، بيروت، (1405هـ/ 1985م، ص72.

[3]- أبو الفرج عبد الرحمن جمال الدين ابن الجوزي البغدادي، تلبيس إبليس، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ / 1987م، ص 188-189-190.

تعالى والإعراض عن الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعباد"[1].

ويعرف ابن خلدون التصوف قائلا: "... التصوف رعاية حسن الأدب مع الله في الأعمال الباطنة والظاهرة بالوقوف عند حدوده مقدما الاهتمام بأفعال القلوب مراقبا خفاياها حريصا بذلك على النجاة، فهذا هو الرسم الذي يميز هذه الطريقة هي نفسها ويعطي تفسيرها على ما كانت عليه عند المتأخرين من السلف والصدر الأول من المتصوفة..."[2].

وكما وقع الاختلاف حول تعريف التصوف بين المتصوفة والمؤرخين، حدث كذلك تباين حول أصل الكلمة وما هو مصدرها: فالبعض أرجعها إلى رجل يحمل هذا الاسم ويدعى الغوث بن مرَ، كان مقيما عند البيت الحرام مواظبا على عبادة ربه فانتسب له المتصوفة لتقاسمهم معه طريقة العبادة والمثابرة عليها، والبعض اعتقد أن صوفة ليس رجلا وإنما قوم في الجاهلية استقروا عند الكعبة، وليس لهم من شغل سوى عبادة الله[3].

بينما أرجع آخرون أصل الصوفية إلى الصفاء وهو صفاء السرائر وصفاء القلب أو نسبة إلى أهل الصفة الذين كانوا يقيمون في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة من فقراء المسلمين، فانتسب إليهم الصوفية تشبها بهم في العبادة، أو نسبة إلى الصف الأول[4]، بينما يرى معظم الباحثين أن أصل كلمة التصوف مشتقة من الصوف لموافقة ذلك أصول اللغة العربية، لأن المتصوفين كانوا يلبسون الصوف على الدوام إظهارا للتقشف والتقليل من الدنيا وتشبها بالأنبياء والرسل[5].

---

[1]-عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 467.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر نفسه، ص 79.

[3]- ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 185- 186.

[4]-أبو بكر محمد تاج الإسلام الكلاباذري، التعرف لمذهب أهل التصوف، تح: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1380هـ /1960م ص 21.

[5]- ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 467 – عبده الشمالي، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها، دار صادر، بيروت، 1965، ص 443- 444.

وانتشر التصوف بصورة واسعة ببلاد المغرب الأوسط في العهد الزياني وشمل جميع طبقات المجتمع، وكان ظهوره الأول في العهد الموحدي الذي سبق العهد الزياني، واشتهر في هذه الفترة أشهر متصوفة زمانه الولي والعالم الصوفي أبي مدين شعيب بن الحسن الأندلسي (ت 594هـ) شيخ المشائخ في جميع الأمصار"، الذي أخذ طريقة التصوف عن "أبي عبد الله الدقاق" (توفي ما بين أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع الهجري، وأخذ أيضا عن الولي "أبي يعزى "(ت 572هـ)[1]، وإضافة إلى التصوف الذي اشتهر به الولي أبي مدين فقد كان متمكنا من مختلف العلوم الدينية مما جعل الكثير من الطلبة يتبعونه، ويقال بأنه تخرج على يديه ألف تلميذ لذلك اشتهر بشيخ المشائخ، أما إنتاجه الثقافي فتمثل في كتاب "مفاتيح العنب لإزالة الرَيب وستر العيب"[2] وكتاب "أنس الوحيد ونزهة المريد" وكتاب "رسالة أبي مدين في التصوف"، ومن أشهر المتصوفة أيضا في هذا العهد " مولاي عبد السلام بن مشيش (ت625هـ /1228م) [3] وتلميذه "أبي الحسن علي الشاذلي (ت 656هـ / 1258 م)[4].

ولقد انتشر التصوف وتغلغل في المجتمع الزياني بفضل هؤلاء المتصوفة، خاصة المدرسة الصوفية لأبي مدين التي أثرت على العلماء والطلبة في جميع بلاد المغرب[5].

وأوردت كتب التراجم الكثير من المتصوفين ذاكرة مناقبهم وكرامتهم وزهدهم، ومن أشهر رجال التصوف الذين ظهروا في العهد الزياني والذين ساهموا في إثراء الحركة الفكرية والعلمية بمؤلفاتهم في العلوم الدينية نذكر منهم:

---

[1]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص 125.

[2]- أبو القاسم بالعربية، الشيخ أبو مدين شعيب وانتاجه الفكري ضمن المتصوف الإسلامي، ملتقى الفكر الإسلامي الواحد والعشرين، معسكر 26 أوت- 1 سبتمبر،1987م، ص7.

[3]- عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب ج3 الدار البيضاء، (د.ت)، ص 152.

[4]- التنبكتي، المصدر السابق، ص330-331.

[5]- أبو العباس أحمد (بن قنفد القسنطيني، أنس الفقير وعزَ الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحر العلمي، مطبعة أكدال، الرباط، 1965، (مقدمة المحقق).

– الإمام محمد بن يوسف السنوسي (ت 895هـ):

هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي نسبة إلى قبيلة بالمغرب الأقصى، أمّا نسبه من جهة أبيه ينتهي إلى آل البيت من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما[1]، واختلفت كتب التراجم في تحديد تاريخ ولادته حيث أرجعه التنبكتي إلى ما بعد سنة 830هـ،[2] إلّا أنّ كتب تراجم المتأخرين حدّدوه سنة 832هـ[3].

واعتبر السنوسي من كبار علماء مدينة تلمسان وصلحائها إذ نشأ خيّرا فاضلا ورعا، وأخذ عن مجموعة من العلماء والشيوخ، أشهرهم والده أبي يعقوب يوسف السنوسي الذي عرف بعلمه وصلاحه[4]، والشيخ نصر الزواوي[5] الذي قرأ عليه علوم اللغة العربية ولازمه مدّة طويلة، وأخذ عن محمد بن القاسم بن تومرت[6] علم الفرائض والحساب، ويوسف بن أحمد الشريف[7] الذي أجازه بعدما ختم عليه القرآن مرتين ومحمد بن أحمد الحبّاك (ت 867هـ)[8] الذي أخذ عنه علم الإسطرلاب، ومحمد بن العباس (ت 871هـ) الذي أخذ عنه الأصول والمنطق والبيان والفقه، وقرأ علم التوحيد على يد أبي القاسم الكنباشي البجائي[9]، وأخذ عن عبد الرحمن الثعالبي الصحيحين وأجازه، وقرأ أيضا على أخيه من أمّه علي التالوتي الفقه، وأخذ عن أبي عبد الله محمد المغيلي المعروف بالجلّاب (ت 875هـ) مسائلا تتعلّق بالفقه وختم عليه المدونة مرتين.

---

[1]– ابن مريم، المصدر السابق، 238 . التنبكتي، المصدر السابق، ص 325.

[2]– التنبكتي المصدر نفسه، ص328.

[3]– عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1983، ص 189.

[4]– ابن مريم، البستان، ص 238.

[5]– ترجم له ابن مريم وذكر أنّه كان عالما محقّقا عابدا وليا صالحا ورعا ناصحا، ابن مريم المصدر نفسه، ص295 . التنبكتي، المصدر السابق، ص 348. 348.

[6]– يذكره التنبكتي باسم محمد بن قاسم بن تومرت التلمساني: "... كان شيخا صالحا عالما بالمنقول والمعقول والحساب والفرائض والأوقاف..."، التنبكتي، المصدر نفسه، ص321.

[7]– كان فقيها وجيها نزيها عالما عاملا أستاذا مؤرخا محققا، التنبكتي، المصدر نفسه،ص354.

[8]– "الشيخ الفقيه العالم العلّامة... أحد شيوخ الإمام السنوسي قرأ عليه كثيرا من علم الإسطرلاب" التنبكتي، المصدر نفسه، ص316.

[9]– التنبكتي، المصدر نفسه، ص226 .

فالإمام السنوسي أخذ الكثير من العلوم عن شيوخه من دينية كالفقه وأصول وتوحيد وتصوّف وعلوم اللّغة والمنطق والحساب، فكانت ثقافته شاملة لمعارف وعلوم عصره، ووصفه تلميذه الملالي قائلا: "وهو في علوم الباطن قطب رحاها وشمس ضحاها... فيؤثر حب مولاه ويراقبه ولا يأنس بأحد بل يفرّ كثيرا إلى الخلوات، يطيل الفكرة في معرفته حتى انكشفت له عجائب الأسرار باطنه حقائق التوحيد وظاهره زهد وتجريد وكلامه هداية لكلّ مريد، كثير الخوف، طويل الحزن، لصدره أزيز من شدّة خوفه، مستغرقا في الذكر... معظما جانب النبوة غاية لا يعارضه أحد إلّا أفحمه، جمع له العلم والعمل والولاية إلى النهاية مع شفقته على الخلق..."[1].

ومن خلال وصف الملالي لشيخه السنوسي يتضح بأنه كان متمكنا من علم التوحيد فألف الكثير من المؤلفات في هذا العلم وأهمها :

- عقيدة أهل التوحيد والتسديد المخرج من ظلمات الجهل وربقة التقليد، المرغمة أنف كل مبتدع عنيد (المعروفة بالعقيدة الكبرى).
- العقيدة الوسطى.
- شرح العقيدة الوسطى.
- العقيدة الصّغرى (المشهورة بالسنوسية أو أم البراهين).
- عمدة أهل التوفيق والتسديد في عقيدة أهل التوفيق[2].
- المقدّمات المبيّنة (لعقيدته الصغرى).
- شرح المقدّمات.

ولم يكتف الإمام السنوسي بالتأليف في علم التوحيد بل ألف أيضا في الفقه والحديث وعلم التفسير وعلم المنطق.

[1] – عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، ص41.

[2] – ورد في مقدّمة كتاب السنوسي، المسمّى شرح أم البراهين في علم الكلام، تح: مصطفى محمد الغماري، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1989، ص15.

كما تتلمذ على السنوسي الكثير من الطلبة وأهمهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عمر الهلالي الذي ذكرناه سابقا واحمد زروق الذي تتلمذ عليه في العقائد وعلي بن محمد السوسي (ت 928هـ)، وابن صعد التلمساني (ت901هـ)[1] واحمد بن عيسي الورنيدي[2] (القرن التاسع الهجرى) وأحمد بن الحاج اليبدري (ت930هـ) ومحمد بن مرزوق حفيد الحفيد (كان حيا سنة 920هـ).

ولقد توفي الإمام السنوسي يوم الأحد 18 جمادى الثانية 895 هـ عن عمر يناهز63 سنة بعد أن أصابه المرض ودفن بالعبّاد السفلي بجوار قبر أخيه من أمه علي التالوتي[3].

هذا ويعد السنوسي من أشهر متصوّفة تلمسان في القرن (9هـ/15م)الذين غلب عليهم طابع الفكر الصوفي والزهد في الدنيا كما مثّل التيار الصوفي المعتدل البعيد عن مظاهر الغلو والانحراف وأبدى مساهمته الإيجابية في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية،[4] وبقيت مكانته محفوظة في نفوس الناس كما تحول قبره إلى مزار يتوافد عليه الناس من كلّ البلدان كما خلّف هذا الرجل المتصوف تلاميذ ساهموا في نشر الفكر الصوفي المعتدل أمثال محمد بن عبد الكريم المغيلى، ولابدّ من وجود مجموعة من العوامل التي ساعدت تيار التصوّف على انتشاره ورسوخه أكثر ببلاد المغرب الأوسط ومن أهم العوامل المساعدة على ذلك اهتمام السلاطين برجال التصوّف واحترامهم وتبجيلهم، فكانوا يحاولون دائما ربط علاقة متينة معهم مثلما قام مؤسس الدولة الزيانية "يغمراسن بن زيان" الذي اعتنى بالأولياء والصالحين "فكان شجاعا فاضلا حليما متواضعا ذا سؤد وعفاف ومجد وعلاء، يؤثر الصالحين والعلماء ويجالسهم كثيرا[5] وكان يتردّد على زيارتهم يطلب منهم الدعاء مثلما فعل مع الولي محمد بن عيسى أبو عبد الله[6] الذي زاره أكثر من مرة في بيته بأغادير[1].

---

[1]– الزركلي، المرجع السابق، المجلّد 5، ص355.

[2]– ابن مريم المصدر السابق، ص24.

[3]. ابن مريم، المصدر نفسه، ص244.

[4]. عبيد بوداود المرجع السابق ، ص312.

[5]. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص 204.

[6]– هو محمد بن عيسي أبو عبد الله، كان شريفا حسنيا فاسيا يدعى بالإمام لسعة علومه في المنقول والمعقول، ولي قضاء قرطبة ومراكش زمن الموحدين، كان فقيها عالما صالحا مستبحرا مفتيّا مدرّسا من أهل الرأي عنه أنظر: التنبكتي، نيل الابتهاج ص228.

وأمر أيضا بدفن الولي محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق (629هـ-681هـ)[2] بقصره وأوصى بدفنه بجواره حين وفاته[3]. كما ألحّ على أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي الإقامة بمدينة تلمسان[4].

وقام السلطان أبو حمّو موسى الثاني (760هـ-791هـ) باستقدام الولي أبي عبد الله الشريف (ت771هـ) للتدريس بزاويته التي نقل إليها رفاة والده أبي يعقوب[5] وعميه أبي سعيد وأبي ثابت، وكان أبو حمّو يحضر مجلس أبي عبد الله الشريف وهو جالس على الحصير تواضعا للعلم وإكراما له، وحينما توفي الولي أبو عبد الله دفن بجوار أبي يعقوب بأمر من السلطان أبي حمّو.

واهتمّ بعض السلاطين بالتصوّف فألّفوا فيه مثلما فعل السلطان أبى زيان محمد بن أبي حمّو (796هـ-801هـ) لما ألف "كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمّارة[6].

وقرّب السلطان أبو العباس أحمد العاقل الولي أبا علي الحسن بن مخلوف (ت857هـ) ويؤثره: "فكان يكثر من زيارته ويقتبس من إشارته، ومدار أكثر أموره عليه وبنى بزاويته المدرسة الجديدة وأوقف عليها أوقافا جليلة، ووجد كثيرا من ريع الأحباس قد دثر والوظائف التي بها انقطعت فأحيا رسمها، وجدّد ما دثر وأجرى الوظائف على أزيد ممّا كانت عليه قبل"[7].

---

[1]- شكلت هذه المدينة مع مدينة تاجرارت فيما بعد مدينة واحدة وهي مدينة تلمسان بعدما أصبحتا محاطتين بسور واحد، أنظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص90.

[2]- هو الجدّ الخامس لأبي عبد الله احمد بن مرزوق، المتوفي سنة 781 هـ ، عبيد بوداود، المرجع السابق ص227.

[3]. عبد الرحمن بن خلدون، العبر، المجلّد 7 ، 842.

[4]. ابن مريم المصدر السابق، ص66 – التنبكتي، المصدر السابق، ص35-36.

[5]. أعرض أبو يعقوب عن الحكم وترك مقاليده في يد أخويه الأصغر منه سنا وهما أبي سعيد وأبي ثابت اللّذين حكما تلمسان ما بين 749 هـ و753هـ بينما فضّل هو حياة العزلة والعبادة، أنظر يحي بن خلدون، المصدر نفسه، ص235-241.

[6]. ابن مريم، المصدر نفسه، ص174، التنبكتي، المصدر نفسه ص262.

[7]. التنسي، المصدر السابق، ص248-249.

واهتمّ سلاطين الدولة الحفصية والمرينية برجال التصوف وتقرّبوا منهم فبنوا أيضا الزوايا وأحبسوا عليها الأوقاف مثلما فعل السلطان أبو فارس عبد العزيز (796هـ-837هـ)[1]، والسلطان أبو عمر وعثمان[2]، إذ كانوا يستشيرون الأولياء في أمور الدولة وشغلوهم أعلى المناصب[3]، وحرص سلاطين بني مرين على بناء الزوايا والاهتمام بها مثلما فعل السلطان يعقوب بن عبد الحق (685هـ-706هـ) الذي "بنى الزوايا في الفلوات، وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة لإطعام عابري السبيل وذي الحاجات..."[4]، واشتهر السلطان أبو الحسن علي بن عثمان بزيارته للأولياء وإجلالهم.

وحظي رجال التصوف بالاحترام والتقدير من طرف سلاطين بني مرين، وخير مثال على ذلك تساهل السلطان يوسف بن يعقوب المريني مع أحمد العباس(681هـ) لما اخترق الحصار الذي كان متسلطا على مدينة تلمسان ودخولها لكي يموّن عائلته المتواجدة بها[5].

فاهتمام السلاطين المتصوّفين كان عاملا أساسيا لانتشار تيار التصوّف في بلاد المغرب الأوسط خاصة والمغرب الإسلامي عامّة.

كما ساهم عامل أخر في انتشار التصوف في بلاد المغرب الأوسط وهو الخطر الإسباني المسيحي الذي تحرّش على بلاد المغرب الإسلامي جراء ضعفه وانحطاطه كما عجز عن ردّ الغارات والهجمات الأوروبية[6] فقام رجال التصوّف باستنفار الرّعية لمواجهة هذا الخطر خاصة بعد سقوط الأندلس في

[1]. الزركشي، المصدر السابق، ص116-120.

[2]- أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح: لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، ج1، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص 236.

[3]. عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص 804.

[4]. علي بن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط 1972، ص91.

[5]. ابن مريم، المصدر السابق، ص27 - 29.

[6]. محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 ، ص52.

يده سنة (889هـ -1492م)، فمال الرعية للمتصوّفين بعد غياب دور الدولة فكانوا يحكّمونهم في قضاياهم المتعلّقة بالدّنيا والدين ويستنجدون بهم لحماية أنفسهم وأملاكهم[1].

ومما ساهم به تيار التصوّف في الحياة الفكرية نشر اللغة العربية أي تعريب شرائح المجتمع سواء بالمدن والأرياف لأنّ الكثير منهم كان يتكلّم بالزناتية[2]، فأصبحت اللغة العربية بعد ذلك لغة تخاطب الناس فيما بينهم ولغة للعلوم المتعارف عليها بين العلماء.

كما ساهم تيار التصوّف في نشر تعاليم الدين الإسلامي بين الناس خاصّة بعد عرضهم للإسلام بطريقة أخرى ممّا زاده حيوية وتجديدا ومسّت هذه التعاليم سكان الحضر والبوادي[3]، ولم يكتف رجال التصوّف بنشر اللّغة العربية والتعاليم الإسلامية بل ساهموا أيضا في الحياة الاجتماعية وعملوا على حل مشاكل الناس والصعاب التي تعترض طريقهم فألّفوا بين قلوبهم ممّا أدى إلى تماسك المجتمع.

ولكن ابتداء من القرن (9هـ/15م) انحرف تيار التصوّف نحو الطريق الخاطئ إذ اختلط بالمتصوّفين أشخاص ليس لهم علاقة بالصلاح وقاموا بتحريف التصوّف الحقيقي القائم على الزهد في الدنيا والابتعاد عن ملذّاتها ويتطلب من أتباعه التمكّن من مختلف العلوم خاصة العلوم الدينية، وهذا النوع من التصوّف ساهم مساهمة ايجابية في الحركة الفكرية والتي ذكرناها سابقا ويطلق عليه اسم التصوّف النظري أما التصوّف الخاطئ المنحرف فيعرف بالتصوف العملي[4] الذي تمارس فيه بعض السلوكات كالرقص والسماع والإنشاد وظهور عقيدة المرابط وانتشار الزوايا مما أدى إلى انفصال التصوف عن العلوم الدينية التي خدمها في الفترات الماضية وانتكاس الحياة الفكرية والثقافية أواخر العهد الزياني

[1]- سعد الله أبو القاسم، رسالة عبد الرحمن الثعالبي في الجهاد ضمن كتاب أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981 ص 201-211.

[2]-عبيد بوداود، المرجع السابق، ص259.

[3]- المرجع نفسه، ص51.

[4]-يحيي هويدي، تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية (ج1) في الشمال الإفريقي، مكتبة النهضة المصرية دار الاتحاد العربي للطباعة، 1965 ص299 -342.

بسبب الركود وضعف المستوى العلمي والأدبي ونقص اجتهاد العلماء الذين تمسكوا فقط بالمعارف السطحية التي ستظهر خلال العهد العثماني بشكل واضح[1].

هذا وأصبح تيار التصوف هو الطابع الذي اصطبغت به الحركة العلمية، ومنه سوف تنبعث الطرق الصوفية التي تبنتها الزاوية كالقادرية والتيجانية والسنوسية...، والتي سوف يكون لها الأثر الفعّال في نشر الإسلام واللغة العربية في أقطار السودان الغربي وتصبح هي المحرك الأساسي للفكر العلمي المنتشر هناك نظرا لما ظهر من العلماء السودانيين الذين اتخذوا من التصوف الطرقي وسيلة في السير بالحياة الاجتماعية والعلمية إلى الأمام.

[1]- عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في حال من ادّعى العلم والولاية، تح: أبو القاسم سعد الله دار الغرب الإسلامي، 1987 ص 63- ص194.

الفصل الثاني

الحركة العلمية بتلمسان في العهد الزياني

أولا : المراكز التعليمية والمؤسسات الثقافية :

1- الكتاتيب.

2- المساجد .

3- المدارس.

4- الزوايا .

5- المكتبات.

6- بيوت العلماء ومجالس السلاطين .

ثانيا : التعليم بمدارس تلمسان :

1- مراحله.

2- طرقه.

أولا: المؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية بتلمسان:

عرفت الحياة الفكرية والثقافية في تلمسان على عهد الدولة الزيانية تطوّرا وازدهارا لا مثيل له، وظهر جليا من خلال الأنشطة العلمية للعلماء الذين ألفوا في مختلف العلوم وأبدعوا.

ومن أهمّ مظاهر الحركة الفكرية اهتمام السلاطين الزيانيين بالعلم والعلماء إذ قاموا بتقريبهم من مجالسهم وأدخلوهم بلاط قصورهم وكانوا يحضرون دروسهم، ويجرون عليهم بالأرزاق والأموال ويبنون المؤسسات التعليمية كالمدارس والمساجد والزوايا...، ويسمحون لهم بالارتحال إلى مختلف الأقطار كمدن المغرب الإسلامي وبلاد المشرق لتوسعة دائرة علومهم ومعارفهم والقدوم بها إلى بلادهم، وهذا ما أدّى بعاصمة الزيانيين تلمسان إلى أن تصبح حاضرة للعلم والثقافة يتوافد عليها العلماء والطلبة من كل البلدان للاستزادة والتحصيل وأخذ الإجازة من كبار شيوخها وعلمائها.

ومن معالم التطوّر العلمي الذي شهدته تلمسان تلك المنشآت التعليمية والثقافية التي قدمت دورا لا يستهان به في ازدهار الحركة العلمية، و من أهم هذه المراكز نذكر:

1- الكتاتيب :

تعتبر الكتاتيب من أقدم المؤسسات التعليمية التي عرفتها مدن المغرب الإسلامي عامة وتلمسان خاصة، وكانت الدراسة بها تمثل المرحلة الابتدائية، إذ يتلقّى فيها المتعلم حفظ القرآن الكريم باعتباره أصل التعليم ومصدر العلوم، فجعلوه في مقدمة ما يتعلمه الصبي حفظا وكتابة، فتعليمه للصبيان أشدّ رسوخا وحفظا حسب رأى ابن خلدون[1]. حيث قال في هذا الصدد: "فأما أهل المغرب فمنهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن لا يخلطون ذلك بسواه شيء من مجالس تعليمهم من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحدق فيه، أو ينقطع دونه فيكون انقطاعهم في الغالب انقطاعا عن العلم

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدّمة، ص1038.

بالجملة، وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر أمم المغرب في ولدانهم، إلى أن يتجاوز حد البلوغ..."[1].

وكان الصغار يدخلون الكتّاب في سنّ السابعة وهو السنّ الأنسب الذي فضّله الفقهاء[2]، فكان يتعلّم في الكتّاب الذكور والإناث ولكن الإناث اقتصر تعليمهم على حفظ القرآن الكريم وبعض المتون.

وقد انتشرت الكتاتيب في مدينة تلمسان، فكانت عبارة عن حجرات تقع بالقرب من المساجد، وكان يتمّ إنشاؤها من قبل الخواص نظرا لبساطة بنائها أو باستئجار بيوت للتعليم[3] يدفع ثمن كرائها أولياء التلاميذ ميسوري الحال، الذين كانوا يبنون الكتاتيب في كثير من الأحيان لتعليم أطفالهم[4]، وكان يلجأ بعض المعلمين لاكتراء الدكاكين والمحلاّت، ويتقاضون أجورهم من أولياء التلاميذ.

وكانت الكتاتيب عبارة عن غرف صغيرة بسيطة، أثاثها حصير مصنوع من الحلفاء، يجلس عليه الصبيان ويمثّلون حلقة حول شيخهم ولكل تلميذ لوح خشبي مصقول ودواة للحبر وقلم من القصب الجاف وإناء يمحون فيه ألواحهم[5].

إلا أن الكتاتيب عرفت نوعا من التطوّر خلال القرن (9هـ / 15م) بتلمسان فأصبحت أكثر تجهيزا، وفي هذا الصدد قال الحسن الوزّان: "... في كلّ مدرسة قاعة كبيرة بمدرجات تستعمل كقاعدة

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص397.

[2]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2 ، ص344.

[3]- بودواية مبخوت، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005- 2006، ص75.

[4]- أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، إعداد محمد حجي ومحمد العرايشي وأحمد الشرقاوي، ج8 ، دار الغرب بيروت، 1981 م ص156.

[5]- الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ) / (1236- 1554م)، رسالة دكتوراه دولة، قسم التاريخ، تلمسان، 2004- 2005. ص160.

للأطفال"[1]. واشترط في معلّم الصبيان مجموعة من الشروط وجب توفّرها حتى يتمكّن من القيام بمهمّة التدريب في الكتّاب وهذا ما أشار إليه ابن أبي جمعة في كتابه جامع جوامع الاختصار والتبيان إذ قال: "المعلم الذي لا يعرف الإظهار والإدغام والإهمال والإعجام والتفخيم والترقيق وأحكام القرآن لا تجوز له الحدقة"[2]، كما وجب على الشيخ التحلي بالأخلاق الحسنة لأنّها تنعكس على سلوك الصبيان[3].

أما بالنسبة لنفقة التعليم في الكتّاب، كان يتحمّل دفعها آباء الصبيان فكان المعلّم يأخذ أجره من أولياء التلاميذ ميسوري الحال على تعليمهم القرآن الكريم، بينما كان بعضهم يدرس القرآن دون أجر طمعا في أخذ جزائه من الله تعالى، وقد أفتى العالم سعيد العقباني (811م/1408م) بجواز أخذ الأجرة على تعليم العلم بسبب ضعف مداخيل المعلم[4].

وكان الصبيان بعد حفظهم للقران الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة يتفرّغ بعضهم لتعلّم حرفة يدوية تهيئة لكسب لقمة العيش، بينما آخرون يواصلون مسيرتهم التعليمية في المساجد

2- المساجد:

تأسست المساجد في بلاد المغرب أثناء الفتح الإسلامي قبل تأسيس المدارس والزوايا فكان مقرا للعبادة تتم فيه الصلاة ومؤسسة لاستقبال الطلبة لتلقي الدروس عن الشيوخ، وكانت تعقد فيه حلقات البحث وتنظّم فيه المناظرات العلمية والحوارات الفقهية والأدبية واللغوية ودروس الوعظ والإرشاد فكان بمثابة الجامعة أو المعهد كما أدّى المسجد دورا فعّالا في الحياة السياسية والاجتماعية

[1]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص261.
[2]- الأخضر عبدلي، المرجع السابق، ص160.
[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص345.
[4]- الونشريسي، المصدر السابق، ج8، ص236-237.

إذ تقرأ فيه البلاغات الرسمية للدولة ويجتمع فيه الأولياء لعقد قران أبنائهم وتمضى فيه العقود التجارية[1].

وعجزت الدراسات التاريخية عن إعطاء أسماء جميع المساجد المشيّدة بمدينة تلمسان وضواحيها، إلا أن بعض الإحصائيات تشير أن عددها بلغ ستين مسجدا[2].

وركّزت المساجد في تعليمها على تحفيظ القرآن الكريم والحديث وتدريس النحو والفقه واللّغة والأدب[3] ومن أشهر المساجد التي بناها السلاطين واعتنوا بها والتي كان لها الدور الكبير في ازدهار الحركة العلميّة ببلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزيانى نذكر :

– مسجد أغادير:

بني مسجد أغادير بأمر من المولى إدريس الأول[4] بعد ضمّه مدينة تلمسان إلى دولته عام (173هـ / 789م) ثم قام ابنه إدريس الثاني بترميم وتوسيع هذا المسجد [5]، أما في العهد الزيانى قام يحي بن يغمراسن الزياني ببناء مئذنته[6]، وقد استأذن في كتابة اسمه بها فقال بالزناتية: "يسنت ربي" أي "عرفه الله"[7].

[1]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16–20م)، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981، ص34.

[2]– يحيي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص211.

[3]– محمد منير موسى، التربية الإسلامية أصولها وتطوّرها في البلاد العربية. القاهرة، 1983 م، ص221.

[4]– علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972 ص68.

[5]– رشيد بورية جولة عبر مساجد تلمسان، مجلة الأصالة، ع16 ، الجزائر،1975م، ص171–172.

[6]– صالح بن قربة، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 ،ص85.

[7]– يحيي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص207.

– المسجد الأعظم بتاجرارت:

شيده الأمير يوسف بن تاشفين المرابطي أثناء بنائه لمدينة تاجرارت سنة (473هـ/1080م)، ثم أعاد ابنه علي بن يوسف بناءه سنة (530هـ/1135م)[1]، وتمّ بناء هذا المسجد من قبل مهندسين وبنائين أندلسيين[2] والدليل على إعادة بنائه في عهد علي بن يوسف الكتابة الموجودة على المحراب "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم، هذا ممّا أمر بعمله الأمير الأجل أيّده الله وأعزّ نصره وأدام دولته وكان إتمامه على يد الفقيه الأجل القاضي الأوصل أبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي أدام الله عزّهم، فتح في شهر جمادى الأخيرة عام ثلاثين وخمسمائة"[3].

وفى عهد يغمراسن بن زيان أضيف للمسجد الجزء الشمالي من بيت الصلاة والقبة والصحن والمئذنة الشبيهة بالعمارة الأندلسية وزخارفه تعلو السواري تيجان تشبه تيجان مسجد قرطبة[4]، واشتهر الجامع الأعظم بدوره الكبير في نشر التعليم حيث أصبح معهدا للتدريس ضاهى جامعات تلك الفترة كجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بالمغرب خاصّة بعد هجرة الأندلسيين وتوافد العلماء والطلبة، فأصبحت تلمسان حاضرة من حواضر الإشعاع الثقافي في العالم الإسلامي.

– مسجد سيدي أبي الحسن :

قام ببناء هذا المسجد السلطان الزياني أبو سعيد عثمان بن يغمراسن سنة (696هـ/1296م)، وهو يقع بالقرب من المسجد الأعظم[5]، وقد حمل اسم أشهر علماء تلمسان "أبو الحسن بن يخلف التنسي"الذي كان يلقي فيه دروسه، وقربه منه السلطان أبو سعيد عثمان لأنه من أفضل وأتقى علماء

[1]– رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان، ص172.

[2]–marçais, (G), Tlemcen, (ville d'art et d'histoire), p34.

[3]–bourouiba, les inscriptions, commémoratives des mosquées d'Algérie, O.P.U, Alger, 1984, P102.

[4]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص172.

[5]– محمود بو عياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (15م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 ، ص81.

عصره[1] وتميز هذا المسجد بصغر حجمه مقارنة بالمساجد الأخرى واحتوى على بيت للصلاة مكوّنة من ثلاث بلاطات عمودية على جدار المحراب، يحدّدها صفان من الأعمدة الرخامية وتعلوها تيجان تعدّ من أجمل تيجان العالم الإسلامي[2]. كما عدّ محرابه من أجمل المحاريب فهو يتشكل من مشكاة سداسية الأضلاع بها قبّة مزيّنة وتميزت جدران المسجد بروعة زخارفه وسقف منقوش[3].

– مسجد أولاد الإمام :

شيده السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول سنة (710هـ/1310م) وكان ملحقا بالمدرسة القديمة التي بناها لابني الإمام[4] العالمين اللّذين وفدا على تلمسان من مدينة برشك، ولم يبق من هذا المسجد سوى القبة المزينة بالقرنصات التي تكلل مشكاة المحراب ومئذنتها وبعض القطع الأثرية الموجودة في المتحف البلدي بتلمسان[5].

– مسجد سيدي أبي مدين شعيب بالعباد:

بني هذا المسجد سنة (739 هـ / 1339 م) على يد السلطان "أبي الحسن المريني" بعد استيلائه على تلمسان، وهذا ظاهر على اللّوحة المعلّقة في مدخل المسجد، والتي كتب عليها: "الحمد لله وحده أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان عبد الله علي ابن مولانا السلطان أبي سعيد عثمان ابن مولانا السلطان أبي يوسف يعقوب عبد الحق أيّده الله ونصره عام تسعة وثلاثين وسبعمائة نفعهم الله به"[6] وعرف مسجد أبي مدين بدقة بنائه وزخارفه الرائعة خاصة في المحراب، وجمال شكله شكله وترتيب رواقاته واعتدال صحنه وحسن ستاره ومعين مائه واتساع رحابه واحتفال ثريّاته الفضية

[1]– محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص283.

[2]– رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص496.

[3]-Dhina (A), les royaume Abdelouadid à l'époque d'Abou Hamou Moussa 1er et d'Abou Tachfin 1er , O.P.U, E.N.AL, Alger, P34.

[4]– ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص123-127.

[5]– رشيد بورويبة، المرجع السابق ، ص497.

[6]– المرجع نفسه، ص 178 .

منها والصفرية وغرابة منبره حسب وصف ابن مرزوق الخطيب ويواصل قائلا عن مئذنته: "ولا شكّ أنّ صومعته لا تلحق بها صومعة في مشارق الأرض ومغاربها ..."[1].

ولا يزال مسجد سيدي أبي مدين شعيب قائما إلى يومنا هذا مذكّرا بدوره التعليمي والديني خلال عهد الزيانيين.

– مسجد سيدي الحلوي:

بني مسجد سيدي الحلوي سنة (754 هـ / 1353 م)، بأمر من السلطان "أبي عنان فارس المريني" بعد استيلائه على تلمسان[2]، ونسب هذا المسجد إلى قاضي الأندلس "أبي عبد الله الشوذي "المشهور بسيدي الحلوي الذي استقر بتلمسان سنة (655 هـ/1266 م)[3]، ويشبه هذا المسجد في هندسته وزخرفته مسجد أبي مدين، كما أنّ القطع التي استخدمت في تزيينه جلبت من مدينة منصورة[4].

– مسجد سيدي إبراهيم المصمودي:

بناه السلطان الزياني أبو حمّو موسى الثاني بجانب القبة والزاوية والمدرسة وهذه البنايات بناها تكريما لوالده أبي يعقوب لذلك حملت إسم المدرسة اليعقوبية التي اندثرت مع الزاوية ولم يبق سوى المسجد[5] المسجد[5] بمئذنته مربّعة الشكل والقبّة المزينة بأخاديد تشبه إلى حد ما قبة حمام الصباغين بتلمسان والتي يرجع عهدها إلى عهد المرابطي.

[1]– ابن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح، ص 402– 403 .

[2]– عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج7، ص 339 .

[3]– ابن مريم ، البستان، ص 68 – 69 .

[4]– رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان ، ص 148 .

[5]– يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2 ، ص 136 – رشيد بورويبة، المرجع نفسه ، ص 176 .

3- المدارس :

كان ظهور المدارس لأول مرة في بلاد المشرق مع مطلع القرن (5 هـ / 11 م)[1]، ثم انتشرت إلى مختلف الأقطار على فترات متفاوتة، إلا أنّ ظهورها تأخر في بلاد المغرب إلى النصف الأول من القرن (7 هـ / 13 م).

وسبب هذا التأخر هو أنّ التعليم كان يتم في الكتاتيب والمساجد، وبقى هذا الوضع على حاله دون تنظيم[2] إلى غاية تشييد أول مدرسة نظامية بالمغرب الأدنى[3] التي عرفت بالمدرسة الشماعية أو مدرسة الشماعين التي تأسست على يد السلطان الحفصي أبي زكريا (625 هـ / 647 هـ) ما بين سنتي (623 هـ / 647 هـ) / (1235 م / 1249 م).

ثم انتقل بناء المدارس إلى الدولة المرينية[4] في عهد السلطان "يعقوب بن عبد الحق المريني " الذي أسّس مدرسة الصفارين سنة 675 هـ .

أمّا في تلمسان فقد بنيت بها أول مدرسة مع مطلع القرن (8 هـ / 14 م) واهتم سلاطين بني زيان بإنشائها بهدف نشر العلم والثقافة وتوعية الناس لخدمة المجتمع.

واعتمدت المدارس في تمويلها على الأحباس وعلى الإعانات والهبات التي يقدّمها السلاطين والأمراء والأغنياء والتجار والعلماء[5].

وذكر الحسن الوزان أن الحاضرة تلمسان احتوت على خمس مدارس حسب قوله: "...وتوجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة لها أئمة وخطباء وخمس مدارس حسنة جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء، وغيرها من الأعمال الفنية شيد بعضها ملوك تلمسان وبعضها ملوك فاس..."[6]،

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 141.

[2]- الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح : رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981 م، ص 100-101.

[3]- بوبة مجاني ، المدارس الحفصية، نظامها وموردها، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، العدد 12، 1999، ص 158.

[4]- عبد العزيز لعرج، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، رسالة دكتوراه، قسم الآثار، جامعة الجزائر، ص 1998 – 1999، ص303-314.

[5]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج 1، ص 141.

[6]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص19.

وعلى الرغم من الأوضاع السياسية والحروب الداخلية والخارجية التي عاشتها الدولة الزيانية إلا أن السلاطين اهتمّوا بالحياة الثقافية والعلمية وقرّبوا العلماء من مجالسهم وقاموا ببناء المدارس التي اشتهرت بها الحاضرة تلمسان ومن أهمها نذكر :

– مدرسة ابني الإمام :

أسسها السلطان الزياني أبو حمو موسى الأول ما بين سنتي (707 هـ و718 هـ)[1] وهي أوّل مدرسة شيّدت بتلمسان فعرفت بالمدرسة القديمة، وحملت أيضا اسم العالمين ابني الإمام أبي زيد عبد الرحمن (ت 793 هـ / 1342 م) وأخيه أبي موسى عيسى بن الإمام (ت 749 هـ / 1348م)[2] وهما ابني الفقيه الخطيب أبي عبد الله بن عبد الله بن الإمام من مدينة برشك واشتهر ابني الإمام بالعلم والتقوى، نزلا بتلمسان في عهد السلطان "أبي حمو بن أبي سعيد بن يغمراسن، الذي بنى لهما هذه المدرسة وعيّنهما كمدرسين بها[3] ولكن لم يبق منها إلّا المسجد الصغير بمنارته[4] والذي يقع في الناحية الغربية من المدينة في اتجاه باب كشوط المعروف بباب سيدي بوجمعة.

– المدرسة التاشفينية :

تم بناؤها بالقرب من الجامع الأعظم[5] بأمر من السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن الأوّل بن أبي حمو موسى الأوّل (718 هـ/736 هـ) / (1317 م – 1335 م)، بعد أن أصبحت المدرسة التي بناها والده لا تتسع للطلبة، وبنيت هذه المدرسة تكريما للفقيه أبي موسى عمران

[1]– يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 34.

[2]– المصدر نفسه، ج1، ص 123-126-130.

[3]. المصدر نفسه، ج1، ص 130.

[4]. عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 821 . 824– المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس، ج5، دار صادر، بيروت، 1968 م، ص 215.

[5]. التنسي، المصدر السابق، ص 141.

المشدالي(ت745هـ)[1] على يد أمهر البنائين والمهندسين فعدّت بذلك من أجمل مدارس المغرب الإسلامي بزخارفها وبناياتها ورواقاتها التي أدهشت زائريها[2].

وكان يوم تدشينها يوما عظيما حضره العلماء والفقهاء والأدباء فأقام السلطان أبو تاشفين بهذه المناسبة احتفالا كبيرا، ونظرا لروعة المدرسة وصفها أبو جعفر أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسي الجنان المكناسي حيث قال: "تذكرت هنا والشيئ بالشيء يذكر ما رأيته مكتوبا على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التي بناها أمير المسلمين أبي تاشفين الزياني وهي من بدائع الدنيا... وقال في أبيات شعريّة :

أنظر بعينيك بهجتي وسنائي وبديع اتقاني وحسن بنـــــائي

وبديع شكلي واعتبر فيما ترى من نشأتي بل تدفق مـــــائي

جسم لطيف ذائب سيلانه صاف كذوب الفضة البيضـــــاء

قد حق بي أزهار وشيء نمقت فغذت كمثل الروض غب السماء[3]

ودرس بهذه المدرسة العالم أبي موسى عمران المشدالي و أبي العباس أحمد بن عمران البجائي[4]، وزاولت المدرسة التاشفينية مهمتها في التدريس وتلقين الطلبة مختلف العلوم حوالي خمسة قرون إلى أن هدمت على أيدي الفرنسيين بحجّة توسيع الطرقات، وبني مكانها دار البلدية وبجانبها ساحة عمومية سنة 1875 م، ونقلت بعض القطع الأثرية منها إلى المتحف البلدي بتلمسان ومتحف كولوني بباريس[5].

---

[1]. يعدّ أبو موسى عمران المشدالي من أكبر الفقهاء، أصله من بجاية وتوفي سنة 745 هـ ، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص130.

[2]. التسنيي، المصدر السابق، ص 141. .marçais, (G), l'architecture musulman d'occident arabes, p21

[3]. المقّري، المصدر السابق، ج8، ص 154-157.

[4]. يعرف أيضا بأبي العباس أحمد بن عمران اليانوي، أنظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 75.

[5]. عبد الحميد حاجيات، أبو حمّو موسى، ص 62.

– المدرسة اليعقوبية :

تأسست سنة 765هـ من قبل السلطان الزياني أبي حمّو موسى الثاني (760هـ -791هـ)[1]، تخليدا لذكرى والده أبي يعقوب (ت 763هـ/ 1362م) وأمر بدفنه برياض بالقرب من باب إيلان، ثم نقل رفاة عميه أبي سعيد وأبي ثابت من العباد[2] إلى جوار ضريح والده، ثم بدأ في بناء مدرسة بالقرب من قبورهم، وألحق بها زاوية ومقبرة مخصّصة لوفاة الأسرة الحاكمة بتلمسان من سلاطين وأمراء، ومن أشهر العلماء الذين تولوا التعليم بالمدرسة اليعقوبية العالم الشريف الحسني أبي عبد الله (ت771هـ/1370م)[3]، وكان مصير هذه المدرسة الاندثار فلم يبق منها أي شيء في وقتنا الحالي.

– مدرسة الحسن أبركان:

بنيت بأمر من السلطان أحمد العاقل (834 هـ – 866 هـ) بزاوية الشيخ الحسن بن مخلوف أبركان، قرب مسجد عبد الله الشوذي المعروف بسيدي الحلوي[4].

4–الزوايا:

انتشرت الزوايا في جميع أرجاء بلاد المغرب الأوسط وتم بناؤها بالقرب من المساجد والمدارس والكتاتيب، وهى عبارة عن بنايات يتمّ فيها إقامة الصلاة وتحفيظ القران الكريم والتعليم وإلقاء الدروس للطلبة والمريدين، وكانت مأوى للمسافرين وعابري السبيل وفي هذا الصدد قال ابن مرزوق: "إنّ الزوايا عندنا في المغرب تأوي المتجوّلين ودار مجانية تطعم المسافرين"[5].

---

1. التنسي، المصدر السابق، ص 157.
2. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 104.
3. هو أبو عبد الله محمد ابن أحمد الشريف الحسيني من أحد كبار العلماء، أحاط بجميع العلوم النقلية والعقلية، ومن أشهر شيوخه ابني الإمام وعبد الله الآبلي: وتوفي في ذي الحجة سنة (771 هـ)، يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 2، ص 120.
4. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 127 – عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ص 438 .
5. ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 406-411- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح : علي منتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1985، ص 17 .

وتأسست الزوايا من قبل رجال الصوفية وميسوري الحال والمحبين للخير وكبار رجال الدولة أو من قبل جماعة يوقفون عليها الأوقاف لتمويلها وتغطية مصاريفها،[1] وكان الشخص الذي يسهر على إدارتها والاهتمام بها يدعى الناظر والذي كان يقوم أيضا بالوعظ والإرشاد[2] بهدف تعليم الطلبة وتربيتهم تربية دينية، وقد اختلف بناء الزاوية عن المساجد والمدارس، حيث تميّزت بجدرانها القصيرة وقبابها المنخفضة ونوافذها القليلة، واشتهر المغرب الأوسط بزواياه العديدة خاصّة بعد انتشار تيار التصوّف ورجاله ومن أشهر هذه الزوايا خاصة في مدينة تلمسان نذكر :

– زاوية الأمير أبي يعقوب[3]:

بنيت بأمر من السلطان "أبي حمّو موسى الثاني" على ضريح والده أبي يعقوب بجانب المدرسة اليعقوبيّة.

– زاوية سيدي أبي مدين شعيب[4]:

تأسست على يد "أبي الحسن المريني"، وكانت تضمّ بيوتا لاستقبال المسافرين والطلبة وعابري السبيل.

–زاوية سيدي الحلوي:

أنشأها السلطان المريني " أبو عنان فارس" في الناحية الشمالية لمدينة تلمسان.

– زاوية الإمام محمد بن يوسف السنوسي[5]: بتلمسان.

– زاوية ابن البنّاء: بتلمسان.

---

[1]. بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 77.

[2]. فرج محمود فرج، الدور الحضاري لإقليم توات في إفريقيا السوداء، ملتقى الدراسات الإسلامية والعربية في القارة الإفريقية، أدرار، ص 62.

[3]. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 127 – ابن مريم، المصدر السابق،، ص68 .

[4]. التنسي، المصدر السابق، ص 256 .

[5]. أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1 ص40.

– زاوية أبي الحسن بن مخلوف أبركان: بتلمسان

5– المكتبات:

عرفت المدارس والمساجد بمكتباتها التي تساعد العلماء والطلبة على التحصيل والتعلم، واحتوت على كتب نادرة يصعب الحصول عليها[1] بسبب ارتفاع أثمانها، ووجدت المكتبات أيضا لدى الأسر والبيوت العلمية التلمسانية ولدى الوراقين[2]، وهي كتب متداولة في بلاد المغرب الأوسط والأندلس واشتملت أيضا على مصنفات من جميع البلاد الإسلامية وخاصة كتب الدين من فقه وتفسير وتصوّف والمصاحف الشريفة[3].

وخضعت هذه المكتبات إلى أنظمة و قوانين فرضها المحبسون وهي عدم إخراج الكتب خارج المؤسسات التعليمية من المدارس أو المساجد ويكتفي الطالب بالمطالعة داخلها، ومن أشهر المكتبات التي أنشأها السلاطين الزيانيين بالحاضرة تلمسان نذكر:

ـ مكتبة السلطان أبي حمّو موسى الثاني:

أنشئت هذه المكتبة سنة (760هـ / 1359م) بالجامع الكبير بتلمسان على الجهة اليمنى من المحراب، ووجد فوق باب المكتبة خشبة كتب عليها:"أمر بعمل هذه الخزانة المباركة السلطان أبو حمّو بن الأمراء الراشدين أيّد الله أمره وأعزّ نصره ونفعه بما وصل ونوى وجعله متأهل التقوى وكان الفراغ من عملها يوم الخميس الثالث عشر لذي القعدة عام سبعمائة وستين 760هـ".

[1]. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص350.

[2]. لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ج3، دار المعارف، القاهرة 1956، ص27 . 31.

[3]. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج2، ص 350.

واحتوت هذه المكتبة على نفائس الكتب ونوادر المخطوطات في شتّى العلوم[1] لكن بعد أن قامت مصلحة الآثار التاريخية الفرنسية سنة 1855م بترميم الجامع الكبير وتغيير طرفيه الجنوبي والشمالي ضاعت وفقدت هذه الكتب النفيسة.

ـ المكتبة التي أنشأها السلطان أبو زيان محمد الثاني:

أنشئت سنة (796هـ / 1394م) بالقسم الأمامي من الجامع الكبير وضمت الكثير من المؤلفات ومنها ما نسخ باليد كالمصحف الشريف وصحيح البخاري وكتاب الشفا للقاضي عياض[2] من قبل السلطان أبي زيان محمد الثاني وأوقف عليها الأوقاف من أجل صيانتها واستمرار نشاطها وحسن سير عملها بهدف نشر العلم والمعرفة، إلاّ أنّ هذه المكتبة تمّ نقلها إلى المدرسة الدولية (1323هـ / 1905) ولا تزال توجد اليوم البعض من مخطوطاتها بثانوية الحكيم بن زرجب ومن أهمّ هذه المخطوطات "نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان" للحافظ التنسي و"عجائب الأسفار" للحافظ أبي راس الناصري"[3].

تعدّ هذه المؤسسات التعليمية من (مساجد ومدارس وزوايا ومكتبات وكتاتيب) من أشهر ما عرفت به الحاضرة تلمسان، والتي ساهمت في ازدهار الحركة التعليمية في العهد الزياني، ويعود الفضل في هذا التطور العلمي إلى اهتمام وعناية السلاطين الذين قاموا بتشييدها وترميمها وإيقاف الأحباس عليها لتأدية مهامها على أحسن وجه والمتمثلة في نشر العلم والثقافة.

1. محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 107 – 400.
2. التنسي، المصدر السابق، ص 211 .
3. محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 400.

ثانيا:التعليم (طرقه ومراحله):

اعتبر التعليم من العوامل المؤثرة في نموّ الحياة الثقافية والحركة العلمية ومظهرا من مظاهر الازدهار الثقافي والعلمي، حيث كان يتمّ في المؤسسات التعليمية ويمرّ عبر مراحل تدريجية يتمّ فيها تحصيل مختلف المبادئ الأساسية للعلوم والمعارف ثمّ التعمق في المسائل الفرعية وأوّل مرحلة من التعليم وهى المرحلة الابتدائية التي يتمّ فيها تحفيظ القران الكريم وبعض مبادئ اللّغة والحساب والخط[1] وكان يتمّ في الكتاتيب التي يدخلها الصبيان في سنّ محددة بين سنّ الخامسة والسابعة متبعين برنامجا منظما عبر أيام الأسبوع وكانوا يفتتحون يومهم بحفظ القران الكريم منذ الصباح إلى الضحى ويتعلمون الكتابة من الضحى إلى الظهر وكانت حصّة المساء مخصّصة لتدريس بقية المواد حسب المقرّر الدراسي[2].

وكان يقوم بالتعليم في هذه المرحلة المعلّم أو المؤدب، فقرّر العلماء والفقهاء جملة من القواعد وجب على المؤدبين الالتزام بها عند قيامهم بمهمتهم في التعليم وأهمّها أن يحتملوا أخلاق الصبيان وتصرفاتهم وأن يكونوا على علم بأحوالهم من النباهة والبلادة[3]، والاتصاف بالأخلاق الحميدة لكي يكونوا قدوة لتلاميذهم وأن تكون لهم خبرة بالقرآن الكريم وعلومه، ولم يكتف المعلّمون بتعليم القرآن الكريم فقط بل اجتهدوا أيضا في تعليم أخلاق الإسلام من الحياء والسخاء والتواضع، فكانوا يلجئون في الكثير من الأحيان إلى حكايات العباد والصالحين والعلماء لتحبيبهم عند الصبيان، كما كان يجوز لهم تنبيههم إلى كيفيات الوضوء والصلاة.

[1]. عبد الرحمن بن خلدون، المقدّمة، ص 1038.

[2]. لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 91 – 92.

[3]. ابن عبّاد الرندي، الرسائل الصغرى، تح : الأب بولس يوحنا اليسوعي، دار المشرق، بيروت، 1974 م، ص 116.

وبالنسبة لمعاملة الصبيان فقد نبّه العلماء على ضرورة عدم تعنيفهم حتى لا ينفروا من التعليم في الكتاب فيضيعون فرصة حفظ القرآن الكريم في صغرهم، وهى الفترة الملائمة التي يكون فيها الصبي أكثر استعدادا لاستقبال المعلومات وحفظها وترسيخها[1].

أما المرحلة الثانية من التعليم فهي مرحلة التعليم العالي التي يصل إليها الطلبة بعد حفظهم للقرآن الكريم والإلمام بمبادئ الخطّ والكتابة واللغة العربية والقراءات في المرحلة الابتدائية، وكانت المرحلة الثانية من التعليم تتمّ في المساجد والمدارس ويتوجّه فيها الطلبة لدراسة مختلف التخصّصات العلمية وأصناف العلوم[2]. والملاحظ في هذه المرحلة هو أنّ للطالب الحق في اختيار المادة التي يريد دراستها ولا يتقيد بالمقررات الدراسية فكانت العلوم الدينية تدرّس بعمق وتفصيل[3] كتفسير القرآن الكريم وعلومه من قراءات ورسم وعلوم الحديث والفقه خاصّة المالكي ومعرفة العلوم العقلية ذات الصلة بالعلوم الدينية كعلم الفرائض الذي درّس مقرونا بالحساب إضافة إلى علوم اللّغة العربية وآدابها، كما كان للطلبة الحق في اختيار أساتذتهم وأوقات دروسهم ومدّة بقائهم في المؤسسة التعليمية سواء في المساجد كالجامع الأعظم بتلمسان أو المدارس وبعد أن يتضلّع الطالب من التضّلع في العلوم يقومون بالارتحال إلى البلدان الأخرى كبلدان المغرب الإسلامي أو بلاد المشرق من أجل لقاء أشهر العلماء والاحتكاك بهم والحصول على الإجازات، وقد نبّه ابن خلدون عن أهمية الرحلة في مقدّمته فذكرها قائلا : " إن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما وإلقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة إلّا أنّ حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشدّ استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها...فالرحلة لابدّ منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال..."[4].

---

[1]. ابن مريم، المصدر السابق، ص 242.

[2]. لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 94.

[3]. عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، ع 26، 1975 م، ص 138.

[4] – ابن خلدون، المقدمة، ص . ص 744-745.

فبفضل الرحلة العلمية والاحتكاك بعلماء الأقطار الإسلامية ازدهرت الحياة الفكرية والثقافية بشكل كبير في تلمسان.

وبالنسبة لطرق التدريس فقد اختلفت من مرحلة إلى أخرى ومن مدرّس إلى آخر وأولها طريقة الإلقاء والإملاء وهى الطريقة المعتمدة في الكتّاب بحيث يجلس المعلّم ويكتب السور القرآنية في الألواح الخشبية ويقوم الصبيان بحفظها وعند إكمال كل سور القرآن الكريم يمتحن الطفل فيما يسمى بالختمة ومن خلالها يختار التلميذ بين الانصراف إلى طلب العلم أو الانقطاع عنه[1].

أمّا في المرحلة العليا فكانت تستعمل طريقة اختيار كتاب معيّن في أحد أصناف العلوم وشرحه إذ يقوم الأستاذ بشرح وتبسيط مفردات النصوص[2] بعد ما يتمّ قراءتها من طرف أحد الطلاب، إضافة إلى طريقة السؤال والجواب أو المحاورة التي انتقلت من أفريقية إلى بلاد المغرب الأوسط عن طريق ابني الإمام وعمران المشدالي، فكان الأساتذة يعتمدون على البحث وإعمال الفكر في المسائل العلمية إضافة إلى الحفظ، والطالب يقوم بدور محوري في الوصول إلى المعلومات[3] وكان الأساتذة يقومون بالتوجيه وإدارة المناقشات والمناظرات وقد شاع استخدام المختصرات في التدريس لتسهيل تلقين العلوم، لكن بعض العلماء أبدوا معارضتهم لهذه الطريقة[4] واعتبروها مخلة بالتعليم، ولا تساعد على التحصيل العلمي المكين أمثال الآبلي و عبد الرحمن بن خلدون حيث اعتبروا تأليف المختصرات والاعتماد عليها في التدريس آفة كبرى لأنّه يعمق الدراسة السطحية وينشر الجمود في مجال البحث، وكانت هذه المختصرات من الإيجاز لا يتيسّر فهمها إلا بالشروح التي يؤلّفها المؤلف أو غيره من الفقهاء والعلماء لحلّ غموضها وتفسير نصوصها.

[1]. لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 94.

[2]. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 353.

[3]. عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

[4]. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص 1028 – 1029.

وتحدّث عبد الرحمن بن خلدون عن مضار الاختصار فقال: " ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون بها ويدوّنون منها برنامجا مختصرا في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخلّا بالبلاغة وعسيرا على الفهم، وربّما عمدوا إلى أمّهات الكتب المطوّلة في فنون التفسير والبيان فاختصروها تقريبا للحفظ كما فعل ابن الحاجب أبو عمر عثمان (646 هـ) في الفقه وأصول الفقه وابن مالك وأبو عبد الله محمد (672هـ) في العربية والخونجي محمد (624هـ) في المنطق وأمثالهم وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل "[1].

[1]. عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة، ص 393 ـ ابن مريم، البستان، ص 217.

الفصل الثالث

أهمّ العلوم المتداولة بالمؤسسات التعليمية بتلمسان وأشهر علمائها

أولا : العلوم المتداولة في تلمسان .

1- العلوم النقلية .

2- العلوم العقلية .

ثانيا : أشهر أعلام تلمسان .

أولا: العلوم المتداولة في تلمسان:

1- العلوم النقلية:

أ- العلوم الدينية:

اشتهرت المؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية بتلمسان خلال العهد الزياني بتدريسها لمختلف العلوم، وأهمّها العلوم الدينية والدافع الذي جعل الطلبة يدرسون العلوم الدينية هو حصولهم أثنا تخرّجهم على مناصب في خطط الدولة كالقضاء والدواوين، وأهمّ هذه العلوم الدينية:

- **التفسير:**

هو معرفة كتاب الله تعالى وبيان معانيه واستخراج أحكامه[1] وللخوض في هذا العلم لا بدّ من التمكن من مبادئ اللغة، وقد اهتمّ به الزيانيون حيث قاموا بدراسة القرآن الكريم وحفظه وتفسيره في المؤسسات التعليميّة والكتاتيب والمساجد والمدارس والزوايا، وقد انقسم مفسّرو القرآن الكريم إلى اتجاهين[2]، فالاتجاه الأول هو التفسير المأثور أو المنقول ويستند إلى الآثار المنقولة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) والصحابة والتابعين، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآيات[3].

أمّا الاتّجاه الثاني فيقوم على الرأي والاجتهاد، ولا يتحقق ذلك إلّا بمعرفة اللّغة العربية وإتقانها والدراية بالبلاغة والإعراب والبيان، حتى يتمكن المفسرون من تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب التي نزل بها[4].

- **علم القراءات:**

يتضمّن هذا العلم عدّة فروع وهي فنّ القراءات وفنّ الرسم ويتناول أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية، لأنّ فيه حروف كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط[1].

---

[1]. ابن خلدون، المقدمة، ص 457.

[2]. ابن خلدون، المصدر نفسه، ص. ص 531، 532.

[3]. ابن خلدون، المصدر نفسه، ص 530.

[4]. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج2، ص 483.

- **علم الحديث:**

يراد بعلم الحديث حفظ ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل وما نقل عن أصحابه[2]، وظهر علم الحديث عندما اهتمّ المسلمون بنقل سيرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، واحتلّ هذا العلم المرتبة الثانية في التشريع الإسلامي فيه تتّضح أحكام القرآن وتفسيره[3]، وينقسم إلى قسمين:

- **علم حديث الرواية:**

اشتمل على ما أضيف للرسول (صلى الله عليه وسلم) من قول أو فعل وما أضيف للصحابة والتابعين، وخاض في هذا النوع أكبر المحدثين كمسلم والبخاري والترميذي[4]، فبفضل اجتهادهم حفظت السنة المنقولة عن نبي الأمّة (صلى الله عليه وسلم).

- **علم حديث الدراية:**

يقصد به العلم بقوانين تمكّن من معرفة أحوال السند والمتن، واهتمّ بهذا النوع العلماء الذين قاموا بتصحيح أمّهات كتب الحديث وضبطها والنظر في أسانيدها ومؤلفيها[5].

واهتمّ الزيانيون بعلم الحديث لما له من قيمة كبيرة في الدين الإسلامي تلي مرتبة القرآن الكريم، إضافة إلى ذلك فإنّ تفاصيل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وشخصيته وسيرته لها أهميّة كبيرة في حياة المسلمين للاقتداء به في حياتهم لقوله تعالى: " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة"[1].

---

[1]. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج2، ص 437.

[2]. ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 534.

[3]. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج2، ص 440.

[4]. عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص 461.

[5]. صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم إعداد عبد الجبّار زكار، ج1 منشورات وزارة الثقافة، دمشق ص 134.

- **علم الفقه:**

عرّف ابن خلدون الفقه بقوله: "هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحضر والندب والكراهة والإباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدّلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلّة قيل لها فقه"[2].

ويتناول الفقه جميع المسائل التي تواجه الإنسان في حياته الشخصية والدينية والاجتماعية والاقتصادية ويضع القواعد التي تنظم حياته وفروع الفقه تتمثل في علم الفرائض الذي يخصّ المواريث، والحسبة المتعلقة بمعاملات الناس، والفتاوى التي يتمّ بها حلّ المسائل المتعلّقة بالحياة الدينية والدنيوية.

واتبع سكان بلاد المغرب الأوسط الفقه المالكي لأنّهم اعتنقوا مذهب مالك بن أنس[3] رضي الله عنه منذ القرن الثاني الهجري، لأنّ رحلتهم كانت تتجه نحو الحجاز أكثر من غيره وهو منتهى سفرهم في الغالب لأداء فريضة الحج وزيارة البقاع المقدّسة وكانوا أميل إلى مذهب الحجاز مهد السنة.

ولا يمكن للطالب أن يستفيد من هذا العلم إلّا إذا كان ملمّا بعلوم اللغة والنحو والأدب وكذلك الحساب الذي وجب على الطالب إتقانه خاصّة في علم الفرائض والمواريث.

- **أصول الفقه:**

---

[1]. القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية 20.

[2]. ابن خلدون، المصدر السابق، ص 541.

[3]. أحد الأئمة الأربعة، توفي سنة (179هـ / 769م).

يعتبر من أعظم العلوم الدينية وأجلّها قدرا وأكثرها فائدة فيه ينظر في الأدلة الشرعية التي تؤخذ منها الأحكام[1] وكذلك الاجتهاد في المسائل الفقهية الغامضة أو التي وقع فيها الخلاف والتي لم تفصّل في كتب الفروع، فيرجع العالم للأصول ويشرحها شرحا يتناسب مع تشريع المذهب وينسجم معه ثم يقيس ويرجّح[2].

- **علم الكلام:**

هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلّة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة وسرّ هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد[3]، وسمي بعلم الكلام لأنّ أهمّ مسألة وقع الخلاف فيها هي كلام الله تعالى وظهر هذا العلم نتيجة اشتداد الصراع الفكري بين أهل الحق والباطل في مجال العقائد، وتناول المسائل المعقدة والدقيقة مثل التوحيد والآخرة والصفات الإلهية والخير والشر وحقيقة النبوة والقرآن[4].

- **علم التّوحيد:**

هو علم يبحث عن وجود الله وما يجب أن يثبت له من صفات وما يجوز أن يوصف به وما يجب أن ينفى عنه وعن الرسل لإثبات رسالتهم وما يجب أن يكونوا عليه وما يجوز أن ينسب إليهم وما يمتنع أن يلحق بهم[5]، وأصل معنى التوحيد اعتقاد أنّ الله واحد لا شريك له، ويثبت هذا العلم

[1]. عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 446 . ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 543.
المقرّ، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح، مصطفى سقا وإبراهيم الأبياري، ج1، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1939، ص 329.

[2]. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج2، ص 378.

[3]. ابن خلدون، المقدمة، ص 476 .

[4]. ابن خلدون، المصدر نفسه، ج2، ص 557.

[5]. المصدر نفسه، ج2، ص584.

الوحدة لله في الذات والفعل وفي خلق السماوات والأرض ويبرهن على أنّ الله مرجع كلّ شيئ ومنتهى كلّ قصد.

ب- العلوم اللّسانية:

○ اللغة العربية:

تعدّ اللغة العربية من أغنى اللّغات وأرقاها لتميّزها بكثرة المفردات واتصافها بالمرونة والقدرة على صياغة المشتقات من ألفاظها مع سهولة التعبير الدقيق وسموّ البلاغة وسحر البيان، وبذلك حظيت الدراسات اللّغوية من قبل علماء تلمسان وأدبائها اهتماما كبيرا إلى جانب ذلك اعتنوا بالحركة الدينية باعتبارها عاملا أساسيا في تطوير اللغة العربية لاسيما التفسير والفقه والحديث. فقد كان الفقهاء يختصرون ويفسّرون وينظمون الأراجيز ويجمعون ويبسطون المؤلفات ويشرحون الكتب الصعبة ويحلّلونها وينتقدونها ويكملونها بالتذليل عليها، فكانت هذه الحركة العلمية الثقافية عاملا أساسيا في تطوير اللّغة العربية ببلاد المغرب الأوسط عامة والحاضرة تلمسان خاصة[1].

○ الأدب:

شمل الأدب النثر والشعر، فالنثر قول غير موزون أمّا الشعر فهو قول موزون مقفى، وقد عرّف ابن خلدون الأدب فقال: "أعلم أنّ لسان العرب وكلامهم على فنين في الشعر المنظوم وهو الكلام

[1]. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج2، ص 452.

الموزون والمقفى ومعناه الذي تكون أوزانه كلّها على رويّ واحد وهو القافية، وفي النثر وهو الكلام غير الموزون وكلّ واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام"[1].

وعرف الأدب في القرن 8هـ ازدهارا كبيرا ببلاد المغرب الأوسط واحتلّ مكانة لا بأس بها في العلوم اللغوية، بفضل اهتمام السلاطين الزيانيين بالأدباء والشعراء فقرّبوهم إليهم وأغدقوا عليهم بالأموال والأرزاق وأحاطوهم بالعناية ممّا جعل البلاط الزياني يعجّ بالأدباء، كما كان لهجرة الأندلسيين الفضل الكبير في ازدهار هذا العلم بعد استقرارهم في مدن المغرب الأوسط لأنّ معظمهم كان من رجال القلم من كتاب وشعراء[2].

- **النثر:**

عرّف ابن خلدون النثر قائلا: "... هو الكلام غير الموزون ..."[3].

كما قسّمه إلى نثر مرسل مسجع ومنمّق قائلا: " وأمّا النثر فمنه السجع الذي يؤتى به قطعا ويلتزم في كلّ كلمتين منه قافية واحدة يسمّى سجعا ومنه المرسل، وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقا ولا يقطع أجزاء بل يرسل إرسالا من غير تعبير بقافية ولا غيرها[4]، ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم".

وانحصرت أعمال النثر في مدينة تلمسان في الرسائل والكتب التاريخية والأدبية[5] بسبب اندثار معظم الأعمال النثرية الأخرى خاصّة فنّ المقامات والخطب، وعرف النثر في هذه الفترة ازدهارا كبيرا وتطوّرا ملحوظا من حيث الكمّ والكيف، وذلك راجع لتأثير عدّة عوامل ومن أهمّها تشجيع

[1]. ابن خلدون، المصدر السابق، ص736

[2]. محمد الطمار، المرجع السابق ، ص 177.

[3]. ابن خلدون، المقدمة،ص . ص 634 . 635.

[4]. ابن خلدون، المصدر نفسه، ص636.

[5]. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج2، ص 456.

السلاطين الزيانيين لرجال الفنّ وقد كان معظم هؤلاء السلاطين من العلماء والأدباء لذلك عملوا على تطوير هذا النوع الأدبي.

إضافة إلى ما امتاز به أدباء تلمسان من نثر أدبي نشيط مصحوب بالسجع والمحسنات البديعية وذلك مرتبط ارتباطا وثيقا ببيئة وطبيعة مدينة تلمسان الخلابة رائعة الجمال والتي أثّرت فيهم تأثيرا بالغا جعلتهم يرسمونها بروائع السجع والبديع.

وبلغ النثر في القرن 8 و 9 الهجري في مدينة تلمسان درجة كبيرة ومنزلة هامة، واهتمّ به مجموعة من الكتاب أشهرهم أبي بكر بن خطّاب المرسي الأندلسي (ت 688هـ / 1289م)[1] الذي ترك أثرا كبيرا في فنّ الكتابة في عهد يغمراسن بن زيان وقد اشتهر في الترسل والكتابة الفنية وفاق بها معاصريه في المغرب والأندلس وشغل ديوان الرسائل بغرناطة[2] ثمّ ارتحل إلى مدينة تلمسان وقلّده يغمراسن بن زيان منصب صاحب القلم الأعلى في بلاطه، كما اشتهر في النثر كلّ من ابن مرزوق الخطيب والمقرّي والشريف التلمساني والآبلي ومحمد بن هدية القرشي[3] ويحي بن خلدون ومحمد بن يوسف الثغري في عهد أبي حمّو موسى الثاني وعلي بن مسعود الخزاعي الملقب بذي الوزارتين وأبي عبد الله بن مدورة ومحمد بن العصامي ومحمد بن صالح بن شقرون وأبي القاسم بن ميمون السنوسي وأبي الحسن علي بن العطّار[4].

وانحصر النثر عند بني زيان في الرسائل الفنية[5] التي تنقسم إلى: الرسائل الديوانية أو الرسمية والرسائل الأدبية أو الإخوانية والرسائل أو القصائد النبوية.

---

1. التنسي، المصدر السابق ، ص 127.
2. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج2، ص 456.
3. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 210 . 213.
4. التنسي، المصدر السابق ، ص 238 ـ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج2، ص 457.
5. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج2، ص 457.

- **الشعر:**

هو فنّ من فنون كلام العرب وهو كلام مفصّل قطعا متساوية في الوزن متّحدة في الحرف الأخير من كل قطعة وتسمى كل قطعة من هذه القطع عندهم بيتا ويسمّى الحرف الأخير الذي تتفق به رويا وقافية ويسمّى جملة الكلام إلى آخره قصيدة[1].

ازدهر الشعر بتلمسان في العهد الزياني ازدهارا ملحوظا كغيره من الفنون والعلوم المختلفة، ويرجع ذلك إلى عدّة عوامل أهمهاّ المناظر الطبيعية الخلابة الساحرة والبساتين النّاظرة[2] حيث كان للبيئة أثر عميق في إحساس الشعراء وتفجير مواهبهم. إضافة إلى اهتمام ورعاية واحترام السلاطين الزيانيين للعلماء والأدباء ولم يقتصر الشعر على طبقة الشعراء والأمراء والملوك فحسب بل تعدّى ذلك إلى الوزراء والكتاب، فكانوا يطيلون قصائدهم التي تزيد عدد أبياتها عن المائة بيت، ومن العوامل التي جعلت الشعر يشهد ازدهارا ملحوظا الاتصالات التي كانت تجري بين شعراء الدولة الزيانية وشعراء دول المغرب الإسلامي كالمغرب الأدنى والأندلس وشعراء بلاد المشرق، واطلاعهم على مختلف النماذج الشعرية مشرقية كانت أو أندلسية.

ومن أشهر شعراء الدولة الزيانية ابن مرزوق الخطيب، ومن أهمّ أشعاره ما جاء في رائيته ليلة الميلاد:

قـل لنسيم السحـــر لله بـلّغ حبـــــــري

إن أنت يوما بالحصى جررت فضل المئـزر

[1]. ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص739.

[2]. لخضر العبدلي، المرجع السابق ، ص 241.

ثم جثثت بالحصى فوق الكتيب الأعفر[1]

ومن شعراء الدولة الزيانية أبي حمّو الزياني الذي عرف بشعره إضافة أمور الحكم والسياسة وعرف بقصائده التي بلغت درجة كبيرة من الجمال الفني والتصور الشعري الصادق وأهمّ ما جاء في قصائده الأبيات التالية:

مشوق تزين بالغرام وشاحا متى جرى من ذكر الأحبة صاحا

تعذّبه أشجانه وهو صابر ويبدي اشتياقا زفرة ونواحا[2]

ومن الشعراء الذي مدح العديد من السلاطين لتقديرهم للعلماء والأدباء ومما جاء في شعره:

لولا بنو زيان ما لذّ لي العيش ولا هانت عليّ

هم خوّفوا الدهر وهم حفّفوا في بني الدهر خطاه الثقال

لقيت من عامرهم سيّدا غمر رداء الحمد جمّ النوال

وكعبة للجود منصوبة يسعى إليها الناس من كلّ بال

خذها أبا زيان من شاعر مستملح النزعة عذب المقال

يلتفظ الألفاظ النوى وينظم الآراء نظم اللآل

مجاريا مهيار في قوله ما كنت لولا طمعي في الخيال [3]

[1]. المرجع نفسه، ص 242.

[2]. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج2، ص463.

[3]. عبد الوهاب بن منصور، المصدر السابق، ص 82.

ومن الشعراء الذين مدحوا الملوك الشاعر أبي عبد الله التلاليسي الذي مدح السلطان أبا حمو موسى الثاني في ليلة المولد النبوي الشريف وكان مطلعها:

من الزاب وافانا عزيزا مظفـــــرا يجرّ من النصر المنوط به ذيلا

بدت لـمليك الغرب شدّ بأسه وإنعامه للمعتفين ومـــــا أولى

فبادره بالصّلح خوف فـــــواته وسالمه إذ كان ذاك به أولى[1]

- **التاريخ:**

اهتمّ الزيانيون بالتاريخ لتسجيل أحداثهم كالغزوات والفتوحات حتّى تبقى محفوظة ولا تضيع تفاصيلها[2] فبرز مجموعة من المؤرخين الذين دوّنوا مصنفات في تاريخ الدولة وحضارتها، وتناولوا فنون التاريخ وفروعه كالسير والتراجم وتاريخ الملوك والخطط ومن أشهر المؤرخين الزيانيين أبي زكريا يحي بن خلدون الذي اشتهر بمؤلّفه بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد[3] الذي تعرّض فيه إلى الدولة العبد الوادية من النشأة إلى عصر المؤلف، وكان تصنيفه لهذا الكتاب بطلب من السلطان أبي حمو موسى الثاني بهدف تخليد أمجاد هذه الدولة وقسّم كتابه إلى ثلاثة أقسام[4] اشتمل كلّ قسم على ثلاثة أبواب وامتاز أسلوبه بدقة الوصف وبراعة التصوير وسعة الخيال في اختيار الألفاظ ومزجها بالمحسّنات البديعية وهذا دليل على نبوغه في فنون الأدب وانتهت الأحداث في أواخر سنة (766هـ/ 1374م) أي قبل مقتله بأربع سنوات (780هـ / 1378م).

[1]. محمد الطمار، المرجع السابق ، ص 241.

[2]. عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1967، ص66 . 71.

[3]. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 467.

[4]. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 20 . 40.

ومن مؤرخي الدولة الزيانية أبي عبد الله بن مرزوق الخطيب صاحب كتاب "المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن[1]"، الذي جعله بمثابة سيرة ذاتية للسلطان أبي الحسن المريني وتخللته بعض الأحداث التاريخية للزيانيين والمرينيين مبيّنا مواقفهم وانجازاتهم العسكرية والحضارية في بلاد المغرب الأوسط والأقصى، فقسّم كتابه إلى مقدّمة، واحتوت على عدّة فصول أمّا المتن فبّوبه في خمسة وخمسين بابا، كلّها تتحدث عن خصال أبي الحسن[2] أمّا الخاتمة فضمّنها عدّة فصول تعرض في بدايتها إلى لقائه بأبي الحسن في قرية العبّاد، ومن بين المؤرخين نذكر أيضا الحافظ محمد بن عبد الله التنسي صاحب كتاب "نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان" ويحتوي الكتاب على خمسة أقسام وكلّ قسم ينقسم إلى عدّة أبواب، وتضمّنت التعريف ببني زيان وتاريخهم وسيرتهم وحضارتهم.

2- العلوم العقلية:

اعتنى علماء المغرب الأوسط بالعلوم العقلية كغيرهم من علماء الدولة الإسلامية بفضل تشجيع السلاطين والحكام وبدعم من شيوخ الأندلس وأهمّها: علم المنطق والطب والكيمياء والفلك والعلوم العددية من حساب وجبر وهندسة.

○ علم المنطق:

عرّفه ابن خلدون قائلا: "هو علم يعصم الذهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة ومن فوائده تمييز الخطأ من الصواب وبه يعرف الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات وذلك لأنّ الأصل في الإدراك إنّما هو المحسوسات بالحواس الخمس"[3].

[1]. المصدر نفسه، ص 467.

[2]. ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 485 . 487.

[3]. ابن خلدون، المصدر السابق، ص601.

واهتمّ الزيانيون بهذا العلم ويظهر ذلك جليا من خلال تداولهم بالشرح والتلخيص لكتاب "مختصر الخونجي"، ومن أشهر العلماء الزيانيين الذين شرحوا هذا المختصر نذكر: سعيد العقباني وابن مرزوق الحفيد ومحمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي كتب مؤلفات في شرح جمل الخونجي ومقدمة في علم المنطق، كما اهتم محمد بن يوسف السنوسي بعلم المنطق وألّف فيه عدّة مؤلفات وأشهرها: "شرح مختصر ابن عرفة" و"شرح الموجهات" و"مختصر في علم المنطق"[1].

- **الرياضيات:**

ارتبط علم الرياضيات بالعلوم الدينية وتطبيق الشريعة في أمور العبادات والمعاملات مثل: تقسيم المواريث وتحديد الأشهر الهجرية، ومن بين المصنّفات التي استخدمت في العلوم العددية واعتمد عليها علماء المغرب الأوسط عامة وعلماء تلمسان خاصّة "أرجوزة ابن الياسمين[2] في الجبر وأعمال الحساب لابن البناء المراكشي[3](ت 721هـ / 1321م) الذي تتلمذ على يده أشهر العلماء في علم الرياضيات كالآبلي وابني الإمام.

ومن أشهر العلماء الذين برزوا في علم الرياضيات من حساب وجبر وفرائض وهندسة بالمغرب الأوسط القاضي "سعيد بن محمد العقباني التلمساني" (ت 811هـ / 1418م)[4] الذي ساهم "بشرح كتاب التلخيص" لابن البناء المراكشي و"شرح قصيدة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة "كما ساهم ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ) في علم الرياضيات "بأرجوزة على التلخيص".

- **علم الفلك:**

[1]. ابن خلدون، المصدر السابق، الصفحة نفسها ؛ عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 478.

[2]. عبد العزيز فيلالي، المرجع نفسه، ج2، ص 470.

[3]. عبد الحميد حاجيات وآخرون، المرجع السابق، ص. ص 447 . 448.

[4]. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص601.

عرف علم الفلك أيضا بعلم الهيئة الذي يدرس حركة الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيزة بطرق هندسية[1] ومن فروعه: علم الرصد وهو علم يعرّف من خلاله كيفية تحصيل مقادير الحركات الفلكية والتوصل إليها وفائدته تتمثل في معرفة أوقات الصلاة والصيام، أمّا الفرع الأخير من علم الفلك هو علم التنجيم، الذي يتصل بعلاقة بعض الكواكب بالأحداث التي تجري في الأرض[2].

وقد اشتهر من علماء تلمسان في علم الفلك ابن مرزوق الخطيب (الجدّ) (ت781هـ) الذي ألّف "كتاب في التنجيم"، والعالم محمد بن أحمد بن أبي يحيى الحباك التلمساني" (ت867هـ) الذي ألّف كتاب " بغية الطلاب في علم الإسطرلاب" وكتاب " تحفة الأحباب في عدد السنين والحساب"[3].

- **الطب:**

هو علم يهتمّ ببدن الإنسان من حيث يمرض ويصحّ فيحاول صاحبه حفظ صحته وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يبيّن المرض الذي يخصّ كل عضو من أعضاء البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها[4] وما لكلّ مرض من الأدوية مستدلين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبول الدواء.

وكان للطب مكانة لا يستهان بها لدى السلاطين والعماء الذين قاموا بتدريسه في بعض المدارس والمساجد، ومن أشهر الأطباء نذكر أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة التلالسي (760هـ . 867هـ /

[1]. ابن خلدون، المقدمة، ص601.

[2]. المنوني، المرجع السابق، ص 356.

[3]. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 475.

[4]. حسن العاصي، تاريخ العلوم عند العرب، دار الموسم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1991 ص 51.

1359م . 1366م) ومحمد بن علي بن فشوش الذي أعتبر من كبار أطباء تلمسان وأمهرهم، وموشي بن صمويل بن يهودا الإسرائيلي وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد التلمساني الثغري.

وما يمكن استنتاجه أنّ العلوم بجميع أنواعها عرفت ازدهارا وتطوّرا لا مثيل له ببلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، أمّا بالنسبة للعلوم الدينية من قرآن وفقه وحديث فقد عرّفت اهتماما مبالغا فيه مقارنة بالعلوم الأخرى خاصّة العلوم العقلية.

ثانيا: أشهر علماء تلمسان

اشتهرت الحاضرة تلمسان خلال القرن (8هـ-9هـ/14م-15م) بعلمائها الأجلاء الذين نبغوا في مختلف العلوم سواء النقلية أو العقلية، فذاع صيتهم في جميع البلدان والأقطار، مما جعل الطلبة يتهافتون عليهم ويلتفون حولهم للأخذ عنهم والتأثر بأفكارهم، فامتهنوا التدريس بمدارس تلمسان ومساجدها، زمن أشهر هؤلاء العلماء نذكر:

- إبنا الإمام

وهما "أبو زيد عبد الرحمن" (ت743هـ/1342م) و"أبو موسى عيسى" (ت750هـ/ 1349م)، عرفا بابني الإمام، نشآ بمدينة برشك التي كان والدهما إماما بأحد مساجدها، واشتهرا باجتهادهما وحبهما للعلم.

ومن أجل تحصيل العلم والرسوخ فيه رحل ابني الإمام إلى تونس، ومنه إلى فاس ، ثم رجعا إلى بلاد المغرب الأوسط، وبعد ذلك شدا الرحال نحو بلاد المشرق وبعد فترة رجعا إلى تلمسان وأصبحا مدرسين بها، أما عن شيوخهما الذين أخذا عنهم مختلف العلوم، فأشهرهم "ابن زيتون" (ت691هـ/

1291م) قاضي وفقيه مدينة تونس، و"علاء الدين بن العطار" (ت724هـ/1324م)[1] والدكالي (ت763هـ/1361م)[2] وابن جماعة (ت767هـ/1366م)[3]، أما أشهر العلماء الذين عاصروا ابني الإمام، فنذكر "تقي الدين بن تيمية" (ت728هـ/1327م)[4] و"علاء الدين القونوي" (ت729هـ/1329م)[5]وجلال الدين القزويني (ت739هـ/1338م) الذي مدح إبني الإمام فقال "بمثلهما يفخر المغرب".[6]

أما تلاميذ ابني الإمام فاشتهر منهم "ابن عبد النور" (ت749هـ/1348م) [7] وأبو عبد الله الآبلي (ت 757هـ/1356م)وأبو عبد الله المقري (ت 759هـ/ 1357م) وأبو عبد الله محمد الشريف التلمساني (ت 771هـ/1370م).

وبعد إحياء الدولة الزيانية على يد أبي حمو موسى الأول (718هـ- 739هـ/1318م-1352م) الذي جعل من تلمسان مركز إشعاع حضاري للعلم وأهله[8]استقدم ابني الإمام وأكرمهما

---

[1]- هو علي بن إبراهيم بن داود بن سليمان، ويعرف بأبي الحسن، والمشهور بعلاء الدين بن العطار، من أهل دمشق باشر مشيخة المدرسة النورية مدة ثلاثين سنة له عدة تآليف منها: الوثائق المجموعة والاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد وآداب الخطيب وإحكام شرح عمدة الأحكام؛ أنظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، مطبعة حيدر أباد، 1945- 1950، ج3، ص5.

[2]- هو محمد بن علي بن عبد الواحد الدكالي كان واعظا ومفسرا، وفقيها، له عدة كتب "شرح العمدة" في ثماني مجلدات، و "تخريج أحاديث الرافعي" و "المذمة في استعمال أهل الذمة" توفي بالقاهرة، أنظر: ابن حجر العسقلاني: المصدر نفسه، ج4، ص 71 – السيوطي: بغية الوعاة، ص 78- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب،ج6، ص 198 – الزركلي: الاعلام: ج 4، ص 251.

[3]- هو عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم بن جماعة الكناني، ولد بدمشق ونشأ بمصر، قاضي القضاة، ولي قضاء مصر سنة (739هـ/1336م)، ثم رحل إلى الأماكن المقدسة، إلى أن توفي بمكة و من مؤلفاته: "هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك"، و"المناسك الصغرى"، و "تخريج أحاديث الرافعي" و "مختصر في السيرة النبوية"، أنظر: الزركلي، المرجع السابق: ج 4، ص 26

[4]- الزركلي: المرجع نفسه، ج1، ص 144.

[5]- هو علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي، أبو الحسن، علاء الدين الفقيه الشافعي ولد بقونية و نزل دمشق سنة (396هـ/1287م)ثم انتقل إلى القاهرة و هناك سلك الطريق الصوفي وأخذ علوم الأدب و الفقه، ثم تولى قضاء الشام سنة (727هـ/1324م) و توفي بها له مصنفات منها: "شرح الحاوي الصغير" و"التصرف في التصوف" و"الطعن في مقالة اللعن" و"الابتهاج في انتخاب المنهاج"، أنظر:السيوطي: بغية الوعاة، ص329.

[6]- المقري: نفح الطيب، ج 7، ص 216 – نبيلة حساني: المرجع السابق، ص 125

[7]- يحي بن خلدون: بغية الرواد،ج1، ص 122

[8]- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج 2، ص 319.

وأكرمهما و بنى لكل واحد منهما منزلا وشيد مدرسة لهما حملت اسمهما[1]، وبعد هذا رحل العالمان إلى المشرق سنة (720هـ/ 1320م) فأخذا العلم عن علمائه، ثم رجعا إلى تلمسان فسكناها وقاما بالتدريس في المدرسة المسماة باسمهما، وبعد استلاء أبو الحسن المريني على تلمسان ، قام بضمهما إلى مجلسه العلمي وأسند لهما خطة الفتوى و الشورى ، وكان لابني الإمام مكانة مرموقة بفضل نبوغهما في مختلف العلوم وهذا بشهادة الكثير من المؤرخين الذين أثنوا عليهما فقال فيهما لسان الدين بن الخطيب : "عالما تلمسان الشامخان".[2]

وقال فيهما الونشريسي: "هما الشيخان الراسخان الشامخان العالمان المفتيان: الفقيه العلامة آخر صدور أعلام المغرب بشهادة أهل الانصاف شرقا و غربا أبو زيد، و العلامة النضار آخر أهل النظر جامع شتات المعارف أبو موسى" [3].

وتوفي أبو زيد بن الإمام بتلمسان سنة (743هـ/1342م) ودفن بها[4] وبعد سنوات توفي أخاه موسى سنة (749هـ/1348م) و دفن هو الآخر بتلمسان[5] .

أبو عبد الله الآبلي (ت 757هـ/1356م):

هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن أحمد العبدري التلمساني، المعروف بالآبلي[6]، ولد سنة (681هـ-1282م) وهو من أصول أندلسية ، نشأ الآبلي في كنف جده القاضي محمد بن غلبون، الذي أخذ عنه العلم ، وكان متمكنا من العلوم العقلية منذ صغره، وأخذ كذلك عن الإمام أبي

---

[1]- يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج1،ص 130.

[2]- المقري: نفح الطيب، ج7، ص 215.

[3]- الوزير السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس 1970، ج1، ص 809-810.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون: التعريف، ص 48.

[5] لقد تم مؤخرا في إحدى الأعمال الترميمية لأحد المساجد بتلمسان على العثور على شاهدي قبر كل من عبد الرحمن وعيسى ابني الإمام.

[6]- ابن مرزوق: المسند، ص 266- يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 120 – عبد الرحمن بن خلدون: التعريف، ص 49-53 وكتاب العبر، ج7، ص465-543- الونشريسي: الوفيات، ص 122؛ التنبكتي: نيل الابتهاج، ص411.

الحسن التنسي، ثم سافر إلى المشرق أثناء الحصار المريني الطويل على تلمسان، فدخل مصر والشام والحجاز مؤديا فريضة الحج، و التقى بالكثير من العلماء كابن دقيق العيد وابن الرفعة والتبريزي وغيرهم.[1]

وبعد عودته إلى بلاد المغرب دخل تلمسان وأخذ عن العالمين إبني الإمام[2] مختلف العلوم النقلية و العقلية كما أخذ عنه الكثير من التلاميذ وأشهرهم "أبو عبد الله المقري (ت 759هـ/ 1357م) وأبو عبد الله محمد الشريف التلمساني (ت 771هـ/1370م) وأبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب (ت 780هـ/1378م) وأبوزيد عبد الرحمن (ت 806هـ/1402م) وسعيد بن محمد العقباني (ت 811هـ/1408م).

وكان للآبلي مكانة علمية كبيرة في عصره ، إذ وصفه عبد الرحمن بن خلدون قائلا: "و هو سيدنا ومولانا الإمام الكبير العالم العلامة فخر الدنيا، حجة الإسلام و المسلمين، غياث النفوس، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي، رضي الله عن مقامه، و أوزعني شكر إنعامه، شيخ الجلالة وإمامها، و مبدأ المعارف وختامها أفاض علينا سيب علومه و حلانا بمنثور دره ومنظومه..."[3].

وقال فيه تلميذه يحي بن خلدون يقول: "وشيخنا العالم الأعلى الشيخ أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الآبلي، المعلم الأصغر، من بيت نباهة في الجند...وكان طالبا للعلم، جماعة لكتبه فعكف عنده على النظر إلى أن فاق أهل زمانه في العلوم العقلية كلها حتى أني لا أعرف بالمغرب و إفريقية فقيها كبيرا إلا و له عليه مشيخة"[4]، وكانت وفاة الآبلي سنة (757هـ/ 1356م)، بفاس.

أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني (771 هـ / 1370 م)

[1]- ابن خلدون: التعريف، ص 50.

[2]- يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص 120

[3] - ابن مريم: البستان،ص 217.

[4]- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص51.

هو محمد بن أحمد بن علي الشريف الإدريسي ولد سنة(710 هـ / 1310 هـ) ، المكنى بأبي عبد الله واسم شهرته الشريف التلمساني ، ويعرف كذلك بالعلوي[1] اشتهر بهذا اللقب نسبة إلى قرية العلويين الواقعة في شمال مدينة تلمسان التي ولد بها ونشأ فيها [2] .

تربى أبو عبد الله الشريف في أسرة تنتمي إلى بيت الأشراف التي يعود نسبها إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما [3] كما عرفت هذه الأسرة بالعلم والشرف والنباهة [4] .

أخذ على مجموعة من علماء تلمسان منهم:الشيخ أبي يزيد يعقوب [5] ، الذي حفظ على يده الشريف التلمساني القرآن الكريم، والشيخ محمد بن هدية و عبد الله المجاصي[6] وعمران المشدالي الذي أخذ عنه الفقه[7] و أبو عبد الله محمد بن أحمد التميمي الفقيه وقاضي تلمسان وأبي عبد الله محمد بن يحي بن النجار [8]وإبني الإمام عبد الرحمن وأخيه عيسى فأخذ عنهما أصول الفقه وعلم الكلام وهذا ما أشار إليه ابن خلدون قائلا: " واختص بأولاد الإمام وتفقه عليهما في الفقه والأصول والكلام ثم لزم شيخنا أبا عبد الله الآبلي وتضلع في معارفه فاستبحر وتفجرت ينابيع العلوم من مداركه". [9]

ثم رحل الشريف في طلبا للعلم إلى تونس سنة (740 هـ / 1339م) لطلب العلم فأخذ عن محمد بن عبد السلام الهواري الذي كان إماما وفقيها ، ثم رحل بعد هذا صوب فاس فأخذ عن

---

[1]- الونشريسي : المعيار ، ج 2 ، ص 224 ، - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 69 .

[2]- ابن مريم ، المصدر السابق ، ص 164 - نصر الدين بن داود : المرجع السابق ، ص 119 .

[3]- يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج1 ، ص 180 – التنبكتي : المصدر السابق ، ص450 – وكفاية المحتاج ، ص163 .

[4]- بن داود نصرالدين : المرجع السابق ، ص 118 .

[5]- يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج1، ص 19 .

[6]- المعروف بصالح العلماء وعالم الصلحاء اشتهر بمواعظه ودروسه القيمه ، حج وأقام بمكة المكرمة وفيها عرف بالبكاء لكثرة بكائه من خشية الله ثم أقام بالمدينة المنورة مدة وعاد الى تلمسان التي توفي بها سنة (741 هـ / 1340 م)، أخذ عنه الشريف التلمساني علم الحديث وعلم التصوف، أنظر: ابن مريم : المصدر السابق ، ص 121

[7]- يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ج1 ، ص 121 .

[8]- نفسه ، ج1 ، ص 119 .

[9]- ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 70 .

علمائها أشهرهم محمد بن سليمان السطي[1] .ثم عاد إلى تلمسان لمزاولة مهنة التدريس فالتف حوله حوله الطلبة من جميع الأقطار، وكان لأبي عبد الله الشريف ولدين وهما عبد الله الشريف المتوفي سنة (792هـ/1390م) وعبد الرحمن الشريف (ت 826 هـ/ 1422م) اللذان سارا على نهج والدهما في العناية بالعلم فدرسوا وألفوا، كما كان لهذا العالم الجليل مكانة علمية في عصره، شهد عليها شيوخه وتلامذته وكان ذلك بفضل اجتهاده فقال عنه الآبلي:"قرأ علي كثيرا شرقا وغربا فما رأيت أنجب من رابعة أعقلهم وأكثرهم تحصيلا أبو عبد الله الشريف"[2]، وكان إذا أشكلته مسألة من المسائل وظهرت دقتها يقول "انتظروا الشريف"[3] كما قال فيه شيخه أبو علي بن هدية:"كل فقيه قرأ قرأ في زماننا هذا أخد ما قدر له من العلم ووفق إلا عبد الله الشريف فإن اجتهاده يزيد والله أعلم حيث ينتهي أمره"[4]، وقال شيخه ابن عبد السلام في شأنه: "ما أظن أن في المغرب مثله"[5].

أما ابن خلدون فقال فيه: " ومنهم صاحبنا الإمام العالم الفذّ، فارس المعقول والمنقول، صاحب الفروع والأصول ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني ...."[6]، كما قال في شأنه العالم الكبير ابن عرفة :"غايتك في العلم لا تدرك"، ولما سمع بموته قال:"لقد ماتت بموته العلوم العقلية"[7]

أبو زكريا يحيى بن خلدون (ت 780هـ) :

هو يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون[8] ، ولد بتونس عام (**734**هـ/**1333**م)يكنى بأبي زكريا، وينتسب إلى عائلة أندلسية[9] اشتهرت بعلمائها وعدّت من أبرز بيوتات العلم بإشبيلية[1]، ومن أشهر علمائها "محمد

[1]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 70

[2]- التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 430 ؛ ابن مريم: المصدر السابق، ص 164.

[3]- المصدر نفسه ، ص 430 .

[4]- المصدر نفسه ، ص 340.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 430 .

[6]- المصدر نفسه ، ص 69 .

[7]- التنبكتي : المصدر السابق ، ص 432 .

[8]- عبد الرحمن بن خلدون: التعريف، ص33.

[9] - عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص28.

"محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون و هو الجد الثاني ليحيى بن خلدون، كان وزيرا وقائدا و"محمد بن محمد بن الحسن بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون" وهو الجد الأقرب لعبد الرحمن و يحيى بن خلدون.

ومحمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون، و"عبد الرحمن بن خلدون (ت **808**هـ /**1408**م) و هو صاحب كتاب المقدمة والعبر وأخ يحي بن خلدون.

فكانت نشأة يحيى نشأة علمية، حيث اهتم أجداده بالعلوم الدينية والأدب و الشعر[2]، وأخذ هذا العالم مثل غيره من مجموعة من العلماء في مختلف العلوم مثل "أبو عبد الله محمد بن سعيد بن بُرَّال[3] ، الذي أخذ عنه القرآن الكريم و علم القراءات، وأخذ عن أساتذة تونس كأبي عبد الله بن العربي الحصايري وأبي عبد الله محمد بن بحر[4].

وأخذ العلوم العقلية على يد "أبي عبد الله السلطي (ت **750**هـ)[5]، و أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور (ت **749**هـ) [6] كما أخذ على أبي القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي (ت**784**هـ) وأبي عبد الله محمد بن أحمد العبدري التلمساني الآبلي أخذ عنه العلوم العقلية والطبيعية والتاريخ.

ومات يحيى بن خلدون غدرا بعد اغتياله سنة **780** هـ في إحدى ليالي رمضان بسبب خلفيات سياسية[7] ، وبمقتله خسرت الحاضرة تلمسان عالما جليلا.

---

[1] – عبد الرحمن بن خلدون: التعريف ، ص29.

[2] – يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 10 .

[3] – أصله أندلسي من ناحية بلنسية كان متضلعا في علم القراءات عنه انظر: عبد الرحمن بن خلدون: التعريف، ص 36 .

[4] – ابن خلدون: المصدر السابق،ج 1، ص 12 .

[5] – ابن خلدون: المصدر نفسه، ص 39 .

[6] – ابن خلدون: المصدر نفسه، ص 40.

[7] – يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج 1، ص 47 – 48 .

أبو عبد الله بن مرزوق الخطيب (ت780هـ/1378م):

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي[1]التلمساني، المعروف بالخطيب، والجد ، والرئيس، ولد في أوائل ذي القعدة سنة (711هـ/ فبراير 1312م)[2]بتلمسان ينتمي ابن مرزوق إلى عائلة عريقة أصلها من مدينة القيروان اشتهرت بالعلم والجاه، فهو عالم الأعلام فخر المغرب على المشرق فهو ناذرة الزمان وآية في شتى أصناف العلوم بإتقان[3]،، ومن أشهر أعلام هذه العائلة التي لعبت دوراً بارزاً في الحياة والعلمية "مرزوق العجيسي التلمساني" و"أبو عبد الله الأكبر محمد"، و"أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق (جد الخطيب) "[4].

أما بالنسبة لشيوخه الذين أخذ عنهم ابن مرزوق فقد ألف فهرسة في ذلك تسمى "**عجالة المستوفز المستجاز، في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز**"[5]ومن أشهرهم:

" أبي زيد عبد الرحمن بن يعقوب بن علي الصنهاجي[6] و أبي عمر ميمون بن سعيد السرغيني ، وأبي عبد الله محمد بن علي بن قطرال الأنصاري و هو من أهل مراكش كان عالماً فاضلاً محدثاً زاهداً جاور مكة و بها توفي سنة (710هـ/1310م)[7] ، و أبي عبد الله بن حريث العبدري[8]، وأبي عبد عبد الله القصري[9] ، وأبي عبد الله المسفر فقيه وعالم وقاضي بجاية المتوفي سنة 743هـ[10]، أما عن التلاميذ الذين أخذوا عن ابن مرزوق الخطيب نذكر:

---

[1] – نسبة لعجسية وهي بطن من بطون البرانس من ولد عجيسة بن برنس، كانت مضاربها جنوب بجاية، انظر ابن مرزوق: المناقب ص145

[2] – ابن مرزوق: المصدر السابق ، ص298.

[3] – ابن مريم، البستان، ص184.

[4] – ابن مرزوق : المناقب، ص 149.

[5] – ابن مرزوق: المسند، ص33-44 .

[6] – المقري:نفح الطيب، ج5، ص242.

[7] – ابن القاضي:درة الحجال، ص190؛ المقري: أزهار الرياض، ج5، ص59.

[8] – الغبريني: عنوان الدراية،ص 186.

[9] – ابن قنفد: الوفيات، ص77.

[10] – الغبريني: المصدر السابق، ص187.

– لسان الدين بن الخطيب (776هـ/1374م)[1] ، وابن قنفذ القسنطيني، وأبو القاسم البرزلي[2]، وعبد الله بن محمد الشريف التلمساني ، ومحمد ابن أحمد بن علوان المصري التونسي، وابراهيم بن محمد بن علي التازي[3]، والحافظ أبو عبد الله بن محمد بن علاق الغرناطي[4].

سعيد بن محمد العقباني (ت 811هـ/1408م)

هو سعيد بن محمد العقباني التلمساني، ولد بتلمسان لكن تاريخ مولده اختلف فيه المؤرخون، اشتهر بنبله ونباهتة وتفننه في العلوم[5]، يكنى بأبي عمرو والمشهور بالعقباني.[6]

أنجب بيت آل عقبان العديد من العلماء وهم ابنه قاسم بن سعيد العقباني المتوفي سنة (ت 854هـ-1450م)و"أحمد بن قاسم العقباني المتوفى سنة (840هـ/1436م)[7]، ابراهيم بن قاسم العقباني (ت880هـ/1475م)[8].

أما شيوخ الإمام سعيد العقباني فنذكر "محمد بن إبراهيم الآبلي (ت757هـ) ، و"محمد بن علي بن سليمان السطي (ت749هـ)[9]،أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن الإمام (ت743هـ)، وأخوه موسى عيسى بن الإمام (ت749هـ)، أبو عبد الله محمد بن عبد السلام التونسي[10].

---

[1]– عن هذا العالم الكبير انظر: محمد عبد الله عنان: لسان الدين بن الخطيب حياته و تراثه الفكري، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1 مطبعة الاستقلال الكبرى، 1968 ،ص27-181

[2]– مخلوف:شجرة النور، ج1، ص67

[3]– ابن مرزوق المسند، ص45-47

[4]– ابن مريم: المصدر السابق، ص164 ؛ الونشريسي: المعيار، ج5 ،ص 217-219

[5]– يحي بن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص123-155.

[6]– التنبكتي: المصدر السابق، ص189– مخلوف: المصدر السابق، ص250– ابن مريم: المصدر السابق، ص106.

[7] – التنبكتي: المصدر السابق، ص78 – عادل نويهض، المرجع السابق، ص32-33

[8] – عادل نويهض، المرجع السابق، ص12-13

[9] – الونشريسي: الوفيات، ص117 – ابن خلدون: التعريف، ص48

[10]– ابن خلدون المصدر السابق، ص39 – التنبكتي: المصدر السابق، ص49.

أما عن التلاميذ الذين أخذوا عن الإمام العقباني نذكر:ابنه قاسم (768هـ/854هـ)، إبراهيم بن محمد المصمودي (ت804هـ/1401م)، ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ)،أبو الفضل محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام[1]

توفي الإمام سعيد العقباني يوم الثلاثاء عند صلاة العصر ثاني والعشرين من ذي الحجة سنة (811هـ/1408م) [2]

ابن مرزوق الحفيد (ت842هـ):

هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن مرزوق الحفيد العجيسي التلمساني المكنى بأبي عبد الله، ولد عام (766 هـ/ 1364 م)[3]

ينتمي ابن مرزوق إلى عائلة كبيرة، أصلها من مدينة القيروان التي هاجرتها إلى مدينة تلمسان في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[4] ،تربى ابن مرزوق الحفيد في أسرةاشتهرت بالعلم، والدين، والصلاح، ومن بين علماء هذه الأسرة جده محمد بن أحمد بن مرزوق، المعروف بالخطيب ابن مرزوق أو الجد، وأحمد بن محمد بن مرزوق التلمساني المكنى بأبي العباس، وهو والد الحفيد وهو من العلماء الذين أخذ عنهم ابن مرزوق الحفيد وابنه محمدالمعروف بالكفيف أبي عبد الله (توفي سنة 901 هـ)[5]، الذي اشتهر ببراعتهعلم الحديث، أما بالنسبة للشيوخ الذين أخذ عنهم ابن ابن مرزوق الحفيد إضافة إلى والده وجده وعمه، نذكر إبراهيم المصمودي التلمساني أبو إسحاق(ت805هـ) واحمد بن علي القسنطيني وسعيد بن محمد العقباني والفقيه أبو القاسم بن أحمد بن محمد البرزلي البلوي القيرواني (ت844هـ)[6]، وعبد الرحمن بن محمد بن محمد الاشبيلي (ت808 هـ)[7]

---

[1] – ابن مريم: المصدر السابق، ص320.

[2] – ابن مريم، المصدر نفسه، ص107؛ التنبكتي، المصدر نفسه، ص431.

[3] – التنبكتي: المصدر نفسه، ص 499.

[4] – ابن مرزوق الجد: المناقب المرزوقية، ص28.

[5] –عنه أنظر: التنبكتي: نيل الابتهاج: ص 54-56 .

[6] – ابن مريم : المصدر السابق، ص 150.

[7] – التنبكتي: المصدر السابق، ص 297– ابن مريم: البستان، ص 208.

وصاحب العبر وأحمد بن علي بن محمد شهاب الشهير بابن حجر الكناني العسقلاني الشافعي، صاحب التآليف المشهورة أخذ عنه ابن مرزوق بالقاهرة بعض شرح صحيح البخاري وروى عنه، توفي سنة 852هـ [1] أخذ عنه ابن مرزوق الحفيد بالقاهرة.

أما التلاميذ الذين أخدوا عن ابن مرزوق الحفيد نذكر: إبراهيم بن محمد التازي أبو إسحاق المتوفى سنة866هـ [2]،والحسن بن مخلوف أبركان (ت876هـ)[3]، عبد الرحمن الثعالبي أبو زيد (ت 876هـ) [4]، ويحي بن موسى بن عيسى المازوني(ت883هـ)[5]، وعلي بن محمد بن علي القرشي البسطي المعروف بالقلصادي (ت891هـ)[6]، ومحمد بن أحمد بن علي بن حجر البدر أبو المعالي ابن الحافظ العسقلاني (ت 869 هـ)[7].

اشتهر ابن مرزوق الحفيد بمكانة مرموقة بين علماء عصره فقال المازوني عنه في الدرر المكنونة:"شيخنا الإمام الحافظ بقية النظار و المجتهدين ذو التآليف العجيبة و الفوائد الغريبة مستوفي المطالب والحقوق"[8]، ومدحه عبد الرحمن الثعالبي قائلا:"...هو سيدي الشيخ الإمام الحبر الهمام حجة أهل الفضل في وقتنا وخاتمتهم ورحلة النقاد وخلاصتهم ورئيس المحققين وقادتهم الإمام الجليل الأوحد الأصيل، جميل الفضلاء سليل الأولياء تاج المحدثين وقدوة المحققين..."[9]، كما ذكر في شأنه شأنه أيضا:"وأجمع الناس على فضله من المغرب إلى الديار المصرية واشتهر فضله في البلاد فكان بذكره تطرز المجالس جعل الله حبه في قلوب العامة والخاصة..."[10].

---

[1] السخاوي: المصدر السابق، ج7، ص 50.

[2] ابن مريم : البستان، ص 58-63.

[3] – التنبكتي: المصدر نفسه، ص 297.

[4] – المقري: المصدر السابق، ج6، ص 348.

[5] – المقري: المصدر نفسه، ج6 ، الصفحة نفسها.

[6] – ابن مريم: البستان، ص 191-193- الزركلي: الإعلام، ج5، ص 10.

[7] السخاوي: المصدر نفسه، ج 7، ص20-50.

[8] – التنبكتي: المصدر السابق، ص 504.

[9] – التنبكتي: نيل الابتهاج، ص 503-504.

[10] – التنبكتي: المصدر السابق، ص 503

وقال عنه تلميذه أبو الفرج بن أبي الشريف التلمساني:"شيخنا الإمام العالم العلم جامع شتات العلوم الشرعية والعقلية حفظا وفهما وتحقيقا راسخ القدم رافع الإمامة بين الأمم ناصر الدين بلسانه وبيانه وبالعلم محمي السّنة بفعاله و مقاله ...ملازم الكتاب والسّنة، على نهج الأئمة المحفوظين من البدع حجة الله على العلم والعالم جامع بين الشريعة والحقيقة على اصح طريقة" [1].

أما أبو الحسن القلصادي فقال:"...وأولاهم في الذكر والتقديم الشيخ الفقيه الإمام العلامة الكبير الشهير و بركتنا سيدي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق رضي الله عنه حل كنف العلم والعلاء وجل قدره في الحلة الفضلاء ...كان رضي الله عنه من رجال الدنيا والآخرة وكانت أوقاته كلها معمورة بالطاعات ليلا ونهارا من صلاة وقرآءة قران وتدريس علم وفتيا وتصنيف...وكانت له بالعلم عناية تكشف بها العماية ودراية تعضدها الرواية ونباهة تكسب النزاهة..."[2].

وكانت وفاة ابن مرزوق الحفيد سنة 842 هـ[3]، بتلمسان عن عمر تجاوز الستة والسبعين سنة[4].

سنة[4].

أحمد بن زاغو(ت849هـ)

هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، المشهور بابن زاغو المغراوي [5] التلمساني، ولد عام (782 هـ) هـ) بتلمسان[6]، نشأ بها وتعلم في مدارسها ، وأخذ عن علمائها أمثال أبو عثمان سعيد العقباني (ت (ت 811 هـ / 1408 م) وابن يحي الشريف التلمساني [7].

[1] – نفسه، ص 502.

[2] – التنبكتي: نيل الابتهاج،، ص 97.

[3] – القلصادي : الرحلة ، ص 97.

[4] – المقري: نفح الطيب، ج6، ص353 .

[5] – المغراوي نسبة لمغراوة وهي احدى بطون زناتة القاطنة بنواحي تلمسان ، انظر : ابن خلدون : العبر ، ج6 ، ص 87 .

[6] – التنبكتي : المصدر السابق ص 120 .

[7] – التنبكتي: المصدر نفسه ، 119 .

وبالنسبة لتلامذته الذين أخذوا عنه أشهرهم أبو زكريا يحي المازوني (ت 883 هـ / 1475 م) والحافظ التنسي (ت 899 هـ / 1494 م) وأحمد بن زكري (ت 899 هـ / 1494 م)،وأبو الحسن القلصادي (ت 891 هـ / 1487 م)[1]، وبعد عمر مليء بالعلم والاجتهاد توفي أحمد بن زاغو سنة (845هـ)[2].

أحمد بن محمد بن زكري المانوي(ت899هـ/1493م)

هو أحمد بن محمد بن زكري المانوي التلمساني أحد أعلام مدينة تلمسان ومفتييها، يعد من أكبر فقهاء المالكية بها[3]، لم تتطرق كتب التراجم التي ترجمت له ما عدا تاريخ ولادته، نشأ ابن زكري بتلمسان وكان في بداية أمره يشتغل بالحياكة نظرا ليتمه وفقره، لأن والده توفي وتركه صغيرا فكفلته أمه، ومن أشهر شيوخه الذين أخد عنهم العالم الفقيه أحمد بن زاغو (ت845هـ/1441م)، والإمام ابن مرزوق الحفيذ (ت842هـ/1438م)، الفقيه قاسم العقباني (ت854هـ/1450م).

أما ممن أخد عنه العلم من تلامذته فهم كثيرون ومن أشهرهم العالم الصوفي أحمد زروق (ت899هـ/ 1439م)، وبعد حياة حافلة بخدمة العلوم، توفي ابن زكري في أوائل صفر عام (899هـ/ 1493م) بتلمسان[4].

الحافظ محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي (ت899هـ/ 1494م)[5]

[1] – السخاوي : المصدر السابق ، ج5 ، ص 330 .

[2] – ابن القاضي، لقط الفرائد ،ص250.

[3] – التنبكتي ، المصدر السابق، ص120.

[4] – الونشريسي، الوفيات، ص153.

[5] – ابن مريم، المصدر السابق، ص248.

هو محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي الأموي[1] المعروف بالحافظ والأديب والشاعر[2]، أخذ التنسي عن مجموعة من العلماء البارزين الذين قادوا الحركة العلمية بالمغرب الأوسط خلال القرن (9هـ/15م)، ومن أبرز هؤلاء العلماء الذين أخذ عنهم التنسي نذكر محمد بن مرزوق الحفيد (ت842هـ/1498م)[3]، أحمد بن زاغو التلمساني (ت845هـ/1441م)[4]، ومحمد بن ابراهيم بن الإمام (ت846هـ/1442م)[5].

أما بالنسبة لتلامذته فقد أخذ عن التنسي الكثير من طلبة ذلك العصر نظرا لما امتاز به من التضلع في العلوم والأدب خاصة علم الحديث والتاريخ، ومن أشهر تلامذته نذكر أحمد البرنسي الشهير برزوق (ت889هـ/1484م)[6] وأحمد بن داود الأندلسي ومحمد بن صعد (ت901هـ/1496م)[7].

وبعد حياة حافلة بالعلم توفي محمد التنسي في جمادى الأولى سنة (899هـ/1494م)[8].

أحمد بن يحيى الونشريسي ت 914هـ/1508م.

هو أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي[9]، ولد سنة(834هـ/1430م) بتلمسان، ونشأ بها، العالم العلامة حامل لواء المذهب المالكي على رأس المائة التاسعة[10] وأخذ عن

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ج6، ص178.

[2]- التنبكتي، المصدر نفسه، ص572.

[3]- ابن مريم، المصدر السابق، ص 204-206.

[4]- القلصادي، الرحلة، ص102.

[5]- القلصادي، المصدر نفسه، ص108.

[6]- ابن مريم، المصدر نفسه، ص45-50.

[7]- ابن مريم، المصدر نفسه، ص 251-252.

[8]- الونشريسي، المصدر السابق، ص153.

[9]- نسبة لجبال الونشريس و معنى هذا اللفظ " ما ليس أعلى منه " ، و هذه الجبال في سلسلة الأطلس التلي ،كانت موطنا لبني توجين الزناتيين الذين الذين حاربوا سلاطين الدولة الزيانية ، انظر : حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج2 ، ص 45 .

[10]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ص135.

علماء تلمسان مختلف العلوم[1]وأشهرهم: أبو الفضل قاسم بن سعيد بن محمد العقباني[2](ت 854هـ/1450م) والقاضي محمد بن أحمد بن قاسم سعيد العقباني (ت 871هـ/1467م)،وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى المعروف بالجلاب التلمساني (ت875هـ/1470م)،والعالم والخطيب ابن مرزوق الكفيف (ت 901هـ/1495م)[3] ومحمد بن قاسم الأنصاري التلمساني المعروف بالمري [4](ت 864هـ/1463م).

أما بالنسبة للطلبة الذين أخدوا عنه الفقه المالكي نظرا لتضلعه فيه نذكر ابنه عبد الواحد الذي ولد سنة (874هـ/1469م)[5]، وأبو عياد بن فليح اللمطي[6](ت 988هـ) والفقيه القاضي محمد بن محمد الغرديس التغلبي.

وبعد عمر مليء بالعلم والتأليف توفي أحمد بن يحي الونشريسي عام (914هـ/ 1508م) بمدينة فاس[7].

هؤلاء هم أشهر علماء تلمسان الذين ساهموا بشكل كبير في ازدهار وتطوير الحركة العلمية والفكرية ونشر التعليم خلال العهد الزياني، إلا أن بعضهم فضل الهجرة إلى إقليم توات وبلاد السودان الغربي بهدف تصحيح العقيدة الإسلامية والإصلاح ونشر الثقافة والعلم، أمثال محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي سنتطرق لاحقا إلى حياته وإسهاماته الفكرية بهذه الأقطار.

[1]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص45-46.

[2]- الونشريسي : الوفيات ، ص 144.

[3]- الونشريسي: الوفيات ، ص 154.

[4]- التنبكتي : نيل الإبتهاج ، ص 537 .

[5]- عبد الرحمن الجيلالي، الشهيد عبد الواحد الونشريسي، مجلة الأصالة، العدد 84/83، السنة التاسعة، جويلية – أوت، 1980، ص39-45.

[6]- التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 608.

[7]- التنبكتي : نيل الابتهاج ، ص 136.

الباب الثاني

دراسة عامة لإقليم توات و بلاد السودان الغربي

الفصل الأول

إقليم توات

أولا : أصل تسمية توات .

ثانيا : الموقع الجغرافي .

ثالثا : الموقع الفلكي .

رابع : أشهر مناطق و قصور توات .

خامسا : الخصائص الطبيعية .

سادسا : ذكر توات في كتب المؤرخين .

سابعا : انتشار الإسلام و اللغة العربية .

ثامنا : الحياة الاجتماعية .

تاسعا : الحياة السياسية .

عاشرا : الحياة الاقتصادية .

1- الزراعة .

2- الصناعة .

3- التجارة .

أولا: أصل تسمية توات:

اختلف المؤرخون في تسمية توات ووجدت روايات تاريخية تتعلق بتحديد ماهية التسمية وأولها ما ذكره عبد الرحمان السعدي في كتابه "تاريخ السودان"[1] أن سلطان مالي[2]كنكان موسى[3]كان ذاهبا إلى الحج برفقة أصحابه، فلما وصلوا إلى هاته الديار أصيب بعض رفاقه بمرض عرف عندهم باسم توات ، فانتظرهم السلطان و رفاقه لعلهم يشفون من مرضهم ، لكن المرض أبطأهم ولم يستطع السلطان انتظارهم أكثر من اللازم، فتركهم في هذه المنطقة وسار بمن معه فوجد هؤلاء المرضى بهذه الأرض البساتين والواحات ممّا جعلهم يمكثون بها ويستقرون ، وسمّوها توات نسبة إلى المرض الذي أصابهم بها.

أمّا الرواية الثانية فهي رواية أبي عبد الله محمد الأنصاري في مؤلفه فهرست الرّصاع الذي ينسب اسم توات إلى قبيلة بربرية تنحدر من احدى بطون القبائل الأمازيغية و هي قبيلة الملثمين حيث قال: "... والملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب عرفوا بهذا الاسم لأنهم يتلثمون بلثام أزرق و منهم طوائف الطوارق و لمتونة و توات ..." . [4]

وهناك رواية أخرى لمحمد بن عبد الكريم بن عبد الحق بن البكري الذي يرى في كتابه ذرة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام [5]، أن تسمية توات بهذا الاسم يعود إلى عهد الدولة الموحدية، فسلاطين هذه الدولة عرفوا هذه الأرض بأنها منطقة مليئة بالخيرات.

فدأبوا على أخذ ما فيها من أتوات ، ومن يومها غلب عليها الوصف فصار أهلها يعرفون بأهل الأتوات فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مكانه .

---

[1]- عبد الرحمن السعدي ، تاريخ السودان ، طبعة هوداس ، باريس ، 1964م ، ص 07 .

[2]- تقع مالي غرب إفريقيا ، و معظم سكانها يعيشون قرب شاطئ نهر النيجر .

[3]- أحد ملوك مالي المشهورين ، قام برحلة الحج عام 1325م ، و منها أحضر مسلما اسبانيا من أجل العمران في تلك المناطق ، انظر : عبد الحميد بكري ، النبذة في تاريخ توات و أعلامها ، الجزائر ، 2010 ، ص 7 .

[4]- محمد الأنصاري ، الرصاع ، فهرست الرصاع ، تونس ، 1967م ، ص 127 .

[5]- مخطوط في الخزانة البكرية .

و هناك رواية أخرى لأحمد الإدريسي الطاهري [1] الذي رأى بأن توات سميت بهذا الاسم لأنّ أرضها صالحة و مواتية للعبادة .

وهناك رأي آخر يشير إلى أن الكلمة من أصل فعل واتى أي يلائم ، و يوجد رواية لعقبة بن نافع[2] حينما وصل إلى درعة وسجلماسة ليصل إلى توات سنة (62هـ /632م) ، فسأل جنده هل تواتي أو تلائم هذه المنطقة لنفي المجرمين و العصاة من أهل المغرب و إجلائهم فأجابوه بنعم تواتي وتلائم فسرى اسم توات على ألسنتهم مع ضرب من التخفيف [3].

ومن خلال هذه الروايات نجد أن التفسير الأقرب للحقيقة هو ما ذكره الرصاع ، فالكلمة ذات أصل بربري لأنّ القبائل البربرية هي أول من سكن الإقليم و وجدتها مناسبة للاستقرار ولا تزال أسماء القصور تحمل أسماء بربرية

ثانيا: الموقع الجغرافي لإقليم توات:

يختلف المؤرخون في تحديد الموقع الجغرافي لإقليم توات، إذ يضمّ هذا الإقليم ثلاث مناطق ومن بينها منطقة تدعى بتوات ثمّ عمّم اسم توات على جميع مناطق الإقليم الذي ضمّ مناطق صحراوية تابعة لبلاد المغرب الأوسط ، فيتفرّع ليشمل منطقة توات التي تسمّى بأدرار[4] حاليا ومنطقة قورارة، ومنطقة تيديكلت[5]، وهناك من يجعل إقليم توات يمتدّ من إيكلي[6] جنوب فجيج[1] شمالا إلى

---

[1]- الشيخ مولاي أحمد الإدريسي ، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ، مخطوطة بخزانة الشاري الطيب كوسام ، ص 3

[2]- عقبة بن نافع بن القيس بن عامر بن أمية بن الحارث بن عامر بن فهر القرشي الفهري من قبيلة قريش ، ولد عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قبل وفاة النبي بسنة واحدة ، و دخل عقبة بلاد المغرب مع عمرو بن العاص ، وعهد إليه معاوية بن أبي سفيان بولاية إفريقية سنة (50هـ/670م) و قام بتأسيس مدينة القيروان ، انظر نبيلة حسن محمد ، في تاريخ الحضارة الإسلامية و الثقافة العربية في إفريقيا ، القاهرة ،1963م ، ص 255 .

[3]- أحمد الجعفري ، المخطوطات التواتية (ولاية أدرار) و أعلامها في الخزائن و المكتبات الإفريقية ، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، ع1 ، ديسمبر 2006 ، ص 186 .

[4]- أدرار كلمة بربرية تعني الجبل و تشمل أربعة و عشرون قصرا و أهمّها : تنلان ، أدغاغ ، ملوتة... ، انظر محمد باي يلعالم ، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام و الآثار و المخطوطات و العادات و ما يربط توات من الجهات ج1 ، الجزائر ، دار هومة ، 2000 ، ص 11 – عبد الله البكري ، المغرب في ذكر افريقية و المغرب ، جزء من المسالك و الممالك ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ، (د-ت) ، ص ص 126 – 127 .

[5]- فرج محمود فرج ، إقليم توات خلال القرن الثامن و التاسع عشر الميلادي ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1977م ص 1

[6]- إيكلي : تقع واحة إيكلي على بعد 153كم جنوب بشار و بها يلتقي واد الزوزخانة بوادي كير ليكوّنا وادي الساورة و هي بداية لمجراه ، و تمتد واحة نخيلها على مسافة خمس كيلومترات ، مياهها عذبة ، انظر أحمد الحمدي ، محمد بن عبد الكريم المغيلي ، رائد الحركة الفكرية بتوات عصره و آثاره (870هـ / 1465م – 909هـ / 1503م) ، رسالة ماجستير ، جامعة وهران ، 1999 – 2000 ، ص 06 .

معدني الملح في تادوني و تغازا جنوبا ، أمّا بالنسبة للعرض فيجعله من تافيلالت وتندوف غربا إلى منطقة الجريد شرقا، وهذا التحديد يوضح أن منطقة توات تشتمل على قسم كبير من الصحراء الكبرى كما ذكر محمد المنوني توات قائلا : "أنّ بلاد توات من حساب رعية سيدنا أيّده الله تحد برعية تونس"[2]، اقتصر على ذكر عرض منطقة توات ، وجعل حدودها متصلة بتونس، أمّا التقييد المخزني[3] فجعل امتداد توات من منطقة تبلكوزة[4] إلى فقارة الزوا بمعنى ضم توات لمنطقة تيديكلت وتيكورارين .

أمّا بالنسبة لأبي سالم العياشي في مؤلّفه ماء الموائد ، فيحدّد توات بدقّة من النّاحية الشمالية من قصور تسابيت أوّلها عريان الرّاس ، فهو بذلك يفصل بين تيكورارين و توات ، وجعل حدود توات شمالا هي منطقة تسابيت و منها تبدأ منطقة تيكورارين[5] .

و فصل الرحالة محمد بن أحدم القيسي السراج [6] في كتابه أنس السّاري و السّارب بين منطقة توات و تيديكلت وجعل رقان آخر حدود توات من النّاحية الجنوبية .

وحسب تحديدة فإنّ توات تمتدّ من قصر عريان الرّاس[7] بتسابيت شمالا إلى زاوية الرّكاني[8] جنوبا، و يضمّ القصور والواحات التي تتشكّل على شكل هلال والتي تعتبر رقاب السّفر إلى بلاد السودان

---

[1]– فجيج أو فكيك عبارة عن ثلاثة قصور في وسط الصحراء يحيط بها عدد كبير من النخيل وهي على بعد نحو مائتين و خمسين ميلا من سجلماسة، انظر : الحسن الوزّان ، وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ، ج1 ، ط2 ، الشركة المغربية للناشرين ، الرباط ، و دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1983، ص ص 132- 133 .

[2]– محمد المنوني ، مظاهر يقظة المغرب الحديث ج1 ، ط2 ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت و شركة النشر و التوزيع ، الدّار البيضاء ، 1985 ،ص 52.

[3]– انتقل مصطلح المخزن من الأندلس إلى المغرب في أواسط القرن (8هـ / 14م) ، في عهد الدولة المرينية و يعني الحكومة ، انظر عبد القادر زمامة ، كلمات من المغرب الأقصى ، مجلّة المجمع العربي بدمشق ج2 ، المجلّد الأربعون ، أفريل 1956 ، 52 .

[4]– سكن هذه المنطقة قبيلة المحارزة العربية .

[5]– أبو سالم العياشي ، ماء الموائد ج1 ، دار المغرب ، الرباط ، 1977 ، ص 20 .

[6]– محمد بن أحمد القيسي السراج ، أنس الساري و السارب من أقطار المغارب إلى منتهى الأمال و المآرب سيد الأعاجم و الأعارب ، تج : محمد الفاسي ، مطبعة محمد الخامس ، 1970 ، ص 28 .

[7]– هو الشيخ محمد بن صالح ابن الوليّ الصّالح أبي الرّاوين دفين مكناس بالمغرب ، انظر : أبو سالم العياشي ، المصدر نفسه ، ص 20 .

[8]– تقع هذه الزّاوية غرب تاوريرت ، و بها واحة للنخيل ، انظر عبد العزيز بن عبد الله ، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية و الحضارية معلمة الصحراء،مطبوعات وزارة الأوقاف الإسلامية ، الرباط ، 1976 ، ص 112.

الغربي[1] حسب تعبير ابن خلدون إلا أن الحدود الجغرافية لإقليم توات تمتد من العرق الغربي الكبير ومنطقة تيكورارين[2] وواد السّاورة و عرق الرّاوي شمالا، أمّا غربا وادي مسعود الذي تندثر مياهه في رمال عرق الشّاش الذي يحدّ المنطقة من ناحيتها الجنوبية الغربية ، أمّا شرقا فيحدّ توات هضبة تادميت ومنطقة تيديكلت[3] وجنوب شرقها سبخة مكرغانو تنزروفت[4].

ثالثا: الموقع الفلكي لإقليم توات:

يقع إقليم توات بين خطي طول 01 درجة شرقا و 04 غربا ، وبين دائرتي العرض 26 درجة و30 درجة شمالا ، وهذا يعني اشتمالا على خط الطول الرئيسي "غرينتش" وامتداده شمال العروض المدارية الحارة[5].

رابعا: أشهر مناطق وقصور إقليم توات:

يتوزع إقليم توات على ثلاثة مناطق من الشمال إلى الجنوب متخذة شكل هلال على النحو التالي:

1- تيكورارين:

تدعى أيضا "تينجورارين أو قورارة"[6]، و تقع على مسافة عشر مراحل من تلمسان ، وصفها ابن خلدون قائلا " منطقة غاصّة بالسكان ، مستبحرة في العمران قصورها كثيرة تقارب المائة وتسمى تيكورارين"[7].

---

[1]- عبد الرحمان بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ج6 ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1992 ،ص 72.

[2]- -كلمة أمازيغية تعني المعسكرات ، اشتهرت بقصورها و حدائقها و ثراء سكّانها بسبب تجارتهم مع بلاد السّودان ، انظر حسن الوزّان ، المصدر السّابق ، ج2 ، ص133 .

[3]- هي منطقة شاسعة بين بلاد التوارق و تيكورارين و توات ، تنتشر بها واحات النخيل و الفقاقير ، انظر : أحمد الحمدي ، المرجع السّبق ص 8 .

[4]- و تعني الصّحراء الشاسعة ، انظر : محمد شفيق ، المعجم العربي الأمازيغي ج1 ، مطبعة الفنّ التاسع ، الدّار البيضاء ، 1993 ، ص 164.

[5]- محمد حوتية ، توات و الأزواد خلال القرنين 12 هـ ن 13هـ ، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية ج1، الجزائر ، دار الكتاب العربي ، 2007 ، ص 28.

[6]- تياقة الصديق، نمط العمارة القصورية و مراحل الاستيطان البشري بإقليم توات ،أعمال الملتقى الوطني الأول، جامعة أدرار ، 2009، ص 109.

[7]- عبد الرحمان ابن خلدون ن المصدر السابق، ج7 ، ص 77.

ووصفها الحسن الوزان حين قال : منطقة مأهولة بالسكان بين حدائق النخيل ، ذات أرض كثيرة صالحة للزراعة، مشكلة على ما يقرب من خمسين قصرا أو أكثر من مائة قرية [1] ، وأشار الى أنّها تقع شرق تسابيت بنحوه 120 ميلا.

و اشتهرت تيكورارين بكثرة قصورها الممتدة من تبلكوزة شمالا إلى المطارفة جنوبا ويمكن ترتيبها في مناطق رئيسية كما يلي :

- **منطقة تينركوك :**

تقع بالقرب من العرق الغربي الكبير بالقرب من واد امقيدن سكنتها القبائل الزناتية ثم القبائل العربية كقبيلة المحارزة [2]، و من أهم قصورها قصر تبلكوزة ، فاتيس، عين حمو، تعنطاست .

- **منطقة أولاد سعيد:**

تتكون من مجموعة من القصور وأهمها : كالي، إيغزر، آغلاد، حاج غلمان ، الشيخ، والتي سكنها أولاد لحسن وأولاد باحمد والجازولين وأولاد القاضي.

- **منطقة تيميمون:**

اعتبرت هذه المنطقة ممرّا هاما للمسافرين نحو الشمال فهي "مدينة كبيرة منفتحة لها أسوار ومنازلها متراصة مبنية بالطين والطوب، ذات أسواق عامرة ، أمّا سكانها فهم مزيج من أجناس مختلفة،فهناك البشرة البيضاء والحمراء والسوداء "[3] .

ومن أهم القبائل التي سكنتها "قبائل الشعابنة"[4]،كما اشتهر سكانها بحفر الآبار في الصحاري.

---

[1]- حسن الوزان ، المصدر السابق ،ج2 ، ص134.

[2]- المحارزة قبيلة عربية من بني عامر ، ارتبط وجودها في تينركوك بمجيء شيخها علي بن مسعود الحرزي من تونس لنشر العلم و المعرفة . وتنتشر بقصر سالي وتسابيت ، أنظر محمد حوتية ، توات و الازواد خلال القرنين 12 هـ -13 هـ ، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية ج1، الجزائر دار الكتاب العربي ، 2007، ص70- رشيد بليل ، قصور قورارة و أولياؤها الصالحون في المأثور الشفهي و المناقب والاخبار المحلية ، تر : عبد الحميد بورايو ، الجزائر ، ص 38.

[3]- الحاج بن الدين أغواطي ،رحلة الأغواطي ،تر:أبو القاسم سعد الله في كتابه أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، ج2 ، ط2 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1990 ، ص 257.

[4]- بطن من قبيلة علاق العربية العدنانية ، كانوا يستقرون في شمال إفريقيا،وهاجر قسم منهم إلى توات واستقر بتيميمون ، أنظر : عمر رضا كحّالة، معجم القبائل القديمة والحديثة، ج2، ط8، بيروت ،مؤسسة الرسالة ،1997 م ، ص595.

ومن أهم قصورها : قصر بادريان ، ماسين ، بابا عدة ، تيليوين ، تاغيارت ، سموتة ، أومراء ، تين جلاّت ، فرعون أومسعود ، تلالت ، تاوريرت ، الواجدة ....

- **منطقة شروين :**

تقع غرب سبخة تيميمون ، وكانت تحيط بها مجموعة من القصور أهمها : آجدير الشرقي (القبلي) ، آجدير الغربي ، تاسفاوت ، تينكروم ، تاجلزي ، كالي ، أجنتور، آت عيسى[1].

- **منطقة طلمين :**

تقع في الجهة الغربية ليتكورارين، و من أهم قصورها : تاغوري ، الساقية ، تعرين ، عين جلو.

- **منطقة أوقروت :**

وصفها العياشي قائلا : "وهي قرى كثيرة ذات نخيل جمّ و هي معدودة من بلاد تجورارين"[2]، ومن أشهر قصورها : دلدول ،إقسطن ، البركة ، توكي ، تبرغمين ، تالة ، تنقلين .

- **منطقة المطارفة :**

تفصل بين تيكورارين توات ومن قصورها: أولاد راش ، أولاد علي، أوفران ، أولاد محمود، أولاد راشد

2- توات الوسطى :

تقع توات الوسطى وسط الإقليم و تبدأ حدودها من عريان الرأس[3] (تسابيت)شمالا إلى رقان جنوبا، وتقع ما بين نهايات الهضبة العليا لقورارة، فتوات تبدأ من أعالي مقاطعة بوده إلى رقان[4]، وتشمل العديد من المناطق أهمها :

---

[1]- آت عيسى يقابلها باللغة العربية " أولاد عيسى".

[2]- أبو سالم العياشي ، الرحلة، ج1 ، ص 81.

[3]- أبو سالم العياشي ،المصدر المصدر نفسه ، ص 20.

[4]- محمد باي بلعالم ، الرحلة العلية الى منطقة توات لذكر بعض الأعلام و الآثار و المخطوطات والعادات وما يربط من الجهات، ج1، دار هومة، الجزائر، 2005م ، ص 09.

● **منطقة تسابيت** [1]:

اعتبرت من الأقاليم العامرة بالسكان ، و ضمّت أربعة قصور و عدة قرى، وأهمها : عريان الرأس، برينكان ، لعياد ، أوجلان ،السبع ...

● **منطقة بودة:**

وصفها ابن بطوطة في رحلته قائلا و أوصفها رمال و سباخ وتمرها كثير ليس بطيّب[2] وأهم قصورها : زاوية الشيخ بن ذراعو ، الغماريين ، القصيبة ، المنصور ، بني وزال ...

● **منطقة تيمي**[3]:

اشتهرت بمياهها الغزيرة التي تستخرج بواسطة الفقارات ،و بزراعة النخيل و القمح و الشعير والتبغ وأنواع الذرة كالبشنة و الفواكه، و عرفت أيضا بأسواقها التي يقصدها التجار من كل مكان ومن أهم قصورها : أولاد ابراهيم ، منصورية ، بني تامر ، آدغا ، أولاد أحمد ، ملوكة، أولاد عيسى، أولاد علي، أولاد أوشن .

● **منطقة تمنطيط** :

تقع جنوب قصر تيمي ، وتبعد عنها حوالي اثنا عشر كيلومتر ، و اشتهرت هذه المنطقة بحادثة نازلة اليهود الدين تمّ إجلاؤهم على يد محمد بن عبد الكريم المغلي (ت909-1503م)[4]،و ذكر ابن خلدون منطقة تمنطيط على أنها حاضرة ذات تجارة و عمارة ، تنطلق من طريقها القوافل نحو بلاد السودان ذهابا وإيابا، فقال:" يسمّى تمنطيت وهو بلد مستبحر في العمران "، وأتمم قوله "...ونهجوا الطريق الى بلد السودان من أعلى تمنطيت "[5].

---

[1]- ذكرها الحسن الوزان باسم تسبت و أنّ أرضها تنبت التمر و القليل من الشعير ، أنظر الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ،ص 133.

[2]- محمد بن عبد الله بن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، تح ، عبد الهادي التازي ، ج4 الرباط ، 1991 ، ص 279.

[3]- تيمي هي منطقة أدرار حاليا و تعتبر عاصمة الإقليم ، أنظر : عباس عبد الله ، الدور الحضاري لإقليم توات و تأثيراته في بلاد السودان الغربي من القرنين 9هـ و 10هـ /15م و 16م ،رسالة ماجستير ،جامعة الجزائر ،2000-2001م ،ص

[4]- أنظر الفصل الثاني من الباب الثالث لهذه الدراسة.

[5]- عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق ،ج7، ص 77.

وأحصى محمد الطيب بن عبد الرحيم صاحب "القول البسيط في أخبار تمنطيط" قصورها المتصلة بنيانا والمتلاصقة عمرانا " ثلاثمائة و ستة و ستين قصرا[1] وأشهر هذه القصور : أولاد الحاج، زاوية سيدي البكري ، التوكي ، آنكير ، أولاد الحاج ، بوفادي –أبنكور.

- **منطقة فنوغيل :**

اشتهرت أيضا بالقصر العتيق ، ومن أشهر قصورها :عزّي ،باعمّور (أباعمر)،مكرة ، قصبة أولاد مولاي بوفارس، ودغة، أعباني العلوشية، أولاد برشيد، تسفاوت ، وتنتشر أيضا جنوب فنوغيل مجموعة من القصور و القصبات[2] أشهرها : تماسخت[3]، تيطاف ، بويحيا ، الجديد.

- **منطقة زاوية كنتة:**

تقع وسط توات الحنّة[4] الوسطى، واشتهرت بقصورها وأهمّها : تاخفيفت، تازولت ، بوحامد، أولاد الحاج ، زاقلو ، المناصير ، مكيد ، تيوريرين ، زاوية الشيخ عبد الكريم المغيلي وقصر بوعلي الذي نزل به البرامكة[5] واتخذوا هذه القصور مركزا لتجارتهم، كما استقرّ بهذا القصر الإمام المغيلي بعد أن قام بطرد اليهود .

- **آنزجمير :**

هو عبارة عن قصرين كبيرين ، قصر سكنه العرب و قصر سكنه المنتسبون إلى أبي أيوب الأنصاري الخزرجي، وأشهر القصور الواقعة جنوب آنزجمير نذكر: تيطاف، أوغزير، تيلولين، الخلفي، زاوية بلال، تيدماين .

---

[1]– محمد الطيب بن عبد الرحيم ابن بابا حيدة،القول البسيط في أخبار تمنطيط،مخطوطة بخزانة الحاج محمد بكراوي،زاوية سيدي البكري، أدرار،و2.

[2]– القصبة وهي قلعة يحيط بها سور مشيدة على أساس دفاعي ، وهي جزء من القصر ، أنظر : محمد بن سويسي ، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات ، تمنطيط نموذجا من القرن 6هـ الى 13هـ ، مذكرة ماجستير في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر ، 2007-2008، ص 37.

[3]– تماسخت تكثر بها المغارات التي تستقطب الزوار.

[4]– اشتهرت توات الوسطى باسم توات الحنّة نظرا لوجود و وفرة الحنّاء بها .

[5]– البرامكة من أحفاد برمك الفارسي من أعظم الأسر تاريخيا و أشهر اسما في صدر الدولة العباسية ، انظر : محمد الخضري ، الدّولة العبّاسية ، ط3، بيروت ، دار المعرفة ، 1997م ، ص106 .

- **منطقة سالي :**

تتشكّل قصورها على شكل هلال خصب من الواحات و أكبر هذه القصور "قصر المنصور " الذي استقرّ به البرامكة وقبائل زناتة وصنهاجة[1] .

وارتبطت به قصور أخرى وقصبات أهمّها : قصبة أولاد مولاي علي، قصبة النجّار، قصبة الجنّة، قصبة سيدي الشريف، قصبة أولاد مولاي عبد الواحد وأ ولاد مولاي العربي .

- **منطقة رقّان:**

تعرف أيضا باسم ركّان وهي آخر منطقة من مناطق توات الوسطى جنوبا، ومن أشهر قصورها "قصر تمادنين" الذي استقرّ به الكنتاويين[2] والفلانيين[3]، إضافة إلى قصور أخرى كقصر آيت مسعود ، آنز قلوق ، تينولاف ، تاوريرت ، أزرافيل ، تاعرابت .

3 – تيديكلت:

تقع منطقة تيديكلت في الجهة الشرقية من توات الوسطى باتجاه بلاد الطّوارق، وتشتهر بواحات النّخيل وبقصورها التي بلغت حوالي خمسين قصرا ، وتنقسم إلى قسمين شرقية وعاصمتها عين صالح، وغربية عاصمتها أولف[4]، ومن أشهر مناطقها.

- **منطقة أولف:**

اختلفت الآراء حول سنة اختطاط منطقة أولف، فيرجع البعض أنّ بناءها كان سنة (164هـ /781م) بناء على ما وجد في جدران أحد مساجدها العتيقة، وهي بلدة محاطة بأسوار مبنية بالطّين و بها الماء الوافر و التمر ، و للسّكان عدد كبير من العبيد[5].

ومن أشهر قصورها: تقراف، الجديد، زاوية حينون، قصبة بلال، عمنات، قصبة مخياف الركينة، قصبة حبادات.

---

[1]– أحمد الطاهري الإدريسي، نسيم النّفحات من أخبار توات ومن بها من الصّالحين والعلماء، تح: عبد الله الطاهري ، الجزائر، 2010، ص 82.

[2]– ينتسبون إلى عقبة بن نافع الفهري القرشي، انظر : محمد حوتية ، المرجع السابق ، ج1 ، ص66 .

[3]– وهم بطن من عرب حمير، انظر: عمر رضا كحّالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج3، ط8، بيروت، مؤسّسة الرّسالة، 1997، ص927.

[4]– الصديق تياقة ، المرجع السّابق ، ص 109 .

[5]– الحاج بن الدّين الأغواطي ، المصدر السّابق ، ص 258 .

- **منطقة تمقطن :**

تعدّ من أكبر المناطق من حيث السّكان والقصور[1] وكان يمرّ عبرها التجار و الطلبة والحجاج ، واحتوت على عدّة قصور أشهرها : أولاد الحاج ، أولف الكبير، أخنوس ، قصبة السّيد ، إينغر زاوية مولاي هيبة، معاينة ، قصبة الجنّات ، أولاد مولاي رشيد ، المرقب ، الميمون ، عين بلبال، مطريون.

- **منطقة تيط :**

وتذكر أيضا باسم طيت، وهو جذر لكلمة تمنطيط المركبة و تعني العين، وتميّزت هذه المنطقة بصغرها، ومن أشهر قصورها : تيط و قصبة الشرفاء.

- **منطقة أقبلي :**

كانت منطقة عبور للحجاج القادمين من بلاد السودان الغربي ، و اشتهرت بسوقها التجاري ، وهي عبارة عن مجموعة من القصور ، سكنها الكثير من السكان كعرب بني هلال و الكنتاويين، والعقباويين و الشرفاء [2]، و أهم قصورها :أركشاش، المنصور، ساهل و زاوية أبي نعامة.

- **منطقة إينغر:**

يعني اسمها الشعبة أو المكان المنخفض[3] ، وتقع في المنحدر الموالي لهضبة تادمايت، وتفصل بين تيدليكت الشرقية و تيدليكت الغربية، وتنتشر قصورها بين واحات النخيل و أشهرها : الشويطر، أقبور ، السّبخة ، إضافة إلى القصبات ، و الزّوايا التي اندثرت مع مرور الزّمن .

- **منطقة عين صالح:**

و هي مدينة كبيرة اعتبرت عاصمة تيديكلت الشرقية[4] ، و تقع بالقرب من هضبة تادمايت، واشتهرت بنخيلها ووفرة مياهها الجوفية المتفجّرة في عيونها وآبارها، ومن أشهر قصورها : الدغامشة ،

---

[1]- عبد الرّحمان بن عمر التّنلاني ، رحلة حجّية 1188م ، مخطوطة بخزانة قصر با عبد الله التّيمي ، أدرار ، و3 .

[2]- أحمد الطاهري الإدريسي ، المصدر السابق ص 73.

[3]- محمد باي بلعالم ، المرجع السابق ،ج1 ،ص 18.

[4]- الحاج ابن الدين الأغواطي ، المصدر السابق ، ص258.

فقارة العرب، أولاد الحاج، حاسي لحجار ، الزاوية ، فقارة الزوى ، وهو آخر القصور التواتية[1] من جهة تيديكلت ، اضافة الى قراها و قصباتها المتناثرة على جوانبها.

خامسا: الخصائص الطبيعية:

1- التضاريس :

يقع إقليم توات في أعماق الصّحراء[2] ، و الرّمال هي المظهر التضاريسي الغالب باستثناء الواحات المنتشرة هنا و هناك، أمّا بالنسبة لأرض الإقليم فهي ذات تكوين جيولوجي قديم منذ ما قبل الزمن الأوّل ممّا جعلها تكتسب بنية صخرية أثّرت على تنوّع المظاهر الطّبيعية للمنطقة[3].

و يلاحظ اختلاف كبير بين تضاريس الإقليم الجنوبي و تضاريس الإقليم الشمالي ، فالأراضي الصّحراوية تتميّز بوجود العرق و الرق و الحمادة و السّبخة[4] ، فالعرق عبارة عن كثبان رملية مرتفعة، تجلبها الرّياح، و تكثر بالقسم الشمالي لإقليم توات من الشّرق إلى الغرب[5]، وأشهر هذه العروق العرق الغربي في الشمال و العرق الشرقي الكبير في الشرق و عرقين ثانويين في الجهة الغربية تتمثل في عرق الراوي و عرق الشاش[6].

أمّا الرق فهو سهل صحراوي صخري أو منخفض حصوي كصحراء تنزروفت الحصوية جنوب إقليم توات[7].

---

[1]- محمد حوتية ، المرجع السابق ،ج1 ،ص 35

[2]- يذكر العياشي في رحلته كثرة الرّمال قائلا : "و علمنا عند ذلك حسن مبالغة القائل : اللهمّ صلّ على سيّدنا محمد عدد الرّمال " ، أبو سالم العياشي ، المصدر السّابق ،ج1 ، ص107 .

[3]- محمد باي بلعالم ، المرجع السّابق ، ص ص 27 – 28 .

[4]- حاج أحمد الصديق ، التاريخ الثقافي لإقليم توات ، ط2 ، أدرار ، مديرية الثقافة لولاية أدرار ، 2011 ، ص30 - عبد الله كروم ، الرحلات بإقليم توات ، دراسة تاريخية و أدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات ، الجزائر ، دار النّشر، حلب، 2007 ، ص 23 .

[5]- أحمد العمّاري ، توات في مشروع التوسّع الفر نسي بالمغرب ، منشورات كلّية الآداب ، جامعة محمد بن عبد الله ، المغرب ، 1988 ، ص 13 .

[6]- صالح بوسليم ، المؤسّسات الثّقافية بإقليم توات ، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية أثناء القرنين 12هـ و 13 هـ /18م و 19م ، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس ، 2007 – 2008، ص ص 34 ، 35 .

[7]- حاج أحمد الصديق ، المرجع نفسه ، ص 43 .

أمّا الحمادة فهي هضبة صخرية تغطيها صخور جيرية ممتدّة على شكل صفائح طبقية[1] ويرتفع علوّها ستمائة متر وتمتدّ بين دائرتي عرض 27° و32° شمالا، وتتمثل حمادة توات في هضبة تادمايت.

بينما السّبخة فهي بحيرة تتبخّر مياهها في الصّيف لتصبح ضاية من الملح تسمّى الشط أو السّبخة وتنتج هذه المنخفضات عن هزّات أرضية[2]، و تأتي السبخات الملحية في توات كمصب للوديان الثلاثة ، كلّ على حدى، فوادي مقيدن ينتهي بسبخة قورارة ثمّ وادي مسعود ينتهي بسبخة محاذية لرقان يطلق عليها اسم أزل ماني و وادي قاريت الذي ينتهي بسبخة مكرغان[3].

2- المنـــاخ :

يؤثّرعلى طبيعة مناخ إقليم توات تنوّع التضاريس والبنية الصّخرية للأرض مع الانتماء للصّحراء الكبرى[4]، ممّا يجعل المناخ الصّحراوي قاسيا وجافّا ، شديد البرودة شتاءا وشديد الحرارة صيفا، إذ تصل درجة الحرارة القصوى في شهر جويلية 50° درجة و المتوسّطة 40° درجة و تنخفض إلى 20° درجة تحت الصّفر[5].

ممّا يوضّح عدم استقرار المناخ الصّحراوي بإقليم توات، بحيث تختصر الفصول الأربعة إلى فصلين[6]،فصل الشتاء وفصل الصّيف، ولا تشتهر المنطقة بالحرارة فقط بل هناك الرياح المهدّدة لتوات لتوات و مناطقه والمغيّرة لملامحه الطّبيعية ، فسرعة الرّياح العكسية ، تصل إلى أعاصير تحرّك العرق أي الجبال الرّملية ، وتقوم أيضا بتعرية السّطوح من غطائها ، وتجعلها مناطق خالية من السكّان، فتصبح صحاري تغطّيها الحصى و الصّخور المهشّمة بفعل الرّياح[7].

---

[1]- محمد باي بلعالم ، المرجع السابق ، ص 29 ، حاج أحمد الصديق ، المرجع السابق ، ص 42 .

[2]- عبد العزيز بن عبد الله ، معلمة الصحراء ، مطبوعات وزارة الأوقاف ، المغرب ، 1976 ، ص 119 .

[3]- فرج محمود فرج ، إقليم توات خلال القرن الثامن و التاسع عشر الميلادي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1977 ، ص 02 .

[4]- صالح بوسليم ، المرجع السّابق ، ص 34 .

[5]- اسماعيل العربي ، الصّحراء الكبرى و شواطئها، الجزائر المؤسّسة الوطنية للكتاب ، 1983م ، ص 01 .

[6]- صالح بوسليم ،المرجع السّابق ، ص 34 .

[7]- اسماعيل العربي ، المرجع نفسه ، ص ص 18 – 19 .

ويطلق على هذه الرّياح عدّة أسماء كالسيروكو أو الشهيلي أو الرّيفي لكن سكان المنطقة يحاولون التّخفيف من حدّتها بإنشاء حواجز من جريد النّخيل لوقف زحف الرّمال خاصّة على الواحات أو البيوت ، و تسمّى هذه الحواجز عند سكّان المنطقة بأفراك[1].

أمّا الأمطار فهي نادرة أو شبه معدومة[2] فيصل مستوى التساقط إلى أقلّ من200مم^3 لأنّ الطبيعة الصّحراوية للأرض والمناخ الحار يجعل الأقيم عبارة عن أرض جافّة قليلة الأمطار التي إذا سقطت فستتعرّض للتّبخر من شدّة الحرارة قبل وصولها إلى الأرض و إن وصلت إلى السّطح امتصّتها الرّمال وتضيع وسطها، وفي هذا الصّدد وصف ابن سعيد المغربي (ت 5هـ) الوضعية القاسية للصّحراء إذ قال : "إنّ رياح الصّحراء التي تمتدّ بين غانة و سجلماسة تجفّف المياه التي يجمعها المسافرون في قربهم . . ."[3]

أمّا الأمطار إذا ما سقطت بإقليم توات فهي نذير شؤم بالنسبة للسّكان خوفا على مساكنهم المبنية من الطّين[4]، إلاّ إنّها تغذي الوديان بالمياه الجوفية فتملأ الآبار و الفقارات و السّبخات[5].

وتميّزت مياه السّبخات بالرّكود و الملوحة حتّى لو غذتها مياه الأمطار، إلاّ أنّ سكّان توات حفروا الآبار بجانب السّبخات لكنّ مياهها مالحة غير صالحة للشّرب[6]، إلاّ أنّ الآبار البعيدة اشتهرت بمياهها العذبة والنّقية .

3- الأودية

الأودية في توات من المجاري المائية ترتبط بسقوط الأمطار وتفجير العيون والينابيع لذلك يطلقون عليها اسم الأودية الفجائية[1]، أمّا إقليم توات بالتحديد عرف بأوديته الثلاثة من جهات متباينة تصبّ مياهها في رماله لتتغذى منها الآبار و الفقاقير وهي كالتّالي :

---

[1]- أفراك هو السّياج بالأمازيغية ، انظر: محمد شفيق ، المعجم العربي الأمازيغي ، ج2 ،مطبعة الهلال العربية ، الرباط، 1996 ، ص 558 .

[2]- حاج أحمد الصديق ، المرجع السّابق ، ص 45 .

[3]- اسماعيل العربي ، المرجع نفسه ، ص ص 18 -19 – 20 .

[4]-الحاج أحمد الصديق ، المرجع السّابق ، ص45 .

[5]- اسماعيل العربي ، المرجع السّبق ، ص23 .

[6]- محمد باي بلعالم ، المرجع السّابق ، ص ص 29 – 30 .

- **وادي مقيدن :**

ينطلق من منبعه الموجود في المنيعة لكي ينتهي بمنطقة تيكورارين ويكوّن سبخة قورارة و هو امتداد لواد سفور ، ويظهر في مجراه الأخير باسم واد شيدون ، الذي كان يزاول فيه الرّحل القادمون من الشمال و الشمال الشرقي نشاط الرّعي .

وذكره العياشي في رحلته باسم وادي ايمكيدن ، واصفا كثرة مياهه و غزارتها و افتخار السكان به و بمائه العذب و الرّقراق حيث قال: "ومواطن المياه كثيرة في هذا الوادي قلّ ما يخلو يوم من منهل، وماؤه عذب غزير "، ويقولون في ذلك البلد :

واد امكيدن ما نعطش فيه كلّ يوم نجيه على ماء[2].

وكان السكان بوادي امقيدن يخافون من القبائل المغيرة و المتعدّية عليهم أن تستغلّ الوادي وبالتّالي تمكنهم من الدّخول نحو توات، أمّا بالنّسبة للحجّاج فكانوا يسيرون بالقرب من الوادي للتزوّد بمائه لإكمال طريقهم[3].

- **وادي مسعود :**

هو امتداد لواد الساورة هو مجمع لواد قير و واد زوزفانة النابع من منطقة فجيج بالمغرب الأقصى، و يمثل المصدر الرّئيسي لمياه وادي مسعود[4].

أمّا وادي قير فينحدر من جبال الأطلس بالمغرب ثمّ يلتقي مع واد زوزفانة مكوّنين مع بعض رافدا جديدا منطلقا من منطقة إقلي وهو واد السّاورة الذي يجري نحو الجنوب إلى مشارف توات، إذ يحمل اسمه الأخير وهو "وادي مسعود "، و لما يصل إلى تاسفاوت جنوب غرب تمنطيط يكوّن سبخة كبيرة، وبعد أن يخترق هذه السّبخة يتّجه نحو رقّان غائرا في سهل تنزروفت[5].

إلاّ أنّ وادي مسعود كان يحدث بإقليم توات سيولا وفيضانات على القصور و الواحات.

---

[1]- فرج محمد فرج ، المرجع السابق ، ص2 .

[2]- أبو سالم العياشي ، المصدر السّابق ج1 ، ص 107 .

[3]- المصدر نفسه ، ج1 ، ص 107 .

[4]- فرج محمود فرج ، المرجع السّابق ، ص 02 .

[5]- المرجع نفسه ، ص 02 .

ووصف ابن خلدون (ت 808هـ / 1406م) وادي مسعود حيث قال: "وينبع مع هذا النّهر من فوهته نهر كبير، ينحدر ذهابا إلى القبلة مشرقا بعض الشّيء، و يقطع العرق على سمته إلى أن ينتهي إلى بودة ثمّ بعدها إلى تمنطيت وسيمرّ لهذا العهد كبير و عليه قصورها ، ثمّ يمرّ إلى أن يصبّ في القفار ويغور في قفارها ويغور في رمالها، وهو موضع مقامة قصور ذات نخل تسمّى ركّان"[1].

كما وصف العياشي واد قير بأنّه كبير ومن أطول أودية المغرب مسافة، ملتفّ الأشجار، قليل الأحجار، وذكر وادي الساورة باسم الأساور الذي تتصل قراه نحو من عشرة أيّام إلى قريب من توات لكنّه جعل منتهاه بعد ذلك الانعطاف يمينا في رمال كثيرة[2].

- **وادي قاريت :**

ينطلق من الشمال الشرقي لتيدليكت، مستفيدا من الانحدارات المتتالية لهضبة تادمايت عابرا بعض أجزاء المنطقة لصبّ مياهه في الجهة الجنوبية الغربية للإقليم، حتى يصل في نهايته بوادي مسعود ويصبح رافدا له[3].

وعلى الرّغم من أنّ هذه الأودية الثلاثة ترد الإقليم التواتي من جهات متباينة إلاّ أنّ مفعولها ضئيل بسبب بعد منابعها و استواء التضاريس من جهة و كثرة الحرّ و الرّمال من جهة أخرى .

4- الغطاء النّباتي:

أثّرت الظروف القاسية للمناخ على الغطاء النباتي ، فاقتصر على تشكيلات نباتية متآلفة مع الجفاف و ارتفاع درجة الحرارة ، كالنّخيل و الصبّار و النباتات الشّوكية ، إضافة إلى بعض الشجيرات الموسمية التي تجد في المجاري المائية مرتعا خصبا فتنمو بسيلانها و تختفي بجفافها[4] .

---

[1]- عبد الرّحمن بن خلدون، المصدر السّابق ، ج2 ، ص 134 .

[2]- أبو سالم العيّاشي ، المصدر السّابق ، ج1 ، ص 74 .

[3]-فرج محمود فرج ، المرجع السّابق ، ص 02 .

[4]- عبد الرّحمان بن عمر التنلاني ، الرّحلة الحجية ، ص 03 .

سادسا: ذكر توات في كتب المؤرخين:

جاء ذكر توات على ألسنة الكثير من المؤرخين و نظرا لأهمّيتها البالغة جعلوا لها سطورا في كتبهم ورحلاتهم فكان من بينهم الرحالة ابن بطوطة (ت779ن /1377م) ، الذي مرّ بتوات في طريق عودته من رحلته إلى السّودان[1] حيث قال: "رفعت زاد سبعين ليلة ، إذ لا يوجد طعام بين تكدا وتوات "[2].

وأكّد ابن بطوطة في متمّ حديثه إذ يقول : "... ثمّ وصلنا بودا وهي أكبر قرى توات و أرضها رمال وسباخ، وثمرها كثير و ليس بطيب، لكنّ أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت، و إنّما يجلب إليها ذلك من بلاد المغرب ... وأكل أهلها التمر والجراد وهو كثير عندهم يختزنونه كما يختزنون التمر ويقتاتون به..."[3]، و اعتبر ابن بطوطة بودا بابا من أبواب المغرب وكان الوصول إليها علامة على سلامة القافلة بعد عبور أرض الهقار نحو الشمال .

أمّا الجراد فلم تخفى حملاته على إقليم توات في موجات و أسراب كبيرة و قضاؤه على الأخضر واليابس، وانتشار القحط والمجاعات بسببه ممّا يفسّر كثرته و اتخاذه كغذاء جاهز بديلا عن المحاصيل التي تمّ اتلافها[4].

أمّا ابن خلدون (ت808هـ/1406م) فقد اتّسمت كتاباته حول منطقة توات بالدقة والابتعاد عن المبالغات التي وقع فيها جلّ من تحدّث قبله عن هذا الإقليم ، لأنّ ابن خلدون عاش في القرن الرّابع عشر الميلادي[5] في وقت ظهر فيه اهتمام كبير بما يجري في الصّحراء بصفة عامّة و في توات بصفة خاصّة باعتباره جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي .

---

[1]- حسين مؤنس ابن بطوطة و رحلاته ، القاهرة ، دار المعارف ، 2003م ، ص 224 – 236 .

[2]- محمد بن عبد الله ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ،تح: عبد الهادي التازي، ج1 ، الرباط، 1997م ، ص277.

[3]- حسين مؤنس ، المرجع السّابق ، ص 236 .

[4]- المرجع نفسه ، ص 236 .

[5]- محمد بن الحفيظ كنون الحسني ، السّودان من خلال كتابات عبد الرّحمن بن خلدون ، أعمال ندوة التواصل الثقافي و الاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء ، ط1 ، مراجعة وتقديم : عبد الحميد عبد الله الهرّامة ، كلية الدّعوة الإسلامية ، طرابلس ، أيّام 15 – 17 محرّم 1428هـ / 1998م ، ص 224 .

ووصف ما كتبه عن توات في مظهرين، أحدهما محلّي يتمثل في العمران الذي اعتبره ابن خلدون أساس الحضارة و الثاني إقليمي يتجلّى في كون المنطقة همزة وصل بين المغرب والسودان، حيث قال: ". . . يسمّى وطن توات و فيه قصور متعدّدة تناهز المائتين، آخذة من المشرق إلى المغرب، وآخرها من جانب المشرق يسمّى تمنطيت وهو مستبحر في العمران وهو محطّ ركاب التجّار المتردّدين من المغرب إلى بلاد مالي من السودان لهذا العهد"[1].

وعلى غرار تمنطيت استهوت قصور تيكورارين ابن خلدون المولع بالعمارة والعمران، فقال: "... قصور تيكورارين و هي كثيرة تقارب في بسيط واد منحدر من المغرب إلى المشرق ، و استبحرت في العمران و غصّت بالسّاكن"[2].

كما ذكر ابن خلدون الأهمية الاقتصادية لتوات قائلا: ". . . و لقد كانت بودا و هي أعلى تلك القصور بناحية المغرب من السوس هي الركاب إلى ولاتن الثغر الأخير من أعمال مالي ، ثمّ أهملت لما صارت الأعراب من بادية السوس يغيرون على سابلتها و يعترضون رفاقها ، فتركوا ذلك ونهجوا الطريق إلى بلاد السودان من أعلى تمنطيت . . ."[3].

كما وصفها الحسن الوزان (الأسد الإفريقي) (ت957هـ/1550م) ذاكرا تيكورارين وتسابيت فقال عن تيكورارين:" منطقة مأهولة في صحراء نوميديا ، تحوي خمسين قصرا و أزيد من مائة قرية منتشرة بين حدائق النخيل"[4] وقال أيضا : "سكانها أغنياء لأنّهم اعتادوا الذهاب بسلعهم إلى السودان . . ."[5].

أمّا تسابيت فأشار إليها نظرا لموقعها الاستراتيجي بين حاضرتي فاس و تلمسان من جهة وبلاد السودان من جهة أخرى ، لا تقل عمارتها و أهمّيتها عن تيكورارين متمثلة في قوله :

---

[1]- عبد الرّحمن بن خلدون ، المصدر السّابق ، ج7 ، ص 76 .

[2]الحسن الوزّان ، المصدر السّابق ، ج2 ، ص 133 .

[3]- ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص ص 280 – 281 .

[4]- الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 133 .

[5]- الحسن الوزان ، المصدر نفسه ، ص 134 .

" تسابيت إقليم مأهولة في صحراء نوميديا ، على بعد نحو مائتين وخمسين ميلا شرق سجلماسة، ومائة ميل من الأطلس يضمّ أربعة قصور و قرى عديدة في تخوم ليبيا على الطريق المؤدية من فاس وتلمسان إلى مملكة أغدامس في بلاد السودان سكانه فقراء و لا تنبت أرضه غير التمر وقليل من الشعير، بشرتهم سوداء إلاّ أنّ نساءهم سمراوات جميلات"[1].

وتحدث عنها أبو سالم العياشي في رحلته المسماة " ماء الموائد " إذ قال: " ودخلنا أوّل عمالة توات وهي قرى تسابيت ، و زرنا بأول قرية منها قبر الولي الصالح سيدي محمد بن الصالح المعروف بعريان الراس، و أقمنا بها ستة أيام و بعنا بها خيلنا ، و ما ضعف من إبلنا ، و اشترينا ما نحتاج إليه من التمر وبها أنواع كثيرة ووجدنا التمر فيها رخيصا ولم نلق هناك أحد ينتسب إلى ولاية أوصلاح... أغلب أهلها عوام أهل تجارة جلّ عيشتهم التمر. . ."[2].

وقال أيضا:" وعدد المثقال عندهم أربعة وعشرون موزونة ويقولون للمثقال الأربعين شريفي ...وسبب إقامتنا في هذه البلاد لمدّة أنّ كثيرا من الحجاج لما غلا صرف الذهب في تافيلالت أخروا الصرف إلى توات ، فإنّ فيها الذهب أرخص و كذلك سعر القوت من الزرع و التمر "[3].

و لقد أكّد الفشتالي أهمية إقليم توات حين وصفه قائلا : " هذا الإقليم المفرع إلى توات و هو أوسع وطنا و أفسح مجالا و أقرب للسودان اتصالا وجوارا إلى قطر تيكورارين و هو أعظم اشتهارا وعرف نقيبا وأشدّ شوكة وأخشن جانبا وأعظم أقاليم المغرب و أكثرها أمما و أفسحها خطة ، انتظم عراته و اتصلت قصوره و تراصفت نخيله على مسافة ثلاثين مرحلة أو أكثر "[4].

أمّا من المؤرخين التواتيين الذين وصفوا إقليم توات نذكر البكراوي محمد بن عبد الكريم حيث قال:" إنّ توات صحراء ذات نخيل و أشجار و عيون ، بينها وبين سجلماسة ثلاثة عشر جوفا وغربا

[1]- الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 133 .

[2]- العياشي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 20 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 79 .

[4]- أبو فارس عبد العزيز الفشتالي ، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا ، تح: عبد الكريم كريم ، الرباط ، مطبوعات وزارة الأوقاف ، ص 73 .

عشرون يوما، ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقا ، ومن ناحية أولاد سيدي عيسى مقدار أسبوع واسراعا لبلد الأبيض سيد الشيخ . . . "[1].

و وصفها الإدريسي الطاهري فقال : " . . . توات أرض ذات سباخ كثيرة الرّمال و الرّياح ... والماء يستخرجونه من باطن الأرض بالفقاقير بواسطة الآبار بكيفية عجيبة و يقسمونه على الحقول بكيفية أعجب من ذلك . . ."[2].

كما ذكرها صاحب كتاب نقل الروات عن من أبدع قصور توات قائلا : ". . . توات هي من الواحات العامرة بإقليم الصّحراء . . . "[3].

سابعا: دخول الإسلام وانتشاره في إقليم توات :

دخل العرب المسلمون إلى إقليم توات في منتصف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وذلك بعد فتح قائد الجيوش الإسلامية و والي إفريقية في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان ، الصحابي "عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري القرشي" (ت 63هـ /638م)لبلاد المغرب في الحملة الثانية سنة 51هـ /671 م[4].

ومن أهمّ منجزاته تشييد مدينة القيروان بإفريقية[5] خلال منتصف القرن الأوّل الهجري و التي اعتبرت نقطة ارتكاز وقاعدة للانطلاق من أجل مواصلة نشر الإسلام و فتح جميع مناطق بلاد المغرب[6]، وقام عقبة بن نافع باتمام فتوحاته ففتح بلاد السوس الأقصى و قاعدتها تارودانت و نزل

[1]- محمد بن عبد الكريم البكراوي ، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ، مخطوطة بخزانة أبناء عبد الكبير ، المطارفة ، أدرار ، الورقة 10 .

[2]-الطاهري الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 57 .

[3]- محمد بن عمر البداوي الجعفري ، نقل الروات عن من أبدع قصور توات، مخطوطة بخزانة سيدي جعفري ، زاوية حيدة ، بودة ، أدرار ، الورقة 02.

[4]-Echallier(J.C) ,Village dèsertès et st uctures agraires anciennes du Touat ,Gourara Algerien. Paris ,AMG , 1972 , p 16 .

[5]- ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار المغرب ج1 ، مكتبة صادر، بيروت ،1947م ، 1950م ، ص 13 .

[6]- موسى لقبال ، المغرب الإسلامي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981م ، ص 35 .

بلاد هسكورة و أغمات و ريكة و وادي نفيس حتّى نزل إيجلي بالسوس و قام فيها ببناء مسجد[1].

ثمّ واصل فتوحاته إلى صحراء درعة و بعض مناطق أهل اللثام من بطون قبيلة صنهاجة ، ثمّ اتجه شرقا وفتح مدينة ودان بفزان ثمّ مدينة فرامة ثمّ غدامس ، ثمّ اتجه شمالا وفي طريقه وجد بعض القبائل و التي تطرّق لها عبد الرحمن بن عبد الحكم في كتابه " فتوح إفريقيا و الأندلس " قائلا : " فقبيلتي لواتة هوارة ، و ربمّا هما أصل الكثير من القبائل التواتية "[2]

وانتشر الإسلام بين القبائل التواتية بفضل الجيوش التي كان يرسلها حكام المغرب الاوائل[3]، وعن طريق التجار المسلمين الذين كانوا يمرّون عبر هذه المناطق في اتجاه بلاد السودان الغربي[4].

وفي سنة (116هـ/734م) قام حبيب بن أبي عبيدة حفيد عقبة بن نافع الفهري بقيادة حملة عسكرية الى الصحراء حيث نشر الإسلام بإقليم السوس الأقصى و منطقة مسوفة و بتخوم السودان[5].

ومن خلال الروايات التاريخية فإنّ أهل توات عرفوا الإسلام بعدّة طرق سواء عن طريق الفتوحات الإسلامية التي قادها قائد الجيوش الإسلامية عقبة بن نافع، ومن خلفه من القادة المسلمين، أو عن طريق التجار الذين قدموا من شمال المغرب الإسلامي نحو جنوبه في اتجاه بلاد السودان ومنذ ذلك الحين أصبح إقليم توات من أهمّ مراكز التّأثير على بلاد السودان الغربي ، إذ بدأ الإسلام ينتشر تدريجيا في هذه البلدان انطلاقا من قصور توات عبر الأقاليم الصّحراوية في اتّجاه أقصى الجنوب بفضل التجارة التي كانت مزدهرة بتوات[6].

كما أنّ البربر الرحل كان لهم دور كبير في انتشار الإسلام بإقليم توات وأزالوا أيضا بعض الممالك الوثنية التي أسّسها الزنوج على الضفاف الجنوبية للصحراء، وانتمى هؤلاء البربر إلى قبيلة صنهاجة

---

[1]- ابن عبد الحكم ، فتوح إفريقيا و الأندلس ، تج : عبد المنعم عامر ، القاهرة ، 1961م ، ص 191- البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، الجزائر 1911 م ، ص160 - الجراري ، ثقافة الصحراء ، طبعة تونس ، 1987م ، ص 10 .

[2]- ابن عبد الحكم ، المصدر السابق، ص 75 .

[3]- المصدر نفسه، ص 75

[4]- البكري ، المصدر السابق، ص 164.

[5]- ابن عبد الحكم ، المصدر نفسه ، ص 75.

[6] -échallier, op. cit, p 07 .

التي سيطرت على الصحراء الوسطى و الغربية خلال القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، والتي استولت على بعض مدنها كمدينة أودغست التي اعتبرت نقطة اتّصال القوافل التجارية الصّحراوية[1].

– انتشار اللغة العربية بإقليم توات:

ارتبط انتشار اللغة العربية بإقليم توات بانتشار الإسلام و تمّ ذلك بفضل قادة الفتح و الولاة المسلمين ، إذ كان لعقبة بن نافع الدّور الكبير في نشر الإسلام و اللغة العربية فبفضل تأسيسه لمدينة القيروان كما أشرنا سابقا أصبحت هذه المدينة تمثّل عاملا أساسيا في نشر الإسلام و اللغة العربية بين القبائل البربرية[2].

و لقد توغّل العنصر العربي في أراضي الصّحراء بشكل واسع أواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، عندما غزتها حشود من قبائل بني هلال فرغم الخراب الذي ألحقته بالكثير من أطراف الصّحراء و واحاتها كان لها الفضل الكبير في نشر اللغة العربية في هذه المناطق و تعريب عدد من الجماعات البربرية[3].

وكان للمسجد أيضا الدّور الفعّال في نشر اللغة العربية بإقليم توات إذ اعتبر مجمعا للعلماء والفقهاء وملتقى طلاّب العلم خاصّة البربر سكّان المغرب، بتقديم لهم حلقات و دروس علمية مرتبطة بالعلوم الدّينية و اللسانية كالفقه و قراءة القرآن الكريم و التفسير و الحديث و اللغة العربية بفنونها كالنحو و الأدب بنوعيه النثري و الشّعري .

وبذلك اعتبر المسجد عاملا أساسيا في انتشار الإسلام و اللغة العربية[4] وتعميمها تدريجيا بين سكّن توات ذو الأصل البربري، لحاجتهم لها في قراءة القرآن و أداء الصّلاة و فهم تعاليم الإسلام.

---

[1]– اسماعيل العربي ، الصّحراء الكبرى و شواطئها ، المؤسّسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 ، ص 216 .

[2]– مختار العبادي ، في تاريخ المغرب و الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د.ت) ، ص 39 .

[3]– اسماعيل العربي ، المرجع السّابق ، ص 216 .

[4]– مختار العبادي ، المرجع نفسه ، ص 45 .

ومن خلال هذه الطريقة عرف سكّان إقليم توات البربر اللغة العربية و اكتسبوا أداة تفكير وتعبير سمحت لهم بمعرفة الفكر العربي من كلّ جوانبه، ممّا نتج عن ذلك ظهور الفقهاء والخطباء والأدباء. كما كان لقائد الجيوش الإسلامية ببلاد المغرب حسّان بن النّعمان (ت 705م) دور كبير في نشر اللغة العربية بين البربر، بعد أن أدخلهم بشكل جدّي و منظّم في الجيش العربي، الذي تطلّب منهم الدخول في الإسلام وتعلّم اللغة العربية، فتعلّموا القرآن الكريم و تعاليم الدّين الإسلامي باللغة العربية[1].

وما يؤكّد تعريب البربر هو ما قام به الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (ت 101هـ/ 719م)، لمّ بعث مع الوالي اسماعيل بن عبد الله بعشرة من العلماء التّابعين[2] لنشر تعاليم الدّين الإسلامي و تحفيظ القرآن الكريم و تعليم اللغة العربية ، و في هذا الصّدد قال المؤرّخ الأندلسي أبو الوليد بن محمد بن الفرضي الأزدي (ت 403هـ / 1012م) في كتابه " تاريخ الأندلس " : ". . . أنّ عمر بن عبد العزيز أرسل عشر من التّابعين يفقهون أهل إفريقيا . . . "[3].

و بفضل العلماء العرب المسلمين الذين بعثهم الخليفة الأموي " عمر بن عبد العزيز " خلال نهاية القرن الأوّل الهجري و بداية القرن الثاني الهجري أقبل سكّان بلاد المغرب البربر على اعتناق الإسلام باعتبارها الدّيانة الوحيدة و الجديدة في المنطقة من جهة وتعلّم اللغة العربية بشكل جيّد ومتقن ، التي من خلالها يمكن فهم تعاليم الدّين الإسلامي، وسهولة الاتّصال بالمسلمين عامّة والعرب خاصّة و التّعامل معهم في جميع الميادين ، ثقافة جديدة ذات طابع عربي اسلامي و التي انتقلت إلى صحاري بلاد المغرب خاصّة إقليم توات[4].

---

[1]- سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، ج1 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1965م ، ص 231

- كنون عبد الله ، النبوغ المغربي في الأدب ، ج1 ، ط2 ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، لبنان ، 1961م ، ص 48 .

[2]- ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ، تج : عزت العطّار الحسيني ج1 ، مكتبة الخانجي ، مصر ، 1956 ، ص 216 .

- ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 48 .

[3]- ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، تج : ابراهيم الأبياري ، ج1 ، ط2 ، دار الكتان اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1989م ، ص ص 225 – 226 .

[4]- مختار العبادي ، المرجع السّابق ، ص 47 .

واستمرّ النّشاط التثقيفي و التعليمي في بلاد المغرب على يد أحفاد و تلامذة علماء المشرق الإسلامي ، مثل عائلة الأنصاري و عائلة عقبة بن نافع الفهري التي استقرّت بإقليم توات ثمّ انتقلت إلى بلاد السودانن ، فكان لها الدور الكبير في نشر اللغة العربية بهذه الأقاليم ، و لقد خلف عقبة بن نافع ابنا يدعى العاقب[1] الذي ترك أحفادا و أشهرهم "شاكر بن يعقوب " الذي اعتبر أحد أجداد قبيلة كنتة التواتية و الذي ساهم في نشر و تعليم البربر أصول الإسلام و اللغة العربية .

كما ترك العاقب بن عقبة حفيدا آخر تنسب إليه قبيلة كنتة يدعى بعبد الله ويلقّب ب " بيهس " الذي استقرّ مدّة بمدينة تلمسان في عهد السلطان المريني أبي عنان (749هـ – 760هـ / 1348م – 1358م) و بعد وفاة السلطان توجّه بيهس إلى شمال بلاد المغرب ثمّ هاجرت قبيلة كنتة نحو الجنوب هروبا من الاضطرابات السّياسية و استقرّوا بإقليم توات.

و ترك شاكر بن يعقوب الفهري أحد أحفاده و يدعى "سيدي يحيى" الذي كان يقوم بتحفيظ القرآن الكريم لصغار البربر في قصر عزّي و ابنه سيدي علي الذي كان يعلّم مبادئ الدّين الإسلامي و اللغة العربية بقصر فنوغيل بتوات[2].

ونستنتج من خلال ما سبق أنّ انتشار اللغة العربية سار منذ البداية مقترنا بانتشار الدّين الإسلامي بإقليم توات.

ثامنا:الحياة الاجتماعيـــة:

تكوّن المجتمع بإقليم توات من خمسة شرائح و هي:

– البـــربـــر :

وهم من أوائل القبائل التي استقرّت بإقليم توات ، خاصّة قبائل زناتة كوتطغير وبني يالدس ومصاب[3]، وكان استقرارهم قبل دخول الإسلام لبلاد المغرب وممّا يدلّ على أنّ البربر هم أوّل من

[1]– ابن عبد الحكم ، المصدر السّابق ، ص 27 .

–سعد زغلول ، المرجع السّابق ، ص 20 .

[2]– الشّيخ محمد الكنتي ، الطّرائف و التّلائد ، المكتبة الكنتية ، زاوية كنتة .

[3]– عبد الرّحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج7 ، ص 68 .

استقرّ بتوات تلك النّقوش الموجودة على الصّخور ، إضافة إلى أسماء القصور التواتية و التي معظمها باللغة الزّناتية ، و ممّا جعل البربر يستقرّون بهذه المنطقة هو بعدها عن السّلاطين و الأوضاع السّياسية شمال بلاد المغرب[1].

ومن أهمّ النشاطات التي قام بها البربر في إقليم توات هي الزّراعة نظرا لتوفر المنطقة على واد كبير يدعى أوقير الذي استغلّ في سقي الواحات و البساتين، أمّا النّشاط الآخر الذي امتهنه البربر هو التّجارة و خاصّة مع بلاد السودان الغربي، كما اهتمّوا برعي المواشي، و أهمّ ما ميّز البربر هو حياتهم التي اتسمت بالبداوة والتي غلبت على نمط معيشتهم ممّا جعلهم يفضلون السّكن في الخيام والابتعاد عن العمران[2].

وعرفت القبائل البربرية صراعا فيما بينها خاصّة بين زناتة و صنهاجة ممّا جعل يوسف بن تاشفين يقوم بالاستيلاء على توات سنة (456هـ / 1063م) ، ففقدت زناتة حكمها و سيطرتها على المنطقة .

شهد إقليم توات توافد قبائل لمتونة خاصّة بعد سقوط الدّولة المرابطية بالمغرب، وكان استقرارهم بتمنطيط التي أنشأوا بها قصر تيلوت، ومن أشهر القبائل اللمتونية التي هاجرت إلى إقليم توات هي: (تعمر ، حم برك ، أتمحمد ، أتموسى ، أتعلي ، أتيوسف ، أتبكر ...)[3].

و بعد استقرار قبائل لمتونة بالمنطقة اهتمّوا بالنشاط الزّراعي أيضا فقاموا بحفر الفقارات لسقي واحاتهم لأنّ منسوب مياه وادي كير في هذه الفترة انخفض منسوبه .

وكانت الوسائل المستعملة في نشاطهم الزّراعي وما يتعلّق به تحمل أسماء بربرية و هذا دليل كفاية على انشغالهم بالزّراعة لفترات طويلة و قامت هذه القبائل أيضا ببناء القصور و القصبات والأسوار و حفر الخنادق أثناء الحروب[4].

---

[1]- عبد الرّحمان بن خلدون، المصدر نفسه، ج7، الصّفحة نفسها .

[2]- موسى لقبال ، البترو البرانس و المظهر الاجتماعي لسكّان المغرب ، مجلّة الأصالة ، العدد 24 مارس – أفريل 1975م ، الجزائر ، ص ص 161 – 162

[3]- محمد الطيب بن عبد الرّحيم ، القول البسيط في أخبار تمنطيط ، تح: فرج محمود فرج ، المؤسّسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1977م، ص 16.

[4]- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي ، تقييد حول تاريخ تمنطيط و توات ، الخزانة البكرية بتمنطيط ، دون رقم ، الورقة 01 .

-العـــرب :

استقرّ بإقليم توات العرب، وأهمّهم عرب المعقل الذين اشتهروا بممارستهم لنشاط الرّعي[1]، كما مرّ العديد من العرب على المنطقة خلال رحلتهم لبلاد السودان الغربي من أجل التّجارة ولنشر تعاليم الدّين الإسلامي و اللغة العربية.

كما عرفت الجهة الشّرقية بإقليم توات استقرار عرب القدوية في أواخر القرن الثالث الهجري ، الذين وفدوا من الحجاز مرورا بمصر .

واستقرّ العرب ببودة الذين هاجروا من شمال بلاد المغرب و أسّسوا بهذا القصر زاوية للعلم سنة (600هـ /1203م)، ونزل أيضا عرب تافيلالت بقصر ملوكة وبوزان وكوسام، كما دخلت قبيلة كنتة العربية إلى إقليم توات في القرن (7هـ / 13م) و استقرّت به وكان لها اسهام كبير في إسلام سكّان بلاد السّودان الغربي[2].

ووصلت إلى تمنطيط قبيلة عربية تدعى قبيلة أولاد علي بن موسى القرشية[3]، في النصف الثاني من القرن (9هـ / 15م) ، و اشتهر أهلها بمروءتهم و رياستهم و همّتهم العالية بين القبائل[4]، و كان لهم جيش منظم و كانوا حلفاء لقبيلة أولاد الحاج وقبيلة أولاد ملوك[5].

واشتهر العرب بالزراعة كالبربر وقاموا بشقّ الآبار وزرعوا الأراضي كما اهتمّوا بالتّجارة وكانوا بمثابة الوسيط في الحياة الاقتصادية ما بين بلاد المغرب و بلاد السودان الغربي ممّا أدّى إلى انتعاش الاقتصاد

---

[1]- عبد الرّحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج6، ص 72.

[2]- مصطفى أبو ضيف، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين و بني مرين ط1، مطبعة دار النّشر المغربية، الدّار البيضاء ، المغرب، 1982م ، ص 269 .

[3]- تنتسب هذه القبيلة إلى الشيخ عمر بن عبد الرّحمان ، و هو الذي اتخذه محمد الشيخ الوطّاسي نقيبا على توات عام (903هـ /1497م) ، انظر: محمد عبد الكريم التمنطيطي ، التقييد ، الورقة3 .

[4]- محمد الطيب بن عبد الرّحيم ، القول البسيط في أخبار تمنطيط ، ص 23 .

[5]- ينقسم أولاد ملوك إلى قسمين وهما أولاد غانم و أولاد الحاج الذين سكنوا بتديكلت ثمّ انتقلوا إلى توات ، انظر : محمد الطيب بن عبد الرّحيم ، المصدر نفسه ، ص 18 .

بتوات، ولتسهيل العمليات التّجارية ضرب العرب السكة لأنّ البيع والشّراء كان يتمّ بالمقايضة، كما اهتمّ العرب بالحرف و أهمّها النجارة و الحدادة وهذا ما اشتهر به سوق تمنطيط[1].

وفي سنة (665هـ / 1266م) دخل إلى توات قبائل بني هلال[2] واستقرّوا بتسابيت ورقان وتمنطيط، كما دخل العرب الأشراف قصر بربع[3] سنة (817هـ / 1414م) ورغم عددهم القليل إلاّ أنّهم احتلّوا مكانة محترمة بين سكّان المنطقة نظرا لنسبهم الشّريف، إذ كانوا يفضّون النزاعات بين القبائل التواتية.

-العبـــيد :

كان سكّان السودان الغربي يشنّون حروبا على بعضهم البعض وكلّ من وقع في أسرهم يباع إلى تجار بلاد المغرب وتجّار توات، وكان العبيد يستغلون من طرف البربر في الأعمال الشاقّة كالعمل في البساتين و الرّعي و شقّ الآبار و بناء القصبات ، و بعد استقرار العرب بإقليم توات تزايد عدد العبيد نظرا لحاجتهم إليهم و هذا ما أشار إليه الرحالة ابن بطوطة لما رافق قافلة من تكدا إلى توات سنة (754هـ / 1353م) ، بأنّها حملت ستّ مائة خادم أي العبيد النّساء و الجواري .

وترجع أصول عبيد توات إلى قبائل البنبارا و المنيقو و البوبو و الهابيبي والهوسا والفلان والموسي والسرفو والفوتا وجلبو من مدينة سوكوتو و بورتو و كوبر و كشنة[4] و تعرّض العبيد في توات لمعاملة قاسية من قبل أسيادهم فلم يهتمّوا بهم لا من ناحية الملبس أو المأكل ، ولما لاحظ الملاك بأنّ صحّة العبيد تؤثّر على الانتاج ممّا جعلهم يعتنون بهم .

كما قام الملاك بتزويج العبيد للخادمات حتّى يحافظوا على سلالتهم و بذلك يكثر عددهم، وكان للعبيد أحياء خاصّة بهم في القصور و بين بيوتهم و بيوت أسيادهم مساحات فارغة ، و بعد اعتناقهم

[1] محمد الطيب بن عبد الرّحيم ، المصدر نفسه ، ص 26 .

[2] -R. pottier , histoire du Sahara, nouvelles éditions latines , paris , 1947 , p 66 .

[3] - أحد قصور تيمي .

[4] -A . Selka, notice sur le Touat, bulletin de la société géographie ‘Alger et de l’Afrique du nord,3e trimestre,1992 ,p 524 .

للإسلام شكّلوا شريحة هامّة في المجتمع التواتي[1] وتكاثر عددهم حتّى فاق عدد القبائل العربية و البربرية .

وألّف أحمد بابا التنبكتي رسالة في شأن العبيد المسمّاة " الكشف والبيان لحكم مجلوب السودان "، وذكر فيها أنه لا يجوز للتواتيين امتلاك العبيد الذين جلبوا من بلاد السودان الغربي لأنّهم مسلمون أحرار ، و يقول في هذا الصّدد : " أنّ بلاد السودان الغربي بقرب كل منها بلاد فيها كفرة يغير أهل تلك البلاد المسلمين عليهم و بعضهم تحت ذمّتهم يؤدّون خراجا لهم على ما بلغنا كما هو مشهور، وربما حصلت فتنة بين بعض السّلاطين من هذه البلاد فيتحرّك بعضهم على بعض ويغير على بلاده ويسبي ما تيسّر له منهم و هم مسلمون و يباع المسبي و هو حرّ مسلم فإنّا لله و إنّا إليه راجعون وهذا مستفيض عندهم في بلاد هوسا يغير كشن على كانو وكذا غيره ألسنتهم واحدة لا يعرف بعضهم من بعض إلاّ هذا مسلم أصليّ و هذا كافر أصليّ "[2].

-الحراثيـــن

الحرثاني هو من كان أبوه حرّا سواء عربي أو بربري و أمّه جارية و اشتهر الحراثين بزراعة النّخيل في الواحات و رعي الإبل و حفر الآبار و العمل في الفقارات، و ذكرهم الناصري إذ قال :" وأعلم أنّه قد وقع في هذا الزمان لفظ الحرطاني ، و معناه في عرف أهل المغرب العتيق و أصله الحرّ الثاني ، كأنّ الحرّ الأصلي حرّ ثاني ثمّ كثر استعماله على الألسنة فقيل الحرطاني على ضرب التخفيف"[3].

-اليهـــود :

ترجع بداية ظهور اليهود بتوات إلى القرن (8هـ / 14م) ، بعدما أصبحت الطريق التجارية التي تربط منطقة السوس بمملكة غانا غير آمنة فتوجّهوا إلى الطريق الرّابط بين تافيلات وتوات وبلاد السودان الغربي .

---

[1]- بعد أن دخل العبيد للإسلام ، هناك من حفظ منهم بعض مصادر الفقه المالكي ، و قد كان مع الإمام المغيلي أثناء سفره إلى فاس ستة مماليك كلهم حافظين للمدوّنة و كلهم فقهاء خاصّة ميمون الذي ناظر علماء فاس في نازلة اليهود ، انظر : محمد بن عبد الكريم المغيلي ، مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، تح : رابح بونار ، الشّركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1968م ، ص 18 .

[2]- أحمد بابا التنبكتي ، الكشف و البيان لحكم مجلوب السودان ، مخطوط بالخزانة البكرية ، بدون رقم ، ص ص 1 – 2 .

[3]- أحمد أبو العبّاس النّاصري ، الاستقصا ، ج7 ، ص 58 .

فاستقرّوا بتمنطيط و تيطاف و تازولت و تاخفيفت و تاسفاوت ، إلاّ أنّ وجودهم الحقيقي كان بتمنطيط و كان لهم حي خاصّ بهم و لما لاحظوا معاملة سكّان توات لهم بحذر كونهم أهل ذمّة، فادّعت طائفة منهم الإسلام و لقّبوا بالمسلمانيين أو المهاجرية[1].

واشتهر اليهود بنشاطهم التجاري الذي أتقنوه بشكل كبير و سيطروا على سوق تمنطيط وذكر محمد الطيب بن عبد الرّحيم في كتابه " القول البسيط في أخبار تمنطيط "أنّه كان بالسّوق " ثلاث مائة و ستون صائغا يهوديا "[2].

وطلب بربر توات من اليهود الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو مغادرة المنطقة فقام اليهود بطلب المساعدة من قبيلة أولاد علي بن موسى مقابل تقديم الهدايا[3] وبعد أن أسلمت طائفة المهاجرية أصبحت تتعامل مع سكّان توات بطريقة عادية دون حرج و لكنّها لم تختلط بهم و كان لها عاداتها و تقاليدها الخاصّة بها وهي عدم الزّواج من غيرهم ، ولما وثق التواتيون في إسلام اليهود قاموا بتقريبهم من أهلهم وأدخلوهم بيوتهم واتخذوهم في متاجرهم واستأمنوهم على أموالهم، فقويت شوكة اليهود بالمنطقة وسيطروا على التجارة و تحكموا في دواليبها .

-عادات وتقاليد المجتمع التواتي :

تكون المجتمع التواتيمن خمسة شرائح اجتماعية لكن هذا لم يمنع من وجود روح التعاون والمؤاخات بين الأفراد، لأنّ المجتمع التواتي مجتمع مسلم، حيث غرس فيهم الإسلام المحبّة والتعاون والتعاطف وهذا ما اشتهرت به القصور التواتية.

وعرف التواتيون بعاداتهم و تقاليدهم وأهمّها إكرام الضيف وهي عادة ورثها الأبناء عن الآباء إذ يوجد في كلّ قصر مجموعة من الأشخاص مهمّتهم التعرّف على الغرباء واصطحابهم إلى دار الضيافة، و تقوم كلّ أسرة حين يأتي دورها بتقديم الطعام للضيوف لمدّة ثلاثة أيام، ولم يخلو قصر من القصور

[1]- وهي طائفة من اليهود دخلت الإسلام، وامتنعت عن الاختلاط بالقبائل الأخرى عن طريق الزواج مثلا و توجد في بعض المناطق من إقليم توات، انظر : أحمد الحمدي ، المرجع السابق ، ص 28 .

[2]- أحمد الطيب بن عبد الرحيم ، القول البسيط في أخبار تمنطيط ، ص 14 .

[3]- أحمد الحمدي ، المرجع السابق ، ص 28 .

التواتية من هذه العادة، فكان المسافرون يلجئون إلى دار الضيافة نظرا لمعاناة السفر والبيئة الصحراوية القاسية، كما كان للمسجد بيوت وغرف خاصّة لاستقبال المسافرين والغرباء[1].

ولقد اهتم سكان توات بزيارة أقاربهم خاصّة بيوم الجمعة لتناول الغذاء و التحدث في مختلف المواضيع كزواج أحد أفراد العائلة[2].

وكان الزواج في توات يتمّ بعد الخطبة و تقديم المهر للمرأة، ويتمّ بكثرة بين الأقارب، فلا يصح أن يتزوّج الشخص من امرأة أخرى ويترك قريباته وكان يقوم سكان توات بتزويج الفتاة دون استشارتها وأخذ رأيها و لما دخل الإمام المغيلي إلى المنطقة وضّح للسكان ضرورة استشارة المرأة في قضية زواجها واختيار الزوج، وانّه يمكن للولد أن يعصي أمر والديه إذا لم تعجبه المرأة التي اختارها له أهله[3].

وكانت حفلة الزواج تتمّ لمدّة ثلاثة أيام متتالية يدعو فيها أهل العريس أعيان القصر لحضور الولائم، أمّا في المساء فيقومون بإظهار فرحتهم عن طريق الرّقص و الدق على الطبول.

أمّا في اليوم الثالث فيأخذون العريس إلى المسجد و يضعون له الحنّاء في يديه ثمّ يتوجّهون به إلى منزله، وكأنّهم يقولون للعريس يجب أن تكون العلاقة بين المسجد والبيت قوية و عليك بصلاة الجماعة[4].

و إذا تمّ انجاب الطفل فتفرح العائلة أشدّ الفرح و يدعون جميع أفراد العائلة و الذي لا يحضر قطع حبل سرّته فلا يرى الطفل لمدّة ثلاثة أشهر، و بعد مرور سبعة أيام يذبح والد الطفل أجود ما لديه من الغنم و هذا ما يسمّى في شريعتنا بالعقيقة، ويسمون الولد باسم جدّه ، و إذا كانت بنتا يسمّونها باسم جدّتها ، و من عادات بعض العائلات التواتية أنّهم يمنعون إعطاء الماء للطفل لمدّة أربعين يوما ويعطونه حليب الشاة فقط .

---

[1]- المرجع نفسه، ص 46 .

[2]-A . selka, notice sur le Touat, p551.

[3]- مجموعة من علماء تلمسان و توات ، النوازل التواتية ، الخزانة البكرية ، تمنطيط ، (دون رقم) ، الورقة 11 و .

[4]- محمد بن عبد الكريم التمنتيطي ، تقييد حول تاريخ توات و تمنطيط ، ورقة 4 ظ .

و لما يبلغ الطفل سنة ، يحلقون نصف رأسه و يضعون صدفة في أذنه اليسرى و لما يبلغ الثلاثة سنوات يتمّ إدخاله للكتاتيب لحفظ القرآن الكريم[1].

ومن العادات التي اهتمّ بها التواتيون هي اللباس ، فكان الرّجال يلبسون عباءة بيضاء و عمامة في فصل الصيف، لأنّ العباءة فضفاضة لا تبدي شكل الجسم ولونها الأبيض يعكس أشعّة الشمس، والعمامة تحجب الشمس عن الرّأس، أمّا في فصل الشتاء فكانوا يلبسون البرنوس المصنوع من الصوف وعمامة تحفظ رؤوسهم من البرد القارص، أمّا بالنسبة للباس المرأة فقد كان محتشما وتضع فوق لباسها ما يسمّى بالإزار، وكان التواتيون يطلقون على المرأة نظام الحجبة فلا تخرج من البيت إلاّ إذا اقتضت الحاجة[2].

ومن الأنظمة الإجتماعية المعروفة بإقليم توات والدالة على التكاثف والتعاون والمحبّة بين السكان "التويزة"، ففي حالة تعرض أحد القصور الى زحف الرمال و تعرض البيوت للخطر ، يقوم البرّاح بإعلان الخبر في جميع القصور، بموعد التويزة لمساعدة الناس المتضررين كما يظهر التعاون والتآزر بين التواتيين إذا انتهى مخزون التمر لدى إحدى الأسر فيتسارع الناس لمساعدتها ، كما يظهر التعاون أثناء المناسبات السعيدة كالأفراح و المناسبات الأليمة كالوفاة أو المرض[3].

و بالنسبة لمساكن التواتيين فقد تكوّنت من غرف متوسطة الحجم و غرفة كبيرة ليتم فيها إدخال الضيوف وبهو كبير توجد باحدى جوانبه خزانة مبنية بالطين يضعون فيها العلف والتمر، وكانت منازلهم تبنى بالطوب الأحمر المصنوع من الطين أمّا السقف فيبنى بخشب و جريد النخيل[4].

و اهتم سكان توات بالمناسبات الدينية أيّما اهتمام فكانوا يستقبلون شهر رمضان بعدة مظاهر، وكانوا يعاملون الصائمين الجدد سواء ذكورا أو إناثا معاملة خاصّة فيشترون لهم الثياب ويذبح الوالد لإبنه أجود ما يملك[5]، وكان الرجال يتّجهون بعد الإفطار نحو المسجد لصلاة التراويح و قبل ذلك

---

[1]- المصدر نفسه، الورقة نفسها.

[2]- مجموعة من علماء توات و تلمسان ، النوازل التواتية ، و 30 و .

[3]- مجموعة من علماء توات و تلمسان، المصدر السابق، و 41و.

[4]- محمد بن المختار الكبير الكنتي ، الطرائف و التلائد ، و 101 و.

[5]- عبد الحميد بكري ، النبذة في تاريخ توات و أعلامها ، الطباعة العصرية ، الجزائر ، 2010 ص 25.

يقومون بقراءة الحزب الراتب جماعة ثمّ يحضرون دروسا مع الإمام في الفقه و التفسير، وبعده تتلى صلاة التراويح[1].

و كانت بعض المدن الكبرى في توات كتمنطيط يقرأ فيها صحيح البخاري من أوّله إلى آخره حديثا حديثا و يتناولونه بالشرح و الدراسة، وكان وقت قراءته بعد صلاة الصبح و عند الضحى وبعد الظهر إلى وقت المغرب ، وكانت ختمته تتم في اليوم السادس و العشرين من رمضان بحضور أعيان المنطقة و عامة المسلمين من أهل البلاد و غيرها .

وإذ ا صادف دخول شهر رمضان الكريم فصل الصيف فإن سكان توات يعانون كثيرا بسبب الحرارة صيفا فكانوا ينامون في النهار في الفقاقير نظرا لبرودتها ، فيبقون فيها لصلاة الظهر و بعد ذلك إلى المساجد و بعد صلاة العصر يتجهون نحو بساتينهم وحقولهم[2].

وفي وقت السحور كان يمر البرّاح على جميع بيوت القصر معلنا عن دخول وقت السحور، وذلك بواسطة دف بضرب عليه ، و كان البرّاح يأخذ أجرته بعد انتهاء شهر رمضان و كانت في الغالب من التمر، أمّا ليلة القدر فكان شأنها عظيما و ينتظرها الناس يجلسون في المساجد من صلاة المغرب موعد افتتاح السلكة التي كان يبدؤها الإمام و تختم عند طلوع الفجر بعد صلاة الصبح. والكثير من العلماء كانوا يفضلون البقاء في المسجد الى غاية الظهر ، فضلا عن اعتكافهم في المساجد ، بغية طلب الأجر و الثواب[3].

واهتم التواتيون أيضا بالأعياد الدينية كعيد الفطر والأضحى وعاشوراء والمولد النبوي الشريف، فكان الناس يلبسون الألبسة الجديدة و يتجهون نحو المسجد لصلاة العيد ، وبعد الفراغ من الصلاة يقع التراحم بينهم و المسامحة وهو أهم ما ميز عيد الفطر إذ تنتهي فيه الخصومات و ينزع فتيل المشاكل و الفتن ، وتزرع المحبة و الإخاء[4].

---

[1]- عبد الحميد بكري المرجع نفسه، ص 24.

[2]- عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ، ص 24

[3]- مجموعة من علماء توات و تلمسان ، المصدر السابق ، و 20 و

[4]- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي ، المصدر السابق ، و 20 و.

أما في عيد الأضحى فيذبح السكان الأضحية بعد الصلاة و يتصدقون بجزء منها على الفقراء والمساكين ، أمّا في يوم عاشوراء فيزور الناس المقابر و توزع بعض الأموال على الأطفال و المساكين، وفي المولد النبوي الشريف كان يتجه الجميع الى المساجد، قصد قراءة القصائد والمدائح الدينية التي تتعرض لحياة المصطفى عليه أزكى الصلاة و السلام، و تتناول خصاله بالمدح و الثناء ، فتمسك أهل توات بهذه العادة الحسنة والهدف منها تربية النشأ على حب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وتزكية خواطرهم بسيرته الطاهرة[1].

تاسعا: الحياة السياسية في إقليم توات:

1- توات تحت سلطة عرب المعقل:

خضع إقليم توات لسلطة عرب المعقل منذ القرن (7هـ/13م) بعد أن ضعف نفود دول المغرب الإسلامي في الشمال على المناطق الجنوبية خاصة منطقة توات ، وكان استقرارهم بالواحات، وفي سنة (714هـ/1314م) دخل الى المنطقة أبو علي والي سجلماسة ودرعة بأمر من والده أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، فلاحظ أن جميع القصور التواتية كانت تحت سلطة وقوة عرب المعقل، فلم يستطع مواجهتهم في هذه المنطقة، ولكفّ شرهم قام بتوليتهم في المناصب ومنحهم جزءا من خراج توات، ولكن بعد أن تفرّق عرب المعقل في مختلف المناطق، ضعف نفوذهم، فتمكّن أبو علي من السّيطرة على توات دون مقاومة[2].

2- توات تحت نفوذ الدّولة المرينية :

بعد سقوط الدولة الموحدية سنة (660هـ /1262م) تأسّست الدولة المرينية على يد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحقّ سنة (668هـ / 1269م) ، وتداولت أسرته الحكم التي كانت تنتمي إلى قبيلة زناتة البربرية[3] والتي سيطرت على الكثير من المناطق التي كانت تحت نفوذ الدولة الموحدية وأهمّها

[1]- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، المصدر السابق، و 3 و .

[2]- المصدر نفسه ، الورقة نفسها .

[3]- حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، ص 204 .

إقليم توات، الذي أخضعه والي سجلماسة بدون أيّ مقاومة[1] كما أشرنا سابقا، وفرض على سكّانه الضرائب و تمكنت الدولة المرينية بذلك من بسط نفوذها على منطقة توات، ونصّبت رؤساء القبائل وجعلتهم يتولون إدارة شؤون العامّة وذلك لضمان ولاء السكّان وكانت تأخذ عنهم الضرائب الخاصّة بالأراضي الزراعية و الأسواق التجارية و المهن و الحرف اليدوية .

فكانت تبعية إقليم توات للدولة المرينية في غالب الأحيان تبعية اقتصادية ، بهدف السيطرة على الطريق التجاري المؤدي إلى بلاد السودان الغربي .

إلاّ أنّ الأوضاع السّياسية المزرية و الاضطرابات والفوضى التي لحقت بالدولة المرينية أضعفها فكان رؤساء القبائل الذين كانوا تحت وصاية بني مرين يقطعون الضرائب عنهم كلّما أحسّ بضعفهم[2].

3- توات تحت حكم الجماعة التواتية :

بعد سقوط الدولة المرينية سنة (869هـ / 1464م) ، أصبح إقليم توات تحت رئاسة قاضي الجماعة الشيخ يحي بن يدير و جماعة المسلمين[3] وتمّ حكم توات بتطبيق أحكام الشريعة وطبقا أيضا للأعراف والتقاليد ، فكان كلّ فرد في توات يلتزم بالتعاليم و يطبقها ، فكان رئيس القبيلة أو القصر يقوم بتطبيق الأحكام نظرا لما يتمتع به من نفوذ واسع داخل قصره و الأمر نفسه ينطبق على شيخ المقاطعة الذي كان يشرف على القصور و القبائل المتحالفة فيما بينها[4].

إمارة الإمام المغيلي :

بعد وفاة الشيخ يحي بن يدير، قام الإمام المغيلي بإخراج اليهود من تواتسنة (882هـ/ 1477م)، و بذلك تمكّن من إخضاع جميع القصور التواتية، و لم يترك للقبائل التي عارضته في إخراج نازلة اليهود

---

[1]- التمنطيطي ، التقييد ، و 3 و

-ابن مرزوق ، المسند الصحيح ، الحسن ، ص 111 .

[2]- أحمد الحمدي ، المرجع السابق ، ص 51 .

[3]- التمنتيطي ، المصدر نفسه ، و 1 و .

[4]- مجموعة من علماء توات و تلمسان ، المصدر السابق ، و 39 ظ-محمد الطيب بن عبد الرحيم ، البسيط في أخبار تمنطيط ، ص26 .

من إقليم توات أيّ سلطة خاصّة قبيلة أولاد علي بن موسى ثمّ قام بنقل عاصمة إقليم توات من تمنطيط إلى نواحي بوعلي[1].

ولم يكن الإمام المغيلي يثق في رؤساء القبائل فقام بجعل ابنه عبد الجبّار[2] قائد جيشه،ومهمّته حماية النظام بتوات، وضبط القوانين الشرعية و في هذا الصدد قال التمنطيطي : "فلمّا مهّد الأرض استخلف ولده سيدي عبد الجبار و غاب لأرض التكرور"[3].

وتمكن الشيخ المغيلي من تغيير النظام السياسي بتوات إذ سحب السلطات من رؤساء القبائل وأصبحت تحت تصرفه ممّا جعل إقليم توات مستقلاّ ولا يخضع لأيّ دولة سواء سياسيا أو اقتصاديا[4].

4- توات تحت نفوذ الدولة الوطاسية :

بعد أن قام الإمام المغيلي بإجلاء اليهود من توات تعطّلت العديد من الصنائع والحرف فلم يتأقلم السكان مع هذه الأوضاع، كما قامت الدولة الوطاسية بإطلاق ادّعاءات و هي أنّ إقليم توات أصبح غير آمن و مستقرّ و كلّ من مرّ بطريقه يتعرّض للسّرقة و القتل، فوصلت هذه الأكاذيب التجار الذين تعودوا على المرور بالإقليم فاقطعوا عنه لأنّهم خافوا على أنفسهم وسلعهم ، ممّا جعل منطقة توات تعيش في ركود اقتصادي، فقام بعض سكان توات المناصرين لليهود بقتل عبد الجبّار بن المغيلي سنة (899هـ / 1493م) ممّا جعل اليهود يعودون للإقليم للمرّة الثانية فسمع الإمام المغيلي خبر مقتل ابنه وهو بكاغو[5] فغضب لذلك أشدّ الغضب فعاد إلى توات سنة (902هـ / 1496م) بعد زيارته للبقاع المقدسة وقام بشنّ حرب على اليهود لكنّه لم يحقق الانتصار[6] لأنّ اليهود تلقوا

---

[1]- بوعلي وهو قصر اختاره المغيلي ليقيم بقربه زاويته و يقع شرق تازولت عنه انظر: A . selka, notice sur le touat p54-

[2]-يقع ضريح عبد الجبار بن الإمام المغيلي بقصر زاجلو المرابطين بولاية أدرار .

[3]- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي ، التقييد ، و 1 ط .

[4]- يحي بو عزيز ، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة ، ج2 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1995م ، ص 155 .

[5]- كاغو عاصمة امبراطورية مالي ، عبد القادر زبادية ، الحضارة العربية و التأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء ، دراسات و نصوص ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط 1989 ، ص 16 .

[6]- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي ، التقييد ، و 2 و .

المساعدة من طرف قبيلة أولاد علي بن موسى ورئيسهم عمر بن عبد الرّحمن الذي زوّدته الدولة الوطاسية بالأسلحة الرّجال[1]، ووقعت المعركة بين الجيشين بالقرب من قصر أولاد اسماعيل[2].

وفي سنة (903هـ / 1497م) عين سلطان المغرب محمد الشيخ الوطاس[3] (ت 910هـ / 1504م) عمر بن عبد الرّحمن نقيبا على توات.

ومن الأسباب التي جعلت محمد بن عبد الرّحمن يعادي الإمام المغيلي هو تجريده من جميع السّلطات، بعد أن كان زعيما لأكبر القبائل في توات، إضافة إلى انقطاع الهدايا عنه و التي كان يقدمها اليهود مقابل حمايتهم[4].

وبعد هذه الأحداث دخل إقليم توات في دوامة من الصراعات الداخلية بين القبائل حول السلطة، فانقسم السكان إلى قسمين قسم غربي يناصر الدولة الوطاسية، وقسم شرقي متعلق بمبادئ وأفكار المغيلي، فبسط الوطاسيون نفوذهم في الجهة الغربية من توات، كما استقرّ اليهود بهذه المناطق فوجدوا الحماية والاستقرار، ووجدت بهذه الناحية ثلاثة مدن كبيرة وهي تمنطيط وتيمي وبودة وهي أهمّ مدن توات اقتصاديا لما احتوته على أسواق ذات شهرة كبيرة يتوافد عليها التجار من كلّ البلدان، ومن الواضح أنّ الدولة الوطاسية كانت تهدف منذ البداية على السيطرة على الطريق التجاري المؤدّي لبلاد السودان الغربي ، بعد أن زرعت الفتنة بين سكان توات .

عاشرا: الحياة الاقتصادية بتوات:

تميز إقليم توات في القرن 8هـ إلى غاية 10هـ بازدهار اقتصاده، الذي تمثلت نشاطاته في الزراعة و الصناعة و التجارة .

1-الزراعـــة :

[1]- المصدر نفسه ، و 3 و .

[2]- يقع قصر أولاد اسماعيل بتمنطيط .

[3]- محمد الشيخ الوطاسي بن أبي زكريا أبو عبد الله توفي ليلة السابع و العشرين من رمضان (910هـ / 1504م) قصده المغيلي بفاس في قضية يهود توات فلم يقم هذا السلطان بمساعدة الإمام المغيلي خاصّة بعد وشاية علماء فاس به ، انظر : أحمد بن القاضي ، لقط الفرائد ، 278 .

[4]- أحمد الحمدي ، المرجع السابق ، ص 56 .

اشتهرت منطقة توات بتنوع محاصيلها الزراعية وساعد على ذلك كثرة المساحات المزروعة بالقرب من مجاري الأودية، إضافة إلى توفر المنطقة على المياه الجوفية التي تقوم على نظام الفقارات، كما تميزت هذه الزراعة بالوفرة والجودة، بفضل الجهد الذي كان يبذله الفلاّح التواتي كحرث الأرض و العناية بالمحاصيل .

وأهمّ زراعة في توات هي زراعة النخيل التي اهتمّ بها الفلاّحين لأنّ التمر الذي تنتجه هو غذاؤهم الأساسي، والذي تميّز بتنوعه سواءا في الشكل أو الذوق أو الحجم أو وقت النضوج، وأشهر هذه التمور تقربوش، بمخلوف، تزرزاي ،تلمسو ، تناصر، المسعودية، الحميرة ، أحرطان ، الدقلة[1].

حيث أنّ التمور ذات النوعية الجيدة تنضج في بداية الموسم وفي آخره، ومن المزروعات الأخرى التي اهتمّ بها الفلاّح التواتي زراعة الحنّاء التي كثر انتاجها بتوات الوسطى و التي تسمى أيضا بتوات الحناء نظرا لوفرتها بهذه المنطقة، وأيضا زراعة الحبوب التي كانت تصدّر إلى بلاد السودان الغربي والخضراوات كالجزر و اللفت ومن الفواكه كالرمان و التين و العنب و البطيخ[2].

إلاّ أنّ الفلاّح التواتي كان يتعرّض للكثير من المشاكل أثناء الزراعة و هي كثرة الحشرات خاصّة النمل والزرازير التي كانت تتلف الحبوب و هي لا تزال داخل التربة ،كما يواجه الفلاّح هبوب موجات البرد التي يعصف بالكثير من المزروعات، إضافة إلى تعرّض النخيل إلى الديدان التي تخترق الساق و تقضي على اللب فيصبح جريد النخلة بعد مدّة يابسا و يقضى عليها نهائيا فيقوم الفلاّح بحرق النخلة المصابة لكي لا تنتقل العدوى إلى النخيل المجاور لها .

ومن أخطر المشاكل التي تواجه الفلاّحين بتوات هي هجوم الجراد على المحاصيل الزراعية، فيقضى على كلّ ما هو أخضر، من نباتات و حتى جريد النخيل[3]، و واجهت الفلاّح التواتي ارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف ممّا يؤدّي إلى تبخر مياه السواقي ، فيلجأ الفلاّح إلى تغطية مياه السواقي بالصخور لمنع تبخر مياهها و تجنب سقوط الرمل في في الماء عند هبوب الرّياح و التي تؤدّي أيضا إلى

[1]- أحمد الحمدي ، المرجع السابق ، ص ص 62 – 63 .

[2]- فرج محمود فرج ، إقليم توات ، ص 58 .

[3]- ابن بطوطة ، تحفة النظار ، ج2 ، ص 801 .

اتلاف المساحات الزراعية إذ تتجمع الرمال بكثرة بالقرب من البساتين فيقوم الفلاّح بإقامة سياج من جريد النخيل اليابس لتفادي زحف الرمال على المساحات المزروعة[1].

واهتمّ التواتيون أيضا بالرعي وهو النشاط المرتبط بالزراعة، فإقليم توات اشتهر بمراعيه الكثيرة بالقرب من الأودية، حيث كانت القبائل العربية تقوم برحلة الشتاء إلى توات لرعي الأغنام على ضفاف وادي مسعود الذي تنموا به الكثير من الحشائش والنباتات كالرتم والعزل والباقل والقطف والمرخ، ومن أهمّ الحيوانات التي اهتمّ بتربيتها الفلاّح التواتي هي الإبل باعتبارها الوسيلة الوحيدة للسفر وأخذ الأمتعة، وتميز الجمل بتحمّله للعطش والأكل، إذ يمكنه الاستغناء عنها لمدّة طويلة وإذا كبر في السنّ قام الفلاح بنحره وأكل لحمه، أمّا الناقة فتميّزت بحليبها الذي يمكن للتواتيين الاستغناء عنه[2].

ونظرا لكثرة الإبل في الصحراء كانت تقع الخصومات بين قبائل الإقليم حول التعرّف على إبل كلّ قبيلة ، فقامت كلّ قبيلة بوضع رمز خاصّ على جمالها لتفادي الاختلاط ، لأنّ طريقة رعي الإبل تختلف عن طريقة رعي المواشي، فالراعي يوصل الجمال إلى أوّل مرعى لها ويعود إلى القصر و يتركها بمفردها تجوب الصّحاري التي تتوفر على بعض الحشائش[3].

أمّا الأغنام فكان الفلاّح يقوم برعيها على نطاق واسع و يهاجر بها أحيانا إلى أماكن الأودية بالصحراء في موسم الجفاف ، وكان أيضا يغذيها بالتمر الغير صالح للأكل وبعض حشائش الحقل، فكان التواتي يعتني بمواشيه لما تدرّ عليه من أرباح من خلال لحومها و ألبانها .

-نظـام الرّي بإقليم توات (الفقارات):

استعمل سكان منطقة توات لسقي مزروعاتهم نظام الفقارات، و الذي أشار إليه ابن خلدون قائلا: "في هذه البلاد الصّحراوية إلى وراء العرق طريقة غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلال المغرب، وذلك أنّ البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى و تطوى جوانبها إلى أن يصل بالحفر إلى

[1]- فرج محمود فرج ، المرجع السابق، ص ص 54 – 55 .

[2]- فرج محمود فرج ، المرجع السابق، ص 58 .

[3]- أحمد الحمدي ، المرجع السّابق ، ص 66 .

حجارة صلدة فتحت بالمعاول و الفؤوس إلى أن يرقّ جرمها ، ثم تصعد الفعلة و يقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقتها على الماء فينبعث صاعدا فيعمّ البئر ثمّ يجري على وجه الأرض واديا، ويزعمون أنّ الماء بسرعته عن كلّ شيء ، هذه الطريقة الغريبة موجودة في قصور توات وتنجورارين وورقلة وريغ والعالم أبو العجائب والله الخلاّق العظيم"[1]. وكان يتمّ توزيع مياه الفقارة بتنظيم الحصص المائية حسب نظام التكييل الذي يعتمد على كمية الماء بوحدتين قياسيتين الأولى تعرف بـ"الماجن" ويتمّ بواسطتها كلّ العمليات من بيع و كراء و تمليك ، و تنقسم إلى أربع وعشرين قراطا ويقسّم هو الآخر إلى أربع وعشرين جزءا .

وتسمية هذه الوحدة تختلف من منطقة إلى أخرى، أمّا الوحدة الثانية فيطلق عليها قراط النحاس، وهي وحدة القياس الأساسية الموجودة على آلة القياس والتي تسمّى بالحلافة أو "الشقفة"، وهي عبارة عن قطعة من النحاس مستطيلة الشّكل توجد بها ثقوب تمثل الوحدة التي يقاس بها الماء وتتجزّأ هذه الوحدة إلى "النصف والربع والثمن"، وتعتبر مضاعفات لهذه الوحدة "عشرون قراط – خمسون قراط – مئة قراط"[2].

أمّا عملية التكييل في حدّ ذاتها فهي إجراء يتمّ بمقتضاه توزيع المياه بين الملاّكين و هذه العملية تتمّ على القسرية أو المصرف ، وهو المكان الذي يتم فيه توزيع المياه بين السواقي الفرعية ، ولإجراء عملية التكييل لابدّ من حضور الكيّال الذي يستعمل آلة التوزيع مع حضور الشاهد الذي يراقب العملية و يسجلها في زمام الفقارة و كبار الملاّكين الذين يتمتعون بثقة جميع سكّان القصر[3].

2 – الصناعـــة :

إنّ العزلة التي عاشها الفرد التواتي في وسط الصّحراء المترامية الأطراف و توفّر المواد الأوّلية لصناعته التقليدية فرضا عليه إيجاد مصنوعات تساعده على التكيّف مع المناخ الصّحراوي القاسي، وتلبّي حاجياته اليومية من أدوات ولوازم يستعملها في مختلف نشاطاته، وتميزت الصّناعة التواتية ببساطتها و

[1]– ابن خلدون ، المصدر السّابق ، ج7 ، ص 77 .

[2]– القراط يعطي 1.7 لتر من الماء في الدقيقة .

[3]– محمد صالح حوتية ، توات و الأزواد ، ج2 ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2007 ، ص 91 .

تنوعها و اعتمادها على المواد المحلية المتواجدة بإقليم ، كما وجّهت للاستعمال المحلّي وتلبّي متطلّبات السكان المحليين و لم تكن تباع خارج الإقليم و من أشهر الصناعات المعروفة بمنطقة توات.

– النِجـــارة :

اعتبرت جذوع النخيل مادّة أوّلية لهذه الصناعة، إذ صنعت منها العديد من المنتوجات مثل "أفكر" وهو قفل الباب و"المهاريس" مع أعمدتها واستعملت المهاريس عادة لهرس التمر والذي تطلق عليه تسمية "السفوف" بعد هذه العملية ، إضافة إلى صناعة الملاعق الخشبية[1].

و يحصل النجارون على الأخشاب أيضا من أشجار البلبال والطلحة الموجودة بمجاري الأودية ومن النخيل الغير مثمر، وكانت مراكز الصناعة في كلّ قصر من قصور مقاطعة أولاد سعيد والجريفات وبودة وتسفاوت بمنطقة توات[2].

– صناعة الجلود :

انتشرت هذه الصناعة بإقليم توات ، إذ استعمل فيها الحرفيون الجلود التي كانت تدبغ محليا أو تستورد من بلاد السودان إضافة إلى وبر الإبل[3]، و كانت الجلود تدبغ بواسطة الملح، ويحضّر بإبقائه في الماء لمدّة ثلاثة أيام، ثم ينزع منه الصوف ثم يرجع ثانية الى الماء لمدة ثمانية أيام ، ويستخرج مرّة ثانية و توضع عليه الدباغة المصنوعة من شجرة "تلاية" وشجرة " أقار"التي يطلى بها الجلد وعندما يجهز ويصبح لونه أحمر[4].

ومن أهم المناطق التي اشتهرت بصناعة الجلود منطقة تيديكلت و تتمثل أهم المصنوعات في الأحذية و تجليد السيوف والعلب لحفظ الثياب و الأكياس الصغيرة لحفظ الأشياء[5].

---

[1]– محمد باي بلعالم ، الرحلة العليا إلى منطقة توات ، ج2 ، دار هومة ، الجزائر ، 2005 ، ص 283 .

[2]– المرجع نفسه ، الصفحة ، نفسها .

[3]– محمد صالح حوتية ، المرجع السابق ، ص 282 .

[4]– المرجع نفسه ، ص 137

[5]– محمد باي بلعالم ، المرجع السابق ، ص282.

- **صناعة الصعف:**

تعتمد هذه الصناعة على المواد المستخرجة من النخيل فتحوّل هذه المواد الى أدوات ذات استعمال يومي مثل استعمال اللّيف لصناعة الحبال والخيوط المستعملة لربط الأشياء ويستعمله الفلاّح في صنع حبل لربط الدواب يسمى "الشكال"،أو لصنع أيدي للقفف وصنع الغرارة[1].

أمّا النساء فكنّ يصنعن لوازم البيت مثل التدارة التي يوضع فيها التمر المهروس وتوجد على أشكال مختلفة وتحمل ألوانا تزيدها بهاء وجمالا إضافة إلى صناعة الأطباق التي تزدهر في فصل الصيف غالبا أي بعد الانتهاء من موسم الحرث ، فيستغلّ النساء وقت فراغهن في ذلك و حرصن كثيرا تعليم بناتهن هذه الحرفة، كما صنع أيضا من السعف القفاف لحمل الأتربة في النشاط الفلاحي[2].

- **صناعة الفخار:**

اشتهرت منطقة تمنطيط بصناعة الفخار لتوفّرها على الطين الذي يستخرج من الأرض في المناطق القريبة من مجرى المياه ثم ينطلق من الشوائب كالحجارة ثم يبلل بالماء دون خلطه وفي اليوم الموالي يقوم الصانع بعجن الطين حتى يتمكن من تليينه ليتفادى كسر الأواني الفخارية أثناء عملية التجفيف .

ثمّ يضيف له قطع صغيرة من الطين المحروق الذي يتمّ سحقه في الرّحى ويسمّى "التفوت"، وبعد ذلك يحصل على عجينة قابلة للتشكيل ، و بعد صناعة الأشكال المختلفة من الأواني و الجرار و القلال ، توضع لتجفّ لمدّة ثلاثة أسابيع إلى شهرين تحت الظل ، فإذا عرضت للشمس فستجفّ المصنوعات من الخارج دون الدّاخل ممّا يجعلها عرضة للكسر[3] .

وبعد هذه العمليات المختلفة تحرق الأواني، حيث الصانع يحفر حفرة يحيط بها الحجارة والعيدان القابلة للاشتعال، ثمّ توضع الأواني قطعة بعد قطعة وتغطى بالحطب، ثمّ تستخرج وهي يابسة وتترك حتى تبرد ، ثمّ تبدأ عملية الطلاء لتزيين المصنوعات بأشكال و رسومات مختلفة .

[1]- عبارة عن وعاء يستعمل لنقل الأتربة و توضع فوق ظهر الحمار وهي مصنوعة من النخيل.

[2]- أحمد الحمدي ، المرجع السابق ، ص 61.

[3]- محمد صالح حوتية ، المرجع السابق ، ص 140 .

– الحياكة :

اشتهر إقليم توات بصناعة الزرابي و البرانس التي انتشرت في جميع المناطق التواتية، إلاّ أنّ هذه الصناعة تميّزت بقلّة المواد الأوّلية خاصّة الصوف والقطن و سبب ذلك راجع إلى قلّة عدد الحيوانات التي تربّى بمنطقة توات، إضافة إلى أنّ الحيوانات التي تربى بالمنطقة كانت رديئة الصوف، كما أنّ سكان توات لم يهتمّوا بزراعة القطن، فكان لزاما على أهل توات شراء هذه المواد من القوافل التجارية القادمة من الشمال و المتوجّهة إلى بلاد السودان الغربي، والتي كانت محملة في أغلبها بالقطن و الحرير و الصوف [1] .

واعتبرت منطقة تمنطيط مركز الصناعات التواتية ، فكثرت بها محلاّت النجارة، والحدادة ومحلاّت العطر، أمّا صياغة الذهب فكان من اختصاص اليهود، فكانوا يشترون تراب الذهب من القوافل التجارية القادمة من بلاد السودان الغربي ثمّ يقومون بصناعة الحلي والقلائد للنساء ممّا جعلهم يجمعون الثروات الطّائلة و بذلك أصبحوا من أكبر تجار الذهب بتوات[2].

3 – التجارة :

عرف إقليم توات حركة اقتصادية مزدهرة بفضل موقعه الجغرافي الممتاز حيث توسّط الطرق التجارية التي تصل بلدان المغرب ببلاد السودان الغربي ، كما أنّ الواحات الخضراء و الممتدّة على شكل هلال ساعدت التجار كثيرا على السفر عبر الصحراء دون تردد وخوف ، كما تميّز طريق توات بكثرة المياه التي تتمثل في الفقارات و الأودية وهذا ما يحتاج إليه المسافر أثناء سفره .

فأصبحت توات قبلة للتجار لأنّهم وجدوا فيها ما يفي حاجتهم في الترحال من ماء وكلأ ومكان تحطّ فيها الراحلة ومن يشدّ الرحال، و ازدادت أهمية توات منذ القرن (8هـ / 14م) ، بعد أن تخلت القوافل التجارية القادمة من الشمال عن المرور ببنغازي [3] .

---

[1]– عبد العزيز العلوي ، العلاقات التجارية بين المغرب المريني و إمبراطورية مالي ، ص 58 .

[2]– محمد الطيب بن عبد الرحيم ، القول البسيط في أخبار تمنطيط ، ص 18 .

[3]– محمد أعفيف، المسالك الصحراوية ، توات حلقة اتصال بين المغرب و إفريقيا الغربية ، ندوة العلاقات بين المغرب و إفريقيا الغربية ، منشورات عكاظ ، الرباط ، 1992م ، ص 51 .

ومن أهمّ الطرق التجارية طريق طرابلس[1] ، غدامس[2] ، تيديكلت الشرقية ، توات السودان الغربي ، ولهذا الطريق أهمية كبيرة إذ أنّ منطقة غدامس كانت منفتحة على تجارة البحر المتوسط عبر طرابلس و قابس [3] ، و تعتبر طرابلس أهمّ منطقة لنهاية هذا المسلك ، بحيث كانت على اتصال دائم بغدامس التي كثرت بها سلع السودان الغربي قبل أن توجه إلى إيطاليا [4] .

إضافة إلى الطريق الذي يربط توات بمنطقة الزاب، وهو مسلك يقع شرق العرق الغربي الكبير، ويتفرع عنه مسلكين آخرين أحدهما يتّجه شرقا باتجاه تيديكلت الشرقية أمّ المسلك الآخر فيتّجه غربا نحو تيكورارين و يعبر وادي مقيدن حتى يصل إلى توات [5]

كما يوجد مسلك آخر يربط شرق وادي الساورة بإقليم تيكورارين حتى يصل إلى إقليم توات ، وبجانبه مسلك آخر يعبر مسالك مائية أهمّها تبلكوزة و حاسي المعازي و حاسي الشيخ ، و وجدت أيضا مسالك أخرى لكنّها قليلة الاستعمال لأنّها تخترق العرق الكبير و المتمثل في الكثبان الرملية ممّا يجعل المسافر عاجزا أمامه [6] .

و من أهمّ المسالك مسلك توات، فجيج ، تفيلالت ، تلمسان ، و أهمّ ما تميز به وجود الواحات المتصلة ببعضها البعض، وهو مسلك يجعل القوافل التجارية تتجنب المرور بالعروق والحمادات التي تعتبر حواجز طبيعية بين توات و المغرب الأوسط خاصّة العرق الغربي الكبير [7] .

وكان التجار يمتنعون عن بعض المسالك خلال السنة خاصة الواقعة بجانب العروق إذ يتعذّر استعمالها في فصل الصيف و في فصل الربيع نظرا لكثرة الزوابع الرّملية التي تعيق سير القوافل التجارية،

---

[1]– تحيط بها أسوار جميلة لكنّها غير متينة ، و تقع في سهل رملي مغروس بنخل كثير ، دورها جميلة وليس بها سقايات ولا آبار و إنّما فيها خزانات وتعاني كثيرا من قلّة الحبوب، انظر: الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2 ، ص 97 .

[2]–منطقة كبيرة مسكونة على بعد نحو ثلاثمائة ميل من البحر المتوسط، سكانها أغنياء و لهم بساتين نخل، انظر الحسن الوزان، المصدر نفسه، ص 91.

[3]– مدينة كبيرة بناها الرومان على سواحل البحر المتوسّط، تحيط بها أسوار عالية قديمة وسكانها سود البشرة ، انظر : الحسن الوزان ، المصدر السابق، ص 91 .

[4]– وهي الطريق التي دخل منها مالفانطي (عميل أسرة من جنوة اهتمت بالتجارة) إلى توات سنة (851هـ / 1447)، عبد العزيز العلوي ، العلاقات التجارية و الثقافية بين المغرب المريني و إمبراطورية مالي ، ص 59 – 68 .

[5]_أحمد الحمدي ، المرجع السابق ، ص 58 .

[6]– محمد أعفيف ، المرجع السابق ، ص 58 .

[7]– المرجع نفسه ، ص 59 .

و تؤدّي إلى ضياع السّلع ، أمّا في موسم الجفاف فيقلّ الكلأ بهذه المسالك ولا تجد الدواب ما تأكله لإتمام الطريق [1] .

واعتبر الإبل وسيلة مهمّة لحمل السّلع و البضائع و التنقّل عبر الصّحراء[2]، نظرا لتحمّله العطش وسهولة سيره في الصحاري، وشاع استعماله ابتداء من القرن الثالث الميلادي ، حيث كان التجار يتجمعون بأعداد كبيرة ليسافروا مع بعضهم البعض، ويجعلون الإبل صفوفا و كلّ صفّ يحتوي على مائتي بعير[3]، ثمّ ينطلقون لعبور الصحاري باتجاه بلاد السودان الغربي، محمّلين بأنواع السلع وأهمها التمور و الحناء والملابس المطرّزة التي يستبدلونها بالعبيد و القطن و تراب الذهب وريش النعام، التي يبيعونها بأسواق توات [4].

و كان بعض تجار توات يواصلون طريقهم إلى طرابلس و غدامس و بجاية و تلمسان وتافيلالت وفاس لمبادلة سلعهم التي جلبوها من بلاد السودان الغربي بالأسلحة و السيوف و الفواكه الجافة.

و كان البعض يتوجّه بسلعته إلى تغازي ويستبدلها بالملح ثمّ يأخذه الى بلاد السودان الغربي ويستبدله بالذهب وريش النعام كما جلبوا من غدامس و طرابلس السكر و الفلفل و الصمغ العربي، وكانت قوافل الزاب تجلب الى إقليم توات الصوف و الحنّاء و التمور[5].

وحملت قوافل المغرب خاصة قوافل سبتة وجزولة[6] وسوس[7]إلى إقليم توات النحاس والفضة، فأصبحت توات ابتداء من القرن (8هـ /14م) من أهم مدن الصحراء، إذ ازدهرت بها التجارة وعيّن تجار توات وكلاء عنهم في ممالك بلاد السودان الغربي، إذ وجد في تمبكتو و في ضفاف نهر النيجر

---

[1]- محمد أعفيف ، المرجع السابق ، ص 54.

[2]- عبد العزيز العلاوي ، العلاقات التجارية بين المغرب المريني و إمبراطورية مالي ، ص 60 .

[3]- أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، دار الغرب الإسلامي ، ج2 ، ط2 ، بيروت ، 1990 ، ص 259 .

[4]- فرج محمود فرج ، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر الميلاديين ، ديوان المطبوعات الجامعية و المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،ص ص 70-71.

[5]- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 71.

[6]- جزولة بلاد عامرة بالسكان تتاخم غربا جبل سوس و شمالا الأطلس ، إذ تقع في سفحه تقريبا ، سكانها خشنون ، لهم ماشية كثيرة ، وكمية كبيرة من الشعير ، أنظر : الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ص 144.

[7]- تقع سوس وراء الأطلس وتبدأ غربا من المحيط وتنتهي في رمال الصحراء و شمالا في الأطلس و شرقا عند نهر السوس الذي سميت به ، انظر : الحسن الوزان ، المصدر نفسه ، ص .113

أحياء سكنها تجّار توات [1]، ممّا جعلها تحتلّ مكانة لا يستهان بها في تجارة القوافل، وعرفت بأسواقها التي وفّرت احتياجات سكانها و متطلّبات الوافدين إليها ومن أهم الأسواق التواتية التي نشّطت الحركة التجارية نذكر :

– سوق مدينة تميمون:

احتل أهمية كبيرة ، وشهرة واسعة خارج الإقليم ، حيث عرف بسلعه المتنوعة و التي تتمثل في التمور بجميع أنواعه و الحنّاء و الأواني المنزلية المصنوعة من الحلفاء كالطباق والقفاف والمنسوجات وريش و بيض النعام و العاج و اللحوم المجففة و الفحم و الملح و العبيد[2].

– سوق تمنطيط :

اعتبر سوقها من أول الأسواق المنشأة في الإقليم كله[3]، باعتبارها عاصمة له قبل القرن العاشر الميلادي ، و في هذا الصدد يقول صاحب القول البسيط :" فاعلم أنّ مدينة تمنطيط اسم لمدينة قديمة في إقليم توات ولقد اجتمع فيها العلم والعمارة و الولاية و الديانة و الرئاسة، وانتصبت بها الأسواق والصنائع و التجارات و البضائع و كان لا يستغني عنها غني ولا زاهد....ولا يقنع ذو سلعة عرضها إلاّ بسعرها ...."[4].

وذكر ابن بابا حيدة الحوانيت التي اشتهرت بها مدينة تمنطيط والتي فاقت الثلاثمائة وستين فمنهم الحدادين الصائغين و المحترفين في صناعة الجلود [5].

–سوق رقان :

تقع مدينة رقان في أقصى جنوب إقليم توات بمحاذاة صحراء تنزروفت ، حيث تمّ إقامة سوقها في قصر تمدنين الذي اعتبر محطة لرسو القوافل الآتية من بلاد السودان الغربي ومن قبائل تاودينين،

[1]– أحمد الحمدي ، المرجع السابق ، ص 60.

[2]– فرج محمود فرج ، المرجع السابق ، ص 5.

[3]– ابن خلدون، المصدر السابق ، ج6 ، ص 95.

[4]– محمد الطيب ابن بابا حيدة ، القول البسيط في أخبار تمنطيط ، تح : فرج محمود فرج ،الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية و المؤسسة الوطنية للكتاب، 1977م ، ص 14.

[5]– المصدر نفسه ، ص 15.

المبروك، أهميدان، إيفاووس التي تحمل معها المواشي والإبل والحمير مقابل أنواع التمور كالحميرة وأغمو و تنهود و تيناصر و تينواجل و غيرها...

– سوق عين صالح :

الذي يقع بقصر العرب[1] وهو أحد قصور عين صالح، و الذي عدّ نقطة التقاء المسالك، مما يتيح للتجار العابرين للصحراء فرصة النزول لاستبدال ما يمكن استبداله ثم مواصلة سيرهم [2].

لقد ساهمت أسواق إقليم توات في انفتاح الإقليم على الخارج و شكّلت معابر للقوافل التجارية المحملة و التي يتم فيها البيع و الشراء وأصبحت هذه الأسواق بمرور الزمن من أهم المراكز التجارية التي لا تقل أهمية على أسواق بلاد السودان الغربي[3].

[1] -Déporter , l'extrème- Sud de l'Algerie, Alger : p Font 1980,p 20.

[2]- صالح حوتية ، المرجع السابق ، ص 149.

[3]- فرج محمود فرج ، المرجع السابق ، ص 67.

الفصل الثاني

بلاد السودان الغربي

أولا : أصل تسمية السودان .

ثانيا : الموقع الجغرافي لبلاد السودان الغربي و ذكرها في كتب المؤرخين .

ثالثا : الحياة الاجتماعية .

1- أصل سكان بلاد السودان الغربي .

2- تركيبة السكّان .

رابعا : الحياة السياسية .

1- مملكة غانة .

2- مالي .

3- سنغاي .

خامسا : الحياة الاقتصادية .

1- الزراعة .

2- الصناعة .

3- التجارة .

أولا: **أصل تسمية السودان :**

أطلق العرب كلمة السودان على المنطقة الواقعة جنوب الصّحراء الكبرى الإفريقية وهو مستوحى عندهم من لون بشرتهم السوداء[1]، وحسب الإدريسي فإنّ هذه البشرة اسودّت نتيجة اشتداد الحرارة وإحراق الشمس لهم[2].

وذكر الاصطخري السودان قائلا: "و بلدان السودان بلدان عريضة ...و ليسوا بنوبة ولا بحبشة ولا من البجّة ، إلاّ أنهم جنس على حدة أشدّ سوادا من الجميع و أصفى ..."[3]

ثانيا: الموقع الجغرافي لبلاد السودان و ذكرها في كتب المؤرخين:

ذكر المؤرخون كثيرا بلاد السودان محاولين تحديد موقعها الجغرافي حيث أطلق البكري كلمة السودان على الجزء الغربي من قارة إفريقيا و الذي يمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى مشارف النوبة على النيل شرقا[4] كما ذكر القيرواني في كتابه المؤنس أنّ مدينة سجلماسة تعدّ مدخلا وبداية بلاد السودان[5] .

وذكرها لسان الدين بن الخطيب قائلا: "مداخلهم في الصحراء مسيرة شهرين بين بلاد السودان وبلاد الإسلام وهم على دين الإسلام، وكان أهل بلاد السودان الذين حاضرتهم مدينة غانة منتشرين فيها سلف من الدهر بدين النصرانية ..."[6] .

وذكرها القلقشندي في كتابه صبح الأعشى إذ قال "... أنّ بلاد السودان أوّلها من الجهة الغربية بلاد التكرور ممّا يلي جهة اليمن ..."[1] و حددها ابن حوقل بأنّها تقع في أقصى المغرب على المحيط بلد ملتف...لا نبات ولا عمارة فيها لشدّة حرّها و طول أرضها ألف فرسخ ..."[2] .

---

[1]– عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1971م ، ص 15 – عبد القادر زبادية ، الحضارة العربية و التأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء "دراسات و نصوص" ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989م ، ص 11 . – مبخوت بودواية ، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان ، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان ، 2005م – 2006م ، ص 35 .

[2]– محمد بن محمد أبو عبد الله الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، (د . ت)، ص 18 .

[3]– ابراهيم أبو اسحاق الاصطخري ، مسالك الممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1927م ، ص 40 .

[4]– أبو عبيد البكري ، المغرب في ذكر إفريقية و المغرب و هو جزء من المسالك و الممالك ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، (د . ت) ، ص172.

[5]– ابن أبي الدينار القيرواني ، المؤنس في أخبار إفريقية و تونس ، ط1 ، مطبعة الدولة التونسية ، تونس ، 1286هـ ، ص 105 .

[6]– مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، عني بتصحيحه بشير الفوريتي، ط1 ، مطبعة التقدم الإسلامية ، تونس، 1940م، ص 07.

الغربي

وأطلق الإدريسي أيضا كلمة السودان على الإقليم الأوّل مبدؤه من جهة المغرب من البحر الغربي المسمّى ببحر الظلمات وهي تحوي مدينة أوليل وسلي وتكرور وبرسي ودو ومروة وغانة ..."[3].

وذكر ابن خلدون في العبر بلاد السودان مبينا موقعها فقال:" هذه الأمم من الآدميين هم أهل الإقليم الثاني و ما وراءه إلى آخر الأوّل و إلى آخر المعمورة متصلا ما بين المغرب والمشرق، ويجاورون بلاد البربر بالمغرب وإفريقية وبلاد اليمن والحجاز في الوسط والبصرة وما وراءها من بلاد الهند بالمشرق، و هم أصناف و شعوب و قبائل أشهرهم بالمشرق الزنج و الحبشة و النوبة"[4].

وقد ذكرها المسعودي قائلا: "جعل الله في ولد سام النبوة والبركة، وجعل لحام بعض الشام ومصر وأعالي النيل وبلاد النوبة والبجة، وأصناف السودان مع البحر الأحمر إلى بلاد الحبشة والهند والقوط والسند"[5].

وذكرت بلاد السودان في كتاب عيون الأنباء لابن أبي صبيعة فقال : "بها نهران يشقّ أرض السند و يصبّ في بحرها المالح ، ونهر آخر يشقّ أرض الهند و جميع أرض السودان حتى يخرج إلى أرض النوبة ..."[6].

واعتبرت بلاد السودان من الأقطار الفسيحة الواقعة بين الصحراء و سلسلتي جبال قوبو ومجاهل إفريقيا و دار فور ،و على خطّ الاستواء من بلاد مصر و عدّ ليون الإفريقي[7] من الأوائل الذين زاروا

---

[1]– أبو العباس القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج5 ، دار الكتب الخيدوية ، القاهرة ، 1915م ، ص 303 .

[2]– ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 24 .

[3]– أبو عبد الله الشريف الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مج1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، (د . ت) ، ص 17 .

[4]– عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 264 .

[5]أبو الحسن المسعودي، أخبار الزمان من أباده الحدثان و عجائب البلدان و الغامر بالماء و العمران ، دار الأندلس بيروت ، 1996م ، ص ص 107 – 108 .

[6]– ابن أبي صبيعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تح : نزار رضا ، منشورات دار الحياة ، بيروت ، (د – ت) ، 241 .

[7]– يعرف بليون الإفريقي أو لاون الإفريقي وهو الحسن الوزان ، الذي عرف بكتابه وصف إفريقيا و بواسطته دخل الأوربيون إفريقيا في القرن الخامس عشر الميلادي ، و كانوا يطلقون عليها اسم القارة المظلمة ، كانت دراسته الأولى في فزان بليبيا ، و زار عدّة مناطق في إفريقيا الغربية كمالي و سنغاي وبورتو و بلاد هوسة شمال نيجيريا ، انظر ، شوقي عطا الله و عبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر ، ط2 ، دار الزهراء للنشر والتوزيع ، الرياض .

البلاد و اقتحموا مناطقها و بعد رحلته إليها شجع بعض الرحالة إليها فمنهم من هلك ومنهم من قاسى أشدّ العذاب [1] .

و تنقسم بلاد السودان إلى ثلاثة أقسام هي:

-السودان الشرقي

و شمل مناطق النيل و روافده ، جنوب بلاد النوبة[2] .

-السودان الأوسط :

شمل المنطقة المحيطة ببحيرة تشاد .

-السودان الغربي

شمل حوض السنغال و غمبيا و بوركينافاسو و فولتا العليا سابقا و النيجر الأوسط، فمنطقة بلاد السودان الغربي تطلّ على المحيط الأطلسي من الناحية الغربية و الجنوبية أمّا شمالا فتحدّها الصحراء الكبرى و شرقا بحيرة التشاد أي تشمل كلاّ من السنغال و غامبيا و فولتا العليا[3] وغانا و سيراليون وساحل العاج و ساحل الذهب و داهومي و نيجيريا .

لكن بعد القرن (4هـ / 10م) أطلق جغرافيو بلاد المغرب كلمة السودان على المنطقة الممتدّة من المحيط الأطلسي إلى بحيرة كوري شمال خط الاستواء و جنوب الصحراء ، وهي المنطقة الموازية لبلاد المغرب تفصل بينهما الصحراء الكبرى .

أمّا جغرافيو بلاد المشرق الإسلامي فأطلقوا كلمة السودان على المنطقة الممتدّة من المحيط الأطلسي إلى نهر النيل و البحر الأحمر[4].

---

[1]- مؤلف مجهول ، مجاهل إفريقيا ، تعريب ، المعلم شاكر سقير ، مطبعة القديس جاوجيوس ، بيروت ، 1885م ، ص 17 .

[2]- عبد القادر زبادية ، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493م – 1591م) ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، (د . ت) ، ص 15 .

[3]- الهادي مبروك دالي ،المرجع السابق، ص42.

[4]- أحمد شكري ، الإسلام و المجتمع السوداني ، امبراطورية مالي (1230م -1430م) ، ط1 ، اصدارات المجتمع الثقافي ، أبو ظبي ، 1999 ، ص58 .

الغربي

إلاّ أنّ الكثير من المؤرخين أطلقوا اسم بلاد التكرور[1] على بلاد السودان كابن الوردي حيث قال: "هي جنوب النيل و غربه و هي مدينة كبيرة بها أمم عظيمة من السودان وهي مقرّ ملكهم ببلادهم معدن الذهب "[2].

وقال المقريزي في كتابه الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام "...بلاد الحبشة أوّلها من جهة المشرق المائل إلى جهة الشمال بحر الهند المار من باب المندب إلى بلاد اليمن و فيها يمرّ بحر حلو و جهة حبشة الغربية تنتهي إلى بلاد التكرور ..."[3].

و أكّد ابن عمر التونسي بأن اسم بلاد التكرور أطلق على بلاد السودان في قوله : اعلم أنّ القدماء يطلقون على بعض أهل السودان اسم التكرور[4] و يعنون به أهل مملكة برنو ، لكن قد عمّ هذا الاسم على مماليك متعددة...[5] و سميت بلاد السودان أيضا بأثيوبيا التي قسّمت الى ثلاثة أقسام و هي : أثيوبيا العليا و أثيوبيا السفلى و بلاد الكفر ، وأما امتدادها فقد شمل مصب نهر النيجر إلى رأس كواردافو و كل الأقاليم الصحراوية التي تدين بالإسلام[6]. إلاّ أنّ المقريزي اعتبر بلاد التكرور جزء من بلاد السودان الغربي[7].

---

[1]- تنسب بلاد التكرور إلى قبيلة من بلاد السودان تقع في أقصى جنوب المغرب ، و يشبه أهلها الزنوج ، انظر : المقريزي ، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، القسم الأوّل ، تج : عدنان درويش و محمد المصري ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1995م ، ص 167 .

[2]- سراج الدين بن الوردي (961هـ – 1291م / 861هـ – 1457م) ، عجائب البلدان من خلال مخطوط جريدة العجائب و فريدة الغرائب ، جامعة عين شمس ، المنصورة (د – ت) ، ص 74 .

[3]- المقريزي ، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، تخت رقم : 46290 ، موجودة بالمكتبة الأزهرية ، عدد الأوراق 21 ، ورقة 01 .

[4]- التكرور بفتح التاء المثناة فوق سكون الكاف وضمّ الراء المهملة و سكون الواو مهملة في الآخر هي مدينة على النيل و أكبر مدينة سلا من بلاد المغرب بينها وبين سجلماسة اربعون يوما ، و أقرب البلاد إليها من بلاد لمتونة بالصحراء آسفي بينهما خمس و عشرون مرحلة ، و تعرف كلمة تكرور بصورة كبيرة في المنطقة الجغرافية التي تشمل مناطق مرور قوافل الحج بين الجزيرة العربية و غرب دارفور في السودان و يدخل في هذه المنطقة أجزاء من أرض الحبشة و اليمن من الجنوب ومن الشمال يدخل فيها الشام و مصر ، و كلمة التكرور مصطلح عربي استعمله العرب لوصف الشعوب المسلمة من سكان غرب إفريقيا ، أنظر : القلقشندي ، المصدر السابق ،ص 286 –ابن الوردي ، المصدر السابق ،ص 74.

[5]- محمد بن عمر االتونسي ، تشحيذ لأذهان بسيرة بلاد العرب و السودان ، تح :خليل محمود عساكر و مصطفى محمد مسعد ، الدار المصرية للتأليف و النشر ، القاهرة ، 1965م، ص135.

[6]- مارمولكربخال، إيفريقيا، تر: محمد حجي، محمد زوبير، محمد الأخضر، أحمد توفيق أحمد بن جلول، دار المعرفة ، الرباط، 1989م، ص195.

[7]- المقريزي ن المصدر السابق ، ص 01.

وقد اختلف المؤرخون والجغرافيون في اعطاء تحديد دقيق للموقع الجغرافي لبلاد السودان الغربي، ولكن من خلال ما ذكروه من أقوال ، فإنّ بلاد السودان الغربي تحدّها الصحراء الكبرى شمالا وبحيرة تشاد شرقا والمحيط الأطلسي غربا وجنوبا، وشملت أيضا كلا من السنغال وغامبيا وفولتا العليا[1].

ثالثا: الحياة الاجتماعية:

1- أصل سكان بلاد السودان:

ينتمي سكان بلاد السودان الغربي الى المجموعة الزنجية الأصلية (الزنوج الأقماح) و الى الشعوب الحامية الشمالية و في هذا الصدد قال المسعودي في كتابه مروج الذهب " أنه لما تفرّق ولد نوح في الأرض سارولدكوش بن كنعان نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر ثمّ افترقوا فسارت منهم طائفة ميمنة بين المشرق و المغرب وهم النوبة و البجة و الزنج و سار فريق منهم نحو المغرب و هم أنواع كثيرة نحو الزغاوة و الكانم و مركة و كوكو وغانة و غير ذلك من أنواع السودان "[2].

ويذكر ابن خلدون سكان بلاد السودان فقال : "أنهم شعوب و قبائل أشهرهم بالمشرق الزنج والنوبة يليهم الزغاوة ويليهم الكانم ويليهم من غربهم كوكو وبعدهم التكرور ويتصلون بالبحر المحيط إلى غانية" [3].

وتعتبر شعوب المنطقة الساحلية (الولوف والسيرور والتكرور) ومجموعة الماند الكبيرة من الزنوج الأصليين، أمّا الشعوب الحامية فتتألّف من مجموعة شعوب الفولاني، بينما نسب الهوسا وقع اختلاف كبير حوله [4] .

وقد ذكر ابن خلدون بقية شعوب بلاد السودان الغربي بأنّ "أوّلهم ممّا يلي المحيط أمّة "صوصو" و كانوا مستولين على غانة و دخلوا في الإسلام أيام الفتح و أهل غانة منكرون أن يكون عليهم ملك

[1]- الهادي مبروك ، المرجع السابق ، ص 35.

[2]- المسعودي ، مروج الذهب و معادن الجوهر ، ج1 ، ص 168 .

[3]- ابن خلدون ، العبر ، ج5 ، ص 236 .

[4]- عدنان مراد ، المجتمعات الإفريقية أصولها وتاريخها، مطبعة اتحاد الكتاب العربي، دمشق ، 1995م ، ص 109 .

لأحد غير "صوصو" ثمّ يليهم أمّة مالي من شرقهم ثمّ من بعدهم شرقا عنهم أمّة "كوكو" ثمّ التكرور بعدهم و فيما بينهم وبين النوبة أمّة "كانم" و غيرها ...و تحولت الأحوال باستمرار العصور فاستولى أهل مالي على ما وراءهم من بلاد صوصو و كوكو و آخر ما استولوا عليه بلاد التكرور وأصبحت مدينتهم جني حاضرة بلاد السودان بالمغرب ودخلوا في دين الإسلام منذ حين من السنين، وحجّ جماعة من ملوكهم و أوّل من حجّ منهم برمندار"[1].

وأشهر ما تميز به الزنوج في بنيتهم الجسدية، قوة أجسادهم وأكتافهم العريضة وسواعدهم الطويلة المفتولة و أطرافهم السفلية القصيرة ، والأنف العريض المسطح و الشفاه الغليظة و غالبا ما تكون مقلوبة ، وكثافة شعر الرأس وسواد لون الجلد اللامع وطول القامة ، وممّا يتميز به أيضا سكان المناطق الحارة الرطبة أنّ بهم غدد تساعد على تبخر الماء من أجسامهم و اعتبرت منطقة غرب إفريقيا مهد الشعوب الزنجية الذين أطلق عليهم تسمية سود المروج الخصبة[2].

وذكر القزويني صفات الزنوج إذ قال: "أنّ الزنج خصّصوا بأمور عشرة و هي سواد اللون وفلفلة الشعر و فطس الأنف و غلف الشفة و تشقق اليد و الكعب و نتن الرائحة و كثرة الطرب و قلّة العقل و أكل بعضهم البعض فإنهم في حروبهم يأكلون لحم العدو و من ظفر بعدو له أكله"[3].

2- تركيبة سكان بلاد السودان الغربي :

يتكون بلاد السودان الغربي من مجموعة من القبائل و الأجناس التي تنحدر أصولها الى أصول زنجية و حامية و سامية استقرّت بالمنطقة نتيجة ظروف طبيعية ومناخية كوجود الأنهار و ملائمة المناخ ، وتمكنت من الاندماج بالمصاهرة و توفير الحماية لهم [4]، و من أشهر القبائل التي استقرت ببلاد السودان الغربي نذكر :

[1]- ابن خلدون، المصدر نفسه ، ص 237 .

[2]- عدنان مراد، المرجع السابق ، ص 109 .

[3]- زكريا بن محمد القزويني ، آثار البلاد و أخبار العباد ، مكتبة مشكاة ، ص 30 .

[4]- محمد عوض محمد ، الشعوب و السلالات الإفريقية ، القاهرة ، 1966م ، ص 232 .

- **العرب :**

دخل العرب بلاد السودان الغربي عن طريق هجرتهم من شمال إفريقيا مرورا بالصحراء الكبرى التي لم تقف عائقا في طريقهم و لم تشكل أيّ مشكلة في عبورها لأنّهم تعوّدوا عليها باعتبارها طبيعة بلادهم[1]، ودخلوا البلاد بصفتهم تجار واستقرّوا بها، وازداد تدفق العرب بعد انتشار الإسلام في مناطق السودان الغربي، واختلطوا بالسكان المحليين عن طريق المصاهرة فيما بينهم و هذا ما أدّى بمرور الزمن إلى تغيير ملامح أجناس القبائل العربية "الهينهين" ذكرهم البكري قائلا : "ببلاد غانا قوم يسمون بالهينيهين من ذرية الجيش الذي كان بنو أمية قد نفذوه في صدر الإسلام و هم على دين غانا إلاّ أنهم لا ينكحون في السودان و لا ينكحونهم فهم بيض الألوان حسان الوجوه"[2]، إضافة إلى استقرار العرب الحسانية على ضفاف نهر السنغال، أمّا القبائل العربية الأخرى و التي انصهرت في المجتمع السوداني نذكر البرابيش، أولاد سليمان، أولاد يعقوب، أولاد عيش، أولاد غلاّن، الأنصار السكاكنة ، أهل أروان ، الرقيبات ...[3]

- **الطوارق :**

ارتحل الطوارق [4] إلى بلاد السودان الغربي و انتشروا في الصّحراء الكبرى من توات و فزان شمالا إلى تنبكتو وزندر جنوبا، واختلطوا بسكان المنطقة وتزاوجوا فيما بينهم ممّا أدّى إلى تغير ملامحهم و اكتسبوا بعض الصفات الزنجية [5]، ويستقرّ الطوارق حاليا في الصحراء الكبرى ما بين الحدود

---

[1]- فضل الله يوسف ، الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية ، بحث مقدم لندوة العرب و إفريقيا ، مركز دراسات الوحدة العربية و منتدى الفكر العربي ، بيروت ، 1987م ، ص 19 .

[2]- أبو عبد الله البكري ، المصدر السابق ، 179 .

[3]- ابراهيم طرخان ، امبراطورية غانة الإسلامية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامّة للكتاب ، 1973م، ص 19 .

[4]- اختلف المؤرخون في تسمية الطوارق بهذا الاسم فمنهم من يقول أنهم سميوا بالطوارق نسبة إلى طارق بن زياد ، و منهم من يرى أنّ التسمية جاءت لطرقهم الصحراء و توغّلهم فيها ، و هناك من يرى أنّ التسمية أطلقتها عليهم الشعوب المجاورة لهم نظرا لكثرة ارتيادهم الصحراء ، انظر : الهادي مبروك ، التاريخ السياسي و الاقتصادي لإفريقيا ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، 1999م ، ص 2016 . – محمد سعد القشاط ، الطوارق عبر الصحراء الكبرى ، ليبيا ، مركز دراسات و أبحاث شؤون الصحراء ، 1989م ، ص 20 .

[5]- اسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 176 – 177 .

الشمالية لجمهورية مالي وشمال النيجر وبوركينافاسو وشمال تشاد وجنوب غرب ليبيا وجنوب شرق الجزائر [1] .

وعرف الطوارق عدّة صراعات مع بعض ملوك السودان الغربي [2] حيث حاولوا الانفصال عن مملكة مالي ، ولكن بعد مجيء السعديين إلى السودان تعرّض لهم الطوارق ، و أعلنوا مقاومتهم عليهم لكن بعد فترة تصالحوا حفاظا على مصالحهم الاقتصادية و بعد أن غادر السعديين بلاد السودان استولى الطوارق على تنبكتو مكونين بذلك دولة لهم .

- **قبائل التكرور[3] :**

تنحدر قبائل التكرور من اختلاط قبائل الماندينغ و الفلان مع السكان الأصليين لمنطقة فوتا السنغالية ، و كان دخولهم للإسلام في منتصف القرن 11م ، فكانوا أوّل من دخل الإسلام قبل غيرهم من القبائل ، و عملوا على نشره في مناطق بلاد السودان ، و هم يستقرون حاليا بالسنغال ونشاطهم المعتاد الزراعة و ممارسة الحرف [4] .

- **قبائل الصنغاي :**

سكنت هذه القبائل بالقرب من الغابات الاستوائية ثمّ انتقلوا إلى نهر النيجر ، و كانوا يعتمدون في معيشتهم على الصيد و الزراعة [5] و أسّست هذه القبائل دولة "الصنغاي " أو "السنغاي" حوالي القرن (1هـ / 7م) و اتخذوا مدينة "كوكيا" عاصمة لهم [6] .

---

[1]- الهادي مبروك ، المرجع نفسه ، ص 219 – 223 .

[2]- عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 27 .

[3]- أطلق بعض المؤرخين العرب مصطلح "التكرور" على جميع الزنوج في السودان الغربي ، باعتبار أنّ كلمة تكروري ، مرادفة في نظرهم لكلمة السودان، إلاّ أنّ هذا التعميم لا يقبل به أهل السودان و ذكر ابن فضل العمري ، في كتلبه المسالك و الممالك "صاحب مملكة مالي هو المعروف عند أهل مصر بملك التكرور ولو سمع هذا أنف منه لأنّ التكرور هو إقليم من مملكيه و الأحبّ أن يقال صاحب مالي ، و لا علاقة لهم بقبيلة "التكارنة" في العراق و التي يرجع أصلها إلى تكريت ، و هي احدى بطون قبيلة شمر الطائية العربية ، و يقال لهم الفلوجيون ، انظر : فضل الله العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، مخطوط مصور بدير الدومنيكان ، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية برقم 806 ، 1988م ، ص 43 ، -عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب القديمة و الحديثة ، ج1 ، ط8 ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1977م ، ص 123 .

[4]- البكري ، المصدر السابق ، ص 172 .

[5]عبد القادر زبادية ، مملكة صنغاي في عهد الأسكيين ، (1493 – 1592) ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، (د . ت) ، ص 25

[6]- عبد القادر زبادية ، المرجع نفسه ، ص251 .

و كان انتشار الإسلام في صنغاي نتيجة اختلاط السكان الأصليين مع قبائل صنهاجة المهاجرة من شمال إفريقيا بينما تعيش هذه القبائل في يومنا الحالي في المالي و النيجر و نيجيريا ويتحدثون بلغة سنغاي[1]

- **قبائل السوننك :**

هو أحد فروع الماندي[2] الذين سكنوا الصحراء ثمّ ارتحلوا و استقروا على الحدود الجنوبية لها في منطقة الساحل ، و اختلطوا بالبربر و الفولاني ، و أهمّ ما ميزهم لون بشرتهم الأخفّ سوادا وأجسامهم القوية و عاداتهم و تقاليدهم الغريبة [3]

واعتنق السوننك الإسلام بعد اختلاطهم بالهجرات الوافدة من شمال إفريقيا كما لعبوا دورا كبيرا في نشره بين القبائل حيث أثّرت العقيدة الإسلامية في نفوسهم و حياتهم الاجتماعية تأثيرا كبيرا [4].

- **قبائل البمبارة :**

انتشرت قبائل البمبارة في المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي إلى نهر النيجر و اختلطوا بقبائل الفولان و سكنوا القرى ، وكان الشخص الذي يحكمهم يدعى "دوجوتيجي" بمعنى "سيد الأرض" وتعيش هذه القبائل حاليا في معظم دول السودان الغربي مستقرين بكثرة في جمهورية مالي كعشائر وأسر كبيرة [5] .

- **قبائل الموشي :**

سكنت هذه القبائل المنطقة الممتدة بين نهر النيجر شرقا إلى نهر الفولتا غربا ، و أقامت مملكة وثنية قوية قامت على تقديس الأسلاف و عبادة الشمس و القمر ، و جاورت الممالك الإسلامية

[1]- السعدي ، المصدر السابق ، ص 74 .

[2]- الماندي : هم الشعوب الناطقة بلغة الماندي ، و هم مجموعة من الشعوب المتجانسة متعددة الفروع و هم من أكبر المجموعات العرقية ذات الأصالة الزنجية ، و هم من سلالات الزنوج الشماليين بين الأطلسي و أعالي نهر النيجر ، و تعود أكبر الممالك و الإمبراطوريات الزنجية الكبرى لهم ، و هم يقسمون إلى عدّة شعوب و منهم الماندي و البمبارة و الديولا و السوننك ، انظر : عدنان مراد ، المرجع السابق ، ص ص 112 . 113

[3]- ابراهيم طرخان ، المرجع السابق ، ص 18 .

[4]- شوقي أبو خليل ، أطلس حول العالم الإسلامي ، دمشق ، دار الفكر ، 2003 ، ص 36 .

[5]- عدنان مراد ، المرجع السابق ، ص 113 .

في مالي و سنغاي بداية القرن (10هـ / 16م) و لم تعرف هذه القبائل انتشار الإسلام إلاّ في أواخرهذا القرنعلى يد التجار[1] و عرفت بنشاطاتها الزراعية كزراعة الذرة و احتراف الصيد .

- **قبائل الفولاني:**

اختلفت الآراء حول أصول الفولاني فهناك من يرجعها إلى أصول عربية و ينسبونها إلى عقبة بن عامر بن عيسى بن مالك الجهمي ، و هناك من ينسبها إلى البربر ، لكنن نجد معظم العائلات العريقة الفولانية تنسب إلى قبائل السام و اليمن [2] .

وانتشروا بشكل كبير بين ساحل المحيط الأطلسي وبحيرة التشاد والكامرون وانقسموا إلى 3 أقسام، فالقسم الأول يسمون بفلاني البقر لأنهم امتلكوا الأبقار ومارسوا الرعي، والقسم الثاني هم المستقرّون ونشاطهم المعتاد الزراعة و القسم الثالث نصف المستقرين و يعملون بالزراعة وتربية الأبقار معا[3].

وانتشر الإسلام بين شعوب الفولاني منذ القدم و قد لعبوا دورا مهما في نشره و نشر ثقافته في غرب إفريقيا [4].

- **قبائل الولوف :**

تنحدر قبائل الولوف إلى الأهالي الأصليين لسكان الفوتا السنغالية فانتشروا في غامبيا والسنغال وغينيا ، و عرفت هذه القبائل الإسلام منذ زمن مبكر على يد العرب والفولانيين وشعوب التكرور، واشتهروا بممارستهم للنشاط الزراعي كزراعة الأرض و الصيد و تربية المواشي [5] .

رابعا: الحياة السياسية :

[1]- السعدي ، تاريخ السودان ، ص 74 .

[2]- شوقي أبو خليل ، المرجع السابق ، ص 116 .

[3]- عدنان مراد ، المرجع السابق ، 119 .

[4]- الهادي الدالي ، المرجع السابق ، ص 336 .

[5]- عدنان مراد ، المرجع نفسه ، ص 113 .

قامت ببلاد السودان الغربي عدّة مماليك وامبراطوريات كان لها الدور الكبير في ازدهارها وتقدمها خاصّة في المجال الثقافي والاجتماعي حيث عرفت تقدّما نحو العلم و خروج أهلها من البداوة إلى التحضر و أهمّها :

1- مملكة غانة :

اعتبرت مملكة غانة من أقدم الممالك التي ظهرت ببلاد السودان الغربي وقامت في شرق السنغال وجنوب موريطانيا، كما شغلت جزءا من مالي وحتى من غينيا، وتأسست هذه المملكة خلال القرن الثالث ميلادي و استمرت إلى غاية القرن 13م [1] .

فمع ظهور الحضارة الكوشية في شرق إفريقيا ظهرت امبراطورية غانة في غربها أي ببلاد السودان الغربي وسيطرت على جميع المناطق المجاورة فارضة سلطانها عليهم بفضل قوتها واستعمال شعبها الحديد كسلاح قبل غيرهم [2] .

أمّا اسمها "غانة" فهو لقب لملوكها ثمّ أطلق فيما بعد على جميع المملكة وقد تحدّث عنها الكثير من المؤرخين أمثال البكري الذي ذكر بأنها كانت تدين بالوثنية والمجوسية ولم تكن مسلمة في كلّ ترابها حيث قال : "...هناك مدينتان سهليتان احداهما المدينة التي يسكنها المسلمون و هي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا و فيها فقهاء ...وحملة علم ...و مدينة الملك على ستة أميال من هذه المدينة ... والمساكن بينهما متصلة ومبانيهم بالحجارة و خشب السنط ... وهي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يغد عليه من المسلمين ...و فيها دكاكينهم [3] وقبور ملوكهم "[4] .

وقال أيضا : "... غانة سمة لملوكها واسم البلد أوكار واسم ملكهم اليوم وهي سنة ستين وأربع مائة تنكامين وولي سنة خمس و خمسين ..."[5] .

---

[1]- عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص 17 ، - لطيفة بن عميرة ، الرحلة التجارية بين تلمسان و ممالك بلاد السودان الغربي ، حولية المؤرخ ، العدد الخامس ، جوان ، 2005 م ، ص 05 .

[2]- عبد القادر زبادية ، المرجع السابق، ص 12 .

[3]- الدكاكير تعني الأصنام أو الأوثان ، البكري ، المصدر السابق ، ص ص 275 – 276 .

[4]- البكري ، المصدر نفسه ، ص ص 274 – 275 .

[5]- أبو عبيدة البكري ، المصدر نفسه ، ص 174 .

أمّ الإدريسي فقال : "إنّ مدينة غانة الكبرى مدينتان على ضفة البحر الحلو و هي أكثر بلاد السودان قطرا و أكثرها خلقا و أوسعها متجرا وإليها يقصد التجار المياسير من جميع البلاد المحيطة بها و من سائر بلاد المغرب الأقصى، أهلها مسلمون و ملكها فيما يوصف من ذرية صالح بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب " [1]

و ذكر الّإدريسي موقع غانة قائلا :"أرض غانة تتصل من غربها ببلاد مقزارة ... و من مشرقها ببلاد ونقارة و شمالها بأرض الصحراء المتصلة ببلاد السودان وأرض البربر من اللملمية وغيرها، ومن مدينة غانة إلى بلاد ونقارة ثمانية أيام [2] .

وذكرها ابن الوردي قائلا : "أرض غانة هي شمالي أرض مغرارة، و هي مدينة سميت باسم إقليمها، وهي أكبر بلاد السودان وأوسعها شجرا وهم على سعة من المال وهي مدينتان في ضفة النيل يقصدها التجار من سائر البلاد و أرضها ذهب ظاهر ولهم في النيل زوارق عظيمة ... ولها ملك ضخم في الجنود و العدد، و لها ممالك عديدة ...و يقال أنّ ملكها مسلم "[3] .

أمّا ابن حوقل فقد ذكرها بقوله: "أيسر ما على وجه الأرض من ملوكها بما لديه من أموال"[4].

وقال في شأنها ياقوت الحموي : "غانة كلمة عجمية لا أعرف مشركا من العربية و هي مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان ، يجتمع إليها التجار منها يدخل المغازات إلى البلاد ولولاها لتعذر الدخول إليهم لأنّها في موضع منقطع عن الغرب عند بلاد السودان و منها يتزودون إليها"[5] .

---

[1]- أبو عبد الله الشريف الإدريسي، القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس ، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تح: اسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983م ، ص 38 .

[2]- الإدريسي ، المصدر نفسه ، ص 177 .

[3]- ابن الوردي ، المرجع السابق ، ص 77 .

[4]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 40.

[5]- ياقوت عبد الله الحموي ، معجم البلدان ، مج4 ، دار صادر ، بيروت ، 1984م ، ص 184 .

وقال عنها صاحب الاستبصار : "مدينة غانة مدينتان احداهما يسكنها الملك و أخرى يسكنها الرعية والتجار والسوقة وفي المدينة جامع كبير ومساجد كثيرة وفيها الأئمّة المؤذنون والفقهاء والعلماء، وحواليها آبار عدّة منها يشربون"[1]

وقال في شأنها ابن خلدون : "اتصل ملكها من البحر المحيط وغانة بالمغرب إلى بلاد التكرور في المشرق ..."[2] و ذكرها البلاذي في فتوح البلدان قائلا: "ومن أرقلان إلى غانة ثلاثين مرحلة "[3]

وذكر اليعقوبي مكانتها التجارية قائلا: "مملكة غانة ملكها عظيم الشأن في بلاده المعادن والذهب"[4].

وبفضل ثرائها بالذهب نشطت الحركة التجارية بها ، و في هذا الصدد قال الهمذاني : "إنّ بلادغانة ينبت فيها الذهب نباتا في الرمال ،كما ينبت الجزر و يقطف عند بزوغ الشمس ..."[5]

فمن خلال تقسيم المؤرخين لمراحل حكم غانة يتبين لنا بأنّها مرت بمرحلتين أوّلها حكم البيضان والمرحلة الثانية هي مرحلة حكم السونك[6] ، وبلغت أقصى قوتها و اتساعها في القرن 10م إلى نهاية نهاية القرن 11م ، و اتخذت من كومبي صالح[7] عاصمة لها ، أمّا نظام حكمها فكان ملكيا، و ممّا يلاحظ عن غانة تعدّد الديانات بها كالإسلام و الوثنية و على الرّغم من اختلاف المؤرخين حول سنة تأسيسها إلاّ أنّ المرجّح هو سنة 6هـ ،كما ملكت جيشا عظيما تألّف من اثني عشر محارب.

---

[1] – مؤلّف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، وصف مكة و المدينة و مصر و بلاد المغرب ، نشر و تعليق ، سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر المغربية ، بغداد ، 1986م ، ص 220 .

[2] – عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص267 .

[3] – أبو العباس البلاذري ، فتوح البلدان ، تح: عبد الله أنس الطباع ، و عمر أنيس الطباع ، مؤسّسة المعارف ، بيروت ، 1987م ، ص 160 .

[4] – اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، مج1 ، دار صادر ، بيروت ، 1960 ، ص 69 .

[5] – أبو بكر محمد الهمذاني ، البلدان ، مطابع بريل ، ليدن ، 1886م ، ص 87 .

[6] الهادي مبروك دالي ، المرجع السابق ، ص 25 – 26 .

[7] – كومبي صالح مدينة واسعة الأرجاء أنيقة المباني بها الكثير من الأسواق ، تزينها أشجار النخيل و الحنّاء و كانت تعدّ من أنشط المراكز التجارية بالمملكة بالإضافة إلى بعض المدن المجاورة كمدينة أودغشت التي كانت ملتقى القوافل التجارية و تبعد مدينة كومبي صالح ب205 كلم من الشمال من مدينة باماكو الحالية ، انظر مبخوت بودواية ، العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي في عهد دولة بني زيان ، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان ، 2005 – 2006 ، ص 37 .

و على الرغم من وصول غانة إلى أوج تطورها و ازدهارها بفضل تجارتها للذهب المستخرج من جنوبها و بيعه للمناطق الشمالية ، إلاّ أنّها ضعفت و سقطت لكن الأسباب الحقيقية تبقى مجهولة ما عدى هجوم المرابطين عليها سنة 1054م و استيلائهم على مدينة أودغست سنة 1055م، فورثت مملكة غانة كلّ من مالي و سنغاي ، و منذ سنة 1240م أصبحت هذه المملكة تحت سيطرة مملكة مالي بعد أن سقطت العاصمة كومبي صالح في يد قبائل السوشو[1].

2- مالي :

نشأت مملكة مالي بعد سقوط امبراطورية غانة سنة (460هـ / 1076م) على يد المرابطين ، فانفصلت عنها العديد من الأقاليم التي كانت تابعة لها و كوّنت دويلات مستقلّة تصارعت فيما بينها من أجل السّلطة و الحكم فانتصرت قبائل الماندیغو[2] التي كانت تدين بالإسلام و أسّست مملكة مالي الإسلامية بقيادة سانديانتاكيّا (1230م – 1255م) ، في الجهة الشرقية و الغربية من نهر النيجر ، الذي أخضع قبائل الصوصو في الجنوب و صنهاجة و الأعراب في الشمال، وسكنت مملكة مالي قبائل السراكوبي، و غطّى الدين الإسلامي معظم المملكة على مذهب مالك بن أنس[3].

أمّا بالنسبة للموقع الجغرافي لمالي فتقع على طول وادي النيجر يحدّها شمالا الصّحراء الكبرى وجنوبا الغابات الاستوائية و شرقا بلاد بورنو و غربا المحيط الأطلسي[4].

و ذكرت مالي في كتب المؤرخين و الرحالة و أوّل من ذكرها الرحالة البكري قائلا : "مملكة كبيرة مسيرة أزيد من ثمانية أيام سمة ملكهم ... وهم يقاتلون بالنشاب وراءهم بلد اسمه ملل وملكهم يعرف بالمسلماني و إنما سمي بذلك لأنّ بلاده أجدبت عاما بعد عام "[5].

---

[1]- عبد القادر زبادية ، مملكة سنغاي ، ص 20 .

[2]- تعني كلمة ماندينغ "ابن الأمّ" ف "مان" تعني الأمّ و "طينغ" أو "دينغ" تعني الطفل و هذا دليل على أهمية النسب إلى الأمّ و هو أمر مألوف عند الماندينغو ، و تنتشر لغتهم حاليا في المناطق الجبلية بأعالي نهر السنغال و تتركّز القبائل الناطقة بها في أقاليم سانجران و جانجران و بامبوك و وادي غامبيا الأدنى وتنتشر في القبائل شمالا حتى الصّحراء الكبرى : انظر : الهادي مبروك دالي ، المرجع السابق ، ص 48 – 49 .

[3]- الهادي مبروك دالي ، المرجع نفسه ، ص 48 .

[4]- مبخوت بودواية ، المرجع السابق ، ص 42 .

[5]- البكري ، المصدر السابق ، ص 178 .

و ذكرها ابن خلدون قائلا : "افتتح بلاد كوكو و أصارها في مملكته مالي، واتصل ملكهم من بحر المحيط و غانة بالمغرب ..."[1].

أمّا الحسن الوزان فقال عنها : " ... تمتد هذه المملكة على طول أحد فروع النيجر في مسافة نحو ثلاث مائة ميل متاخمة للمملكة السابقة من جهة الشمال والقفرمع الجبال الوعرة من جهة الجنوب ، تحدّها غربا غابات مهجورة تمتدّ إلى المحيط و شرقا إقليم كاغو و في هذه البلاد قرية عظيمة تضمّ حوالي ستة آلاف كانون تسمّى مالي ..."[2].

و ذكرها ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأبصار حيث قال: " هذه المملكة في جنوب نهاية الغرب متصلة بالبحر المحيط ، قاعدة الملك بها مدينتين وهذه المملكة شديدة الحر، قشفة المعيشة ، قليلة أنواع الأقوات ، و أهلها طوال في غابة السواد و تفلفل الشعور و غالب طول أهلها من سوقهم لا من هياكل أبدانهم و ملكها الآن اسمه سليمان أخو السلطان موسى منسى بيده ما كان قد جمعه أخوه ممّا فتحه من بلاد السودان و أضافه إلى يد الإسلام و بنى بها المساجد والجوامع والمآذن وأقام به الجمع والجماعات، وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، و بقي بها سلطان المسلمين و تفقّه في الدين"[3].

ومرّت مملكة مالي بثلاثة أدوار أوّلها دور التأسيس الذي امتد ما بين سنتي (1225م – 1455م) وفيه امتدّ حكم مالي على جميع مناطق مملكة غانة القديمة التي ألحقت بمملكة مالي نهائيا سنة 1240م ثم بدأت في التوسّع شرقا.

أمّا الدور الثاني فهو دور الازدهار و القوة الذي استمرّ طيلة القرن الرابع عشر و أهمّ ما تميز به هو انتشار الأمن و الاستقرار في جميع المناطق.

---

[1]– ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 267 .

[2]– الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج1 ، ص 1064 .

[3]– شهاب الدين العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار "ممالك اليمن و المغرب الإسلامي وقبائل العرب "، تح: حمزة أحمد عباس، دار الكتب الوطنية ، أبو ظبي ، 2002م ، ص 105 .

أمّا الدّور الثالث فهو دور الضعف إذ لحق الضعف و التدهور مملكة مالي في بداية القرن الخامس عشر الميلادي بسبب صراع و تنافس أفراد الأسرة الحاكمة على الحكم[1].

و من أهمّ أسباب سقوط مالي و انهيارها هو الصّراع الذي جرى بين سنغاي و كانم في الجهة الشرقية ، و بدأت تظهر قوّة سنغاي في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي تحت حكم سني علي (889هـ / 1464م)[2].

3- سنغاي :

ظهرت مملكة سنغاي[3] مع القرون الأولى الميلادية و كانت معاصرة لامبراطورية مالي وغانة وسكن هذه المنطقة أجناس بشرية متنوعة من عرب وبربر وزنوج وأهلها قبائل السنغاي أو سونرهاي الذين تمركزوا بالأقاليم الواقعة جنوب تمبكتو و تمتدّ على ضفتي نهر النيجر إلى مدينة داندي ومنها إلى جنوب فولتا العليا و شمال نيجيريا، و كان سكان سنغاي يدينون بالوثنية قبل انتشار الإسلام حوالي القرن 7م[4].

و قاد المملكة أسرة تدعى "دايا" إلى غاية 1325م و عاصمتهم مدينة كوكيا و أوّل ملك لسنغاي هو "زا أيمن"[5] و بعده الملك "زاكاس"[6]. الذي كان مسلما و قام بنقل عاصمة المملكة من كوكيا إلى غاو و التي اعتبرت همزة وصل للقوافل التجارية القادمة من بلاد المغرب أو من المشرق

---

[1]- عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص 31 .

[2]- الهادي مبروك دالي ، المرجع السابق ، 85 .

[3]- سنغاي نسبة إلى قبيلة كانت تقطن في نهر النيجر إلى حدود الغابات الاستوائية في سنوات الميلاد الأولى ثمّ أخذت تنتقل إلى الشمال نحو النيجر ، وفي القرن السابع ميلادي كانت تمتدّ مساكنها حول نهر النيجر بحوالي 150 كلم و كانت تمتهن صيد الأسماك ، و عرفت بمجموعة الصيادين المرتحلين على طول نهر النيجر ، و فئة أخرى منها كانت تمتهن الزراعة و عرفت بمجموعة الفلاّحين المستقرّين على شاطئ النيجر ، أمّا السنغائيين فيتوزّعون بين جمهورية النيجر و مالي ، و في المناطق المحيطة بغاو توجد أقلّيات منهم في أغدس و تمبكتو و جني و أقلّية في شمال داهومي ، انظر : عبد القادر زبادية ، المرجع نفسه ، ص 25 .

[4]- عبد القادر زبادية ، المرجع نفسه ، ص 20 .

[5]- يورد السعدي أنّه قدم من اليمن في وقت كان شعب سنغاي يعاني من جبروت حوت كبير كانو يعبدونه و يهابونه حتى قدم "زا" و رما عليه الحديد و قتله فتخلّص منه أهل سنغاي ، و نصّبوا "زا أيمن" ملكا عليهم ، انظر : السعدي ، المصدر السابق ، ص 62 .

[6]- زكاسأوزاكاسي و هو الملك الخامس عشر من أسرة دايا ، وهو أوّل من أسلم ، و يذكر السعدي أنّه كان ينعت بمسلم دم بلغة البلاد أي أنّه مسلم طوعا بلا إكراه و كان ذلك سنة (400هـ / 1009م) .

والتي كانت تحمل معها السلع المتنوعة و كان يرافق هذه السلع العلماء و عند عودتها إلى بلاد المغرب أو مصر أو الأندلس كان يرافقها طلبة العلم من السودان[1]. و شهدت سنغاي تنافسا شديدا مع مالي ، فكانت كلّ مملكة ترغب في تكوين دولة إسلامية على حساب المملكة الأخرى ، لكن ملك سنغاي محمد دوغو ثبّت دعائم حكمه على حساب مالي، و كان ذلك عام (823هـ /1420م) وجاء من بعده سني علي الذي قام بتوسيع المملكة فاستعاد تمبكتو سنة (873هـ / 1468م) ، واستولى على جني عام 1473م ،كما قضى على القبائل الوثنية سنة 1483م [2]

و توفي سنّي علي سنة 1492م ، وخلفه ابنه "أبو بكر" الذي لقب "بكربير" و عرف بضعفه فقام وزيره بالانقلاب عليه و الاستيلاء على الملك فأطلق عليه اسم "أسقيا" بمعنى "مغتصب" و وصل إلى الحكم سنة 1493م إلى غاية 1528م .

وفي هذا الصدد قال عبد الرحمن السعدي : " ثمّ نصر الله تعالى الأسعد الأرشد محمد بن أبي بكر وهرب سنّي أبي بكر... فتملك الأسعد الأرشيد يومئذ وكان أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ولما بلغ الخبر بنات سنّي علي قالت أسكيا ومعناه في كلامهم لا يكون إيّاه، فلمّا سمعه أمر ألاّ يلقّب إلاّ به فقالو أسكيا محمد، ففرج الله تعالى على المسلمين الكروب وأزال به عنهم البلاء والخطوب..."[3].

واشتهر الملك "أسكيا محمد" بحبّه للعلم ولأهله و عرفت الدولة في عهده أوج حضارتها ورقيها من حيث الإدارة و الجيش و ضمّ مجموعة جديدة من الأقاليم في الشمال و على سواحل المحيط الأطلسي فامتدت الدولة من مناطق قبائل الفولاني و منها إلى حوض السنغالي الغرب ثمّ منطقتي أغدس ودندي و الهوسا شرقا و جنوبا بلاد موسى على حوض النيجر حتى عمق الصحراء شمالا .

[1]- فاضل محمد كردية سعيد ابراهيم ، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ و حضارة ، المطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2007 ، ص 112 .

[2]- نعيم قدّاح ، إفريقيا الغربية في ظلّ الإسلام ، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، القاهرة ، 1990م ، ص 69 .

[3]- السعدي ، المصدر السابق ، ص 72 .

و بعد انتهاء فترة حكم محمد أسقيا سنة 1528م حكم من بعده أبناءه و أشهرهم أسكيا داوود الذي حكم من سنة 1549م إلى غاية 1582م و بعد حكمه بدأت مملكة سنغاي تعرف الضعف و التقهقر [1] .

فمملكة سنغاي عرفت ثلاثة مراحل في حكمها و يمكن تقسيمها فيما يلي :

-المرحلة الأولى : في عهد سنّي علي ابتداء من النصف الثاني من القرن 15م .

-المرحلة الثانية : دخول الجيوش المغربية .

-المرحلة الثالثة : سنغاي تحت الحكم المغربي .

و أصبحت مملكة سنغاي مركزا للإشعاع الفكري والحضاري في بلاد السودان الغربي بفضل أسرة أسقيا [2] التي حكمت سنغاي أقل من قرن (1493م – 1591م) ووصلت المملكة في عهدهم أوج قوتها و توسعها و حضارتها لم تشهده في عهد آخر، و اشتهرت بمدنها التي تميزت بازدهارها السياسي ة الاقتصادي و الثقافي [3] كمدينة جاو و جيني و تمبكتو .

– تمبكتو :

تعدّ مدينة تمبكتو من أقدم مدن بلاد السودان الغربي ، حيث أورد السعدي تاريخ تأسيسها، الذي يعود للقرن (5هـ / 11م)، على يد الطوارق الذين قدموا من الناحية الشمالية لممارسة نشاط الرعي، فطاب لهم المقام و استقرّوا بالمنطقة ، فبدأت مدينة تمبكتو تزدهر و تتطوّر، فأصبحت من أشهر الأسواق التي يأتي إليها التجار بقوافلهم ، وقبلة لتوافد العلماء و الفقهاء .

و تقع هذه المدينة على الحافة الجنوبية للصّحراء الكبرى بالقرب من نهر النيجر، و قد ذكرها الكثير من الرحالة في مؤلّفاتهم أمثال الحسن الوزّان الذي قال في شأنها: "...تمبكتو اسم لمدينة بناها منيا سليمان عام (610هـ /1214م) على بعد نحو اثني عشر ميلا من أحد فروع النيجر ...أمّا

[1] – عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص 43 .

[2] – يعود أصل الأساقي من سراكولين الذين هربوا من المرابطين في القرن الحادي عشر من جنوب شنقيط (موريتانيا الحالية) ، ثمّ تفرّقوا في عدّة جهات من السودان الغربي على أنّ معظمهم تركّز حول نهر النيجر و اختلط بقبائله ، انظر : عبد القادر زبادية ، المرجع نفسه ، ص 31 .

[3] _ مبخوت بودواية ، المرجع السابق ، ص 49 .

عمارتها الحقيقية فقد ثبتت في القرن التاسع الهجري و تكاملت في البناء و الالتئام في أوساط القرن العاشر الهجري ... و دور تمبكتو عبارة عن أكواخ مبنيةبأوتاد مملوطة ... و في وسط المدينة مسجد ... كنت في هذه المدينة عندما كان الملح يساوي ثمانين مثقالا ... فطر أهل تمبكتو على المرح ... لا يحيط بها أيّ بستان أو حديقة "[1].

وذكرها السعدي فقال : "نشأت على أيدي التوارق في أواخر القرن الخامس للهجرة ... وهي البلدة الطيبة الطّاهرة الزكية، الفاخرة التي هي مسقط رأسي ... مأوى العلماء والعابدين، مألف الأولياء والزاهدين ملتقى الفلك واليسار، فيجعلوها خزانة لمتاعهم وزروعهم ... مدعوة بتنبكتو معناها في لغاتهم الهجرة، و هي بما سميت الموضع المبارك، يأتيه الناس من كلّ جهة ومكان حتّى صار سوقا للتجارة ... "[2].

وذكرها الناصري قائلا في كتابه الاستقصاء:" أهل مدينة تنبكتو ممّن لهم الوجاهة الكبيرة والرّياسة والسيطرة ببلاد السودان دينا ودنيا ، بحيث تعددت فيهم العلماء و الأئمّة والقضاة وتوارثوا رياسة العلم مدّة طويلة تقرب من مائتي سنة، وكانوا أهل سيار وسؤدد..."[3]. وذكرها التونسي بقوله: "وأول إقليم يعرض له مملكة سنار ثمّ كردفال ثمّ دارفور ... السابع والثامن دار تمبكتو و التاسع دار ملاّ [4] أو ملي ... وأمّا الذي ياتي من المغرب يعدّ ملاّ الأوّل، وتمبكتو الثاني ..."[5].

وأهمّ ما ميز مدينة تمبكتو موقعها الاستراتيجي الذي منحها أهمّية و شهرة كبيرتين و آبارها وفنادقها وأسواقها ومساكنها فأصبحت مكانا تلتقي فيه القوافل التجارية و إقامة لراحة التجار فتحولت من سوق تجاري إلى مركز حضاري و ثقافي يتوافد عليها العلماء و الطلبة من كلّ الأقطار .

---

[1]- الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 165 .

[2]- السعدي ، المصدر السابق ، ص 21 .

[3]-أبو العباس الناصري ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى "الدولة السعدية" ، تح : جعفر الناصري و محمد الناصري ، ج5 ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1955م ، ص 129 .

[4]- دار ملاّ أو مالي التي بلغت أقصى اتساعها في عهد منسى موسى (1313م – 1338م) ، الذي ضمّ إليها إقليم مالي و صوصو و غانة و كوكو و تكرور و تعتبر مملكة مالي من أكبر ممالك إفريقيا ، انظر : عمر التونسي ، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب و السودان ، تح: خليل محمود عساكر مصطفى محمد مسعد ، الدار المصرية للتأليف و النشر ، القاهرة ، 1965م ، ص 134 .

[5]- المصدر نفسه ، ص ص 134 – 135 .

وهذا ما أكّده السعدي بقوله: "ما دنّستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمان، مأوى العلماء و العابدين، ومألف الأولياء والزاهدين، وملتقى الفلك والسيار، فجعلها خزانة لمتاعهم وزروعهم... وإليها يرد الرفاق من الآفاق وسكن فيها الأخيار من العلماء والصالحين..."[1].

وتجدر الإشارة إلى أنّ شهرة مدينة تنبكتو ذاعت في البلدان مع علوّ شأن وازدهار وتطور مملكة مالي، التي شيدت المساكن والجسور، و الفنادق بعد حكم منسى موسى وهذا دليل كفاية على تزامن تعمير مدينة تنبكتو مع مملكة مالي قبل وصول سنغاي إلى الحكم .

- غاو :

تأسّست مدينة غاو في أواخر القرن الثاني الهجري ، الثامن الميلادي ، و تقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر على بعد أربع مائة و أربعين كلم إلى الجنوب الشرقي من تمبكتو[2].

وعدّت غاو من أهمّ حواضر بلاد السودان الغربي نظرا لأهميتها، وذكرها الحسن الوزان بأنّها مدينة عظيمة مقارنة بمدينة تمبكتو. و ذكرها البكري في كتابه المسالك والممالك وقال عنها : "مدينة كزغة بينها و بين غانة و على مسيرة خمسة عشر مرحلة وأهلها مسلمون وحواليها المشركون وأكثر ما يتجهز إليها بالملح و الودع و النحاس ... وحواليها من معادن التبر كثيرة و هي أكثر بلاد السودان ذهبا "[3].

و أصبحت مدينة غاو عاصمة لملوك سنغاي (الأساقي) ابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي (سنة 1009م) ، و قبلها كانت كوكيا هي العاصمة .

واشتهرت منذ القرن 15م بتجارتها وعمارتها، كالمساجد و قصور الملك و رؤساء المملكة[4]

- جني[1]:

[1]- السعدي المصدر السابق ، ص ص 20 – 21 .

[2]- محمد صالح حوتية ، توات و أزواد ، ج1 ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2007م ، ص 42 .

[3]- البكري ، المصدر السابق ، ص 179 .

[4]- عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص 108 .

اختلف المؤرخون حول سنة تأسيس جني ، فبعضهم أرجعه إلى سنة (494هـ / 1100م)[2] وآخرون يرون أنّه ما بين سنة (354هـ و 436هـ)، و هناك من أرجع التأسيس للقرن الثالث الهجري، و البعض يرجعه إلى ماقبل التاريخ .

و تقع جني في الجنوب الغربي لمدينة تمبكتو ، على أحد روافد نهر النيجر ، و يمتدّ إقليمها من مدينة ساي إلى غاية بحيرة ديو ، إمّا فلكيا فتقع على خط عرض 13° درجة شمالا و خط طول 09° شرقا [3].

وذكرها الكثير من المؤرّخين حيث قال فيها السعدي:"...إنّها مدينة عظيمة ميمونة مباركة، ذات سعة وبركة ورحمة جعل الله في أرضها خلقا وجبلة وطبيعة أهلها التلاحم والتعاطف والمساواة..."[4].

و قال أيضا: "هي سوق عظيم من أسواق المسلمين و فيها يلتقي أرباب الملح و الذهب و كلاّ من المعدنين المباركين ما كان مثلهما في الدنيا كلّها فوجد الناس في التجارة إليها كثيرا و جمعوا من الأموال ما لا يحصى ..."[5] .

وعدّت جيني مدينة من أهمّ حواضر بلاد السودان الغربي ، حكمها الملك "جنور" المنتسب إلى قبيلة "مرك" وبعد وفاته تولّى أخاه الملك من بعده ويدعى "كيكمبر" الذي دخل الإسلام في القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، و عرفت المدينة في هذا العهد بازدهارها حتّى عهد الملك سنّي علي ثمّ في عهد أسقيا الحاج محمد[6].

---

[1]– قال عنها السعدي "مدينة عظيمة مباركة ميمونة ذات سعة و رحمة و بركة جعل الله ذلك في أرضها فلها و جلبة و طبيعة أهلها التراحم و التعاطف و المساواة ، و لكنّ المنافسة على الديا كانت من أخلاقهم و هي سوق عظيمة فيها يلتقي أرباب الملح من معدن تفاز و ارباب الذهب ..." أنظر السعدي ، المصدر السابق ، ص11.

[2]– محمد صالح حوتية ، المرجع السابق ، ص 41 .

[3]– يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الشمالية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين ، دار الطباعة و النشر ، الجزائر ، 1996م، ص 193

[4]– السعدي ، المصدر نفسه ، ص 175 .

[5]– السعدي ، المصدر السابق ، ص 71 .

[6]– الهادي مبروك دالي ، المرجع السابق ، ص118 .

واشتهرت مدينة جني بأنّها مكان لالتقاء التجار وتبادل السلع ، فأصبحت من أهمّ مدن بلاد السودان الغربي بعد مدينة غاو وتمبكتو وتوافد عليها العلماء و الصّلحاء بفضل اهتمام الملوك الأساقي بالعلم و أهله[1].

احتلّت هذه المدن مكانة كبيرة في المجال العلمي والفكري ممّا جعلها محلّ شهرة في جميع الأمصار، إضافة إلى دورها الكبير في توثيق العلاقات الثقافية بين السودان الغربي و الدّول الإسلامية سواء بلاد المغرب أو المشرق، واحتواؤها على المؤسّسات التعليمية و المراكز الثقافية التي دفعت بالعلم إلى الأمام بفضل مراحل التعليم الخاصّة بطلبتها أو علومها المدرّسة آنذاك .

خامسا: الحياة الاقتصادية ببلاد السودان الغربي :

ازدهرت بلاد السودان الغربي بتطوّر و تنوّع اقتصادها ، الذي شمل الزراعة و الصناعة والتجارة.

1- الزراعة :

اشتهرت الزراعة ببلاد السودان الغربي خاصّة في مملكة مالي وسنغاي بفضل التربة الخصبة والماء العذب و اهتمام القبائل بهذا النشاط[2].

ولم يبخل السّلاطين بتشجيعهم لهذا النشاط نظرا لفائدته و كثرة الأرباح التي يدرّها عليهم، ومن أهمّ المحاصيل الزراعية التي عرفت لدى السودانيين هي القمح و القطن و الذرة و الأرز الذي اعتبر غذاء أساسي للسكان المحليين[3].

وكان يزرع حول نهر النيجر و روافده نظرا لحاجته إلى الماء بكميات كبيرة .

ويذكر بعض الرحالة العرب الذين زاروا بلاد السودان الغربي أنّ الأرز كان وفيرا بهذه المنطقة[4]، إضافة إلى الذرة الذي اعتبر غذاء رئيسيا للسكان و دوابهم .

---

[1]- عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص 106 .

[2]- بودواية مبخوت ، المرجع السابق ، ص 285 .

[3]- محمد عبد الغني سعودي ، الاقتصاد الإفريقي و التجارة الدولية ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1973، ص ص 19 – 20 .

[4]- العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، م3 ،ص 491.

أمّا القمح فيتمّ تناوله من قبل العائلات الثرية دون غيرها ، نظرا لكميته القليلة[1]، و كان يتمّ زرع الشعير في المناطق الشمالية المتاخمة للصّحراء الكبرى و في الواحات و شكّل هو الآخر مادّة غذائية أساسية .

وكان السودانيون يقومون بزراعة بعض الحبوب كالسورجو[2] حول نهر النيجر إلاّ أنّه كان يحتلّ الدرجة الثانية بعد الأرز إضافة إلى ما يعرف باسم نبات "الفرتي" الذي يستخرجون حبوبه ويقومون بطحنها ثمّ يصنعون منها ما يلزمهم لتناوله .

وقد اهتمّ الفلاحون في بلاد السودان الغربي بزراعة الخضروات و الفواكه (كالبصل واللفت والبطيخ والقرع) الذي ذكر ابن بطوطة طريقة استعماله حيث قال:" القرع ببلاد السودان يعظم ومنه يصنعون الجفان ، يقطعون القرعة نصفين فيصنعون منها جفنتين، وينقشونها نقشا حسنا ، وإذا سافر أحدهم يتبعه عبيده و جواريه يحملون فرشه و أوانيه التي يأكل و يشرب فيها و هي من القرع "[3].

إضافة إلى الفواكه كالخوخ والإجاص والتفاح والمشمش التي وجدت أشجارها بغابات بلاد السودان وأيضا أشجار " تادمون " التي تحوي على ثمار طيبة المذاق و بداخل الثمرة دقيق لونه أبيض يشبه الحنطة طعمه لذيذ[4].

واشتهرت تمبكتو بواحات النخيل إلاّ أنّه كان قليلا لا يكفي احتياجات السكان فكانوا يضطرون إلى استيراده خاصّة من إقليم توات؛ وعرفت التكرور وبعض المناطق القريبة من نهر النيجر بأشجار الكروم و التين إلاّ أنّها لم تكن تكفي السكان فيقومون باستيراده مخفّفا من البلدان الأخرى بأثمان مرتفعة .

وغالبا ما كان الرّعي يتبع الزراعة الذي اهتمّت به القبائل السودانية كالفولانيين و حتّى العرب والبربر الذين قاموا بتربية المواشي واستفادوا من صوفها و جلودها في صناعة الملابس والأفرشة والزرابي

[1]- عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص 174.

[2]- هو نبات حباته تشبه الحمص و لكنها أدقّ منها و لونها أبيض تتخلله نقاط سوداء ، انظر: بودواية مبخوت ، المرجع السابق ، ص 286.

[3]- ابن بطوطة ، المصدر السابق ،ص 680.

[4]- الدالي ، المرجع السابق ، ص 70 .

بعد دبغها و صباغتها[1]، ومن أهمّ هذه الحيوانات (البقر و الإبل و الماعز و البغال) التي استغلّ الفلاح لحومها وألبانها كغذاء له واستخدموها أيضا أثناء سفرهم لحمل بضائعهم و أغراضهم.

و اشتهرت الماعز في بلاد السودان بصنفها الممتاز و كانت تربّى بكثرة في المناطق الشمالية أكثر من مناطق الوسط و الجنوب؛ كما كانت البغال قليلة في سنغاي أيام حكم الأسقيين مقارنة بالحمير و اهتمّ السودانيون بالطيور سواء الداجنة والمتمثّلة في (الدّجاج و الإوزّ والحمام و النّعام) الذي تتواجد بالمناطق الصّحراوية إلاّ أنّها كانت قليلة و اصطادها السكّان للاستفادة من لحومها وشحومها وريشها الذي عدّ تجارة مربحة كما استخدموا بيضها للزينة و كان يباع بأثمان مرتفعة ، أمّا شحمها فاستعمل في الأمور الطبية[2].

2- الصناعة :

عرفت بلاد السودان الغربي بثرواتها المعدنية المتنوعة وأهمّها معدن الذهب والنحاس ووجد الذهب بكثرة في جنوب مالي[3].

واستغلّ ملوك السودان المناجم فأصبحت بلدهم من أهمّ البلدان ثراء واشتهرت في جميع الأقطار وحتّى في أوربا بأنّها أكثر المناطق استخراجا للذهب[4].

---

[1]- ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص681 .

[2]- بودواية مبخوت ، المرجع السابق ، ص 290 .

[3]- وجد الذهب جنوب مالي خاصّة منطقة ونقارة أو وانكرة ، و هي إقليم شاسع الأطراف يكثر به السكان ، متاخم لإقليم زنفري من جهة الجنوب الشرقي في هذه البلاد مدينة ميسورة تحمل اسم الإقليم فلا يوجد به إلاّ قرى منازلها قبيحة الهيئة شبيهة بالأكواخ يمارس السكان التجارة الداخلية والمبادلات التجارية مع البلدان الأخرى ، ممّا يدرّ عليهم بأرباح طائلة ، انظر : الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ص 174 .

[4]- بودواية مبخوت ، المرجع السابق ، ص 291 .

الغربي

وذكر السلطان منسى موسى بأنّ معدن الذهب في السودان الغربي يتكوّن من نوعين فالنوع الأوّل ينبت في الصّحراء في فصل الربيع ، و أوراقه تشبه أوراق النخيل ، أصوله التبر ، أمّا النوع الثاني فيشبه الحجارة و الحصى ، إلاّ أنّ النوع الأوّل أفضل من النوع الثاني قيمة و عيارا [1].

وذكر أيضا أنّ النّوع الأوّل من الذهب يوجد في فصل الربيع بعد هطول الأمطار ينبت في موقعها ، أمّا النوع الثاني فيوجد في جميع السنة على ضفاف نهر النيل ، و نبات الذهب بهذه البلاد يبدأ في شهر (غشت) ،حيث سلطان الشمس قاهر، وذلك عندما أخذ النيل في الارتفاع والزيادة، فإذا انحطّ النيل حيث ركب عليه ، فيوجد منه ما هو نبات يشبه النخيل و ليس به ، و منه ما يوجد كالحصى فذهل الجميع ممّا يحدث في هذا الزمن في أماكن النيل[2].

وذكر ابن بطوطة معدن النحاس قائلا : "و معدن النحاس بخارج تكدا يحفرون عليه في الأرض و يأتون به إلى البلد ، فيسكبونه في دورهم ، يفعل ذلك عبيدهم و خدمهم، فإذا سكبوه نحاسا أحمرا صنعوا منه قضبانا في طول شبر ونصف فبعضها رقاق و بعضها غلاظ، فتباع الغلاظ منها بحساب أربع مائة قضيب بمثقال ذهب ، و تباع الرقاق بحساب ست مائة و سبع مائة بمثقال وهي صرفهم ،يشترون برقاقها اللحم و الحطب ، ويشترون بغلاظها العبيد و الخدم و الذرة و السمن والقمح و يحمل النحاس إلى مدينة كوبر [3] من بلاد الكفار و إلى زغاي ، و إلى بلاد برنو، وهي على مسيرة أربعين يوما من تكدا" [4] أمّ الملح في بلاد السودان الغربي انتشرت مناجمه في سبخة تاودني و أبو جبيل إلاّ أنّه لم يكن كافيا ، ممّا جعلهم يستوردونه من بلدان شمال إفريقيا خاصّة بلاد المغرب الأوسط فلذلك كانت أثمانه مرتفعة جدّا،واشتهرت بلاد السودان الغربي أيضا بالصناعة التقليدية التي كانت عبارة عن مجموعات حرفية تخصّصت فيها بعض القبائل [5] كما عرف أهل السودان بالحياكة

---

[1]– القلقشندي ، المصدر السابق ، ص 290 .

[2]– المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[3]– تقع مدينة كوبر غرب مدينة غاو و تبعد عنها بنحو مائة فرسخ ، و كان يسكن هذا الإقليم ما يقارب من عشرة آلاف أسرة ، انظر : الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 170 .

[4]– ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص ص 697 – 698 .

[5]– صالح الصادق السباني ، مملكة كانو – بربو و علاقاتها بأقطار الشمال من القرن الثالث إلى العاشر الهجري ، 1988 ، ص 181 .

خاصّة في عهد الأسقيين مستعملين في ذلك أنواع الأقمشة و من أهمّ المدن التي اشتهرت بهذا النوع من الصناعة مدينة تمبكتو التي كثرت بها دكاكين الصناع و التجار[1]

و ذكر الحسن الوزان أنّه وجد بمدينة تمبكتو أكثر من ستّ وعشرين دكانا للخياطين، ومن أهمّ المدن المعروفة بصناعة الأقمشة مدينة غاو التي كانت تصدّر قسما منها إلى مشارف الصّحراء الجنوبية.

ومن الصناعات المنتشرة أيضا صناعة الحلي التي اعتمدت في الغالب على الذهب و النحاس كما صنع بهذين المعدنين أساور و أعمدة للسيوف و الرّماح[2].

و انتشرت صناعة الخناجر و الفؤوس و المطارق و الدروع و الخوذات في جميع مناطق بلاد السودان الغربي نظرا لتوفر مناجم الحديد .

و انتشرت صناعة الجلود التي صنع منها الأكياس والسروج والألجمة والأحذية ، كما انتشرت الدباغة كحرفة و اعتمدوا في ذلك على بعض أنواع النباتات و كذلك قشور الرمان والملح والاعتماد أيضا على النقع و الغلي، ومن أهمّ المدن التي اشتهرت بهذه الصناعة مدينة تمبكتو[3]

وازدهرت بالسودان الغربي صناعة الفخار ازدهارا كبيرا فصنعت الجرار و أواني الأكل و الشرب، وكانوا يزينونها بأنواع النقوش و الرسومات والألوان بعد تجفيفها و وضعها في النار لتزداد صلابتها[4].

3- التجارة :

اشتهرت بلاد السودان الغربي بتجارتها الخارجية مع بلدان المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصّة إذ مثّل إقليم توات حلقة وصل بين البلدين حيث كانت تمرّ عليه أغلب القوافل المحمّلة بأغلب السّلع و البضائع .

[1]- عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، 191 .
[2] - بودواية مبخوت ، المرجع السابق ، ص 294 .
[3]- ابراهيم دالي ، المرجع السابق ، ص 94 .
[4]- حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ص 171 .

و اعتمدت القوافل على العديد من الطرق و المسالك التجارية عبر الصحراء بين شمال إفريقيا وغربها التي كانت تبدأ من مراكش و تلمسان و تونس و طرابلس و مصر متّجهة نحو الجنوب فتعبر الصّحراء و تصل إلى أهمّ المراكز الرئيسية في غرب إفريقيا .

وتراوح عدد جمال القافلة الواحدة ما بين ألف و ثلاثة آلاف جمل محمّلة بأنواع السلع ، وكانت تستغرق الرحلة شهورا عديدة ، وعادة ما تبدأ القافلة المتوجهة إلى سنغاي رحلتها في بداية فصل الشتاء نظرا لشدّة الحرّ في الصّحراء صيفا[1].

إلاّ أنّ هذه الطرق لم تبق ثابتة عبر القرون نظرا للظروف السياسية التي عملت على تغيير مسالك القوافل من فترة إلى أخرى

و عرفت الحركة التجارية القوّة و الضعف تبعا لوجود الأمن أو انعدامه كما وجب على القوافل تأدية إتاوات حقّ المرور و دخول أسواق بلاد السودان كما كانوا يؤدّونها أيضا في المناطق الشمالية[2].

و لم تقف الصّحراء كحاجز أمام التجار إذ لعبت حركة التبادل التجاري و الاتصال السكاني دورا كبيرا في تواصل و تنمية العلاقات الحضارية و التبادل الاقتصادي ، الأمر الذي أعطى الصحراء الكبرى أهمّية كبرى في مسار تاريخ المناطق الواقعة شمالها و جنوبها ، و لو تحجب الصحراء الكبرى رغم وعرة مسالكها و دروبها هذا التواصل الحضاري[3].

و رغم قساوة الطبيعة إلاّ أنّ طرق القوافل عبر الصحراء الكبرى لعبت دورا مهمّا في نقل المؤثرات الحضارية إلى قلب إفريقيا و إلى أقسامها الغربية.

[1]- يحي بوعزيز ، "طرق القوافل و الأسواق التجارية بالصّحراء الكبرى كما وجدها الأروبيون خلال القرن التاسع عشر " ، "تجارة القوافل و دورها الحضاري حتّى نهاية القرن التاسع عشر" ، بغداد ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، معهد البحوث و الدراسات العربية ، 1984م ، ص 131 .

[2]- جميلة محمد التكتيك، مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسقيا محمد الكبير 1493 – 1528م ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، ليبيا، 1998م ، ص ص 114 – 115 .

[3]- أمطير سعد غيث ، التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي ، دار الرواد ، بيروت ، (د – ت) ، ص 114 .

و باتّساع نطاق الهجرة قوي أثر العرب في حياة أهالي السودان الغربي، فترسخت المؤثرات العربية الإسلامية نتيجة دخول عدد كبير منهم للدين الإسلامي، واتخذت مجموعة كبيرة منهم اللغة العربية كوسيلة للتخاطب و التفاهم ، و أصبحت لغة الثقافة و العلم .

و من أشهر هذه الطرق و المسالك ، الطريق الغربي الذي يمتدّ من سجلماسة إلى ولاتة ثمّ إلى تمبكتو و جني و جاو، والطريق الذي يمتد من المغرب الأوسط "الجزائر" يمتدّ من تلمسان إلى توات إلى تمبكتو[1].

والطريق الذي يبدأ من ورقلة إلى جاو و يتّصل هذا الطريق ببعض المدن المطلّة على البحر المتوسط، والطريق الممتد من واحة الجريد بتونس و غالبا ما تمرّ قوافله بورقلة، والطريق الذي يبدأ من طرابلس الغرب و يمرّ بغدامس و فزان و ينتهي إلى بورنو و جاو ، و هناك طريق يبدأ من مصر مرورا بواحة سيوة و زويلة فتادمكت فجاو إلى تمبكتو[2].

وكانت أهمّية القوافل العابرة للصحراء تتغيّر حسب قيام الدول و سقوطها و بانتقال مركز الثقل السياسي و الاقتصادي ، ففي عهد مملكة غانة كانت الطرق الغربية أكثر أهمّية وبسقوطها و قيام مملكة مالي انحرفت هذه الطرق شرقا، و بعد قيام مملكة سنغاي انحرفت هذه الطرق أكثر ناحية الشرق وأصبحت نهاية الطرق تمبكتو وجاو، وعقب سقوط مملكة سنغاي عام (1000هـ / 1591م)، قلّت أهمّية الطرق الغربية و نشطت الطرق الشرقية بعد قيام مملكة الهوسا[3].

و تجدر الإشارة إلى أنّ بلاد السودان الغربي ربطت مع دول الشمال الإفريقي بشبكة من الطرق والمسالك والتي عبرتها القوافل التجارية و مختلف الهجرات البشرية ممّا أدّى إلى وصول معالم الحضارة العربية الإسلامية إلى هذا القطر من إفريقيا .

وتفرّعت الطرق وتشعّبت الدروب لتنتهي إلى أسواق عامرة ذاع صيتها بين حواضر العالم الإسلامي آنذاك ، فاختلفت المراكز التجارية و تباينت في أهمّيتها حسب ما يعرض في أسواقها من

[1]- عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص 214 .
[2]- المرجع نفسه ، ص 214 .
[3]- أمطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص ص 116 – 117 .

سلع و بضائع و كانت التجارة أحد العوامل الأساسية في بناء الدول حيث شهدت أسواقا تباين رواجها حسب بزوغ فجر تلك الممالك .

و تحدّث ابن حوقل عن ثراء أهل ملوك غانة بقوله : " ... و ملك غانة أيسر من على الأرض بما لديه من الأموال المدّخرة من التبر"[1].

و قال عنها جون فيجي في كتابه تاريخ غرب إفريقيا : " ... و كان لظهور دولة غانة في الغرب الإفريقي و لمناجم الذهب الموجودة في كلّ المنطقة أثرها في حركة النشاط الاقتصادي بين الزنوج و بين الزنوج و الشماليين الذين كانوا يرسلون تجارتهم إلى غرب إفريقيا في مقابل حصولهم على الذهب ... "[2].

و ذكر البكري في شأن ذهب غانة أنّ ملكها كان يستحوذ على أحسن أنواع الذهب و يترك سواه للرّعية لكي يحافظ على قيمته[3].

واعتبرت عاصمتها كومبي صالح من أهمّ المحطات التجارية فيها و أصبحت أسواقها العامرة بالذهب مقصدا للوافدين من جميع البلدان ، فراجت بأنواع السلع والبضائع وكثرت بها المستودعات والخزائن فيقبلون عليها لاقتناء العاج و الصّمغ و جوز ثمرة الكولا ...[4].

وساعد على رواج أسواق عاصمة غانا موقعها على حدود الصّحراء و في أقصى شمال غرب إفريقيا ممّا جعلها حلقة اتصال بين منجمي الملح في الشمال والذهب في الجنوب، فظلّت كومبي صالح تحافظ على مركزها لمدّة ثلاثة قرون، وقد وصف ابن خلدون حال أهلها الذين تعودوا على ارتداء الملابس الصوفية و القطنية و حتّى الحريرية التي قاموا باستيرادها من خارج البلاد[5].

---

[1]- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 90 .

[2]- دي فيجي ، تاريخ غرب إفريقيا ، تج : يوسف نصر ، بهجت رياض صليب ، ط1 ، أسيوط ، دار المعارف ، قسم التاريخ ، كلّية الآداب ، 1982م ، ص 45 .

[3]- عبد الله بكري ، المصدر السابق ، ص 172 .

[4]- نعيم قدّاح ، حضارة الإسلام و حضارة أروبا في إفريقيا الغربية ، دمشق ، مكتبة الأطلس ، 1963 ، ص 39 .

[5]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 29 .

ومن أشهر أسواق بلاد السودان الغربي تادمكت التي ذكرها البكري في قوله : " ... فإذا أردت من تادمكت إلى القيروان فإنّك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى ورجلان و هي سبعة حصون للبربر أكبرها يسمّى "أغرم ان يكامن أي حصن العهود"[1] و اعتبرت طرق تادمكت أهمّ السّبل الرابطة بين الشمال و الجنوب خاصّة خلال القرن التاسع الميلادي .

و من أسواق بلاد السودان الغربي التي نالت شهرة كبيرة سوق أودغشت التي اعتبرت محطّة النزول و الإقلاع ، و عرفت بمدينة التبر الخالص و تقع هذه المدينة على بعد إحدى وخمسين مرحلة جنوب سجلماسة ، قال عنها البكري : "... و هي المدينة الكبيرة الآهلة ... و سوقها عامرة الدهر كلّه لا يسمع فيها الرجل كلام جليسه بكثرة جمعه و ضوضاء أهله و تبايعهم التبر ... " .

وأنشأت الأسواق التجارية التي ازدهرت بها تجارة الأقمشة الحريرية والصوفية مع الحبوب والمصبوغات، لكن أودغشت لم تبق على هذا الحال ، و في هذا الصدد قال الإدريسي : " بعد أن تفانى عظمها و تقلّص صيتها و مالت شمسها و طوت رمال الصحراء معالم حضارتها في القرن الثاني عشر الميلادي"[2].

وبلغت أسواق مدينة تمبكتو شأنا كبيرا خاصّة بعد أن أدخل التجار العرب النظام المصرفي الدقيق بها ، وامتلأت بالحوانيت و بها أسواق صغيرة لبيع اللحوم و المنتوجات المحلّية .

واكتسبت مدينة تمبكتو هذه الأهمية من خلال موقعها الممتاز إذ تقع بين الشمال و الجنوب فأصبحت بذلك مكان التقاء التجار فكان بها المخازن و الفنادق التي تخدم الوفود التجارية من بلاد المغرب و حتّى أوربا[3].

واشتهرت أسواق تمبكتو بثرائها بمعدن التبر الذي جلب من ونقارة و نحاس تكدا وملح تغازة[4]

---

[1]- البكري ، المصدر السابق ، ص 94 .

[2]- اسماعيل العربي ، المصدر السابق ، ص 289 .

[3]- الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 537 .

[4]- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

إضافة إلى أسواق جني إذ اعتبرت المدينة التجارية الأولى خلال دولة مالي إذ اعتمدت عليها الدولة في رفع اقتصادها ، و قد وصفها السعدي بالمدينة الميمونة المباركة[1].

واشتهرت أيضا ببلاد السودان الغربي أسواق مدينة غاو التي تبعد عن تمبكتو بمائة و خمسين فرسخ و اتخذها الأسقيين عاصمة لهم أثناء حكم دولة سنغاي[2]؛ واشتهرت الأسواق بتنوع السلع و البضائع سواء الواردة إلى السودان الغربي أو السلع الصادرة منه.

و من أهمّ السلع التي كانت تصل إلى بلاد السودان الغربي الملح الذي اعتبر مادّة تجارية نظرا للحاجة الماسّة إليه و افتقار البلاد له و أشار إلى أهمّية الملح الكثير من الجغرافيين و الرحالة و المؤرخين و من بينهم الرحالة ابن بطوطة حيث قال : " ... وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضّة يقطعونه قطعا و يتبايعون به "[3].

وكان الملح يستخرج من منجمي أوليل و تغازا الذين ذكرهما البكري قائلا : " ... و من غرائب تلك الصحراء معدن ملح بينه و بين سجلماسة مسيرة عشرين يوما تحفر عنه الأرض كما تحفر عن سائر المعادن و الجواهر ، و يوجد تحت قامتين أو دونهما من وجه الأرض ، و يقطع كما تقطع الحجارة ... و من هذا المعدن يتجهز بالملح إلى سجلماسة و غانة و سائر بلاد السودان والعمل فيخرج متصل و التجار إليه متسايرون و له غلّة عظيمة و معدن للملح آخر عند بني جدالة بموضع يسمّى أوليل على شاطئ البحر"[4].

و الملاحظ أنّه كان للملح في بلاد السودان الغربي أهمّية كبيرة فكان يحمل من الصحراء إلى المراكز التجارية الكبرى السودانية عبر طريق الصحراء الجنوبية[5].

---

[1]- السعدي ، المصدر السابق ، ص 139– مارمول كربخال ، المصدر السابق ، ص ص 201 – 202 .

[2]- ماراموال كربخال ، المصدر نفسه ، ج3 ، ص 204 .

[3]- ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 441 .

[4]- البكري ، المصدر السابق ، ص 171 .

[5]- أمطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص 136 . – الهادي الدالي ، المرجع السابق ، ص 324 .

ويرجع سبب غلائه وارتفاع أثمانه إلى المسافة البعيدة التي يقطعها التجار عبر الصحراء محملين هذه المادّة على ظهور الإبل و ازدياد الطلب عليه من قبل أهل بلاد السودان فكانت المراكز التجارية و الممالك على طرق الصحراء الجنوبية تولّيه اهتماما كبيرا و تيسّر كلّ السبل للحصول عليه[1].

ومن المعادن التي حرص سكان بلاد السودان الغربي على الحصول عليها النحاس الذي استخدموه في الكثير من الأغراض، وحصلوا عليه من خلال مبادلاتهم مع التجار العرب و توفّر معدن النحاس في تادلا وسوس وتكدا، و في هذا الصدد قال ابن بطوطة : " و معدن النحاس بخارج تكدا يحفرون عنه الأرض و يأتون به إلى البلد فيسكبونه في دورهم ... فإذا سكبوه نحاسا أحمر صنعوا منه قضبانا في طول شبر و نصف بعضها رقاق و بعضها غلاظ ... يشترون برقاقها اللحم والحطب، و يشترون بغلاظها العبيد و الخدم و الذرة و السّمن و القمح "[2].

ومن السلع الأخرى التي وصلت إلى بلاد السودان الغربي القمح الذي كان يزرع في بعض مناطق البلد إلاّ أنّه لم يكن كافيا و لا يسدّ حاجات السكان و لسدّ ذلك النقص لجأ التجّار السودانيين إلى استيراده من البلدان العربية .

وأشار البكري إلى أنّ القوافل التجارية كانت تحمل القمح و الزبيب و التمور إلى أودغست[3] كما وصلت إلى المنطقة التمور وبعض أدوات الزينة كالعطور والأصداف والأسورة والودع والفخار والتحف المعدنية و الخيول[4].

و من أبرز السلع التي تداولت على بلاد السودان الغربي، و كان يجني منها التجار أرباحا طائلة "الكتب" التي أقبل عليها السكان إقبالا كبيرا على اقتنائها[5] و كانت أسعارها مرتفعة، و سوقها رائجة و كانت تجلب من بلاد المغرب و المشرق العربي[1]

[1]- جميلة التكتيك ، المرجع السابق ، 453 .

[2]- ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 181 .

[3]- البكري ، المصدر السابق ، ص 158 .

[4]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 66 . – البكري ، نفسه ، ص 179 . – السيّد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير في العصر الإسلامي ، الدار القومية للطباعة و النشر ، القاهرة ، 1966م ، ص 573 .

[5]- الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 541 .

و على الرغم من انتشار حرفة الوراقين في بلاد السودان الغربي و وضع العديد من المؤلّفات في شتى أصناف العلوم إلاّ أنّ عملية استيراد الكتب و المتاجرة فيها لم تتوقّف[2].

و اقتنى سكان السودان أيضا الأقمشة و المنسوجات من شمال إفريقيا و المشرق العربي رغم تعلمهم صناعة النسيج بالقطن الذي استوردوا بذرته من الأقطار الأخرى ، لكنّ الكمّيات المنتجة لم تكن كافية ممّا أرغمهم على استيراد هذه المنتجات عبر القوافل التجارية الوافدة على بلادهم و وصف البكري أهل تادمكت و ملكهم حيث قال : " و يلبسون الثياب المصبغة بالحمرة ، و ملكهم يلبس عمامة حمراء و قميصا أصفر و سراويل زرقاء"[3] و وصف ابن بطوطة ملابس أهل ولاتة بأنّها "ثياب مصرية حسان"[4].

و من أشهر السّلع التي كانت تصدّر من بلاد السودان الغربي إلى المناطق الأخرى الذّهب الذي اعتبر من أهمّ السلع المحلّية التي اشتهر بها السودان الغربي و كان عاملا مهمّا في تنشيط حركة التبادل التجاري عبر الصحراء الكبرى منذ عهد مملكة غانة و زادت أهمّيته بعد الشهرة التي اكتسبتها مملكة مالي بعد أن قام منسى موسى بأداء فريضة الحجّ سنة 1324م، و أنفق فيها ما حمله مائة جمل من الذهب الخالص ، علما بأنّ الجمل الواحد يحمل ثلاثة قناطير[5].

و هذا ما دفع بالتجار إلى شدّ الرحال إلى بلاد السودان الغربي باعتباره المصدر الرئيسي للذهب ، و قد تحدّث الحسن الوزان عن وفرة الذّهب والثراء و الغنى الكبيرين لملوك السودان الغربي قائلا : " ... ويملك الملك خزانة كبيرة من النقود و السبائك الذهبية"[6].

---

[1]- أمطير سعد غيث ، المرجع السابق ، ص 140 .

[2]- جميلة التكتيك ، المصدر السابق ، ص 139 .

[3]- البكري ، المصدر نفسه ، ص 181 .

[4]- ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 442 .

[5]- ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 932 .

[6]- الحسن الوزان أ المصدر السابق ، ص 166 .

وعلى الرّغم من وجود مناجم الذهب في الأجزاء الجنوبية من بلاد السودان الغربي و التي كانت أحيانا خارج سيطرة الممالك الإسلامية إلاّ أنّها سيطرت على الطرق، وأقامت علاقات تجارية مع بلدان شمال إفريقيا .

ولعبت تجارة الذهب دورا كبيرا في نمو العلاقات و تطوّرها بين بلاد السودان الغربي و غيرها من دول العالم الإسلامي سواء في دول المغرب أو المشرق لعدّة قرون، وساعدت على ازدياد الاتّصال بين شعوبها وانتشار الإسلام و الثقافة العربية في السّودان الغربي.

ومن أهمّ ما صدّره السودانيون الرّقيق الذي مثّل أهمّ السلع التجارية منذ العصور القديمة، واعتبر السودان الغربي أحد مصادر الرقيق الوارد إلى مدن شمال إفريقيا[1].

و تصدّرت تجارته و تصديره إلى الشمال و الشرق اهتمام التجار المقيمين في بلاد السودان الغربي لكثرة الإقبال على شرائه و لما يدرّه عليهم من أموال[2] ، و من السلع الأخرى التي ساهم بلاد السودان الغربي في تصديرها العنبر و ريش النعام و الشبّ و القطن و العاج و الفول السوداني والجلود وغيرها من السلع الأخرى[3].

[1] – عبد الإله بن مليح ، الاسترقاق في العالم الاسلامي بين الحرب و التجارة، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، الرباط ، (د . ت)، ص48.

[2] – المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[3] – جوزيف كي زربو ، تاريخ إفريقيا السوداء ، القسم الثاني ، تر : يوسف شلب الشام ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ، 1994م ، ص 634 .

الفصل الثالث

الحياة الثقافية ببلاد السودان الغربي

أولا : عوامل الازدهار العلمي ببلاد السودان الغربي

ثانيا : المؤسسات التعليمية و المراكز الثقافية :

1 - المساجد

2 - الكتاتيب

3- المدارس

4- الجامعات و المعاهد العليا

5 - الزوايا

6 - المحاضر

ثالثا : التعليم ببلاد السودان الغربي .

1- مراحله

2- مناهج و طرق التدريس

3- أشهر علماء بلاد السودان الغربي

4- أهم العلوم و مصنفاتها المتداولة في بلاد السودان الغربي

أولا: عوامل الازدهار العلمي ببلاد السودان الغربي:

عرفت بلاد السودان الغربي حركة فكرية وثقافية مزدهرة بفضل مجموعة من العوامل وأهمها:

1- اهتمام الملوك والسلاطين بالعلم والعلماء:

عرف عن الملوك وسلاطين بلاد السودان الغربي اهتمامهم وتشجيعهم للفقهاء والعلماء الذي نتج عنه توافد عدد كبير منهم من مختلف البلدان الإسلامية، سواء من بلاد المشرق أو المغرب على ممالك السودان بغرب إفريقيا.

فأغدق عليهم الحكام بالأموال، ووفروا لهم كل سبل الإقامة ببلادهم بهدف نشر العلم وتثقيف السكان وتعليمهم أمور دينهم.

ومن أشهر سلاطين بلاد السودان الغربي الذين عرفوا بتشجيعهم للعلم والعلماء، السلطان أسقيا محمد سلطان مالي (1493م-1528م)، الذي كان يستقبل ويرحب بكل من وفد عليه من علماء وفقهاء مختلف الأقطار الاسلامية، الذين أقاموا بتنبكتو وجني وغاو[1]، وبفضلهم شهدت البلاد نهضة ثقافية وفكرية لا مثيل لها خاصة في القرنين السادس عشر و السابع عشر الميلاديين، كما أصبحت اللغة العربية لغة رسمية بالممالك السودانية.

2 – دور العلماء والفقهاء:

وفد على بلاد السودان الغربي الكثير من الفقهاء والعلماء من بلاد المغرب فعملوا على نشر الدين الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية بأهم المراكز الحضارية لبلاد السودان منذ استقرارهم بها.

[1]- محمود كعت، تاريخ الفتاش في ذكر الملوك وأخبار الجيوش واكابر الناس، تحرير وتقديم : حماه الله ولد السالم، جامعة نواكشوط،(موريتانيا)، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971م، ص07.

وكان لهم الفضل في إنشاء المدن التي قامت عند نهاية الضفة الجنوبية للصحراء في القرنيين العاشر والحادي عشر الميلاديين كمدينة جني وأودغشت لكن المصادر التاريخية لم تتحدث كثيرا عن دورهم الكبير وأعمالهم الجليلة التي قاموا بها في بلاد السودان.

ولكن مع مطلع القرن الرابع عشر الميلادي توفرت بعض المصادر التي توضح الأدوار الفقالة لعلماء بلاد المغرب في ممالك إفريقيا الغربية. وأهمها رحلة الرحالة المغربي ابن بطوطة لما زار بلاد السودان الغربي سنة (752هـ/1352م).

إذ انطلق من سجلماسة، وفي طريقه إلى نياني عاصمة مملكة مالي توقف ابن بطوطة بولاية والتقى برجل فاضل من مدينة سلا يدعى بابن بداء وقد كاتبه من قبل من اجل كراء منزل له بالمدينة[1].

ثم واصل طريقة الى أهم ممالك بلاد السودان الغربي، ولما دخلها استقر بحي البيضان الذي سكنه المغاربة وبعض العرب من مصر، وفي هذا الصدد قال ابن بطوطة :"كتبت قبل ذلك لجماعة البيضان وكبيرهم محمد بن الفقيه الجزولي وشمس الدين بن النقويش المصري ليكتروا لي دارا فوصلت إلى مدينة مالي حضرة ملك السودان فنزلت عند مقبرتها ووصلت إلى مدينة محلّة البيضان و قصدت محمد بن الفقيه فوجدته قد اكترى لي دارا إزاء داره فتوجهت إليها وجاء صهره الفقيه المقرء عبد الواحد بشمعة و طعام ثمّ جاء ابن الفقيه إليّ من الغد وشمس الدين بن النقويش وعلي الزودي المراكشي وهو من الطلبة".[2]

و أثناء رجوع ابن بطوطة إلى بلدة المغرب، مرّ بغاو و التقى بعدد كبير من العلماء المغاربة وأشهرهم الحاج محمد الوجدي و محمد بن عمر المكناسي والفقيه محمد الفيلالي إمام مسجد البيضان بالمدينة ثمّ انتقل من غاو إلى تكدا القريبة من منطقة الإير، التي رأى فيها كثرة مناجم النحاس واهتمام

[1]- ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 396

[2]- المصدر نفسه، ص 369 .

السكّان بهذا المعدن، وبمدينة تكدا أقام ابن بطوطة في بيت قريب من بيت شيخ مغربي يدعى بسعيد بن علي الجزولي، ثمّ رجع إلى المغرب مارّا بتوات رفقة قافلة مغربية.

فمن خلال رحلة ابن بطوطة يتضح للباحث بأنّ ممالك بلاد السودان الغربي كانت تعجّ بالعلماء و الفقهاء من بلاد المغرب .

أمّا عن الحياة الثقافية لمملكة مالي و أحوالها في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، فلقد وردت في كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" للعمري، الذي أسند هذه المعلومات لشيخ مغربي يدعى"أبو عثمان سعيد الدكالي" الذي استقرّ ببلاد السودان الغربي لمدّة خمسة و ثلاثين سنة .

وقد اعتمد العلاّمة ابن خلدون عندما أسرد تاريخ مملكة مالي على رواية القاضي الثقة "أبي عبد الله محمد بن وانسول " وهو من أهل سجلماسة، الذي تولّى خطّة القضاء بغاو .

وبداية من القرن الخامس عشر الميلادي كثرت المعلومات حول العلماء الذين أثروا في الحياة الثقافية والدينية ببلاد السودان الغربي كالعالم المغربي القوري الذي انتقل تلامذته لبلاد السودان الغربي من أجل التدريس، والعالم محمد بن القاسم بن محمد القوري (ت872هـ/1467م)[1]، والقاضي عبد الله بن أحمد الزموري (888هـ)[2] والفقيه الحافظ مخلوف البلبالي (ت 1534م)[3]،والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني .

[1]– هو عالم من أصل أندلسي، هاجرت عائلته إلى المغرب واستقرّت بمكناس وبها ولد وتابع دراسته الأولى، ثمّ انتقل إلى فاس، وبها اشتهر علمه وذاع صيته كعالم في الفقه والتفسير والطب وتقلد كذلك خطّة الافتاء بفاس وكان آخر ائمّة الصوفية المحققين الجامعين لعلمي الحقيقة والشريعة، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص233 .

[2]– هو القاضي والمؤرخ والشارح الذي رحل إلى ولاّتة ودرس بها، وممن تتلمذ على يديه، الشيخ النحوي ومحمد أندغ، وعدد كبير من علماء السودان الغربي وتوفي الزموري سنة 888هـ، انظر : أحمد بابا التنبكتي، المصدر نفسه، ص 161.

[3]– هو الفقيه الحافظ مخلوف البلبالي، نسبة لواحة بلبالة على الضفّة الشمالية للصّحراء، أخذ عنه الكثير من الطلبة بولاتة وفاس، ثمّ رحل للتدريس إلى أكبر مدن نيجيريا (كنو، كاتسينا، كشن) وفي آخر نهايته عاد إلى المغرب واشتغل بالتدريس في مراكشن قبل قتله مسموما سنة 1534م، أنظر : التنبكتي، المصدر نفسه، ص344 .

فكثرة العلماء والفقهاء ببلاد السودان الغربي دليل على الحياة الثقافية والفكرية المزدهرة التي عاشتها المنطقة التي لم تقل أهمّية عن غيرها من البلدان الإسلامية الأخرى ولم تكتف بالعلماء الذين وفدوا إليها، وإنّما أنجبت علماء أجلاّء أمثال آل أقيت وبغيغ وأندغ الذين ألّفوا ونشروا التعليم في مجاهل الصّحراء .

3- دور الكتب و المكتبات:

اشتهر سكان بلاد السودان الغربي بعنايتهم بالكتب، باقتنائها واستنساخها فقام الملوك والعلماء والتجار بإنشاء الخزائن في قصورهم وبيوتهم، ومن أشهر السلاطين الذين اهتموا بالكتب الأسقيا داود الذي اشتهر بهيبته وفصاحة لسانه واهتمامه بعلماء تمبكتو الذين أهداهم الكتب وكان له نسّاخ ينقلون له أمّهاتها ومشاهيرها فأصبحت له مجموعة من الخزائن من وراء ذلك [1]

أصبحت الكتب أكثر رواجا في القرن السادس عشر الميلادي بفضل ازدهار وتوسّع الحركة الفكرية والثقافية واتساع حركة استيراد الكتب من بلاد المشرق والمغرب وتوفّر مادّة الورق [2] وكثرة المتعلمين وحاجتهم إليها، فبدأ السكان باقتنائها للانتفاع بها أو التبرك أو من أجل تزيينها .

إلاّ أنّ أثمانها كانت مرتفعة مقارنة مع مدن بلاد المغرب، ومن أشهر الكتب التي اشتهرت بأثمانها المرتفعة في بلاد السودان الغربي أرجوزة الشيخ المغيلي مع شروحها وكتاب المعيار للونشريسي.[3]

ومن أشهر مكتبات بلاد السودان الغربي، مكتبة أسرة آل أقيت، الذين اقتنوا كتبها من التجار الوافدين على المنطقة ومن الحجاج الذين يجلبون معهم مختلف الكتب من بلاد المشرق، لكن معظم كتب هذه المكتبة أخذ إلى المغرب الأقصى بعد اجتياحه ببلاد السودان الغربي، وبعد فترة أعيدت هذه الكتب لأصحابها و حفظت في الخزائن و الزوايا .

---

[1] - كعت، المصدر السابق، ص 94 .

[2] - وجدت معامل صناعة الورق بفاس ومراكش التي بلغت أكثر من مائة معمل .

[3] -CH. André julien,« Histoire d'Afrique du nord » payot, T2, 1952, P 122 .

ومن أشهر المكتبات أيضا مكتبة أحمد بابا التنبكتي التي قدّر عدد كتبها بألف وستمائة مجلّد، فكانت أقلّ من مكتبات أسرته عددا وأهمّية وامتلك الكثير من العلماء أمثال بغيغ ومحمود بن محمود أقيت مكتبات خاصّة بهم . وكان يلجأ إليها الطلبة والقرّاء للاستعانة بكتبها[1].

فلقد اعتنى سكان الصحراء بالكتب فجمعوا نفائسها ونوادرها في القرى والواحات، ومن أشهر المكتبات المعروفة بالصّحراء، المكتبة المنساوية بتيكورارين التي كانت تضمّ في العهد السعدي كتبا من بلدان كثيرة كبلاد السودان ومصر والعراق واليمن والحجاز.[2]

ثانيا: المؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية:

1- المساجد:

بعد انتشار الدين الإسلامي في بلاد السودان الغربي منذ أوّل عهد مملكة غانة ثمّ مالي وسنغاي، رأى أهل البلاد قواعد هذا الدين لممارسة أركانه ولا يتمّ ذلك إلاّ ببناء المساجد، وهذا ما أكّده البكري لما تحدّث عن مساجد غانة وقال : "ومدينة غانة مدينتان سهليتان احداهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا ولها الأئمّة والمؤذنون والراتبون وفيها فقهاء وحملة علم"[3].

وكان يقام بالمساجد العبادات كالصلوات الخمس وصلاة الجمعة وصلاة العيدين ويتمّ فيها التدريس والقضاء، ويعيّن لكلّ مسجد إمام ونائبه وخطيب ومؤذن يشرف على المسجد.

[1]- التنبكتي، المصدر السابق، مج2، ص 296 .
[2]- محمند الغربي، المرجع السابق، ص558 .
[3]- البكري، المصدر السابق، ص 175 .

فكانت المساجد ببلاد السودان الغربي بمثابة منارات للعلم و العبادة وقد ذكره_ا حسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا قائلا : "ولهم مساجد كثيرة وأئمّة وأساتذة يدرسون في المساجد لعدم وجود المدارس"[1]

ومن أهمّ المساجد التي قامت بدور تعليمي بارز في السودان الغربي تلك التي أنشئت في تمبكتو وغاو وجني .

* **أكبر المراكز التعليمية وأشهرها :**

-جوامع تمبكتو :

التي قامت بها العديد من المساجد التي أدّت دورا دينيا وتعليميا وأوّلها :

- **جامع تمبكتو الكبير :**

يجهل المؤرخون تاريخ إنشاء جامع تمبكتو الكبير، إلاّ أنّ المعروف أنّه بني في مكان مسجد آخر في القرن (7هـ/13م)، والمرجّح أنّ بناءه تمّ في أوائل القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي .

ثمّ تمّ تجديد بنائه في القرن (8هـ/14م)[2] (707هـ-733هـ/1312م-1337م)[3] بأمر من حاكم مالي منسا موسى بعد عودته من آداء فريضة الحج الذي اصطحب معه مهندسا أندلسيا يدعى الساحلي إلى بلاد السودان الغربي فقام بتخطيط مدينة تمبكتو ومسجدها الكبير والعديد من المدن الأخرى .

[1]- حسن الوزان، وصف إفريقيا، ص 164 .

[2]- مجموعة من الباحثين، الموسوعة العربية العالمية، مج8، ط1، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض 1992، ص645 .

[3]- المرجع نفسه، ص 547 .

وكان البناء الأوّل للمسجد متواضعا يتناسب مع حجم سكان المدينة [1]

إلاّ أنّ حكام وسلاطين بلاد السودان الغربي اعتنوا بهذا المسجد وقاموا بإصلاحه عدّة مرّات حيث قام الفقيه القاضي العاقب بن القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت (913هـ-991هـ/1507م-1583م) بتهديم جزء من المسجد و ضمّ إليه مساحة أخرى ممّا جعله أكثر اتساعا وكان ذلك سنة (976هـ/1570م) في عهد السلطان أسقيا داوود(965هـ-990هـ/1557م-1582م)[2]

وأهمّ ما ميّز هذا المسجد هو صفوف أعمدته التي بلغت ثلاثة وثلاثين صفّا، وبنيت بعض أجزاء المسجد بالحجر، أمّا الجانب الغربي والمحراب والسقف فكان من الخشب المتين واحتوى على صحنين أحدهما واسع و الآخر صغير متّصل بالمئذنة، ومن أشهر أئمّة مسجد تمبكتو الإمام عثمان حسن التنسي ومحمد كداد بن أبي الفلاني [3] .

- **مسجد سيدي يحيى التادلسي :**

يعتبر مسجد سيدي يحي التادلسي أوّل مسجد بني في مدينة تمبكتو في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي (5هـ/11م).

وشيده محمد نفي من قبيلة آجر الصنهاجية وحاكم تمبكتو التابع للطوارق على ضريح ولي صالح قدم من المغرب الأقصى أثناء حكم الطوارق للمنطقة عام (837هـ-876هـ/1433م-1471م)[4]

[1]- عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السوداء، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1988، ص 25 .

[2]- الموسوعة العربية العالمية، المرجع نفسه، ص546 .

[3]- بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 195 .

[4]- عبد القادر زبادية، الحضارة العربية، ص 65.

ونال هذا المسجد عناية واهتمام الحكام والسلاطين الذين تعاقبوا على حكم المدينة، فقاموا بتجديده وتوسيعه من حين لآخر، وليتناسب مع كثافة السكان[1]، ومن أوّل الأئمة الذين عيّنوا بهذا المسجد سيدي يحي (ت868هـ/1463م)، ثمّ محمد بغيغ، والإمام محمد بن محمود الونكري وابن سعيد (ت140هـ/1630م)[2]

- **مسجد سنكري :**

بني هذا المسجد من قبل امرأة غنية حسب قول السعدي: "أمّا مسجد سنكري فقد بناه امرأة واحدة أغلالية، ذات مال كثير ولم نجد لبنائه تاريخا، تولّى إمامته كثير من الأشياخ..."[3].

وجدّد بناءه القاضي العاقب سنة (986هـ/1578م)، وبلغ أوج ازدهاره في عهد أسقيا الحاج محمد الكبير، ولما بلغه من مستوى علمي وثقافي كبير، كان شبيها بجامع القرويين بفاس في المناهج وطريقة التدريس[4]

- **مسجد محمد نض :**

تمّ بناؤه بمدينة تنبكتو، وجدّد سنة 796هـ.

- **مسجد التواتيين :**

قام ببنائه محمد بن علي مع جماعة من التواتيين، وكان هذا المسجد بمثابة قبلة لهم في بلاد السودان الغربي، ومن أشهر الأئمّة الذين درسوا به : محمود بن محمد الزعراني التنبكتي [5] .

---

[1]- مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص 547 .

[2]- بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 195 .

[3]- اسم سنكري أطلق على أحد أحياء مدينة تمبكتو، وبني به المسجد المعروف باسم مسجد سنكري الذي أصبح أوّل جامعة تعليمية في إفريقيا جنوب الصّحراء، انظرك عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق ص66 .

[4]- السعدي، المصدر نفسه، ص 66 .

[5]- بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 196 .

- **مسجد اسقيا الحاج محمد بأكدز:**

شيد هذا المسجد "أسقيا محمد الحاج" بمدينة أكدز [1] نظرا لضيق مساجد المدينة [2]

- **مسجد أسقيا الحاج محمد:**

تولى الحاج أسقيا محمد[3] العناية بهذا المسجد وجعل منه مكانا لإقامة العبادات ومؤسّسة تعليمية وأهمّ ما تميّز به صومعته الطويلة وسقفه الخشبي وقد عدّ من أكبر المساجد بالمدينة كما اختلف في طرزه عن مساجد تمبكتو وجني[4]

- **مسجد محمد الفزاني :**

تمّ بناء هذا المسجد على يد تاجر يدعى "محمد الفزان" في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، وتميّز هذا المسجد بهندسته وكان له دور ديني وتعليمي كبير في المنطقة[5]

- **مسجد محمد بن عبد الكريم المغيلي :**

توجّه الإمام المغيلي إلى بلاد السودان الغربي، ومكث بها مدّة عشرين سنة للتدريس والإفتاء، وأسّس بها مسجد سمّي باسمه من أجل الدعوة ونشر الإسلام[1]

---

[1]- أكدز أو أقدز، تأسّست هذه المدينة في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، عرفت بصناعة الجلود، كما بنى محمد الفزاني ومحمد بن عبد الكريم المغيلي في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي مسجدين مازالا قائمين إلى يومنا هذا، انظر: الهادي مبروك، التاريخه السياسي، ص 118 .

[2]- الهادي مبروك، المرجع نفسه، ص 118 .

[3]- أسقيا الحاج محمد (144م-1538م)، حكم سنغاي خلال فترة قوتها ، فكان من أول ملوكها الذين أطلق عليهم اسم أسقيا، فسمي أسقيا الأكبر، وأصبح ملكا سنة 1493م، بعد خلع باكوري دعّا بن سنّي علي، ولقد أسّس أغنى مملكة في غرب إفريقيا، فاقتطع عدّة أجزاء من مالي وهزم هوسا وحوّل مدن البربر الصحراوية إلى مستعمرات تابعة لسنغاي كما شجّع على إقامة شعائر الإسلام وفي سنة 1528م، قام أبناؤه الثلاثة بإبعاده عن الحكم، انظر: محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي نشأته وآثاره، ج2 ، مؤسّسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت،، ص 58 .

[4]- بودواية مبخوت، المرجع السابق ص ص 196 – 197 .

[5]- الهادي مبروك دالي، المرجع السابق، ص 118 .

وأشاد المؤرخون بمساجد تمبكتو التي تميزت بمعمارها الراقي، وفي هذا الصدد قال مرمول كربخال: "...أمّا المنازل فإنّها مبنية من الخشب ومطلية بالتراب الممزوج بالتبن، ويوجد في المدينة قصر ومسجد مبنيان من الحجر[2] الضخم وقد بناها بنّاء عبقري من غرناطة في عهد السلطان موسى سليمان."

وكان الملوك إذا ما أسلموا قاموا بتشييد المساجد، ومن أهمّ المدن التي حظيت بذلك تمبكتو وكوكو و نياني[3].

- **مسجد جاو :**

بنيت بمدينة جاو عاصمة سنغاي العديد من المساجد التي كانت قبلة للعلماء والفقهاء، إذ كان يتمّ فيها حفظ القرآن الكريم ثمّ تحولت بعد مرور الزمن إلى مدارس تدرّس فيها مختلف العلوم[4].

إضافة إلى تفقيه الناس في أمور دينهم، ومن أهمّ المساجد المسجد الكبير الذي بني في عهد امبراطورية مالي[5].وقد اهتمّ ملوك سنغاي بنشر الثقافة الإسلامية وظهر على إثرها علماء ومصلحين أمثال محمد بن عبد الكريم المغيلي[6].

---

[1]- أحمد الصافي الجعفري، من تاريخ توات، "أبحاث في التراث"، مجموعة أبحاث وملتقيات وطنية ودولية من 2005 إلى 2008، أدرار، الجزائر، 2008، ص 15 .

[2]- مارمول كربخال، المصدر السابق، ص 201.

[3]- بعد رجوع منسى موسى سلطان مالي من الحج أمر بتأسيس مجموعة من المساجد في جميع المدن وأهمّها مسجد دكري، أودكر وغودام وديبري وأوباكو، انظر: عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السوداء، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1988، ص 25.

[4]- عرفت بلاد السودان الغربي اختلاف وتنوع العلوم بها وأهمّها الطب (خياطة الجروح وتضميدها، وقطع النزيف ومعالجة السموم) انظر: ابن بطوطة، المصدر السابق، ج4، ص 255.

[5]- ابو بكر اسماعيل ميغا، تاريخه الثقافة الإسلامية والتعليم في السودان الغربي وإفريقيا الغربية من القرن الرابع الهجري حتى مطلع القرن الثالث عشر ، مجلّة الدارة، العدد2، الرياض 1414هـ، ص 238.

[6]- محمد بن عبد الكريم المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تج: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص13 .

***مسجد جني :**

اعتبرت مدينة جني من أقدم المراكز الثقافية في بلاد السودان الغربي واشتهرت بمساجدها، خاصة مسجدها الكبير الذي ذكره السعدي قائلا: "ولما أسلم خرّب دار السلطة وحوّلها مسجدا لله تعالى..."[1]

وصمّم هذا المسجد على يد أحد المهندسين من المغرب يدعى معلوم إدريس وكان المسجد مركزا لنشر الثقافة الإسلامية وللتعليم، ومن أشهر العلماء الذين تعلموا فيه فوديا محمد فويكي ومورد ماغا كونكوي وسانو الونكري، زاعتبرت هذه المدينة مهد القاضي محمود بن أبي بكر باغا يوغو والد العالمين الجليلين محمد وأحمد الذين أدّيا دورا كبيرا في نشر الثقافة العربية الإسلامية في المطقة[2].

- **مسجد أودغشت:**

اشتهرت مدينة أودغشت[3] بجامعها ومساجدها الكثيرة المكتظّة بالمعلّمين، وفي هذا الصّدد قال البكري: "أودغشت هي مدينة كبيرة آهلة رملية يطلّ عليها جبل كبير...بها جامع كبير ومساجد كثيرة آهلة في جميعها المعلمون للقرآن وحولها البساتين..."[4]

واشتهرت مدينة أودغشت بتجارتها فكانت من أهمّ الحواضر الاقتصادية المزدهرة في بلاد السودان الغربي، وفي نفس الوقت حاضرة ثقافية نظرا لكثرة المساجد والمعلمين بها.

---

[1]- السعدي، المصدر السابق، ص 13.

[2]- بوددواية مبخوت، المصدر السابق نصص 198 – 199.

[3]- تقع هذه المدينةفي الحوض الغربي على مسافة 40كلم شمال شرقي تامشكط، وهي عاصمة قديمة للصنهاجيين في القرن الرابع الهجري، وقد وصل إليها حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع في حملته سنة (116هـ/734م)، وفتها المرابطون سنة446هـ، بعد أن استولت عليها مملكة غانة، انظر: عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في إفريقيا (430هـ-515هـ/1038م-1121م) تج: أبو بكر العربي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1048هـ-1988م، ص 157.

[4]- البكري، المصدر السابق ص 158.

وعرفت مدينة غانة أيضا بمساجدها التي بلغت اثنا عشر مسجدا بها الأئمّة والمؤذنون والعلماء والفقهاء.

لقد كان للمساجد ببلاد السودان الغربي دور كبير في انتعاش الحياة الثقافية والفكرية كنشر التعليم ورفع مستوى طلبة العلم ونشر الثقافة العربية الإسلامية.

2 – الكتاتيب:

انتشرت الكتاتيب بصورة واسعة في جميع مدن وقرى بلاد السودان الغربي إمّا في مجالس مفتوحة في العراء، أو تحت ظلال الأشجار، وغالبا ما يتخذون دورا صغيرة بالقرب من المساجد[1].

كما عملت الكتاتيب على تهيئة الطالب للمرحلة الثانية من التعليم بتحفيظهم القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية والفرائض وتعلّم الخط، وكان الصبيان يلتحقون بها في سنّ الخامسة أو السابعة لتلقينهم العلوم الأولى وتدربهم على الصلوات الخمس[2].

وذكر ابن بطوطة أنّ أهل بلاد السودان الغربي أولوا أهمّية بالغة لتعلم صبيانهم في الكتاتيب، فقد أحصى في تمبكتو لوحدها أكثر من 180 كتابا[3] وكانوا يسمونها "دورا" أو "دارا" عند قبائل الولوف أو "تارا" عند قبائل الماندينغ، أمّا قبائل التكرور فيسمونها "ديالاجالنتي"[4].

وكانت الطريقة المتبعة في تعليم الصبيان في الكتاتيب مشابهة إلى حدّ ما للأسلوب المتبع في المغرب الإسلامي.

[1] – نعيم قداح، المرجع السابق، ص 145، – عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي، ص 142.

[2] – عبد القادر زبادية، المرجع نفسهن ص 142.

[3] – ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 790.

[4] – ابراهيم مبروك الدالي، التاريخ الحضاري لإفريقيافيما وراء الصحراء، ط1، ليبيا، 2002، ص 163.

3- المدارس:

إنّ من أشهر المدارس في بلاد السودان الغربي مدرسة تمبكتو التي أنشأت عام 1325م، التي حاولت التشبّه بالأزهر في أساليبه وطرقه التعليمية، وقد وفد على غرب إفريقيا عدد لا يحصى من العلماء والفقهاء للتدريس بمدارس غاو وتمبكتو وجني ومالي وغيرها من الحواضر الأخرى[1]، فأسهم هؤلاء العلماء في نشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وتعاليم اللغة العربية، وكان وفود فقهاء وعلماء المغرب على بلاد السودان الغربي في تزايد بفضل عناية سلاطينها وحكامها بهم وإغرائهم بالأموال والهدايا[2].

وكانت المدارس توفر لطلبة العلم السكن وتقدّم لهم في كثير من الأحيان الإعانات، وتضمن لهم أيضا استمرارية التعليم وفق منهج محدّد[3].

ارتبطت المدارس في بلاد السودان الغربي بالدين الإسلامي، ففي بداية الأمر كانت ملحقة بالمساجد،وبجانب كل مسجد غرفة أو غرفتين لتعليم الصبيان[4] إضافة إلى وجود أماكن مخصّصة لراحة ونوم الطلبة القادمين من البلدان البعيدة، ولما انتشر الدين الإسلامي في معظم أرجاء إفريقيا الغربية وظهور المرابطين في القرن العاشر، تمّ إلحاق المدارس بالرباط، وأصبح بجانب كلّ زاوية مدرسة لتعليم الصبيان[5]

[1]- شوقي عطا الله الجمل، الأزهر ودوره السياسي والحضاري في إفريقيا، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، مصر، 1988، ص 66.

[2]- محمود اسماعيل ميغا، المرجع السابق، ص239.

[3]- نعيم قدّاح، المرجع السابق، ص 155.

[4]- عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط1، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص 23.

[5]- عثمان برايما باري، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أمّا القرى الصّغيرة التي لا يوجد فيها المساجد، فكان الأطفال يتعلّمون على يد أحد الدعاة في ساحة صغيرة أو في حيّ أو أحد الحوانيت كما هو الشأن في السنغال وغينيا[1].

اشتهرت بلاد السودان الغربي بكثرة المدارس وفي مقدمتها كوبي ووالاتا ونيما (موريتانيا) وتمبكتو وبوندوكو وغاو[2].

وانحصرت أكثر في كانو وسكتو، وكانت مدينة جني عبارة عن نموذج مصغر عن تمبكتو حيث عجّت بطلبة العلم نظرا لكثرة المدارس بها[3].

4- الجامعات و المعاهد العليا:

تطورت المراكز الثقافية و المؤسسات التعليمية في بلاد السودان الغربي بتطور التعليم الذي تحول من المساجد والكتاتيب إلى مستوى عال[4].

فتحول مسجد سنكري بمدينة تمبكتو أوّل جامعة تعليمية في إفريقيا جنوب الصحراء، وبلغت هذه الجدامعة أوجها في عهد دولة سنغاي [5] فانفتحت على العالم الخارجي كالأندلس وطرابلس وفاس وغيرها كما اعتمدت على مناهج تعليمية مماثلة، درت فيها الكتب العربية التي تداولت في تلك الفترة كالموطأ لابن مالك وصحيح البخاري ومسلم [6].

---

[1]- نعيم قدّاح، المرجع السابق، ص159.

[2]- لاحظ الحسن الوزان لما زار مدينة تمبكتو كثرة الأطباء والدعاة والقضاة والعلماء، حيث شجّع الأسقيون الحركة الثقافية في تمبكتو تشجيعا يستحقّ الذكر فقاموا بتبجيل العلماء وتقدير الأدباء كما عملوا على جلب الكتب واقتنائها، وكان السلطان أسقسا الأوّل متواضعا مع العلماء وكانت له طريقة خاصّة في عمله الإصلاحي إذ طلب من محمد بن عبد الكريم المغيلي إرشاده ونصحه إلى أقوم السبلالتي تبرز سلوكه إلى جانب الدين، انظر: محمد بن عبد الكريم المغيلي، المصدر السابق، ص 31 – 34.

[3]-محمد بن عبد الكريم المغيلي، المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[4]- محمد الغربي، المرجع السابق، ص 252.

[5]-نعيم قداح، المرجع السابق، ص 157 – 159.

[6]- الدالي الهادي، المرجع السابق، ص 167.

ومن أهمّ العلوم التي كان يتمّ تلقينها للطلبة في جامعة سنكري علوم اللغة كالأدب والنحو والصرف والبلاغة، إضافة إلى العلوم العقلية كالطب والجراحة وعلوم الفلك والرياضيات، وألحقت الجامعة بمعاهد تكوينية مفتوحة على مصر للطلبة، التي وجد بها محلاّت تجارية تقدّم مجموعة من الدروس في التجارة ومراكز أخرى للخياطة والنجارة، وكانت الدروس فيها غير منقطعة تستمر طوال النهار ما عدا أوقات الصلاة،وأحيانا كان بعضهم يواصل دروسه في الليل مستنيرا بنار الحطب المشتعل[1].

وأشار الحسن الوزان أنّ الحركة العلمية في تمبكتو لوحدها بلغت أوجها، إذ استوردت لوحدها كتبا عربية بأسعار مرتفعة جدا ومثلها كانت جني وغاو[2].

وكان مستوى الطالب في جامعة سنكوري وغيرها من جامعات بلاد السودان الغربي يرتفع شيئا فشيئا حتى يصل إلى المرحلة العليا من التعليم، الذي سيصبح أكثر تخصّصا في المراحل المتقدمة، فيقوم الأستاذ بطرح عدّة أسئلة على الطالب تتعلق بشتى المواضيع، وعلى الطالب أن يقوم بحلّها أمام مجموعة من الأساتذة الذين يطرحون عليه الكثير من الأسئلة، فوجب عليه إيجاد الأجوبة[3].

وكان التخرج يقتصر على الطلبة المتفوقين الذين أبرزوا تفوقهم في جميع العلوم والأخلاق الإسلامية، فينال الطالب المتخرج عمامة مزينة بالعقد والدوائر التي ترمز لأسماء الله الحسنى، وكانت العمامة ترمز للحكمة والمعرفة التي تجعل الطالب في منزلة العلماء والفقهاء[4].

5 – الزوايا:

اشتهرت بلاد السودان الغربي بزواياها التي كان لها الفضل في نشر الإسلام وثقافته وأشهرها:

[1]– نعيم قداح، المرجع السابق، ص 160.
[2]– حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 52.
[3]– عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 162.
[4]– نعيم قداح، المرجع السابق، ص 161.

-زاوية الشيخ مولاي العربيبن مولاي هاشم الأرواني.

-زاوية الشيخ سيدي علي الأرواني.

-زاوية سيدي أحمد الرقادي[1].

واهتمّ العاملون بها على نشر الثقافة الإسلامية العربية، كما عرفت المنطقة الرباطات والمكتبات والمجالس العامة وبيوت العلماء وفي هذا الصدد يقول عبد الرحمان السعدي: "مورمع كنكي كان فقيها عالما صالحا عابدا... رحل إلى جني في أواسط القرن التاسع فأسرع إليه الطلبة لاقتباس فوائده... فيجلس الطلبة حوله ويأخذون العلم".[2]

6 – المحاضر:

لما دخل الإسلام إلى ممالك بلاد السودان الغربي عرف العلم انتشارا واسعا بها، فكان أحد العوامل التي أخرجت غرب إفريقيا من ظلمات الجهل إلى النور وذلك بتطبيق شعائر الإسلام الذي كان في بداية الأمر غريبا على السودانيين لكن مع مرور الزمن وبفضل الدعاة والمصلحين انتشرت العلوم الدينية وقوي الدين بالعلم وأصبح نوعا من الجهاد في سبيل الله[3] حيث دعا الدين الإسلامي للعلم ويسّره وحبّبه لهم فكثر المحبين والمولعين بالحبر والقلم، وهذا ما أدّى إلى ظهور المحاضر وإقبال الناس عليها[4]،وبذلك دخلت بلاد السودان الغربي إلى مرحلة جديدة من التعليم، أطلق عليها اسم التعليم المحضري وكانت المحضرة عبارة عن جامعة شعبية بدوية تلقينية فردية التعليم طوعية الممارسة[5]، ومن أهمّ العلوم التي قدمتها للطلبة القرآن الكريم بحفظه ورسمه وتجويده وتفسيره وعلم الحديث بمتنه ومصطلحه

[1]– عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص12.

[2]– المصدر نفسه، ص 13.

[3]– عطية مخزوم الفيتوري، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء، ط1، جامعة قاريونس، بنغازي، 1998م، ص 288.

[4]– الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 54.

[5]– المرجع نفسه، ص 56.

ورجاله، والعقيدة وعلم الكلام، وأصول الفقه[1] والتاريخ والسيرة والأنساب والأخلاق وعلم اللغة كالأدب والنحو والصرف والعروض والقوافي والمنطق وأسرار الحروف والحساب والهندسة والجغرافيا والفلك والطب[2].

وعرفت المحاضر بتنقلها في الصحراء، ولم يعرقل هذا الترحال انتظام الدراسة، إذ كان الشيوخ والطلبة يجمعون بين متعة التجوال ومتعة أخذ العلم[3].

وكان شيوخ المحاضر يتنقلون بمحضرتهم من بلاد السودان إلى شنقيط وحتى إلى مكّة المكرمة مع طلبتهم، وأحيانا كان الشيخ يتنقل لوحده طلبا للعلم ليكفي طلبته عناء التنقل[4].

واعتمد شيوخ المحضرة في تعليم الطلبة على طريقة التلقين فقد قامت الحياة العلمية العربية منذ ظهور الإسلام على التلقين من أفواه الرجال، واستمرت على ذلك الحال حتى بعد ظهور المخطوطات وكثرة دور الوراقة[5].

وتجدر الإشارة أنّ الوضع الثقافي لبلاد السودان الغربي دليل كفاية على نجاح المراكز الثقافية والمؤسّسات التعليمية من مدارس وجامعات ومساجد ومعاهد عليا وزوايا ومحاضر وكتاتيبل في مهامها، إذ عرفت البلاد نخبة مثقفة اعتلت مناصب سامية في جميع حواضر غرب إفريقيا [6].

---

[1]- محمد أحمد لوح، المرجع السابق، ص 9.

[2]- الأرواني، المصدر السابق، ص 17.

[3]- أحمد أمين الشنقيطي، الوسيط ةفي تراجم أدباء شنقيط والكلام عند تلك البلاد تحديدا وتخطيطا، ط1، مؤسسة الخانجي، مصر، 1239هـ، ص 492.

[4]- البخليل النحوي، المرجع السابق، ص58.

[5]- الخليل النحوي، المرجع نفسه، ص ص 60 – 61.

[6]- بودواية مبخوت، أعلام السودان، ص 179.

فقد ذكر عبد الرحمان السعدي تراجم لأكثر من سبعة عشر عالما[1]، وترجم أحمد بابا التنبكتي في ديباجه أكثر من مائة شاعر وفقيه وأديب ومؤرخ وكلهم من أبناء بلاد السودان الغربي الذين عاشوا الازدهار الثقافي في تلك الفترة[2].

ثالثا: التعليم ببلاد السودان الغربي:

انتشر التعليم ببلاد السودان الغربي بدخول الإسلام وفي هذا الصدد قال ابن خلكان: "لمّ تولّى موسى بن نصير إفريقية والمغرب ... أمر الناس بالصوم والصّلاة وإصلاح ذات البين وخرج الناس إلى الصحراء ... وسار حتى انتهى إلى سوس الأدنى ... واستعمل على طنجة مولاه طارق بن زياد البربري ... وترك موسى عندهم خلقا يسير من العرب لتعليم البربر القرآن وفرائض الصلاة ..."[3].

ولما تولى طارق بن زياد زمام الأمور أمر العرب أن يعلموا البربر والملثمين السودانيين الدين الإسلامي من قرآن وفقه.

وكان التعليم في بداية أمره ببلاد السودان الغربي يقتصر فقط على المعلّمين الوافدين من شمال إفريقيا، ولكن بعد دخول السلاطين والأمراء إلى الإسلام وتخليهم عن الوثنية اهتمّوا به واعتنوا بأهله، وهذا ما لاحظه أحد الرحالة الأوربيين سنة 1506م أنّ ملك وأعيان إمارة "جلوف" كانوا مسلمين، وكان

---

[1]- من أشهر هؤلاء العلماء العالم المؤرّخ محمد بن أبي بكر الزنكوري الذي كان أستاذا لعبد الرحمان السعدي زمنهم أبو يحي التادلسي وأحمد بابا التنبكتي والشاعر محمد بن محمود(ت1565م)، كما ترجم السعذي لأسرة آل أقيت، فيقول: "ومنهم أولاد شيخ الإسلام وليّ الله تعالى الفقيه القاضي محمد بن عمر بن محمد بن أقيت، القاضي محمد والقاضي العاقب والقاضي عمر ..."، انظر: عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص27 - 29 – 33.

[2]- نبيلة حسن، تاريخ إفريقيا، ص 171.

[3]- ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج5، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د . ت)، ص 319 – 320.

لديهم شيوخ بيض من أئمّة الإسلام كانوا يقومون بتعليم أولادهم القراءة والكتابة ويأتي هؤلاء الشيوخ من بلدان بعيدة بهدف إدخال السود إلى الإسلام عن طريق الدعوة[1].

وكان بين علماء السودان الغربي وعلماء حواضر الصّحراء تواصل ثقافي فيتنقلون بين الإقليمين مرافقين القوافل التجارية لتبادل الكتب والعلوم[2].

وكانت بلاد السودان الغربي محطّة أنظار العلماء والفقهاء فتوافدوا عليها من كلّ الأقطار، في حين تفرّق منهم الأفارقة لتعلّم الثقافة الإسلامية، التي امتدت إلى إفريقيا الغربية عن طريق بلاد المغرب الأوسط والأدنى والأقصى[3].

فخلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر ميلادي شهدت الحركة الفكرية تطورا كبيرا، حيث زار المغرب الأقصى جماعة من مملكة ماليسنة 1341م واتصلوا بأبي بكر الحسن المريني وطلبوا منه إرسال مجموعة من الفقهاء والعلماء والمعماريين إلى السودان الغربي، فلبّى السلطان طلبهم، وخلال بضعة سنوات ظهرت بالمنطقة نهضة علمية قائمة على الثقافة العربية الإسلامية[4].

كما أرسل المرينيون والوطاسيون جماعة من العلماء والفقهاء للتدريس بمدارس بلاد السودان الغربي، وسمحوا لبعض الرحالة للسفر إلى المنطقة والإطلاع على أحوالها وأشهرهم الحسن الوزان[5].

وبعد فترة ظهر مجموعة من المثقفين من سكّان بلاد السودان الغربي الذين تولّوا التعليم بعد تخرّجهم من المدارس سواء من المغرب أو مصر وأغلبيتهم كانوا من رجال الدّين وأهمّ ما تميّزوا به هو اتقانهم للّغة

---

[1]- محمد أحمد لوح، التعليم العام ومناهجه "السنغال نموذجا"، الكلية الإفريقية للدراسات الإسلامية، النيجر، 2009، ص 07.

[2]- محمد أمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط والكلام عند تلك البلاد تحديدا وتخطيطا، ط1، مؤسسة الخانجي، مصر، ص 497.

[3]- محمد بن عبد الرحمان باشا، السمات المشتركة بين الثقافات العربية والإفريقية ضمن النشاط الفكري والعلمي، جامعة عمر المختار، ليبيا، 2007، ص 10.

[4]- محمد الغربي، المرجع السابق، ص ص 512 – 513.

[5]- محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر المريني (610هـ-1213م/869هـ-1465م)، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1985، ص 226.

العربية التي استعملها أهل السودان في فهم القرآن الكريم وتعلّم الشريعة الإسلامية واستخدموها في التعليم والقضاء فأصبحت لغة رسمية في المنطقة[1]. وبدأ السكان يتحدّثون بها في جميع معاملاتهم سواء اليومية أو التجارية ومن أهمّ حواضر السودان الغربي التي اهتمت بالتعليم والمعلمين حاضرة تمبكتو وفي هذا الصدد قال كعت: "... خصّ الله به أهل تمبكتو ... أخبرني محمد بن المولود أنّه رأى منها ستة وعشرين بيتا ... ولكلّ واحد من تلك البيوتشيخ رئيس معلم، وعنده من المتعلمين نحو خمسين وعند بعضهم سبعين إلى مائة وخمسين أو ثمانين مكتبا، ذكر الشيخ محمد بن أحمد مكتب المعلم علي تركيا يوم الأربعاء بعد صلاة الظهر وجعل صبيانه يأتونه بخمس ودعات وبعضهم بعشر ودعات ، على عاتقهم المسمّاة الأربع حتّى تحصّل قدامه على ألف وسبعمائة وخمسة وعشرين ودعا"[2].

فكان الصبيان يدفعون لمعلمهم من أجل تعليمهم خمس ودعات إلى عشر فكلّ طفل حسب وضعه الأسري، وفي هذا الصدد قال الحسن الوزان: "... وفي تمبكتو عدد كبير من القضاة والفقهاء والأئمّة يدفع إليهم جميعا مرتبا حسنا..."[3].

واقتصر التعليم كما أشرنا سابقا في بدايته على المعلمين الوافدين على بلاد السودان الغربي والقادمين من مختلف البلدان الإسلامية، فيقول السعدي: "ثمّ اختاروا موضع هذه البلدة الطيبة الطاهرة الزكية الفاخرة ... مأوى العلماء والعابدين، ومألف الأولياء والزاهدين، وملتقى الفلك السيار، فجعلوها خوانة لمتاعهم وزروعهم، إلى أن سار مسلكا للسالكين في ذهابهم وإيّابهم"[4].

وقد قام الكثير من ملوك وسلاطين بلاد السودان الغربي بجلب عدد كبير من العلماء خاصّة في عهد منسى موسى ملك مالي (القرن8هـ/14م) وفي عهد أسقيا محمود الأوّل ملك سنغاي (القرن 9هـ/15م) الذي شجّع رجال العلم وجلب لهم نوادر الكتب من بلاد المغرب والمشرق.

---

[1]- سعد الله أتو القاسم، المرجع السابق، ص 10.

[2]-محمود كعت، المصدر السابق، ص110

[3]- الحسن الوزّان، المصدر السابق، ج2، ص 167.

[4]- السعدي، المصدر السابق، ص 21.

1- مراحل التعليم:

حظي المعلّمون في بلاد السودان الغربي باحترام الملوك والسكان، وكانوا يصنفون إلى صنفين وهما صنف المعلمين وصنف المؤدبين (الأساتذة)، وكان معظم الأساتذة المتمكنين ين ينتسبون إلى قبيلة مسوفة وصنهاجة ومن توات وفاس[1]، أمّا المعلّمون فكانوا معظمهم من السودان الغربي، وفي هذا الصدد يقول السعدي: "إنّ تمبكتو ما أتتها العمارة إلاّ من المغرب سواء في الديانات أو المعاملات."[2].

وقد مرّ التعليم ببلاد السودان الغربي بثلاثة مراحل وهي:

أ- مرحلة التعليم الأوّلي:

كان التعليم في المنطقة يتمّ في بدايته في الكتاتيب التي يدخلها الأطفال في سنّ الخامسة لحفظ القرآن الكريم وتلقّن المبادئ الأساسية في القراءة والكتابة باللغة العربية وتعلّم الصلوات الخمس[3].

وكان المعلم في هذه المرحلة يسمّى أيضا بالفقيه أو المدرّس، وسمّي المتعلمون بالصبيان.

وقد انتشرت الكتاتيب بكثرة في مدن وقرى بلاد السودان الغربي وكان المعلمون يلقنون طلاّبهم المبادئ الأولى في العراء أو تحت ظلال الأشجار ولكنّ الغالب أن تكون لهم دور خاصّة قرب المساجد[4].

---

[1]- محمد الغربي، المرجع السابق، ص 547.

[2]- السعدي، المصدر السابق، ص 21.

[3]نعيم قدّاح، المرجع السابق، ص 160.

[4]- عبد القادر زبادية، الحضارة العربي، ص 142.

وبعد بلوغ الطفل سنّ السابعة من عمره يرسله والده إلى السيد ليعلّمه المبادئ الأساسية ويلقنه اللغة العربية ويعلّمه الصلاة، ولم يجبروا الأطفال على أدائها إلاّ عند بلوغهم سنّ العاشرة إذ يعاقبه والده إذا تكاسل على القيام بها[1].

وكان الصبيان يستعملون في هذه المرحلة من التعليم الألواح الخشبية المصبوغة بروث الدواب التي تزال كتابتها بالماء وتوضع هذه الألواح في محلول غضاري أصفر لتعاد كتابتها من جديد.

أمّا مدارس الصبيان (الكتاتيب) فبلغ عددها في بلاد السودان الغربي حسب محمود كعت مابين مائة وخمسون ومائة وثمانون كتّابا[2].

وكان الصبيان بعد رجوعهم من الكتاب، يتوجهون بأمر من آبائهم إلى الو رشات كالحدادة والخياطة أو تعلّم الفلاحة ليكتسب حرفة في يده تمكّنه من كسب لقمة العيش في كبره.

وبعد انهاء مرحلة التعليم الأوّلي وحفظ المبادئ الفقهية وختم القرآن الكريم أو جزءا منه تقام حفلة كبيرة لتكريم الصّبي ، حيث يخرج من الكتاب مع أقرانه وأفراد عائلته وتتبعه الزغاريد إلى البيت الذي يعدون فيه وجبة الطعام، أمّا المعلم فكان يتلقّى على ذلك هدية وتكون غالبا عبارة عن لباس أو خمس مائة ودعة .

ومن الصعوبات التي واجهت المعلمين أثناء أدائهم لمهامهم هي تعويد الصبيان النطق بالحروف العربية، حيث كانوا ينطقون الصّاد "صاط" والضاء ينطقونها "ضاط"، ويهملون الياء، ويخرجون بعض حروف الحلق واللسان من أفواههم[3].

أمّا الإناث فلم تكن لهنّ فرصة التعلّم مثل الذكور، بل يتعلّمن في البيت كالطبخ والترتيب ولكن مع تطوير التعليم خصّصت بيوت لتعليم البنات وكان يسهر على تعليمهن الفقيهات[1].

[1] – محمد الغربي، المرجع السابق، ص 550.
[2] محمود كعت، المصدر السابق، ص 110.
[3] محمد الغربي، المرجع السابق، ص 551.

ب–التعليم الثانوي أو المتوسّط:

سميت المرحلة الثانية من مراحل التعليم ببلاد السودان الغربي بمرحلة التعليم الثانوي أو المتوسّط لأنّه لم تكن بينهما فوارق.

لم يحدّد عمر الطالب للالتحاق بهذه المرحلة، بل يلتحق بها كلّ من أتمّ تعليمه الأوّل بنجاح وإتمامه لحفظ القرآن الكريم[2].

وأثناء تدريس الطلبة يحضر أشخاص يرغبون في الاستماع للدّروس للاستفادة، فكانوا في الخلف تحت أعمدة الجامع، أمّا الأستاذ فكان يجلس على كرسيّ ينصب له ويكون أعلى من كراسي الفقهاء والوعاظ.

وكانت الدروس وحلقات العلم في هذه المرحلة تلقى في المساجد التي عدّت أماكنا للتدريس إضافة إلى دورها الديني، فاكتظتا بالطلبة ومحبّي العلم، ممّا أجبر الحكام على توسيعها.

ووجدت أيضا في بلاد السودان الغربي مساجد صغيرة لم تكن الدراسة منتظمة فيها، كما كانت بعض الحلقات العلمية تعقد خارج المدينة [3].

ومن أهمّ المواد المدرسة في هذه المرحلة : النحو والفرائض والبلاغة كما كانت الكتب المدرسة لا تحتوي على التفاصيل الكثيرة.

وتميّز شيوخ العلم بثقافتهم المتوسطة مقارنة بالأساتذة الذين درّسوا نفس الكتب التي يدرسها الشيوخ لتلاميذهم إضافة إلى تدريس أمّهات الكتب [1]؛ فكانوا يدرسون طلاّب التعليم الثانوي صباحا ويدرسون طلاّب المرحلة العليا بعد الظهر.

---

[1] محمد الغربي، المرجع نفسه، الصفحة نفسيها.

[2] – عبد القادر زبادية، الحضارة العربية، ص 64.

[3] محمد الغربي، المرجع السابق، ص 553.

ج–التعليم العالي:

يستغرق التعليم في هذه المرحلة عشر سنوات، وذلك حسب الحالة المادية لطالب العلم، فكان الطالب ميسور الحال هو الذي يلتحق بالمعاهد العليا وأهمّ ما ميّز هذه المرحلة هو حقّ الطالب في اختيار الأستاذ الذي يريده، ويلازمه في الجامع الذي يدرس فيه[2].

وكان له الحقّ أيضا في اختيار حلقة الدرس المناسبة له لذلك كانت بعض الحلقات العلمية تكتظ بالطلبة والأخرى يحضرها إلاّ القليل.

واشترط على الأستاذ عدّة شروط لتأدية مهامه وأهمّها حسن التوضيح والابتعاد عن التكرار وعدم الحرص المبالغ فيه على تحقيق النقل وإيراد الأسانيد ووضوح الصوت والمواظبة على الدروس.

وكانت المواد في هذه المرحلة تدرّس بتفصيل وكانت المسائل تناقش على مستوى أمّهات المؤلفات التي عرفها المسلمون وكان يخوض في هذا النوع من التعليم إلاّ الأساتذة المتمكنون الذين كانوا بكثرة في مملكة الأساقي وعرفوا بسعة اطّلاعهم ومعرفتهم[3].

واحتوت بعض المساجد على المراحل التعليمية الثلاث، فكان الشيخ يتخذ من جانب الجامع مكانا لتحفيظ تلاميذه القرآن الكريم ويتخذ شيخ التعليم الثانوي وأستاذ التعليم العالي الفناء أو القاعدة لتلقين الدروس وعقد الحلقات العلمية للطلبة.

إلاّ أنّ طلبة القرآن كانوا يتخذون في كثير من الأّحيان الدكاكين أو الأماكن بجانب المساجد الصّغيرة لمزاولة مهنتهم، وكان بعض الأساتذة والشيوخ يلقون الدروس للطلبة في منازلهم[4].

2 – مناهج وطرق التدريس:

---

[1] عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص ص 64 – 65.

[2] – بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 204.

[3] محمد الغربي، المرجع السابق، ص553، –عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي، ص 145.

[4] – عبد القادر زبادية، الاحضارة العربية، ص 66.

اختلفت طرق التدريس ببلاد السودان الغربي باختلاف الشيوخ إذ تخضع للمادّة المدروسة والمرحلة المرتبطة بها، والملاحظ أنّ مناهج التعليم ببلاد السّودان الغربي كانت شبيهة بالمؤسّسات التعليمية والمراكز الثقافية بتلمسان[1].

وكان الصبي إذا بلغ خمس سنوات يمتحن بتحفيظه وتعليمه الأرقام من واحد إلى عشرة، فإن أتمها دون أن يخطئ بدأوا في تعليمه الحروف بالترتيب وبعد أن يدركها يعلمونه الحركات كالفتحة والضمّة والكسرة...[2].

وبعد إدراكه للحروف يقومون بتحفيظه القرآن الكريم بدءا بالسور القصيرة، إضافة إلى حفظ بيت أو مجموعة من الأبيات على اللوح.

وبعد أن يصبح الطفل قادرا على الكتابة يقوم بتدوين الآيات القرآنية الكريمة على اللوحة، ويتمم حفظ ما تبقى من الآيات تحت مراقبة المعلم إلى أن يختم القرآن الكريم.

واكتفى المعلمون في بداية الأمر بتحفيظ القرآن الكريم للصبيان ثمّ أصبح) ويعلّمونهم القراءة والكتابة، لتأهيلهم لدراسة معاني القرآن الكريم وأحكامه إضافة إلى حفظه عن ظهر قلب[3].

وبعد انتهاء الصبي من حفظ القرآن الكريم ينتقل إلى القراءات أو التجويد ثمّ يدرس المتن على يد شيخه، وكان الشيخ أحيانا يقدّم دروسه ويقوم في نفس الوقت بنشاط آخر كرعي الماشية أو سقيها ولم يكن ذلك يثقله عن التدريس.

أمّا عن طريقة حفظ القرآن الكريم فكان الصبي يتبع فيها مجموعة من الخطوات وأوّلها كتابة النص على اللوح ثمّ يقرأه على الشيخ ليصحح له ما يرد على لسانه من أخطاء، حتّى يحفظه بطريقة سليمة، ثمّ

[1]- سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، صص 15 – 16.

[2]- محمد أمين الشنقيطي، المصدر السابق، ص 490.

[3]-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 17.

يقرأ النصّ مرّة تلوى الأخرى حتّى يتقن حفظه، ثمّ يقرأه على شيخه سردا في ذاكرته حتى يتأكّد من سلامة النص، ثمّ يعود لقراءته مجزءا، والشيخ يفسر له، وبعد الإنهاء يقوم بالتكرار لترسيخ أكثر[1].

وكان الآباء يعاملون أبناءهم معاملة قاسية كقطع الصلة بهم منذ وصولهم إلى الشيخ إلى أن يحفظوا القرآن الكريم كاملا، ويسمعه أمام كبار الحفاظ، وهدفهم من وراء هذه المعاملة تعويد أبناءهم على تحمل المسؤولية ومواجهة مشاكل الحياة في كبرهم[2].وبعد إتمام حفظ القرآن الكريم ينتقل إلى منهج دراسي لمرحلة التعليم الثانوي وكان الأستاذ عند إلقاء دروسه في هذه المرحلة يجلس ويلتف حوله الطلبة على شكل نصف دائرة، وكان من عادته في الجلوس وضع رجليه على الكرسي مثلما يفعل الإمام على المنبر، ويمسك طرف عمامته بيده اليمنى، ولم يكن الأستاذ يستعمل العصى مثل المعلّم أو الشيخ وكان يقابل الأستاذ في الجلوس أنجب الطلبة، ويسرد النص فقرة فقرة ثمّ يبدأ الأستاذ بالشرح والتعليق على النص الملقى من قبل الطالب المسمّى بالمسرد، ويكون ذالك أحيانا عالما أو فقيها، وإذا أريد حفظ النص من كتاب الشفا للقاضي عياض فيتم السرد من دون حضور الأستاذ.

ومن أشهر المسردين العالم أندو بن المختار في مسجد سنكري، وابنه عبد الله، ومن الأمور التي كان الأستاذ يناقش فيها طلبته في النوازل، ثمّ يمنحونهم في نهاية كلّ درس، وكانوا يستعملون أبسط الطرق لتبليغ طلبتهم أدقّ التفاصيل[3].

إلاّ أنّ بعض الأساتذة كانوا يطلبون من تلاميذهم تسجيل الأفكار الجديدة والملخصات في دفتر خاص، ولكي يتمكن الطلبة من الاستيعاب كان الأستاذ يختار العبارات البسيطة، وكانوا يتوقفون عند مادة معينة أو أكثر قد تمكنوا من اتقانها فيما سبق وأجيزوا فيها.

أمّا بالنسبة لأوقات الدروس فكانت تستمرّ طوال النهار، وتنقطع في أوقات الصلات أو الطعام، وكان البعض من الأساتذة يدرسون بالليل على ضوء نيران الحطب، فكان الفقيه بغيغ يدرس طلاّبه من

[1]-الخليل النحوي، المرجع السابق، ص ص 171 – 172.

[2]- الأرواني، المصدر السابق، ص 10.

[3]- عبد القادر زبادية، الحضارة العربية، ص 64.

صلاة الصبح إلى الضحى ثمّ يصلي الظهر بالناس، ثمّ يدرس إلى العصر، ثمّ يصلّي العصر ثمّ يخرج إلى مكان آخر يدرس فيه، ويدرس بعد المغرب في الجامع إلى العشاء ثمّ يرجع إلى بيته[1].

وكان من عادة الأساتذة ببلاد السودان الغربي عدم إلزام الطلبة بالاشتراك في درس واحد، فكان الأستاذ يدرس عشرة طلاّب الألفية فبعضهم يقرأ من أوّلها وبعضهم من وسطها وبعضهم من آخرها، ويلقي الأستاذ لكلّ واحد منهم دراسة من موضعه الذي هو فيه[2].

وكان المعلّم يحرص على إعداد الطالب إعدادا سليما، ويعمل على إكسابه الأخلاق الحسنة، وتدريبه على الالتزام بالتعاون مع أسرته التي تراقب اجتهاده في دراسته، وملازمته للصحبة الجيدة، وكان للطالب حرّية إبداء رأيه ومناقشته حتى يخرج بمجموعة من القواعد والاستنتاجات، وهذا ما يشجعهم على الجدل والتفكير والحوار والقدرة على المناظرة[3].

3 – أشهر علماء بلاد السودان الغربي:

يعتبر القرن 8هـ إلى غاية القرن10هـ (14م/16م) من أهمّ القرون التي عرفت فيها بلاد السودان الغربي ازدهارها الفكري، بحيث بلغت حواضرها الإشعاع الثقافي، ودارت الحركة العلمية والثقافية ببروز مجموعة من العلماء نبغوا في شتى العلوم، وذلك نتيجة الروابط والعلاقات بين إقليم السودان الغربي وأقاليم المغرب الإسلامي عموما وبين إقليم توات خصوصا.

وعرف عن السلاطين السودانيين حبّهم وشغفهم للعلم وتعلّقهم باللغة العربية ممّا جعلهم يقومون بتشجيع البعثات العلمية إلى بلاد المغرب الإسلامي وإلى مصر وباقي الأقاليم الإسلامية[4]، فقد كان التعليم في بدايته تحضرا على الأساتذة العرب القادمين من الشمال نحو الجنوب، لكن بعد فترة من الزمن

---

[1] – عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 16.

[2] – مجموعة من الباحثين، الموسوعة العربية العالمية، مج8، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، 1966م، ص 566.

[3] – عبد القادر زبادية، الحضارة العربية، ص 66.

[4] – بودواية مبخوت، أعلام السودان الغربي بين القرنين التاسع والعاشر هجريين، حولية المؤرخ، العدد6، جويلية، 2005، ص ص 179 – 180.

تكوّنت طبقة مثقفة من بلاد السودان الغربي فتولت مهمة التعليم والتدريس ومهام القضاة وغيرها من الوظائف السامية[1].

أ- أسرة أقيت :

عرفت أسرة أقيت بعلمائها الذين كان لهم الفضل الكبير في نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية في بلاد السودان الغربي وخاصّة في مدينة تمبكتو وأهمهم:

- **عمر بن محمد أقيت :**

عاش في عهد السلطان سني علي، واشتهر بعلمه وصلاحه ومن أشهر شيوخه الفقيه محمد الكابري[2]، رحل سنة (472هـ/1467م) إلى ولاتة[3] مع أبنائه الثلاثة الحاج أحمد والفقيه عبد الله والفقيه محمود، إلاّ أنّ أولاده رجعوا إلى تمبكتو، وبقي الشيخ عمر بولاتة إلى أن توفي بها.

أحمد بن عمر بن محمد أقيت : (857هـ-942هـ/1453م- 1533م):

هو جد أحمد بابا التنبكتي، رحل الى بلاد المشرق سنة (890هـ/1485م) ، وقام بأداء فريضة الحج، والتقى بجماعة من العلماء أشهرهم جلال الدين السيوطي، اخذ العلم من جده لأمه الذي تولى قضاء تنبكتو وولاتة.

وبعد عودة أحمد بن عمر من الحج اشتغل بالتدريس، الى أن توفى ليلة الجمعة ربيع الثاني سنة 942هـ، مخلفا من ورائه سبعمائة مجلد[4].

---

[1]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2]- ولد محمد الكابري في القرن التاسع الهجري (15م)، زاول دراسته بمدينة تمبكتو وأخذ عنه الفقيه "عمر بن محمد أقيت"، والفقيه سيدي يحي بن عبد الرحيم التادلي (ت866هـ/1461م)، انظر: عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 47.

[3]- تقع على بعد حوالي تسعين كيلومترا إلى الشمال الشرقي على طريق وعر رملي بين مالي وسجلماسة، انظر: ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 658.

[4]- أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، مج1، ص ص 147- 148- عبد الرحمن اليعدي، المصدر السابق، ص 37.

أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت: (932هـ-991هـ/1526م-1582م) :

هو عمّ أحمد باباالتنبكتي، عرف بعلمه وصلاحه، له عدة تآليف في علم التصوف أهمها معين الضعفاء في القناعة[1].

سافر إلى بلاد المشرق فقام بأداء فريضة الحج وجاور المدينة وتتلمذ على يد شيوخها ثمّ رجع إلى بلاد السودان وبدأ في نشر العلم، ثمّ رجع إلى المدينة المنورة إلى أن توفي بها، قال عنه تلميذه أحمد بابا: "وهو أوّل من قرأت عليه علم العربية فنلت بركته ففتح لي فيه في مدّة قريبة بلا عناء."[2]

- **أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت التنبكتي (929هـ-991هـ) / 1523م-1583م):**

هو أب أحمد بابا التنبكتي، اشتهر بذكائه، وكان متفننا متحدثا أصوليا منطقيا، يجمع الكتب النفيسة والنادرة.

رحل إلى بلاد المشرق عام (956هـ/1549م)، وأخذ العلم على علماء مصر، ثمّ عاد إلى بلاده واشتغل في التدريس، وأخذ أيضا عن الفقيه محمد ابن محمود بغيغ وأخيه أحمد[3]، نال احترام واهتمام السلطان أسقيا سلطان مملكة سنغاي الذي زاره أكثر من مرّة في بيته.

ومن أشهر مؤلّفاته شرح مخمسات العشرينات الفازازية لابن مهيب في مدح النبي (صلى الله عليه وسلّم)، وشرح منظومة المغيلي في المنطق[4].

- **أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت التنبكتي الصنهاجي (المشهور بأحمد بابا التنبكتي صاحب نيل الابتهاج):**

---

[1]- السعدي، المصدر السابق، ص 41.

[2]- التنبكتي، المصدر نفسه، مج1، ص 165.

[3]- السعدي، المصدر نفسه، صص 42 – 43.

[4]بودواية مبخوت، أعلام السودان الغربي، ص 191.

هو أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحي الصنهاجي الماسني، اشتهر ببابا التنبكتي[1].

أخذ العلم على كثير من الشيوخ، ختم الموطأ ابن مالك وأصول السبكي وألفية العراقي بشرح مؤلفها، وتلخيص المفتاح بمختصر السعد مرتين ورجز المغيلي في المنطق والمدونة بشرح أبي الحسن الزويلي وصحيح البخاري ومسلم[2].

وبعد دخول المغاربة لمدينة تمبكتو والاستيلاء عليها سنة (1000هـ-1592م) على يد المنصور السعدي، رفضت أسرة أحمد بابا هذا الغزو ممّا أثار حفيضة السعديين، فأمر المنصور بالقبض عليهم ونفيهم إلى مراكش ونهبت خزائنهم ودمرت ديارهم[3].

وبعد إطلاق سراح أحمد بابا جلس على كرسي التعليم لتلقين الدروس[4]، واتصل بعدّة علماء واطلع على نفائس الكتب في المكتبات والخزائن.

وبعد فترة عاد إلى بلده وواصل التدريس في جوامع تمبكتو، فشمات دروسه العلوم الدينية واللغة والمنطق والحساب، واهتمّ أكثر بالتأليف[5] فزادت مؤلفاته عن الأربعين لكن معظمها أتلف بسبب الحملات المتكرّرة على بلاد السودان الغربي.

- **محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي (868هـ-955هـ/1463م-1548م):**

[1]- التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2، ص ص 286 – 289. -السلاوي، الاستقصاء، ج3، ص 63.

[2]- السعدي، المصدر السابق، ص ص 45 – 46. -حسن محمد نبيلة، في تاريخ الحضارة الإسلامية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، دت، ص 171.

[3]-السعدي، المصدر نفسه، ص ص 41 46.

[4]-البرتلي، المصدر السابق، ص 34.

[5]- محمد الغربي، المرجع السابق، ص ص 540 – 541.

"عالم التكرور وصالحها ومدرسها وفقيهها بلا مدافع كان من خيار عباد الله الصالحين ... تولّى القضاء سنة (904هـ-1498م) في عهد أسكيا محمد (1493م-1528م)[1]. ولم يكن يخاف في الله لومة لائم يهابه الملوك فمن دونهم.

لازم التدريس فانتفع به خلق كبير وأحيا العلم بالمنطقة، ورحل إلى بلاد المشرق كعادة غيره من العلماء، فأدّى فريضة الحج سنة (915هـ-1509م)، والتقى بعلماء وأئمّة مصر والحجاز.

ثمّ رجع إلى بلده وواصل التدريس ونشر العلم لمدّة خمسين سنة إلى أن توفي في 16 رمضان 955هـ[2]، مخلّفا من ورائه عدّة مؤلفات أهمّها: التعليق على رجز المغيلي وشرح مختصر خليل.

- **محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي (909هـ-973هـ/1503م-1565م):**

نشأ محمد أقيت في أسرة اشتهرت بالعلم والصلاح والثروة والنفوذ الكبير لدى الملوك والسكان، تخرج منها قضاة تمبكتو، فبالإضافة إليه وإلى والده تولّى إخوته العاقب وعمر القضاء[3].

ام تذكر أيّ مراحل عن تحصيله العلمي أو الشيوخ الذين أخذ عنهم ما عدى تلاميذه وأشهرهم والد أحمد بابا التنبكتي، وفي هذا الصدد قال أحمد بابا: "أخذ عنه والدي البيان والمنطق"[4]، ولم يكتف محمد أقيت بتدريس البيان والمنطق بل تضلّع أيضا في العلوم الدينية واللغوية.

قال عنه السعدي: "أمّا القاضي محمد فكان عالما جليلا فهّاما ذكيا، وليس له نظير في عمره في الفهم والدهاء والعقل..."[5]، وذكره أحمد بابا التنبكتي قائلا: "...تولى منصب القضاء في تمبكتو بعد وفاة

[1]- عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص ص 38 – 39. –كعت، المصدر السابق، ص 750.

[2]-عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 34.

[3]- السعدي، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- التنبكتي، نيل الابتهاج مج2، ص 291.

[5]- السعدي، المصدر السابق، ص 34.

والده سنة (955هـ/1548م)، فأسعفه الحظ أن يكون من أهل الجاه والمال"، وقال أيضا: "...تولّى القضاء بعد أبيه فساعدته السعادة، فنال ما شاء من دولة ورياسة تفيّأ منها ظلاّ ظليلا، واكتسب من الدنيا عرضا وطولا..."[1].

- **عبد الله بن محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي (1006هـ/1597م):**

هو الفقيه عبد الله بن محمود بن عمر أقيت ولد في مدينة تمبكتو ونشأ فيها آخذا العلم عن شيوخها، كان حافظا مدرسا ومؤلّفا. نفي إلى مراكش مع مجموعة من العلماء أثناء الغزو المغربي وتوفي بها سنة (1006هـ/1597م) إثر مرض الطاعون[2]

- **العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى (9013هـ-991هـ/1507م-1583م)**

هو الإمام الفقيه الفاضل العالم القاضي، أخذ العلم عن والده وعمّه رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج والتقى بعدّة علماء.

تولّى القضاء بمدينة تمبكتو وكان صلبا في الحق ولا يخشى في الله لومة لائم[3].

- **أبو حفص عمر بن محمود بن عمر بن محمد أقيت (ت1003هـ/1594م):**

ولد بمدينة تنبكتو، زاول فيها التعليم على يد والده محمود بن عمر أقيت، وكان من بين العلماء الذين أسروا ونفيوا إلى مدينة مراكش أثناء غزو مدينة تنبكتو، وتوفي بها سنة (1003هـ/1594م) وكان متمكنا من العلوم الدينية كعلم الفقه الحديث والسير والتاريخ.

---

[1]-التنبكتي، نيل الابتهاج، مج2، ص 291.

[2]- التنبكتي، المصدر السابق، مج1، ص 255.

[3]- التنبكتي، المصدر نفسه، ص 399. -كفاية المحتاج، ج1، ص 295.

تولّى القضاء بمدينة تنبكتو سنة(993هـ/1585م)[1] بعد امتناعه الشديد، وشهد له الكثير من العلماء بمكانته في غرب إفريقيا[2].

- **عبد الله بن عمر بن محمد أقيت بن عليّ بن يحيى الصنهاجي (866هـ-929هـ/1461م-1522م):**

هو الفقيه الحافظ الزاهد الورع الولي الصالح، تعلّم بولاتن وتوفي بها، عرف بتبحره في العلوم الشرعية، إلاّ أنّ المصادر التاريخية لم تشر إلى مؤلّفاته[3].

- **أحمد بن محمد بن سعيد سبط الفقيه محمود بن عمر، (931هـ-976هـ/1525م-1568م):**

كان أحمد بن محمد عالما فقيها حافظا مدرسا، أخذ العلم عن جدّه لأمّه وغيره من الشيوخ، تولّى التدريس سنة (960هـ/1553م) إلى غاية وفاته سنة (976هـ/1568م)، ترك من بعده حاشية على خليل اعتمد فيه على البيان والتحصيل[4].

ب- أسرة بغيغ:

- **محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (930هـ-1002هـ/1524م-1593م):**

---

[1]- السعدي، المصدر السابق، ص 34. – أحمد مهدي رزق الله، حركة التجارة والإسلام قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1998م، ص ص 342 – 343.

[2]- أحمد مهدي رزق الله، المرجع نفسه، ص 343.

[3]- التنبكتي، نيل الإيتهاج، مج1، ص 254، -كفاية المحتاج، ج.ج1، ص ص 178 – 179.

[4]عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، المطبعة الكمالكية، الرباط، 1990م، ج5، ص ص 184 – 185.

العالم المتفنن الصالح العابد الناسك المفتي من خيار عباد الله الصالحين والعلماء، رحل إلى بلاد المشرق مع أخيه الفقيه أحمد وأخذا عن علماء مصر ثمّ أدّيا فريضة الحجّ ورجعا إلى بلاد السودان واستقرّا بتنبكتو.

واشتغل الفقيه محمد بنشر العلم، فكانت له تعليقات على بعض أمّهات الكتب المالكية، و توفي بمدينة تنبكتو عام 1002هـ[1].

- **أحمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (ت978هـ/1570م):**

نشأ الفقيه أحمد بن محمود التنبكتي بمدينة جني، وأخذ العلم على أشهر علماء أسرته ومن بينهم والده وخاله[2] اللذين اشتهرا بالعلم والفقه ثمّ رحل مع أخيه محمد إلى مدينة تمبكتو التي كانت قبلة للطلبة والعلماء من مختلف الأقطار واتصلا بالفقيه أحمد بن محمد بن سعيد (ت 976هـ/1568م)[3].

جـ- أسرة أندغ:

- **اندغ محمد:**

اندغ محمود بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح من أهمّ علماء بلاد السودان الغربي قال فيه أحمد بابا التنبكتي: "هو أوّل مكن خدم العلم من أجداده، تولى قضاء تمبكتو في أواسط القرن التاسع هجري وكان عالما فقيها وعالما صالحا أخذ عن محمد الكابري وعاصر يحي التادي[4].

وقال فيه السعدي: "معدن العلم والفضل والصلاح ومنه تنسل كثير من شيوخ العلم والصلاح، منهم من جهة الآباء ومنهم من جهة الأمّهات ومنهم من جهتهما معا، فهو عالم جليل قاضي المسلمين"[1].

---

[1]- السعدي، المصدر السابق، ص 45.

[2]- السعدي، المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[3]- أحمد مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص 351.

[4]- التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 280.

- **المختار النحوي بن أندغ محمد (ت922هـ/1516م):**

اشتهر المختار النحوي بن أندغ بتمكنه من مختلف العلوم، رحل إلى ولاّتة مع أبناء أخته الفقيه الحاج أحمد والفقيه عبد الله والفقيه محمود وهم أبناء عمر بن محمد أقيت، وبها التقى بالإمام الزموري[2]، الذي أجازه كتاب الشفا للقاضي عياض.

وكان هذا العالم من أكبر فقهاء وعلماء جامع سنكري الذين كان لهم دور فعال في ازدهار الحياة الثقافية ببلاد السودان الغربي[3].

- **أبو عبد الله أندغ:**

هو أبو عبد الله بن المختار النحوي بن أندغ محمد:

كان إماما بمسجد سنكري، خلف القاضي محمود بعد كبره في السن، اشتهر ببراعته في علوم اللغة العربية ومدح الرسول صلّى الله عليه وسلّم، درّس كتاب الشفا للقاضي عياض وبقي في إمامة المسجد إلى غاية وفاته، وخلّف ابنا يدعى المختار بن محمد بن المختار النحوي الذي ورث **الإمامة** عن أبيه.

- **أحمد بن أحمد أندغ محمد السوداني (991هـ-1044هـ/1583م-1634م)**

العالم النحوي جامع النحو وأصول الفقه، قرأ على الفقيه محمد بن محمود بغيغ مختصر خليل والرسالة الشافية.

اشتهر بفصاحة لسانه وهيبته، تولى قضاء مدينة تمبكتو بعد وفاة أخيه القاضي محمد، درس شذور الذهب والتسهيل والرسالة والمختصر وشرح الجرومية[1].

---

[1]- عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 50.

[2]هو محمود بن محمد الأنصاري الزموري عالم مدرّس في الفقه واللغة، انظر: احمد بابا التنبكتي، المرجع السابق، ج2، ص 160.

[3]- عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص ص 28 – 29.

د- أسرة كعت:

- **محمود كعت:**

هو القاضي محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت، ولد بكوروما الواقعة غرب مدينة غاو، درس على يد علماء وفقهاء تمبكتو فأصبح أديبا وفقيها وقاضيا في نفس الوقت.

عاصر الحاج محمد الكبير أسقيا مملكة سنغاي(1493م/1528م) ومن أشهر أبنائه الذين ساهموا في نشر الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان الغربي الفقيه اسماعيل بن محمود كعت والفقيه بن محمد كعت ومحمد الأمين بن محمود كعت وحفيده ابن المختار ابن بنت القاضي محمود كعت[2].

ومن أشهر مؤلفاته "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظام الأمور وتعريف أنساب العبيد من الأحرار.

وأخذ عن محمود كعت الكثير من العلماء والفقهاء أمثال أحمد بابا التنبكتي الذي قال عنه: "شيخ زمانه في العلوم والفنون لا نظير له، لازمته أكثر من عشر سنين، فقرأت عليه بلفظي مختصر خليل، ابن الحاجب قراءة بحث وتحقيق وتحرير وختمت عليه الموطأ قراءة فهم، وحضرته كثيرا في المدونة، ورجز المغيلي في المنطق... وهو أستاذي وشيخي ما انتفعت بأحد انتفاعي به وكتبه وأجازني جميع ما يجوز له ومنه مكتب لي بخطه في ذلك"[3].

وقد وجد ببلاد السودان الغربي علماء آخرون لا يقلون أهمية عن الذين ذكرناهم سابقا ومن أشهرهم:

- **محمد بن أحمد بن أبي محمد التاذختي (ت936هـ/1529م):**

---

[1]- محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني عشر تح: محمد حجي وأحمد توفيق، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996، ص ص 1325 – 1326.

[2]- بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص ص 185 – 186.

[3]- يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية من القرن 16 إلى مطلع القرن 20 م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001م، ص ص 196 – 197.

عرف بأيد أحمد الفقيه العالم المحقق عاصر أحمد بن عمر بن محمد أقيت وتتلمذ على يده وحضر دروس المغيلي .

ومن أشهر العلماء الذين التقى بهم في بلاد المشرق القلقشندي الذي أخذ عنه علم الحديث، وبعد رجوعه إلى بلاد السودان الغربي تولى قضاء كشنة، إلى أن توفي بها[1].

- **الفقيه مخلوف بن علي بن صالح البلبالي (ت940هـ/1533م):**

ارتحل إلى بلاد المغرب لأخذ العلم على شيوخها ثمّ رجع إلى مسقط رأسه بلاد السودان الغربي فأخذ عنه عبد الله بن عمر محمد أقيت وغيره من الطلبة، فذاع صيته واشتهر بقوة حفظه وغزارة علمه الذي نشره في مدينة تمبكتو، ثمّ رجع إلى بلاد المغرب وامتهن التدريس بمدينة مراكش ثمّ عاد إلى تمبكتو أين وافته المنية سنة(940هـ/1533م)[2].

- **العاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي:**

الفقيه النبي الذكي، أخذ عن المغيلي والسيوطي، عرف بتعاليقه أهمها على قول خليل، وله أجوبة الفقير عن أجوبة الأمير أجاب فيه أسكيا الحاج محمد، وله الجواب على أسئلة القاضي محمد بن محمود، ووجوب الجمعة لقرية أنصمون ولم تشر كتب التراجم إلى تاريخ وفاته إلاّ أنّه كان حيا سنة (950هـ/1543م)[3].

- **الفقيه القاضي الإمام موسى:**

[1]- التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2، ص 230.

[2]- السعدي، المصدر السابق، ص39؛ أبو بكر اسماعيل ميغا، تاريخالثقافة الإسلامية والتعليم في بلاد السودان الغربي من القرن 4هـ حتى مطلع القرن 13هـ، مجلّة الدارة، دار الملك عبد العزيز، العدد2، الرياض1414هـ، ص 219.

[3]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص 294.

من أشهر أئمة المسجد الجامع الكبير في مدينة تمبكتو، تولى منصب الإمامة مدّة أربعين سنة، رحل إلى بلاد المغرب لطلب العلم بمدينة فاس ثمّ عاد إلى مسقط رأسه مع الفقيه القاضي عبد الله البلبالي إضافة إلى توليه منصب الإمامة والتدريس شغل منصب القضاء [1] فكان من العلماء الصالحين الذين نشروا العلم وساهوا في ازدهار الحياة الثقافية والفكرية في بلاد السودان الغربي .

- **العالم سيدي بن عبد الرحيم (ت866هـ):**

هو العالم يحيى بن عبد الرحيم بن عبد الرحمان الثعلبي بن يحيى البكاء بن أبي الحسن علي بن عبد الله بن الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، من أشهر علماء تمبكتو وصلحائها[2].

- **القاضي محمد سانو الونكري:**

قدم إلى مدينة جني من قرية طور أواخر القرن 9هـ واستقر بها، فأظهر له سلطانها كلّ مظاهر التقدير والاحترام، فأصبحت له مكانة خاصّة وشهرة واسعة وصلت إلى مدينة تمبكتو، وبعد زيارته للشيخ العالم محمود بن عمر بن محمد أقيت أعجب بعلمه وصلاحه وزهده فذكره عند أمير المؤمنين الحاج أسقيا محمد الذي عينه قاضيا على مدينة جني[3].

4- أشهر العلوم ومصنّفاتها المتداولة في بلاد السودان الغربي :

[1]- اسماعيل ميغا، المرجع السابق، ص 202.

[2]- بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 215.

[3]- المرجع نفسه، ص ص 226 – 227.

اكتفى المعلمون في بداية الأمر بتحفيظ القرآن الكريم وتلقينه للأطفال . ثم أصبحوا يعلمونهم القراءة والكتابة لتأهيلهم لدراسة معاني القرآن الكريم وأحكامه، واعتمد التعليم في هذه الفترة على مؤلفات في اللغة والمبادئ الأولى في العلوم الشرعية والمنطق والحساب [1].

وبعد انتشار التعليم وتطوره في بلاد السودان الغربي اهتم علماؤها بأمهات الكتب ومتونها وشروحها واعتمدوا في كثير منها على أعمال الأندلوسيين والمغاربة [2].

وقد اهتموا بتدريس للطلبة مختلف العلوم من نقلية وعقلية أشهرها:

4-1 العلوم النقلية:

أ- العلوم الدينية:

الفقه :

عرفت المؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية ببلاد السودان الغربي انتشار كتب الفقه المالكي المعروفة في البلدان الإسلامية خاصة بلاد المغرب الإسلامي وأهمها مختصر خليل وجامع المعيار وتحفة الحكام ومختصر الفروع والمدونة والرسالة وكتاب موطأ مالك .

وفي هذا الصدد قال أحمد بابا التنبكتي على شيوخه "... قرأت عليه بلفظي مختصر خليل وفرعي ابن الحاجب قراءة بحث وتحقيق وتحرير ختمتها عليه أما خليل فمرارا عديدة ...وحضرته كثيرا في الملتقى والمدونة بشرح المحلي ثلاثا وسمعت بلفظه جامع معيار الونشريسي كاملا ... وكثيرا من تحفة الحكام لابن عاصم في الأحكام، مع شرح ولديه عليها "[3].

[1]- سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص 17.

[2]- شوقي ضيف، عصر الدول والامارات "الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان".ط1، دار المعارف ، القاهرة، 1955، ص559

[3]- الدالي الهادي مبروك، التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء،ط1 بنغازي، ليبيا، ص 182.

أصول الفقه : يدرسون متن الورقات للجويني [1].

الحديث :

كانوا يدرسون صحيح البخاري ومسلم . الجامع الصغير للسيوطي وألفية زين الدين العراقي ومنظومة البيقوني وطلعة الأنوار لسيدي عبد الله بن حاج ابراهيم [2].

التوحيد :

كان السودانيون يدرسون مقدمات كتب الفقه للإمام مالك ومتن الأخضري وابن عاشر ومختصر خليل بن اسحاق وكانت كلها فروع مذهب الإمام مالك [3]، واتفق العلماء على الاعتماد على كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس والعمل به و الاجتهاد في رواياته ودراسته كما اعتمدوا على سنن ابن داوود والجامع الترميذي وسنن ابن ماجه وكتاب الشفا والدرر اللوامع في القراءات السبع لعلي بن أبي زين العابدين الشنقيطي، مقدمة ابن جوزي الدمشقي.

التفسير :

كانوا يرجعون في التفسير إلى ابن كثير والطبري[4].

ب– علوم اللغة وآدابها :

كان علماء بلاد السودان الغربي يدرسون في علوم اللغة وآدابها لأمية العجم للغفراني ومقصورة ابن زيد الأزدي والقصيدة الدالية لأبي الحسن اليوسي والقصيدة الشمقمقية لإبن الونان ومقامات الهمذاني ومختار الصحاح والقاموس المحيط إضافة إلى قصائد ومتون أخرى[1].

150– محمد أحمد لوح، التعليم العام ومناهجه (السنغال نموذجا)، الكلية الافريقية للدراسات الإسلامية، النيجر، 2009، ص10.

2– شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 559.

3– محمد أحمد لوح، المرجع السابق ، ص 09.

4– الخليل النحوي، المرجع السابق، ص ص 213.214.

أمّا بالنسبة للنحو والصرف فكانوا يدرسون مختصر ابن أجروم ومنظومة عبيد ربّه، وألفية محمد بن مالك الأندلسي، وجلال الدين السيوطي والتصريف لأبي أديخ الموريتاني ولامية الأفعال ومحلّة الإعراب للحرير وإحمرار الحسن بن زين علي [2].

أمّا في البلاغة والعروض والقوافي فكانوا يقرؤون الجوهر المكنون للأخضري وعقود الجمان ونور الأقاح لإبن الحاج ابراهيم الشنقيطي والشافية والعروض والقافية للخزرجي وسراج الطالب للمساري والكتاب الوافي[3].

الشعر : من أشهر شعراء بلاد السودان الغربي، الشيخ سيدي يحيى التادلي الذي عرف بقصيدته التي يرثى فيها الفقيه محمود بن محمد الكابري وهي من البحر الطويل وجاء فيها :

تذكر في التذكار جل الفوائد وفي طية ورد على خير وارد .

ألم تر سفر الحث بالفضل خصصوا وسفر دوي الأفكار أخطى بزائد .

تضئ لب المرء طيبة الصبا فيلحق فتيانا ويقوى لساعدي .

وصلّى إله العرش ربّي بمنه على خير مبعوث وأفضل شاهد .

محمد المختار للختم رحمة بتميم أخلاق كرام مجاهد[4].

والشاعر المختار بن القاضي أندغ محمد، له قصيدة يمدح فيها السوقيين والتي بلغ عدد أبياتها أربعة وأربعون بيتا وجاء فيها :

جزى الله أهل السوق عنّا بخيره فما جسدوا فضلا وما نطقوا جهرا

---

[1]- الأرواني، المصدر السابق ، ص 15.

[2]- محمد أحمد لوح، المرجع السابقن ص 10-شوقي ضيف، المرجع السابق، ص260- الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 216.

[3]- نعيم قدّاح، المرجع السابق، ص 145.

[4]- بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 210 .

فإنّهم ذاقوا عسيلة علمهم فأورثهم فضلا وأعقبهم دخرا

يضّمون علما الغير عفوا لعلمهم ففازوا بقصب السبق واستحدثوا فخرا[1].

ومن بين الشعراء أيضا الفقيه المختار بن أيده وله عدّة قصائد في المدح، وأشهرها القصيدة التي مدح فيها أحمد بابا التنبكتي وجاء فيها :

حسبي من آل الشيخ بابا أحمد الطيب المحبب المحمد.

الفاضل المبارك المود الطاهر الحلاحل الزيد الجد .

الماجد السميدع المجـــــــــد شمس الضحى المبجل المنفرد .

يا بابا أحمد جد أن أباك مرشك كن جلدا إنّ أباك جلد .

عن مسعدا إنّ أباك مسعـــــد كن أسدا إنّ باك أسد .

كن مفردا إنّ أباك مفـــــــرد إنّ أباك مثله لايوجد [2].

4-2 العلوم العقلية :

اهتم أهل السودان الغربي بالعلوم العقلية وأهمها علم المنطق وعلم الكلام والفلك.

- **علم المنطق :**

اهتم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي بعلم المنطق وكان له الدور الكبير في نشره ببلاد السودان الغربي، عن طريق تعليمه لطلبته، ويرى بأن علم المنطق يستطيع الشخص الوصول الى الحقيقة، وبه تكون سعادته لأنه يجعل الطريق سهلا أمام المعرفة حتى ترقى من الجزء المحسوس الى الحقيقة العقلية المجردة.

[1]- المرجع نفسه، ص 209 .

[2]- بودواية مبخوت، المرجع السابق، ، ص 210.

ويرى المغيلي بأنّ الشرع أوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها، ومن أشهر مؤلفاته في هذا العلم " منح الوهاب في رد الفكر الى الصواب" ، وكان الفقيه محمد بن عمر بن محمد أقيت من بين العلماء الذين تأثروا بفكر المغيلي وقام بشرح مؤلفه " منح الوهاب" الذي كان من جملة المتون المقررة على طلبه العلم بالسودان الغربي [1].

- **علم الفلك:**

اهتم علماء بلاد السودان الغربي بعلم الفلك، ودرسوا كتبه وأهمها: كتاب أبو العباس أحمد بن البناء الأزدي حول شهور السنة على حساب العجم، ومقدمة الشيخ عبد الرحمان التاجوري والهاشمية في التنجيم[2].

- **الرياضيات:**

اعتمدوا على أرجوزة الأخضري.

- **الطب:**

كانوا يدرسون منظومة العمدة لأوفى بن الفع منصر وتوسّعوا أيضا بدراسة الطب النبوي، والحكمة للسيوطي[3].

[1]- المرجع نفسه، ص 212.

[2]- الخليل النحوي، المرجع السابق، ص 217.

[3]- محمد أحمد لوح ، المرجع السابق، ص10.

الباب الثالث

إسهامات علماء تلمسان بإقليم توات وبلاد السودان الغربي

الفصل الأول

أشهر العلماء الوافدين على إقليم توات وبلاد السودان الغربي ووظائفهم

أولا : أهم العلماء الوافدين على إقليم توات .

ثانيا : أشهر العلماء الوافدين على بلاد السودان الغربي .

ثالثا : مكانة العلماء .

رابعا : ألقاب العلماء .

خامسا : وظائف العلماء .

أولا: أهم العلماء الوافدين على إقليم توات:

توافد على إقليم توات الكثير من التجار والعلماء الذين ساهموا مساهمة فعالة في ازدهار الحركة العلمية بالإقليم حيث نشروا العلم وتولّوا المناصب العليا في البلاد، ومن أشهر العلماء الوافدين على توات نذكر:

-أبو يحيى المنياري (ت840هـ/1437م):

ذكره ابن بابا حيدة بأبي يحي محمد المنياري ووصفه قائلا: "... ذكره علماء البلد وأعني الأكابر والأولياء والمشاهير وأوّلهم على ما بلغنا ذكره جدنا سيدي أبو يحي بن محمد المنياري، والمنيار نسبة لبني منيار قبيلة في المغرب معروفة بأرض التلول، تخبر عنها أحميان، وجدنا نزل تمنطيط عام خمسة وعشر وثمانمائة في القرن التاسع بعد الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، ونقض على توات كلها وكانت مؤونته عليهم فيما يحكى خمسمائة مثقال لكلّ سنة ويحكى عنه العدل والصلاح ..."[1].

واتفقت الجماعة التواتية على توليته قضاء الجماعة في نفس السنة التي نزل بها بتمنطيط سنة 815هـ بعد أن شهد له أهل المنطقة بالعلم الواسع والعدل والصلاح[2]، وقد وافته المنية سنة(877هـ/1472م)، ودفن بمقبرة أولاد سيدي بن موسى بتمنطيط.

-يحيى بن يدير التدلسي (877هـ/1472م):

هو يحي بن يدير بن عتيق التدلسي أبو زكريا[3]، نزل بتوات سنة (845هـ/1441م)[4]، كان فقيها عالما تصدر لتحفيظ القرآن وقواعد اللغة، ومن تلامذته: عبد الله العصنوني ومحمد بن عبد الكريم المغيلي

[1]- ابن بابا حيدة، المصدر السابق، ص 30.

[2]- عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات، ص 80

[3]- أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج ، ص 509.

[4]- محمد بن عبد الكريم البكراوي، درّة الأقلام، ص 19 .

تولى منصب قاضي الجماعة فعرف بعدله واستقامته، توفي سنة(877هـ/1472م)[1]، ودفن بمقبرة أولاد سيدي علي بن موسى بتمنطيط.

– عبد الله بن أبي بكر العصنوني (ت914هـ/1508م):

هو أبو محمد بن عبد الله بن أبي بكر العصنوني التلمساني، قال عنه صاحب البسيط في أخبار تمنطيط: "... رأيت في بعض التقاييد أن عصنون الذي ينتسبون إليه هو أخو جدّهم فانتسبوا إليه لشهرته وذلك جائز عند العرب"[2].

دخل توات مع عائلته سنة (862هـ/1458م)[3] قادما من تلمسان ونزل بتمنطيط وتولى قضاء الجماعة بعد وفاة شيخه يحي بن يدير سنة (811هـ/1473م)، واشتهر بعدله وإحسانه.

خالف محمد بن عبد الكريم المغيلي في قضيته حول هدم كنائس اليهود بتوات وراسلا في ذلك علماء فاس وتلمسان.

– سالم بن محمد أبي بكر العصنوني (ت 968هـ/1561م)[4]:

ولد سنة (810هـ/1408م) عرف بعلمه، فكان عالما فقيها، قدم مع عمّه عبد الله بن أبي بكر العصنوني، تولى القضاء بتمنطيط ثمّ رحل إلى بلاد السودان الغربي، فأسلم على يده الكثير من الناس وكانت وفاته سنة (968هـ/1561م)، ونبغ في عائلة العصنوني الكثير من العلماء والقضاة.

---

[1]– أحمد الحمدي، بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره و اثاره 870هـ-1465م/909هـ-1503م، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 1999-2000، ص 67.

[2]– ابن بابا حيدا المصدر السابق، ص 20.

[3]– محمد بن عبد الكريم البكراوي، درة الأقلام، ص 19.

[4]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

-الشيخ ميمون بن عمر بن الباز (ت901هـ/1496م)[1]:

هو ميمون بن عمرو بن عمّار الباز جاء مع أبيه وأخيه التهامي من فاس، نزل بتمنطيط في نهاية القرن 9هـ/15م، وتزوج ابنة عبد الله العصنوني، وكان معروفا بالعلم والتقوى واتبر الجد الأوّل للعائلة البكرية بتمنطيط التي سيكون لها الدور الكبير في النشاط العلمي بالمنطقة خلال العصر الحديث، حيث تصدّر علماءها للتدريس والإفتاء والقضاء، له نوازل ابن العالم، وألفية الغريب في اللغة القرآنية تشمل على ألف بيت[2]، وافته المنية سنة (901هـ/1496م)[3].

- الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت909هـ/1504م):

عدّ الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي من أشهر العلماء الذين أسهموا في ازدهار الحركة الفكرية بإقليم توات إضافة إلى دوره الإصلاحي في محاربة اليهود وإخراجهم من الأراضي الإسلامية بعد أن عمّ فسادهم وطغيانهم، وتمرّدهم على الأحكام الشرعية وإداية المسلمين.

لقد كان للعلماء الوافدين على إقليم توات خاصّة التلمسانيين إسهامات فكرية في هذا الإقليم أمثال عبد الله بن أبي بكر العصنوني الذي تولّى منصب القضاء فاشتهر بعدله وإحسانه وابن أخيه سالم بن محمد أبي بكر العصنوني الذي تولّى القضاء أيضا بتمنطيط، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي الذي أدخل الطريقة القادرية للإقليم واهتم بنشر التعليم في أرجاء الإقليم.

ثانيا: أشهر العلماء الوافدين على بلاد السودان الغربي:

وفد على بلاد السودان الغربي الكثير من العلماء والفقهاء من بلاد المغرب فأسّسوا المدارس لنشر العلم والثقافة الإسلامية وكان جلّهم يتولّون منصب القضاء والإمامة والتفرّغ للتدريس وأهمّهم:

[1]- امحمد بن عبد الكريم البكراوي ،المصدر السابق ،ص 30 – 32.

[2]- المخطوطات داخل الخزانات الشعبية خلال نهاية القرن 19م وبداية القرن20م بتوات وقورارة وتيديكلت، مركز الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية أدرار، 1987م، ص 22.

[3]- عبد الحميد بكري، المرجع السابق، ص 141.

– الفقيه يحيى:

وهو أخو قاضي ولاتة محمد بن عبد الله بن يومر[1] والفقيه محمد الفيلالي إمام مسجد البيضان بمدينة كوكو والفقيه المقرء عبد الواحد الذي استقرّ بعاصمة مالي الإسلامية[2] والقاضي، أبي العباس الدكالي[3] والقاضي عبد الرحمان التميمي[4] الذي قدم مع السلطان موسى إلى مالي وسكن بمدينة تنبكتو فوجدها تعجّ بالغلماء والفقهاء السودانيين، وقد تفوّقوا عليه في الفقه وسافر إلى فاس، وتفقّه على يد الفقهاء ثمّ عاد إلى تنبكتو.

– الفقيه عبد الله البلبالي:

قدم مع كاتب السلطان منسى موسى، وكان البلبالي أوّل من تولّى إمامة المسجد بتمبكتو[5].

– الفقيه أبو عبد الله محمد بن واسول:

من أهل سجلماسة واستقرّ بأرض كوكو لعدّة سنوات وتولّى خلالها خطّة القضاء[6].

– أبو إسحاق إبراهيم الساحلي شاعر الأندلس:

المهندس المعماري، دعاه السلطان منسى موسى إلى بلاده بعد أن التقاه بمكّة، فكان له الفضل في إدخال هندسة البناء والزخرفة إلى بلاد السودان الغربي، إضافة إلى كونه شاعر ومهندي وعالم، وقام ببناء مسجد مدينة غاو بعد عودته من أداء فريضة الحج سنة 1325هـ، كما بنى له المسجد الجامع الكبير بمدينة تنبكتو[7].

[1]– ابن بطوطة، المصدر السابق، ج4، ص 273.
[2]– القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص 299.
[3]– العمري، المصدر السابق، ص 209.
[4]– السعدي، تاريخ السودان، ص 51.
[5]– السعدي، المصدر نفسه، ص 08.
[6]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 229.
[7]– الناصري، الاستقصاء، ج2، ص 101.

– صالح بن محمد أندي عمر المعروف بالشيخ العمري:

كان من أهل الفضل والعلم، قال فيه السعدي: "مستحرم عند السلاطين يشفع للمساكين عندهم فلا يردون شفاعته على كلّ حال، ألّف شرحا على مختصر خليل"[1].

– عبد الله بن أحمد بن سعيد:

أخذ العلم في ولاتة وعاش إلى غاية سنة 1483، وكان أديبا وفيلسوفا ألّف كتابا في شرح الشفا للقاضي عيّاض[2].

– محمد بن عيسى التلمساني:

اشتهر بكتابه الذي حلّل فيه شرب الخمر، باعتبار أنّها تخلّل بالخل وقال أحمد بابا بأنّه عرض كتابه على بعض شيوخه فأعجبوا بطريقة عرضه وتحليله[3].

– أبو القاسم التواتي:

وفد إلى بلاد السودان الغربي مع جماعة من علماء وشرفاء تافيلالت، وبنى دارا بالقرب من المسجد الكبير الذي كان يستقبل فيها طلبة العلم، وكان محمد أسقيا يصلّي وراءه ويطلب دعاءه، وافته المنية سنة 1516 بتمبكتو[4].

ومن العلماء التلمسانيين الذين وفدوا على بلاد السودان الغربي:

[1]– السعدي، تاريخ السودان، ص 32.
[2]– محمد الغربي، المرجع السابق، ص 115.
[3]–التنبكتي، كفاية المحتاج، ج1، ص 176..
[4]– السعدي، المصدر نفسه، ص 60.

– الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي:

الذي ارتحل من توات متوجها نحو هذا البلد، فكان أوّل من أخضع المعارف الإسلامية في بلاد السودان لمحك النقاش وللأخذ والردّ ودفع العلماء والحكام إلى العودة إلى كتاب الله وسنّة الرسول (صلّى الله عليه وسلّم)، كما وسّع دائرة النقاش العلمي بحيث أصبح يشمل مناطق لم تكن العلوم الدينية قد وصلتها على الشكل المنهجي[1]كما عمل على تصحيح العقيدة الإسلامية في بلاد السودان الغربي، فأصبح أحد أهمّ الروابط الثقافية والفكرية التي ربطت بلاد المغرب ببلاد السودان الغربي.

ثالثا:مكانة العلماء في المجتمع السوداني:

حظي العلماء في بلاد السودان الغربي بمكانة مرموقة واحترام كبير من قبل السكان، باعتبارهم ورثة الأنبياء، ومنحوهم ألقابا خاصّة تميّزهم عن غيرهم، وجعلت هذه المكانة العالية دورهم لا يقتصر على التدريس فحسب بل شملت مجالات أخرى نظرا لتمتعهم بثقة واحترام العامّة والخاصّة.

ومن أهمّ المجالات التي شارك فيها العلماء للإسهام في الحياة العامّة والخاصّة في بلاد السودان الغربي: القضاء والإمامة الخطابة والسفارة في الأغراض المختلفة والإشراف على مشاريع الدولة وغيرها من الوظائف التي أسندت إليهم لثقة المجتمع بهم[2].

لما ذكر محمود كعت و أحمد بابا التنبكتي وعبد الرحمان السعدي عن العلماء في بلاد السودان الغربي يتّضح أنّ سلطة العلماء أعظم من سلطة الحكام لما يتمتعون به من امتيازات وتقدير واحترام وصل حدّ التقديس، وهذا نتيجة لسلوكهم الجيد واستقامتهم وتقواهم ممّا جعل الملوك والحكام وعامّة السكان يستشيرونهم ويستفتونهم في أمور حياتهم ودولتهم.

[1]– لحسن مختار ، أضواء على حياة الشيخ المغيلي، ، رسالة المسجد ، العدد2، مارس2005، ص 89.

[2]– عبد الرحمان محمد ميغا، الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن8هـ إلى القرن 13 الهجري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة البيضاوي، المملكة المغربية، 1432هـ/2011م، ص 193.

وذكر الرحالة ابن بطوطة "أنّ الملوك لشدّة احترامهم للعلماء يتواضعون لهم ولا يسمحون لأحد لبس الطيلسان في غير أيّام العيد إلاّ العلماء[1].

لما وصل أسكيا الحاج محمد الكبير إلى الحكم سنّ قانونا يسقط عن العلماء الغرامات التي تفرضها الدولة ولا يطالبون أحدا منهم بشيء من ذلك ومنع عنهم ظلم الحكام وإذا دخل عليه العلماء قام لهم إجلالا وتقديرا وأجلسهم على سريره و اتبعه في ذلك جميع خلفائه[2].

وكانت شفاعتهم تقبل في جميع الأحوال لدى السلاطين، ويأمن كلّ من احتمى بدار أحد العلماء من عقاب الحاكم[3].

ولقد بالغ السكان في احترام العلماء فاعتقد فيهم بعضهم الولاية ونسبوا لهم كرامات ترفعهم إلى طبقة الأولياء الصالحين أو الأنبياء ويقيمون الأضرحة لمن مات منهم ويزورونها[4].

و يشكل العلماء في السودان الغربي خاصّة في تمبكتو النخبة التي لا رادّ لقضائها ولا معقّب لحكمها، بيدهم الحلّ والربط، فهم قلب المجتمع النابض ومحرّكه وأمرهم نافذ في جميع الظروف[5].

ووصف محمود كعت مدينة تمبكتو لما أجلي عنها العلماء فقال: "لما أجلاهم القوم وارتحلوا صارت تنبكتو جسما بلا روح وانعكست أمورها وتغيرت حالها وتبدلت عوائدها ورجع أسفلها أعلاها وساد أرذلها على عظمائها وباعوا الدين بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى وعطلت الأحكام الشرعية وأميتت السنة وأحييت البدع"[6].

[1]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 669.

[2]- محمود كعت ،تاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس ،وقف على طبعه السيد هوداس، طبعة 1981، باريس، ص 73.

[3]- السعدي، تاريخ السودان، ص 83 – 130.

[4]- السعدي، المصدر نفسه، ص 59.

[5]- السعدي، المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[6]- محمود كعت، المصدر نفسه، ص175.

فقول محمود كعت يدلّ على أهمية العلماء في المجتمع ودورهم في الحياة الدينية والحفاظ على طهارة المجتمع من البدع والخرافات.

وممّا يدلّ على مكانة العلماء في بلاد السودان الغربي قول سني علي بير الذي أقرّ بفضل العلماء إذ قال: "لولا العلماء لا تحلو الدنيا لا تطيب"[1]، وعرف أيضا الأسقيا داود باحترام العلماء والتواضع لهم إذ قال: "لولا العلماء لكنّا من الهالكين"[2].

وممّا يدلّ على مكانة العلماء أيضا مجاهرتهم بالحق اتجاه السلاطين دون خوف، فقد جهر الفقيه محمود بغيغ بالحقّ أمام أسكيا إسحاق دون خوف فقال له: "ما عرفنا هنا أظلم منك أنت أبو كلّ ظالم وسببه ولا يغضب غاضب هنا مغضوبا إلاّ لك وبأمرك وبقوتك، إن كنت تقتل الظالم فابدأ بنفسك وبادر به وهذا المال الذي يجلبه إليك من هنا وترى إليك ألك هنا عبيد يحرثون لك؟ أو مال يتجر به لك؟"[3].

فلمّا سمع بذلك تحير وتدهش وتنفس الصّعداء وبكى وندم على قوله حتى رحمه الناس وحتى عبس وجه قومه على محمود بغيغ وقال أرذالهم الجهلة والسفلة: أنت القائل للسلطان هذا القول وكادوا أن يسطوا إليه، فردهم عن ذلك وانتهرهم، فما صدر منه إلاّ الإذعان والخشوع والحشمة، بل قال: "صدقت والله وأنا تائب لله واستغفره، ثمّ نهض إلى منزله باكيا والدموع تقطر وتسيل من عينيه ..."[4].

ووصف أحمد بابا التنبكتي الفقيه القاضي محمود بن عمر أقيت في ترجمته: "لا يخاف في الله لومة لائم هابه الخلق كلّهم، السلطان فمن دونهم فصاروا تحت أمره، يزورونه في داره متبركين به فلا يقوم لهم ولا يلتفت إليهم ويهادونه بالهدايا والتحف..."[5].

---

[1]- السعدي، المصدر السابق ص 67.

[2]- محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص 113.

[3]- المصدر نفسه، ص 89.

[4]- المصدر نفسه ، ص 89.

[5]- التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص ص 607 – 608.

فكل هذه النصوص تؤكد مكانة العلماء في بلاد السودان الغربي وأنّ سلطتهم كانت تضاهي سلطة الحكام والسلاطين و مركزهم المحترم لدى العامة و الخاصة من الناس.

ونظرا لمكانتهم أطلق غلى العلماء الكثير من الألقاب العلمية والتي لا تختلف عمّا كان سائدا في البلدان الإسلامية.

رابعا: ألقاب العلماء:

إن الألقاب والأسماء التي أطلقت على العلماء ببلاد توات والسودان الغربي معظمها مقتبس من الأسماء التي أطلقت عليهم ببلاد المغرب عامة ومنها تلمسان والتي مازالت متداولة إلى حد اليوم في بعض الأماكن، ومنها

1- الإمام:

استعمل لفظ الإمام في الحياة العلمية فأطلق على كلّ عالم برز في علم أو أكثر وكان قدوة فيما يحمله من علم، إذ أصبح مرجعا لعلماء عصره، ويرجعون إليه في حلّ المسائل الصّعبة.[1]

فالإمام لا يعني فقط من يؤمّ الناس في الصلاة بل تعدّى معناه ذلك وأصبح لقبا من الألقاب العلمية التي تطلق على جهابذة العلماء الذين يقتدى بهم، وأطلق هذا اللفظ أيضا على من يتولّى أمور المسلمين ومن أشهر العلماء في بلاد السودان الغربي الذين لقّبوا بهذا اللقب القاضي محمود بن عمر أقيت الذي قال عنه أحمد بابا التنبكتي: "...محمود بن عمر قاضي تنبكتو أبو الثناء وأبو المحاسن، عالم التكرور وصالحها ومدرسها وفقيهها وإمامها بلا مدافع..."[2].

وقال أحمد بابا أيضا عن شيخه محمد بغيغ :

[1]- عبد الرحمن محمد ميغا، المرجع السابق، ص 200.

[2]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 607.

وعاشر القرون فيه قد أتى محمد إمامنا وهو الفتى[1]

ومن العلماء الذين أطلق عليهم هذا اللقب " شيخ الشيوخ الإمام محمد بن محمد كري"[2]، والفقيه الإمام مصطفى بن أحمد بن محمود بغيغ[3]، والفقيه الإمام محمد بن محمد بن أحمد الخليل[4].

2- الأستاذ:

وهو من الألقاب العلمية التي استعملت في بلاد السودان الغربي، وكان يراد بهذه الكلمة المعلم أو المدرس وفي هذا الصدد قال السعدي عن الفقيه ابراهيم الزلفى "وهو أستاذ والدي بمعنى مدرس أو معلم والدي"[5].

وقال أحمد بابا عن شيخه محمد بغيغ: "...فهو شيخي وأستاذي"[6]. إلاّ أنّ استعمال هذا المصطلح في بلاد السودان الغربي كان نادرا.

3- الحافظ:

فهي كلمة مشتقّة من الحفظ، وهي من ألقاب المحدثين، وكانت تطلق على كبار العلماء، ولقد اختلف العلماء في تحديد عدد الأحاديث الذي يشترط حفظه حتّى يسمّى العالم بالحافظ[7].

فمنهم من حدّد حفظ ما يفوق أربعمائة حديث لكي يستحقّ هذا اللقب، ومنهم من اشترط حفظ عشرة آلاف حديث.

[1]- المقري، روض الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش و فاس، الطبعة الثانية،الرباط،1983 ، ص 313.
[2]- السعدي، تاريخ السودان، ص 322.
[3]- السعدي،تاريخ السودان، ص 212.
[4]- المصدر نفسه، ص 244.
[5]- المصدر نفسه، ص 58.
[6]- أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 602.
[7]- عبد الرحمان محمد ميغا، المرجع السابق، ص 204.

كما استعمل هذا اللقب في المشرق والمغرب فقد استعمل أيضا في بلاد السودان الغربي، إلاّ أنّ السودانيين لم يحدّدوا عدد الأحاديث التي إذا حفظها العالم عدّ حافظا، ومن أشهر العلماء الذين لقّبوا بلقب الحافظ أبو العباس أحمد بن الحاج أحمد بن عمر[1]، والفقيه أحمد بن سعيد الذي قال عنه أحمد بابا: "كان عالما حافظا"[2]، والفقيه عبد الله بن عمر الذي وصفه السعدي بأنّه كان حافظا[3] والفقيه مخلوف بن علي بن صالح البلبالي الذي وصفه السعدي أيضا بالحافظ[4].

4- الفقي أو ألفا أو ألفع:

لقب علمي كان يطلق على العلماء في بلاد السودان الغربي، و اختلف الباحثون في أصل لفظ "ألفا أو الفع" وهناك من يرى أنّها اختصار للكلمة العربية "الفاهم" أو "الفقيه" ومنهم من يرى أنّها تحريف لكلمة "مؤلّف"، ومهما تعدّدت الآراء حول أصل الكلمة، إلاّ أنّها من أهمّ الألقاب العلمية التي كانت تطلق على رجال العلم والأدب والمتعلمين في غرب إفريقيا[5].

أمّا كلمة الفقي فهو اختصار لكلمة الفقيه، عرف هذا المصطلح عند الطوارق و استعملوه بكثرة، ومن أشهر العلماء الذين حملوا هذا اللقب: ألفع محمود كعت صاحب تاريخ الفتاش والإمام ألفا بابير والفع أبو بكر الفلاني، ألفا عبد الله بن الفقيه أب موي والفقيه محمود المعروف بالفع سر [6].

5- المحدّث:

أطلق لفظ المحدث على العالم المتخصص والمتمكن من علوم الحديث. وهو مرادف لكلمة الحافظ.

---

[1]- السعدي، المصدر السابق، ص 55.

[2]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 142.

[3]- السعدي، تاريخ السودان، ص 38.

[4]- السعدي، المصدر نفسه ، ص 39.

[5]- عبد الرحمان محمد ميغا، المرجع السابق، ص 203.

[6]- محمود كعت، المصدر السابق، ص 48 – 54.

ومن العلماء الذين عرفوا بهذا اللقب في بلاد السودان الغربي والد أحمد بابا، إذ جاء في ترجمته: "...كان رحمه الله علاّمة فهامة دراكا محصّلا، متقنا محدثا أصوليا ..."[1].

والشيخ أحمد بابا التنبكتي الذي قال عنه التواتي: "إنّه عالم الدنيا ومعلّمها وحامل لواء الأحاديث ومفهمها، رافع راية مذهب الإمام مالك ومقدمها..."[2].

والفقيه محمد سعيد بن الإمام محمد كداد الذي قال عنه السعدي: "الشيخ الفاضل المحدث الفقيه الإمام"[3].

والفقيه محمد بن أحمد التاذختي، الذي قال عنه أحمد بابا: "...كان فقيها عالما علاّمة محققا فهامة محدّثا متفنّنا..."[4].

6- سيدي:

وهو من الألقاب المستعملة في غرب إفريقيا، وأطلق هذا اللقب على بعض العلماء الذين بلغوا رتبة معيّنة في التدين والعلم والذين تميّزوا بنزعتهم الصوفية كالأولياء الصالحين وغيرهم من العلماء.

ومن أشهر العلماء الذين لقّبوا بهذا اللقب: سيدي يحي التادلسي وسيدي محمد البكري وسيدي عبد الرحمان التميمي والسيد ابراهيم الزلفي وسيدي عبد الله البلبالي، وسيدي أبو القاسم التواتي وسيدي أحمد بابا[5].

---

[1]- التنبكتي، المصدر السابق، ص 141.

[2]- محمد البرتلي ،فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح:محمد ابراهيم الكتابي و محمد حجي،الطبعة الأولى ،دار الغرب الإسلامي بيروت،1981، ص 33.

[3]- السعدي، تاريخ السودان، ص243.

[4]- التنبكتي، المصدر السابق، ص 587.

[5]- السعدي، المصدر نفسه، ص 63.

7- سيسي:

وهو من ألقاب العلماء في غرب إفريقيا ويعني: "الشيخ العالم" أو "الأستاذ"،فالمتعلّمون فقط هم الذين يستحقّون حمل هذا اللقب كامتياز دون غيرهم، لكن مع مرور الزمن اتسع مفهوم هذا المصطلح ليصبح لقبا للعائلة كلّها متعلّما وغير متعلّم، ويوجد هذا اللقب في جميع القبائل وخاصّة في الأسر العلمية[1].

8- الشيخ:

الشيخ في اللغة هو الطاعن في السن، وربّما أطلق هذا اللفظ على من يجب توقيره كما يوقر الطاعن في السن ومن ثمّ أطلق على العلماء، واستخدم هذا اللفظ للدلالة على وظيفة دينية تعليمية إذ أطلق على المعلّم أو المدرّس، وفي كثير من الأحيان كان يضاف إلى لفظ الشيخ بعض الألفاظ لتحديد العلم الذي يقوم الشيخ بتدريسه كأن يقال: "شيخ القرآن" أو "شيخ الزاوية"[2].

وأطلق الكثير من المترجمين السودانيين هذا اللقب على من تتلمذوا عليهم من شيوخ، وفي هذا الصدد قال السعدي عن القاضي محمود بن عمر: "...شيخ الإسلام أبو البركات محمد بن عمر..."[3]. ووصف أيضا الفقيه محمد بن الفقيه أحمد بغيغ بشيخ الإسلام [4] والإمام محمد بن محمد كري الذي

[1]- محمد ميغا عبد الرحمان، الحركة الفقهية، ص 208.

[2]-محمد ميغا عبد الرحمان، المرجع نفسه، ص 209.

[3]- السعدي، تاريخ السودان، ص 33.

[4]- المصدر نفسه، ص 322.

وصفه السعدي بشيخ الشيوخ[1]، والفقيه محمد بغيغ الذي وصف بشيخ الإسلام و مفيد الأنام[2]، والخطيب محمد سيسي الذي وصف بالشيخ المبارك عمدة المسلمين[3].

واستعمل المترجمون السودانيون هذا اللقب للدلالة على أعلى مرتبة في العلم والدولة، وبذلك لقّب الملوك الماسنيين بالشيخ نظرا لمكانتهم العلمية والدينية والسياسية.

9- الفقيه:

أطلق لقب الفقيه على العالم بالأحكام الشرعية، كما استخدم الفقيه كاسم وظيفة، وكلقب فخري في كثير من الكتابات على الآثار العربية الإسلامية.

أمّا في بلاد السودان الغربي فلم يقتصر المترجمون على إطلاق هذا اللقب على المشتغل بالفقه فحسب، بل أطلقوه أيضا على من اشتغل بالعلوم الأخرى غير الفقه، كالنحو واللغة والأدب إحلالا له، لأنّ لقب الفقيه في غرب إفريقيا من أجلّ الألقاب وأرفعها وأكثر تأثيرا ووقعا عند العامّة من غيره.

10- المتفنّن:

من الألقاب التي لقّب بها العلماء في بلاد السودان الغربي لقب المتفنّن، وأطلق على العالم الذي تبحّر في عدّة علوم وفنون كانت منتشرة في عصره.

ومن العلماء الذين لقّبوا بهذا اللقب في السودان الغربي والد أحمد بابا حيث جاء في ترجمته: "...كان رحمه الله علاّمة فهّامة ذكيا دراكا محصّلا متفننا، محدّثا أصوليا..."[4]. والفقيه محمد بن أحمد التاذختي الذي جاء في ترجمته: "...كان فقيها عالما علاّمة محقّقا فهامة، محدّثا متفنّنا..."[5].

---

[1]- المصدر نفسه، ص 322.

[2]- المصدر نفسه، ص 312.

[3]- المصدر نفسه، ص 108.

[4]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 42.

[5]- السعدي، تاريخ السودان، ص 39.

والفقيه محمود بن محمود بغيغ الذي جاء في ترجمته: "...شيخنا وبركتنا الفقيه المتفنن الصالح..."[1].

والفقيه أبو العباس أحمد بن محمد الذي وصفه السعدي بأنّه "فقيه لغوي متفنّن في علوم الأدب والتفسير والأشعار..."[2].

11- المدرّس:

من الألقاب التي تطلق على العلماء في غرب إفريقيا لقب "مدرّس" وهو يطلق على كلّ من يمارس مهنة التدريس بغضّ النظر عن وظيفته الأخرى التي يمارسها أو ألقابه الأخرى، لأنّ هناك من العلماء من جمع بين معظم الألقاب العلمية والمهنية مثل: القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت الذي جاء في ترجمته: "...قاضي تمبكتو أبو الثناء، وأبو المحاسن، عالم التكرور وصالحها ومدرّسها وفقيهها وإمامها بلا مدافع..."[3]والفقيه أحمد بن سعيد الذي وصف بأنّه كان "عالما حافظا مدرّسا"[4].

12- المقرئ:

اعتبرت قراءة القرآن من أهمّ الوظائف الدينية وأجلّها نظرا لتعلقها بكلام الله تعالى، ويطلق على من يقوم بقراءة القرآن وتجويده وحفظه لقب القارئ أو المقرئ، وكان القرّاء يتمتعون بمكانة رفيعة في المجتمع .

[1]- المصدر نفسه، ص 39.

[2]- السعدي، تاريخ السودان، ، ص 43.

[3]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 607.

[4]- المصدر نفسه، ص 142.

وأطلق هذا اللفظ على قارئ الكتب الدينية على العامّة في المؤسّسات الدينية كالجوامع والمساجد والمدارس[1]، هذا عن معنى القارئ بصفة عامّة، لكن المقرئ عند أهل التخصّص هو من له الإحاطة بعلم قراءة القرآن الكريم وتجويده بأن يكون عالما بالقراءات ووجوهها عارفا بقواعدها نظريا وتطبيقا[2].

ومن أشهر العلماء الذين أطلق عليهم هذا اللقب في السودان الغربي الفقيه ابراهيم الزلفي الذي جاء في ترجمته: "...السيد الفاضل الصالح الخيّر الزاهد المقرئ عالم التجويد الفقيه ابراهيم الزلفي"[3].

والفقيه أبو العباس أحمد بن أندغ محمد الذي قال السعدي في ترجمته: "كان مفتيا في زمنه نحويا لغويا متواضعا شهر في زمنه بعلم القرآن والتوثيق"[4]، والفقيه المقرئ عبد الواحد [5]،والفقيه المقرئ سيدي عبد الرحمان بن سيد علي بن عبد الرحمان الأنصاري.

وتجدر الإشارة إلى القول بأنّ الذين اهتمّوا بقراءة القرآن وعلومه في بلاد السودان الغربي هم الفلانيون، ولهذا لازالت منطقة ماسنا بمالي حاليا تزخر بالقراء.

13- مُودب(مودبو):

لقب علمي أطلق على العلماء في بلاد السودان الغربي "مودبّ"، ويرى بعض المؤرخين أنّه تحريف لمصطلح" مؤدّب" أي أدّب يؤدّب تأديبا.

واستعمل هذا المصطلح بكثرة عند قبيلة الفلاتة كلقب علمي، إلاّ أنّه مع مرور الأيّام فقد مدلوله الحقيقي وأصبح يطلق أحيانا على شخص وليس لقبا علميا[6].

---

[1]- محمد عبد الرحمان ميغا، الحركة الفقهية، ص 213.

[2]- المرجع نفسه، ص 213.

[3]- السعدي، تاريخ السودان، ص 58.

[4]-السعدي، تاريخ السودان ص30.

[5]- ابن بطوطة ،الرحلة، ص 664.

[6]- محمد عبد الرحمان ميغا، الحركة الفقهية، ص 214.

واستعمل بجانب هذا المصطلح مصطلح آخر في نفس السياق وهو "موبو" بمعنى العالم. واستعمل المصطلحان معا إذ يقال: مودبو أو موبو.

ومن العلماء الذين عرفوا بهذا اللقب في بلاد السودان الغربي القاضي مودب محمد الكابري[1]، ومودبكسنب بن علي[2]ومودب بكر تروري[3]، والفقيه القاضي مودب قاسم جنكاس[4]، فعلماء بلاد السودان الغربي كانوا في مواضع إجلال واحترام من طرف السكان والسلاطين، حيث كانوا واسطة بين الشعب والحكام، خاصّة الفقهاء الذين كانوا ملوكا غير متوّجين لقوّة سلطتهم في نفوس العامّة والخاصّة، وللدّور الكبير الذي يلعبونه في المجتمع[5].

واشتهر الكثير من العلماء بقول الحقّ والتمسّك به وعدم الخوف من الملوك معتمدين في ذلك على احترام وتعلّق السكان بهم.

وأدّت هذه المكانة الاجتماعية إلى ثقة المجتمع بهم، فنسبوا لهم الكرامات التي ترفعهم إلى مصافّ الأولياء، وتلقيبهم بألقاب تميّزهم عن غيرهم وتبين مكانة كلّ واحد منهم في العلوم أو العلم الذي يتقنه.

خامسا: وظائف العلماء:

اعتبر العلماء في البلدان الإسلامية من أكثر فئات المجتمع امتيازا وأعلى مكانة لدى العامّة والخاصّة ولهذا أسند إليها بعض الوظائف المهمّة ممّا مكّنها في تفعيل الحياة العامّة في الكثير من الجوانب، ومن المناصب التي أسندت إلى العلماء (القضاء والإمامة والكتابة والحسبة والخطابة...)

1- القضاء :

[1]- السعدي، المصدر نفسه، ص 47.

[2]- المصدر نفسه، ص 111.

[3]- المصدر نفسه، ص 19.

[4]- محمود كعت، المصدر السابق، ص 52.

[5]- محمد عبد الرحمان ميغا، الحركة الفقهية، ص214.

نظرا لأهمّية القضاء في الدولة الإسلامية فإنّ سلاطين بلاد السودان الغربي اهتمّوا بهذه الوظيفة واعتنوا بها عناية كبيرة وقاموا باختيار العلماء الذين وجدوهم مناسبين لهذا المنصب، فاختاروا القضاة الملمين بأحكام الشريعة المتضلّعين فيها، والمعروفين بالتقوى والورع والعدل وغيرها من الصفات والأخلاق الحميدة التي وجب أن تتوفّر فيمن يختار لهذا المنصب.

ونظرا لحرص سلاطين السودان أن يتولّى القضاء من يستحقّه فقد كانوا يولّون البيض الأجانب لهذا المنصب ولم يعتمدوا فقط على السودانيين[1].

ولما وصل منسا سليمان إلى الحكم تولّى بنفسه تعيين قضاة بلده، وكان يحضر أحيانا مجلس القضاء ليشاهد كيف يقضي القضاة، ولما وصل أسكيا الحاج محمد الكبير إلى السّلطة تولّى بنفسه تعيين القضاة، في كلّ بلد وساعده في ذلك قاضي القضاة أو قاضي الجماعة بتنبكتو واستمرّ هذا الوضع حتّى بعد وفاته[2].

وكان العلماء يرفضون في كثير من الأحيان منصب القاضي لأنّهم يدركون خطورته ومسؤوليته، فلمّا أسند للفقيه أبي حفص عمر بن الفقيه محمد منصب قاضي القضاة بتنبكتو رفض وبقي المنصب شاغرا لمدّة سنة ونصف السنة، ثمّ أرسل إليه الأسكيا ملحّا عليه فقبل المنصب؛ وأيضا محمود بغيغ فقد رفض منصب القضاء بمدينة جني بعد أن أسنده إليه أسكيا، ولم يتولّه إلاّ بعد إلحاح وضغط كبير[3].

أمّا الفقيه محمد بغيغ فقال عنه أحمد بابا: "كان متشبثا بحوائج العامّة وأمور القضاة، لم يصيبوا عنه بديلا ولا نالوا له مثيلا، طلبه السلطان بتولّيه ولاية محلتة فأنف منه وامتنع وأعرض عنه واستشفع فخلصه الله تعالى..."[4].

[1]- محمد عبد الرحمان ميغا، الحركة الفقهية ، ص 218.

[2]- السعدي، تاريخ السودان، ص 308.

[3]- محمود كعت، المصدر السابق، ص ص 89 – 90.

[4]- السعدي، المصدر نفسه، ص ص 44 – 45.

وتجدر الإشارة إلى القول بأنّ تحفّظ علماء السودان من تولّي هذا المنصب يدّل على إدراكهم بخطورة هذا المنصب وما يترتّب عليه من واجبات.

ومن أشهر القضاة في بلاد السودان الغربي:القاضي محمود بن عمر أقيت الذي جاء في ترجمته: "...قاضي تنبكتو ...عالم التكرور وصاحبها وفقيهها وإمامها بلا مدافع... تولّى القضاء عام 904 فشدّد في الأمور وسدّد وتوخّى الحقّ في الأحكام، ولذوي الباطل هدّد، فظهر عدله بحيث لا يعرف له نظير في وقته..."[1].

والقاضي العاقب بن محمود بن عمر أقيت الذي جاء في ترجمته: "... كان رحمه الله مسدّدا في أحكامه صلبا في الحقّ ثبتا فيه لا تأخذ في الله لومة لائم، قويّ القلب مقداما في الأمور العظام التي يتوقّف فيها غيره جسورا على السلطان فمن دونه... وكانوا يخضعون له فيطاوعونه في كلّ ما أراد، إذا رأى ما يكره عزل نفسه عن القضاء وسدّ بابه..."[2].

والفقيه القاضي فودي بن الفقيه محمد ساقو الذي قال عنه السّعدي: هو أوّل قاضي ولاّه أسكيا القضاء بعد رجوعه من الحجّ.

والقاضي محمود بن أبي بكر بغيغ الونكري الذي تولّى القضاء في عهد أسكيا إسحاق.

والقاضي العباس كب، والقاضي أحمد ترف بن القاضي عمر[3].

والقاضي بكر الذي كان من أمراء المنطقة فزهد في السلطة، وتفرّغ للدراسة حتّى أصبح قاضيا مشهورا، والقاضي أحمد الفلاني، والقاضي مودب موسى داب، والقاضي سنبير، والقاضي سن شرف،وكان القاضي إلى جانب القضاء يهتم ببناء المساجد و ترميمها و بناء المدارس و التعليم.

[1]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 607.
[2]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ص ص 353 – 354.
[3]- السعدي، المصدر السابق ص 16 – 19.

اعتبر قاضي تنبكتو قاضي القضاة أو قاضي الجماعة في السودان ،وكانوا يستشيرونه من أجل تعيين قضاة المدن الأخرى،و كان القاضي إلى جانب القضاء مستشارا للخليفة ويشرف على بناء المساجد والمدارس، ويتولّى تنصيب قضاة المدن الصّغيرة والقرى[1].

و هذا يدل على الصلاحيات الواسعة للقاضي و مكانته الكبيرة لدى عامّة الناس وخاصّتهم،وكان لهم مستشارون يسمون شهود القاضي و هم من كبار العلماء ومنصب قاضي القضاة يشبه منصب وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المعروف حاليا، لأنّه يسهر على تسيير كل الأمور المتعلقة بالدين، مثل الإشراف على الأوقاف وبناء المساجد والمدارس.

2- الإمامة:

تولى علماء بلاد السودان الغربي منصبا لا يقل أهمية عن خطة القضاء ألا و هو الإمامة،فكانت وظيفة الإمام إمامة المصلّين في المسجد يوميا، وفي المناسبات الدينية، و من خلال هذا المنصب يستطيع الإمام أن يصبح قاضيا،لأن الإمامة اعتبرت شرطا آنذاك لتولي القضاء.

ولا تسند الإمامة إلى العالم إلاّ بعد أن يوافق أهل المدينة أو القرية وبموافقة القاضي، ومن أشهر أئمّة بلاد السودان الغربي الفقيه القاضي كاتب الملك منسى موسى الذي مكث في الإمامة أربعين سنة والفقيه الإمام سيدي عبد الله البلبالي الذي اعتبر من أوّل البيضان الذي تولّى الإمامة في بلاد السودان الغربي.

والفقيه الإمام سيدي أبو القاسم التواتي والفقيه الإمام أندغ محمد وغيرهم من الأئمّة الذين تركوا بصماتهم على الحياة الدينية والعلمية في بلاد السودان الغربي.

[1]- محمود كعت،المصدر السابق، ص ص 106 – 107.

وعدّت الإمامة من الوظائف التي كانت شبه وراثية في بعض الأسر العلمية التي اشتهرت في غرب إفريقيا كأسرة أقيت وأندغ وكعت[1].

3- الخطابة:

الخطابة مصدر خطب يخطب أي صار خطيبا وهي على هذا صفة راسخة في نفس المتكلّم يقتدر بها على التصرّف في فنون القول لمحاولة التأثير في نفوس السامعين وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم...[2].

فالخطابة مهمة جدا لأنها تفض المشاكل وتقطع الخصومات وتهدّئ النفوس الثائرة وتثير حماسة ذوي النفوس الفاترة وترفع الحقّ وتخفض الباطل وتقيم العدل وتردّ المظالم وهي صوت المظلومين ولسان الهداية[3].

ومن شروط الخطيب أن يكون فصيح اللسان خاليا من العيوب كالفأفأة وغيرها و أن تكون مخارج حروفه صحيحة.

وكانت مهمة الخطباء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،و على هذا الأساس منحت هذه الوظيفة من قبل ملوك بلاد السودان الغربي للعلماء العاملين على نشر الفضيلة و نبذ الرذيلة وإصلاح المجتمع معتمدين في ذلك على المنابر خاصة في المناسبات الدينية.

ومن أشهر خطباء بلاد السودان الغربي، الخطيب أحمد ترف الذي جمع بين الإمامة والقضاء والخطابة في مدينة جني[4].

---

[1]- محمد عبد الرحمن ميغا، الحركة الفقهية ،ص 223.

[2]- المرجع نفسه، ص 223.

[3]- محمد عبد الرحمن ميغا، المرجع السابق، ص 223.

[4]- السعدي، المصدر السابق، ص 19.

والفقيه الخطيب عمر خطيب مدينة غاو في عهد سنّي علي بير، والفقيه الإمام مصطفى بن أحمد الذي كان خطيب تمبكتو والفقيه الخطيب محمد كب بن جابر كب، والشيخ سيد المختار الكنتي والشيخ أحمد البكاي.

ولما زار الرحالة ابن بطوطة بلاد السودان الغربي وصف العيد عندهم فقال: "...وحضرت بمالي عيد الأضحى والفطر، فخرج الناس إلى المصلّى وهو بمقربة من قصر السلطان وعليهم الثياب البيض الحسان،وركب السلطان وعلى رأسه الطيلسان، والسودان لا يلبسون الطيلسان إلاّ في العيد ما عدا القاضي والخطيب والفقهاء فإنّهم يلبسون في سائر الأيّام، وكانوا يوم العيد بين يدي السلطان وهم يهلّلون ويكبرون وبين يديه العلامات الحمر من الحرير، ونصب عند المصلّى خباء فدخل السلطان إليه وأصلح من شأنه ثمّ خرج إلى المصلى فقضيت الصّلاة والخطبة، ثمّ نزل الخطيب بين يدي السلطان وتكلّم بكلام كثير وهناك رجل بيده رمح يبين للناس بلسانهم كلام الخطيب وذلك وعظ وتذكير وثناء على السلطان وتحريض على لزوم طاعته وأداء حقّه..."[1].

واشترط العلماء في الخطيب شروطا أخرى غير التي ذكرناها سابقا فوجب أن يكون شجاعا صريحا،ويصرّح برأيه وبالحقّ الذي يراه في الدين واجب الرعاية وأن يكون ورعا متديّنا عفيفا عمّا يملكه الناس وأن يكون على علم تامّ بكلّ ما يساعده في مهمّته ويعينه في الوصول إلى هدفه.

4- متولي الشرع:

من أهم المناصب التي اهتم بها العلماء في بلاد السودان الغربي منصب متولي الشرع، الذي لم يرد ذكره كثيرا في كتب تاريخ غرب إفريقيا، وكان صاحب هذا المنصب يقوم بجمع تركات وأموال الحكام والأغنياء بعد وفاتهم وتوزيعها على من يستحقها.

[1]- ابن بطوطة،الرحلة، ص ص 523 – 524.

وكان متولي الشرع يُعيّن من قبل القاضي، وذكر السعدي هذا المنصب أثناء ذكره وفاة الحاكم منصور بن محمود بمدينة جني فقال:"... ودفن ليلتئذ في الجامع الكبير وبتّ أنا وثلاثة من الشهود عند باب داره للحراسة... بعدما طالعنا جميعا على ما احتوت عليه الديار، وفي الغذ ضحوة زمنا تركنه بحضرة الكواهي بعد استئذان متولي الشرع..."[1].

وانحصر أيضا عمل متولي الشرع في عدّ وحفظ أموال الموتى من التجار الذين وفدوا إلى بلاد السودان الغربي لكي لا تضيع أموالهم أو تختلس[2].

5- الكاتب:

من المناصب التي أُسندت للعلماء ببلاد السودان الغربي منصب الكاتب واشترط لمن يتولى هذا المنصب أن يكون ذا ثقة عالية وأن يأخذ بأطراف العلوم كافة لأنه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرف في مجالس الملوك ومقاصد الحكام[3].

واهتم ملوك تلمسان وحكّامهم بهذا المنصب فكتبوا ما يصدر عنهم من قرارات أو مراسم أو رسائل، وأسند هذا المنصب إلى العلماء ما ذكره العمري عندما تحدث عن منسا موسى حيث قال:"وله قضاء وكتاب ودواوين"[4].

ومن أشهر كتاب بلاد السودان الغربي كاتب موسى الذي أتى به من بلاد المشرق وألفع أبو بكر لنبار أو الأنباري الذي كان كاتبا للأسقيين والكاتب علي بن عبد الله بن عبد الجبار اليمني الذي

[1]- السعدي، المصدر السابق، ص245.

[2]- عبد الرحمن ميغا، الحركة الفقهية، ص226.

[3]- عبد الرحمن ميغا، الحركة الفقهية، ص226.

[4]- أحمد بن يحي بن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: مصطفى أبو ضيف أحمد، ط1، 1988/1409، ص67.

كان كاتبا أيضا في عهد الأسقيين، ومحمود كعت صاحب تاريخ العُتّاش والسعدي الذي عينه الباشا محمد بن محمد بن عثمان كاتبا والحسن بن علي الكاتب وإبراهيم الخضر الفاسي الذي رتبه سنّي علي كاتب[1].

وإن قل وصف العلماء الذين شغلوا منصب الكاتب في بلاد السودان الغربي إلا أن السلاطين اهتموا به كثيرا وجعلوه خاصا بالعلماء والكتابة ما يصدر عنهم من قرارات أو مراسيم أو رسائل إلى حكام الدول الأخرى.

6- شاهد القاضي:

أسند هذا المنصب إلى العلماء الكبار نظرا لعلاقته بالقضاء وكان شهود القاضي هم العلماء أو الفقهاء الذين يساعدون القاضي في عمله ويوقعون معه على الوثائق المهمّة كوثائق الصلح الذي يعقد بين القبائل المتخاصمة، وفي هذا الصدد قال السعدي:"خرج قاضي ماسنة من جني إلى تنبكتو مع شاهدي قاضي جني فقبلهم الباشا وقبل الصلح وأجازه..."[2].

وكان القاضي يرسل أحيانا الشهود لحلّ بعض المشاكل ويظهر ذلك جليا فيما حدث بين القائد علي بن الجسيم وبعض الرماة، فحبس أمتعته تجار كَبَرْ وغيره من القرى غصبا فاشتكى التجار أمره إلى القاضي، فبعث إليه القاضي شهوده أن يكملوا له لأجل شكاية الناس أن أطلق متاعهم[3]، ولم يكن لشهود القاضي عدد معين، أحيانا يكونون إثنين وأحيانا أكثر، فمن أشهر العلماء الذين أسندت إليهم المهمة الفقيه محمود بغيغ الذي اعتُبر من أكبر شهود القاضي العباس كب، والفقيه

[1]- السعدي، تاريخ السودان، ص68.

[2]-السعدي، تاريخ السودان،، ص267.

[3]- عبد الرحمن محمد مني، المرجع السابق، ص229.

الإمام باب عمّ الفقيه مصطفى بن عبد الله كرى الودّاني، والفقيه العالم فريد دهره ومفتاح زمانه المفتي بابير بن الفقيه سيدي أحمد الذين كانوا شهود القاضي بابا المختار[1].

7- الاستشارة:

من أشهر الوظائف التي قام بها علماء بلاد السودان الغربي وظيفة المستشار، وهي أن يحيط الحاكم نفسه بمجموعة من العلماء يستشيرهم في جميع الأمور المتعلقة بالدولة سواء أمور سياسية أو دينية؛ وأسندت إليهم هذه الوظيفة نظرا لمكانتهم في المجتمع وفهمهم الدقيق لجميع المسائل.

وقد أحاط حكام وملوك بلاد السودان الغربي أنفسهم بمجموعة من العلماء كمستشارين أمثال أسكيا داود الذي استشار العلماء في أموره الخاصة والعامة، ومن أهم مستشاريه الفقيه الخطيب محمود جعيت خطيب كاغ وألفع كعت وأسكيا ألفع بكر لنبار وشريف علي أحمد وكاغ زكريا بن أحمد وولي الله ياجور بن ولي الله صالح جورو يوسف بن محمد تل[2].

وقام أمير ماسنة أحمد بن أحمد لما أراد ملاقاة الحاج عمر تال استشار أحمد البكاي الكنتي فيما يجب فعله، وفي هذا الصدد قال أحمد البكاي:"وأما سلطان ماسنة أحمد بن أحمد فأرسل إليّ يستشيرني ويستعطفني بعهد الآباء والأجداد، فأشرت عليه بما يعلم وأعلم أنها نصيحة بلا غش ولا كذب وأخبرته أنه لا يحّل له قتالك ولا يحّل لك قتاله، فقلت له بالشريعة بالحق وقلت له بالنصح في الرأي وإنما فعلت امتثالا لأمر الله وقياما بحق المعرفة التي بيننا وبين آبائنا وآبائه والحرّ لا يغدر ولو كان معاديا لي أو مؤذيا لي فإن الله يسألني عنه ويسأله عني ويلومني ويلومه فأحببت أن يلومه على الإساءة ويحمدني على إحساني..."[3].

---

[1]- السعدي، المصدر السابق، ص229.

[2]- محمود كعت، المصدر السابق، ص116.

[3]- رسالة أحمد البكاي إلى الحاج عمر، مخطوط بمركز أحمد بابا، تحت رقم 5056.

وهذا ما يؤكد على أن علماء السودان الغربي كانوا في طليعة المستشارين للحكام، وأنهم رغبوا بهذا المنصب من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتقديم النصح والارشاد في جميع الأمور[1].

واتخذ سلاطين بلاد السودان الغربي العلماء كمستشارين لهم لأنهم أدركوا أنهم أعقل الناس وأكثرهم حكمة وحلما وأقدرهم على موازنة الأمور فكان لابد عليهم قبل أن يقرّروا أو يقدموا على أي أمر أن يستشيروا العلماء.

8- السفارة:

من أهم المناصب السياسية التي اهتمت بها الشعوب منذ القديم "السفارة"، التي كانت تسند إلى أشخاص اشتهروا بنصائحهم وذكائهم وفطنتهم، واعتمد حكام بلاد السودان الغربي في هذه المهمة على العلماء الذين كانت لهم القدرة على حل الأمور الصعبة خاصة المشاكل والحروب التي كانت تنشأ بين دولتين أو بين القبائل، أو لتوطيد علاقاتها مع الدول المجاورة ليتم التصالح فيما بينهم.

وفي هذا الصدد ذكر العمري أنه من عادة منسى موسى "إذا عاد إليه أحد ممن ندبه في شغل أو مهمة يسأل عن كل ما تم له من حال من حين مفارقته إلى حين عودته مفصلا"[2].

وهذا دليل قاطع على اهتمام سلاطين غرب إفريقيا بالسفارة، ولما نشبت المشاكل بين الحاج أسكيا الكبير وبين شي بار أرسل الفقيه العالم محمد تل إليه لينصحه لكنه لم يقبل بالنصح، ثم أرسل إليه الفقيه العالم ألفا صالح جور، لكن شي بار لم يزد إلا عنادا واستكبارا، ثم أرسل إليه الفقيه القاضي ألفع محمود كعت، لكنه تكبر وعلا، وبعد ذلك حاربه أسكيا الكبير[3].

[1]- عبد الرحمن محمد منيعا، المرجع السابق، ص234.

[2]- أحمد بن يحي بن فضل العمري، المصدر السابق، ص6.

[3]- محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ص 53-54.

ولما أراد أسكيا الكبير أن يدخل الاسلام رد عليه ملك الموسي ردا وقحا، فقال له تدخل في الإسلام "حتى يستشير آباءه الذين في الآخرة، فمشى إلى بين صنمهم مع وزرائه... فقال ملك الموسي: ما بيننا وبين أسكيا إلا الحرب، فحاربهم الأسكيا"[1].

ومن الواضح أن اختيار العلماء للقيام بهذه المهمة في الفترات العصيبة وجيه جدا لأن العلماء أقدر الناس على إقناع الخصم بالبرهان والحجج الدامغة.

وفي عهد الماسنيين كان الحكّام يرسلون العلماء كسفراء، كلما حدثت مشكلة مع الدول المجاورة، كما فعلوا مع الحاج عمر تال، أو مع بعض القبائل كما فعلوا مع أهل تنبكتو وغيرهم[2].

9- الإفتاء:

اهتم المسلمون بخطة الافتاء نظرا لمكانتها الكبيرة في المجتمع الاسلامي، فعليها تتوقف مصالح الناس وبها يهتدون إلى أمور دينهم ودنياهم من عبادات ومعاملات، وبها تنتظم أمورهم وتحفظ حقوقهم وترعى مصالحهم، ويتوجه الناس إلى المفتي عندما تحّل بهم المشاكل والصعاب، أو تكثر بينهم النزاعات والخصومات، ونظرا لأهمية الافتاء انشغل به العلماء والفقهاء.

ويشترط في المفتي مجموعة من الشروط، إذ يجب عليه أن يكون عارفا بكتاب الله بناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وتأويله وتنزيله ومكيه ومدنيه، وأن يكون بصيرا بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ويعرف من الحديث مثل ما يعرف من القرآن[3].

ومن أشهر العلماء الذين عرفوا بالفتوى في السودان الغربي نذكر الفقيه المفتي أبو العباس أحمد بن أندغ محمد الذي قيل أنه كان مفتي زمانه[4]، والفقيه المفتي أحمد معيا والفقيه محمد بغيغ والفقيه

[1]- محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص84.

[2]- عبد الرحمن محمد ميغا، المرجع السابق، ص23.

[3]- ابن القيم، أعلام الموقعين، ج1، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م/1417هـ، ص37.

[4]- السعدي، المصدر السابق، ص30.

القاضي أبو حفص عمر والفقيه أحمد باب والكثير من العلماء الذين ينتمون إلى أسرة أقيت وبغيغ والمجتهد ومعيا وكورد الفلاني وغيرهم من العلماء الذين تركوا آثار خصبة في هذا المجال[1].

فمركز أحمد بابا بتنبكتو وخزائن بعض الأسر العلمية في المنطقة تحتوي على الكثير من الفتاوى التي أفتى بها علماء بلاد السودان الغربي في مختلف العصور وفي عدّة قضايا متعددة، وهذا دليل على إسهامهم في حلّ القضايا العويصة في عصرهم.

10- الحسبة والدعوة:

الحسبة أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله[2]، وهي القطب الأعظم في الدين وهي المهمة التي بعث الله لها النبيين جميعا، وأمرها إذا طوي ببساطة وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفتنة وتفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد ولم يشعروا إلا يوم التناد[3].

فعلماء غرب إفريقيا لم يقّصروا في هذا الدور التوجيهي وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمنذ دخول الاسلام إلى هذا القطر قام التجار والعلماء والدعاة على نشره أكثر خاصة بين القبائل التي كانت تدين بالوثنية، فأسلم على أيدهم ملك غانة ورعاياه والكثير من أهل مالي وصنغاي، وكان لهم دور كبير في إسلام ملك جني[4].

وكان للعلماء في عهد الماليين مكانة عالية في المجتمع وهذا ما ساعدهم على القيام بالدعوة ونشر الإسلام والوعي والتعليم ومحاربة العادات السيئة، يجوبون في ذلك كل أنحاء بلاد السودان الغربي.

---

[1]- عبد الرحمن محمد ميغا، الحركة الفقهية ورجالها، ص250.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، مطبعة الدار المصرية اللبنانية، ج2، ص333.

[4]- ابن بطوطة، الرحلة، ص672.

إلا أن بعض العلماء تعرضوا للقتل والاضطهاد أثناء أداء مهمّتهم، مثلما فعل بهم الملك سني علي بير حينما عارضوه فمنعوه من ممارسة بعض الأفعال القبيحة والسيئة، فأقدم على قتل الكثير من العلماء واعتبرهم من المعارضين له، فوصفه الكثير من المؤرخين بالظلم الفاجر والفاسق.

وقال عنه السعدي:"...أما الظالم الأكبر والفاجر الأشهر سني علي فإنه كان ذا قوة عظيمة...ظالما فاسقا، متسلطا سفاكا للدماء، قتل من الخلق ما لا يحصره إلا الله تعالى وتسلط على العلماء والصالحين بالقتل والإهانة..."[1].

ووصفه كعت: "بالظالم الفاجر الملعون سني علي... وهو سلطان جبار قاسي القلب...وكان فاجرا فاسقا...وانظر في أفعال كفره يقتل الفقهاء..."[2].

لكن العلماء صمدوا في وجهه إلى أن هلك هذا الملك في إحدى الغزوات، وإذا كان الحاكم ملتزما بأمور الدين كان العلماء يقتربون منه ويحترمونه، مثلما حدث مع السلطان أسكيا محمد الكبير، وبعض خلفائه الذين بأسمى الأوصاف، فقد وصف السعدي أسكيا الكبير حيث قال:"...الأسد الأرشد أمير المؤمنين وخليفة المسلمين...ففّرج الله تعالى به عن المسلمين الكروب وأزال بهم عنهم البلاء والخطوب واجتهد بإقامة ملة الإسلام واصلاح الأمور الأنام وصاحب العلماء واستفتائهم فيما يلزمه من أمر الحل والعقد.."[3].

ووصفه كعت قائلا:"...وله من المناقب وحسن السياسة والرفق بالرعية والتلطف بالمساكين ما لا يحصى ولا يوجد له مثل لا قبله ولا بعده وحبّ العلماء والصالحين والطلبة وكثرة الصدقات وأداء الفرض والنوافل وكان من عقلاء الناس ودهائهم والتواضع للعلماء وبذل النفوس والأموال لهم مع

[1]- السعدي، تاريخ السودان، ص62.
[2]- محمود كعت، المصدر السابق، ص43.
[3]- السعدي، المصدرالسابق، ص72.

القيام بمصالح المسلمين وإعانتهم على طاعة الله وعبادته، وأبطل جميع ما عليه شيء من البدع والمناكر والظلم وسفك الدماء وأقام الدين أتم قيام...وجدّد الدين وأقام القضاة والأئمة..."[1].

واتصف العلماء ببلاد السودان الغربي بشجاعتهم وعدم خوفهم لومة لائم أمام الحق، والدليل على ذلك ما حدث بين أسكيا الحاج محمد الكبير وشيخ الإسلام القاضي محمود بن عمر أقيت لما أرسل أسكيا جنوده إلى تنبكتو في إحدى المهام فطردهم القاضي محمود فغضب أسكيا وعاتبه على تصرفه، لكن لما أخبره القاضي سبب طرد الجنود، وهو أن أسكيا سبق أن طلب منه الحيلولة بينه وبين النار وذلك بنصحه وإرشاده فتذكر أسكيا وندم وطلب العفو والصفح وأكرمه إكراما جميلا.

وفي هذا الصدد واجه القاضي محمود بغيغ أسكيا إسحاق بقول لو صدر من شخص غيره لكن جزاءه التعذيب والقتل، وذلك أن أسكيا إسحاق مرّ بمدينة جني في إحدى جولاته فسأل أهلها عن أحوالهم وهل هناك من يظلمهم، فسكت الناس جميعا، لكن الفقيه العالم محمود بغيغ ردّ عليه قائلا:"...إن علمناك بذلك الظالم فما تفعل له فقال: أفعل له ما يستحق من قتل أو ضرب أو سجن...فقال له الفقيه محمود.. ما عرفنا هنا أظلم منك أنت أبو كل ظالم وسببه...إن كنت تقتل الظالم فابدأ بنفسك وبادر به..."[2].

فكان جزاء الشيخ محمود بغيغ أن عينه أسقيا إسحاق قاضيا على مدينة جني بعد موت قاضيها، لأنه رأى فيه الرجل العادل القوي المتصلب لا يخاف في الله لومة لائم، يغلط السلطان ومن دونه ولا يجامل أحد.

وابنه محمد بن محمود بن بغيغ لما أراد الباشا محمود زرقون أن يقحمه في القبض على أسرة أقيت بتنبكتو، فطلب منه أن يوقع على وثيقة كتبها، فرفض وهدده بقطع الأصابع إن لم يوقع على الوثيقة

[1]- محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص11-12.

[2]- محمود كعت ، المصدر السابق، ص ص80-88.

"..فابتسم الشيخ محمد ضاحكا وقال: قطعك اليد أفضل وأولى من كتابة شهادة الزور فالعياذ بالله فأنا والله أختار قطع الرأس عليه.."[1]

فقام الباشا بتهديده والضغط عليه لكن محمد بن محمود بغيغ رفض أوامره، فقام الباشا من مكانه متجها نحو الشيخ فأخذ بيديه وقبلهما وقال له:"إرجع إلى دارك بسلام، كثّر الله من أمثالك، ادع الله لنا وللسلطان، الله ينصره بالنصر العزيز..."[2]

وهذا دليل على أن العلماء في بلاد السودان الغربي كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر دون الخوف من سلطان ذي سلطة ولا تأخذهم رأفة في دين الله ولا هوادة في إقامة حقه والأخذ بناصر دينه، كل شيء هيّن في سبيل هذه الفريضة وكل عذاب مساغ إذا كان من كلمة حق قالوها لا يمنعهم من أن يصدموا بها أقوى الحكام قسوة وأشدهم بأسا[3].

وتميز عهد الباشوات بكثرة الظلم والطغيان في بلاد السودان الغربي، لكن العلماء وقفوا في وجه الظالمين وقاموا بدورهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

واستمر دورهم الاصلاحي حتى في عهد الماسنيين الذين اشتهر ملوكهم بالتزام أخلاق الاسلام والتشبث بالشريعة، مما جعلهم يحيطون أنفسهم بالعلماء والفقهاء لمساعدتهم في بيان الحق لهم وإبطال الظلم، مما جعلهم محترمين ومهابين لدى الحكام والعامة من السكان، وأصبحت كلمتهم ذات تأثير كبير في نفوس العامة والخاصة.

11- الإشراف على المشاريع:

[1]- محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص176.

[2]- المصدر نفسه، ص ص 175-177.

[3]- عبد الرحمن محمد ميغا، المرجع السابق، ص248.

ومن المهام التي أسندت إلى العلماء في بلاد السودان الغربي الإشراف على المشاريع الهامّة للبلاد مثل بناء المساجد وترميمها، وبناء المدارس وتوزيع الصدقات للفقراء والمساكين[1].

ففي عهد الأسكيين أسند أسكيا داود إلى القاضي العاقب ترميم مساجد مدينة تنبكتو، وكان يرسل له في كل عام الصدقات لقوم بتوزيعها على الفقراء والمحتاجين[2].

وأرسل جزءا من هذه الصدقات إلى القاضي الخطيب محمد جعيت خطيب كاغ وقاضي البلد ليتولى توزيعها على الفقراء[3].

وفي عهد الماسنيين أسندت مهمة الإشراف على بناء المدارس القرآنية والإشراف على الحلقات العلمية للفقيه العالم ألفا نوح طاهر في جميع أنحاء البلاد.

وأسند بعض سلاطين بلاد السودان الغربي إلى العلماء الاشراف على الأوقاف التي وقفوها على طلبة العلم وعلى المساجد والمدارس، كما أسند ملوك الماسنيين إلى العلماء مهمة جمع الزكاة والضرائب من أنحاء المملكة، ومن أشهر العلماء الذين تولوا هذه المهمة ألفا همدن كردي، إسماعيل بيلاء أمدبارو، أمد همبركي وبارو نوح، وألفا علي أديون، وبوري همسلا[4].

فثقة سلاطين بلاد السودان الغربي بنزاهة وعدل وكفاءة العلماء دفعهم لتعيينهم والإشراف على هذه المهام، كما أن معظم المهام كانت تسند إلى القاضي، الذي كان يقوم بدوره باختيار بعض العلماء للاشراف على هذه المهام.

ومن إسهامات العلماء في بلاد السودان الغربي السهر على إصلاح المجتمع ومساعدة الفئات المحرومة والفقيرة، فكانوا يتوسطون في قضاء حوائج الناس، نظرا لمكانتهم المرموقة في المجتمع السوداني

[1]- محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص ص 150 – السعدي، تاريخ السودان، ص108.
[2]- محمود كعت، المصدر نفسه، ص ص 106-107.
[3]- عبد الرحمن محمد ميغا، المرجع السابق، ص237.
[4]- عبد الرحمن محمد ميغا، الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي، ص237.

وتميزهم عن غيرهم بمكانة رفيعة لدى العامة والخاصة، فكانوا بمثابة حلقة وصل بين الحكام وعامة الناس، فيلجأ إليهم العامة للتوسط لقضاء مصالحهم لدى الحكام، بينما الحكام والأمراء يلجأون إليهم لحلّ المشاكل الصعبة، فيسارع العلماء إلى تلبية حاجاتهم ومصالحهم[1].

وكان الفقيه العالم أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت من أشهر العلماء الذين كانوا يقومون بقضاء حوائج أفراد المجتمع، وجاء في ترجمته كان "عظيم الجاه وافر الحرمة عند الملوك وكافة الناس نفّاعا بجاهه لا يرد له شفاعة.."[2].

والفقيه محمد بن محمود بغيغ الذي قال عنه أحمد بابا:"... يسعى في حوائجهم ويضر نفسه في نفعهم ويتفجع لمكروههم ويصلح بينهم وينصحهم..."[3].

والفقيه سيدي يحيى التادلسي الذي ذكره السعدي قائلا:"... وهو من له جاه بليغ وعظيم عند الأمراء"[4]، فكان يتوسط للناس لدى الأمراء لقضاء حوائجهم، والفقيه صالح بن محمد اندعمر المعروف بصالح تكن، الذي قال عنه السعدي:"كان يشفع للمساكين عندهم (للسلاطين) ولا يردون شفاعته على كلّ حال"[5].

والفقيه العالم القاضي سيدي أحمد بن الفقيه القاضي إبراهيم الذي يسعى بالصلح بين القائد عبد الغفّار والقائد باحد[6].

[1]- عبد الرحمن محمد ميغا، الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي، ص238.
[2]- السعدي، المصدر السابق، ص52.
[3]- السعدي، تاريخ السودان، ص44.
[4]- المصدر نفسه، ص48.
[5]- المصدر نفسه، ص36.
[6]- مجهول، تذكرة النسيان، ص54، ص122.

والعالم الشيخ سيدي المختار الكنتي الذي سعى في الكثير من مصالح العامة من الناس، وتمكن أيضا بفضل مكانته العلمية أن يصالح بين قبائل التوارق والكنتيين بعدما كانت بينهما العداوة والصراع[1].

وذكر هؤلاء العلماء يبين مكانتهم الكبيرة التي مكّنتهم من التوسط لدى الحكام والأمراء لقضاء حوائج العامة من الناس، وهذا ما جعلهم وسيطا فعّالا بين الحكام والرعية.

ولم يتف العلماء بالتوسط لقضاء حوائج الناس لدى الحكام وإنما ساهموا أيضا في أعمال الخير والاحسان لنيل جزاء الله وتوابه.

وفي هذا الصدد ذكر السعدي الفقيه العالم أبو بكر بن أحمد بن عمر أقيت قائلا:"... ظاهر الزد والورع والبّر متين الدين كثير الصدقة والعطاء قلّ أن يتمسك شيئا مع قلة ذات يده مبرزا في الخير لا نظير له نشأ على ذلك..."[2].

والفقيه أبو عبد الله القاضي مودب الكابري أعطي ألف مثقال فقر به بين الفقراء في الحال لما رأى من حاجات الناس إلى ذلك[3]، كما وصف السعدي الفقيه حاسر الرأس قائلا:"... كان زاهدا سخيا أخرج من ماله كله صدقة لله يأتيه النذور والفتوحات فلا يمسك منها شيئا بل يتصدق بها للفقراء والمساكين واشترى كثيرا من المماليك وأعتقهم لوجه الله تعالى والدار الآخرة..."[4].

[1]- بول ماريّ، كنته الشرقيون، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1985، ص55.
[2]- السعدي، تاريخ السودان، ص41
[3]- المصدر نفسه، ص47.
[4]- المصدر نفسه، ص52.

أما القاضي الفقيه العاقب لما أراد ترميم المسجد الجامع سنكرى بتنبكتو قام بإنفاق ما لا يحصيه إلا الله طالبا للأجر والثواب وقيل أنه كان يدفع كلّ يوم ما يقرب من أربعة وستين مثقال حتى انتهى الترميم[1].

وتجدر الإشارة إلى القول أن العلماء لم يكتفوا بتوجيه الناس في خطبهم إلى فعل الخير بل شاركوا بدورهم في هذا العمل الجليل طمعا في نيل أجر الآخرة والثواب ومساعدة الفقراء والمحتاجين والقضاء على الفقر والحرمان، ممّا جعل أقوالهم تترك أثرا في نفوس الناس ويصبحون قدوة للمجتمع.

ومن الأدوار التي قام بها العلماء في بلاد السودان الغربي مشاركتهم في الحروب والجهاد في سبيل الله، إذ عرفت المنطقة حروبا ونزاعات كثيرة ومتكررة، وقد شارك العلماء في هذه الحروب التي اجتاحت بلاد السودان الغربي، ففي عهد الحاج أسكيا الكبير نجد العلماء في طليعة الجيوش الذين جاهدوا معه لادخال القبائل الوثنية في الاسلام[2]، وشاركوا أيضا في الحروب في عهد الباشاوات والماسنيين عندما شهدت المنطقة الكثير من النزاعات.

فالعلماء لم يكتفوا بحث الناس على الجهاد والمشاركة في الحروب بل شاركوا فيها وأبلوا فيها بلاء حسنا.

سادسا: دور العلماء في ازدهار الحركة الفقهية في غرب إفريقيا:

شهدت بلاد السودان الغربي حركة فقهية متميزة منذ القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي، وبفضل العلماء والوافدين على المنطقة واهتمامهم الكبير، ازدهرت الحركة الفقهية وترعرعت واشتد ساقها مع مرور الأيام.

[1]- محمود كعت، المصدر السابق، ص122.

[2]- السعدي، تاريخ السودان، ص74.

وارتبط ظهور الحركة الفقهية في بلاد السودان الغربي بدخول الإسلام ابتداء من القرن الأول الهجري وابتداء من منتصف القرن الثاني الهجري بدأت تظهر معالم الحركة الفقهية والعلمية في المنطقة واستمرت إلى غاية القرن الخامس هجري، حيث تمكن السودانيون من إرساء قواعد الحركة الفقهية وتأسيسها في المنطقة من خلال اتصالهم بالتجار العرب والبربر الذين استقروا بالمنطقة[1].

وكان للمرابطين الفضل الكبير في تصحيح بعض المفاهيم الاسلامية بعد وصولهم إلى بلاد السودان الغربي، ونشر الاسلام في كثير من المناطق بغرب إفريقيا، فأقبل الناس على تعلم الإسلام وفهمه فهما صحيحا ممّا أدى إلى ظهور مراكز علمية أسهمت في نشر الإسلام وازدهار الحركة الفقهية[2]، ووجود عدد كبير من الفقهاء وطلبة العلم في المنطقة، وهذا ما أكّده البكري بقوله:"... ومدينة غانة مدينتان سهليتان أحدهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها إثنا عشر مسجدا يجمعون فيه ولها الأئمة والمؤذنون والراتبون وفيها فقهاء وحملة علم..."[3].

كما ذكر البكري أن بلاد السودان الغربي عجّت بالعلماء سواء من المشرق أو المغرب الذين استقروا بالمنطقة، وساهموا في انشاء الحركة الفهية وازدهارها وتشجيعهم لطلبة العلم.

وذكر السعدي أن ملك جني لما أراد أن يسلم في القرن السادس الهجري جمع ما يقرب من أربعة آلاف ومائتان عالم في المنطقة وأسلم على أيديهم فقال:" ولما عزم على الدخول في الإسلام أمر بحشر جميع العلماء الذين كانوا في أرض المدينة فحصل منهم أربعة آلاف ومائتان عالما فأسلم على أيديهم..."[4].

[1]- عبد الرحمن محمد ميغا، الحركة الفقهية ورجالها، ص41.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص175.

[4]- السعدي، تاريخ السودان، ص12.

انطلقت الحركة الفقهية من تعليم قراءة القرآن للناس، ثم دراسة الأحكام الشرعية والاهتمام بالآثار التي يحفظها العلماء والاستعانة بها من أجل فهم أحكام القرآن، وحل المشاكل الفقهية وتبيين حكم الشرع في الناس.

واعتبرت جامعات تنبكتو وغيرها من المدن المشهورة بالعلم نقطة انطلاق لجهود فطاحلة العلماء الذين وفدوا على بلاد السودان الغربي من مختلف الأقطار الإسلامية لنشر التعليم وإنشاء فقهاء وقضاة أمثال الشيخ فاتح بن عثمان التكروري (ت695هـ/1293م)[1]، والشيخ صبيح بن عبد الله التكروري (ت731هـ) الذي اشتهر بعلم الحديث[2]، والشيخ راشد بن عبد الله التكروري (ت796هـ/ 1394م)[3].

وشهدت الحركة الفقهية طور الازدهار منذ عهد منسا موسى وفي عهد منسى سليمان اللذين عرف عهدهما حركة علمية مزدهرة لا مثيل لها.

وكان لمنسا موسى علاقة متينة مع ملوك وسلاطين البلدان الإسلامية فجرى بينهم اتصال وتبادل علمي وثقافي، خاصة بعد رحلته إلى أرض الحجاز من أجل أداء فريضة الحج، فأرسل علماء من السودان، واستقبل مجموعة من علماء بلاد المشرق والمغرب إلى بلاده، فكان هذا العمل كاف من أجل ازدهار الحركة الفقهية[4].

وعرف من السودانيين اهتمامهم بالعلم وإجبارية تعليمه خاصة حفظ القرآن الكريم، وهذا ما ذكره ابن بطوطة في قوله:"... فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهرت في حقّهم التقصير في حفظه فلا تفك عنهم حتى يحفظوه..."[5].

[1]- عبد الرحمن ميغا، المرجع السابق، ص44.
[2]- ابن حجر، المصدر السابق، ص205.
[3]- عبد الرحمن ميغا، المرجع السابق، ص45.
[4]- السعدي، المصدر نفسه، ص51-57.
[5]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 672-673.

ولم يكتف منسا موسى بإرسال العلماء إلى البلدان الإسلامية واستقطاب العلماء من البلدان الأخرى، بل قام ببناء المراكز التعليمية في الكثير من مناطق بلاد السودان الغربي خاصّة بعد رجوعه من الحجاز بعد تأديته لفريضة الحجّ، وهذا ما دفع بالسودانيين إلى طلب العلم...والرحلة إلى البلاد الإسلامية من أجل تحصيله.

واستمر الازدهار العلمي إلى عهد منسا سليمان (أخ منسا موسى) الذي قام ببناء المساجد وجلب الفقهاء، وهذا ما ذكره العمري قائلا:" بنى المساجد والجوامع والمآذن وأقام به الجمع والجماعات والأذان وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وبقي بها سلطان المسلمين وتفقه في الدين..."[1].

أمّا في عهد الأسقيين خاصة في عهد أسكيا الحاج الكبير وابنه أسكيا داود ازدهت الحركة العلمية والثقافية وظهرت مؤلفات السودانيين في الفقه وباقي العلوم الدينية، وذلك بفضل اهتمام أسكيا محمد الكبير بالعلم والطلبة وبناء المراكز التعليمية خاصة المدارس والجامعات.

كمّا شجع الطلبة على الرحلة العلمية، واستقدم العلماء إلى بلاد السودان الغربي من بلاد المشرق والمغرب وحتى من الأندلس، إضافة إلى شراء الكتب من البلدان الإسلامية وجلبها لبلاد السودان الغربي للتدريس والانتفاع بها من قبل المدّرسين والطلبة، فنتج عن ذلك كثرة العلماء وتوافد طلاب العلم على المنطقة من كل قطر، وكثرة التآليف، مما جعل مدينة تنبكتو مدينة العلم تعجّ بالقضاة والأئمة والفقهاء، وفي هذا الصدد قال الحسن الوزان:"... وفي تنبكتو عدد كثير من القضاة والفقهاء والأئمة يدفع إليهم الملك جميعا مرتبا حسنا ويعظم الأدباء كثيرا، وتُباع أيضا مخطوطات كثيرة من بلاد البربر وتدرّ أرباحا تفوق سائر البضائع..."[2].

[1]- العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص59-60.

[2]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص167.

وسار أسكيا داود على منهج أسكيا الحاج الكبير، في الاهتمام بالعلم، فكان يغدق على العلماء والطلبة بالأموال والهبات بدون حساب ويشجعهم على التحصيل العلمي، وينسخ لهم الكتب الناذرة لينتفعوا بها وأحيانا يهديها لبعض العلماء وهذا ما أدى إلى توقد نار الحركة الفقهية وتأججها بشكل كبير[1].

ولم ينته ازدهار الحركة الفقهية في عهد الأسقيين فحسب، بل استمر حتى في بداية الحكم المغربي، إلا أن قدومهم لبلاد السودان الغربي أحدث ضجّة في أوساط السودانيين، وذكر محمود كعت ذلك بقوله:"... ثم جبر الله كسر تنبكتو وكثر قراءها وأدباءها من كوكي إلى جن وجمع شملها وأقامها أتم قيام وعمّرها وأفاض الله البركة في برّها وبحرها في أوائل دولة جيش مولانا أحمد وأكثر الخير فيها حتى كاد الناس ينسون دولة سنغى..."[2].

وظهر في عهد المغاربة خاصة في عهد الباشوات الذين اشتهروا بالعدل ما يعرف بالأسر العلمية، وأشهرها: أسرة الكنتيين وأسرة كداد الفلاني ومغيا وكوردو الفلاني، وغيرها من الأسر العلمية التي ساهمت مساهمة فعالة في ازدهار الحركة الفقهية في بلاد السودان الغربي، وبلغ عدد المؤسسات العلمية في هذا العهد حوالي ثلاثمائة مؤسسة في مدينة تنبكتو، وهذا دليل واضح يؤكد استمرار الحركة الفقهية وازدهارها في عهد المغاربة[3].

إن ازدهار الحركة الفقهية في بلاد السودان الغربي وانتشار المدن العلمية التي عجّلت بأهل العلم وطلابه مثل: غاو وإيولاتنوأودْغست وجني وتنبكتو وكثرة المعاهد والمساجد كان بفضل رعاية ملوك بلاد السودان الغربي، الذين لم يبخلوا عن العلم وأهله فكان اهتمامهم واضح بشكل كبير على العلماء والطلبة، وذلك بتشجيعهم على الاجتهاد والتحصيل، حيث قاموا بتقريب الفقهاء، واتخذوهم مستشارين لهم في أمور الدولة، وكانوا يستفتون إذا تعذرت عليهم مسألة ما.

[1]- محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص94.

[2]- محمود كعت، المصدر السابق، ص181.

[3]- عبد الرحمن ميغا، المرجع السابق، ص48.

والدليل على ذلك استقدام منسا موسى عددا كبيرا من العلماء بعد رجوعه من أداء فريضة الحجّ خاصة من مصر والمغرب والأندلس يهدف إلى تنشيط الحركة الفقهية، فاشتهرت بلاد السودان الغربي في عهده بكثرة العلماء[1].

وسار منسا سليمان على منهج من سبقه من الملوك فقام "ببناء المساجد والجوامع والمآذن وأقام به الجمع والجماعات ... وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك رضي الله عنه.."[2].

ولما وصل أسكيا محمد الكبير إلى الحكم، قرّب إليه مجموعة من العلماء وكان يستفتيهم في أمور الحكم، وكان محبّا لهم وللطلبة، واشتهر بتواضعه لهم، وإعانتهم وإكرامهم بالأموال والهبات[3]، ثم جاء من بعده ابنه أسكيا داود الذي عرف باحترامه لأهل العلم وكان يزوّدهم بالكتب بعد نسخها من قبل الناسخين ويهديها لهم أحيانا، واشترى لأحد العلماء قاموسا بثمانين مثقالا[4]، وكان يقول "لولا العلماء لكنا من الهالكين"[5].

إضافة إلى سلاطين آخرين عرفوا بكرمهم وتواضعهم أمثال السلطان كياك الذي كان يأتي بالطعام لطلبة العلم ويأكلونه وهو وافق يحمل الإناء لهم[6]، وأسكيا إسحاق الذي كان كريما، فبلغ غاية التصدق والعطاء وكان محبّا للعلماء ومكرما لهم[7].

وقدم الملوك الماسنيين كلّ الاحترام للعلم وأهله، واشترطوا على كل عضو في الدولة أن يكون عالما ملمّا بجميع العلوم، وبفضل عناية السلاطين واحترامهم للعلماء ازدهرت الحياة العلمية وخاصة الفقهية في بلاد السودان الغربي[1].

---

[1]-المرجع نفسه، ص61.

[2]- العمري، المصدر السابق، ص59-60.

[3]- محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص59.

[4]- المصدر نفسه، ص108.

[5]- المصدر نفسه، ص113.

[6]- المصدر نفسه، ص179-180.

[7]- المصدر نفسه، ص143.

وكان ملوك بلاد السودان يقومون باقتناء الكتب الناذرة والنفيسة ووضعها في متناول العلماء والطلبة للانتفاع بها، فبعد رجون منسا موسى من الحج اقتنى الكثير من الكتب وأدخلها إلى مملكته لكي ينتفع بها العلماء، وقام منسا سليمان بنفس العمل حيث اشترى كتبا فقهية كثيرة واستقدم إلى بلاد السودان فقهاء وعلماء مالكيين، مما سهل الأمر على الطلبة في التحصيل والاجتهاد وطلب العلم، ولم يكتف العلماء بهذا القدر من الاهتمام، بل قدّموا الهدايا والأموال للعلماء ودفعوا أجور المعلمين ومساعدة المحتاجين من الطلبة لكي لا ينقطعون عن طلب العلم[2].

والدليل على ذلك لما زار الحسن الوزان بلاد السودان الغربي وجد في "تنبكتو عددا كبيرا من القضاة والفقهاء والأئمة يدفع إليهم الملك مرتبا حسنا ويعظّم الأدباء كثيرا..."[3]، وأيضا لما زار أسكيا القاع المقدسة اشترى جنانا بمائة ألف دينار ذهب وحبسها على طلبة العلم والفقراء[4].

ومن الأسباب التي أدّت إلى ازدهار الحياة العلمية ببلاد السودان الغربي خاصة الفقه، عقد المجالس العلمية والاهتمام بطلبة العلم من قبل الملوك، فقد استدعى أسكيا الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني لإلقاء الدروس في مدينة غاو، وكان يستشير أيضا جلال الدين السيوطي في أمور الحكم.

وكان الأمن والثراء اللّذين تميزت بهما بلاد السودان الغربي سببا في ازدهار الحركة الفقهية وفي هذا الصدد قال كعت:"مع الهناء والعافية التي خص الله بها أهل تنبكتو، وترى منهم مائة رجل ليس لأحد منهم حريش ولا سيف ولا مدية إلا المنساة..."[5].

---

[1]- عبد الرحمن ميغا، المرجع السابق، ص62.

[2]- عبد الرحمن ميغا، المرجع السابق، ص62.

[3]- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص167.

[4]- عبد الرحمن ميغا، المرجع السابق، ص63.

[5]- محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص180.

ووصفت مدينة جعت لكثرة أمنها قائلا:"... لا يدخله سلطان وليس لأحد حكم فيه إلا قاطنيه ومن دخله كان آمنا من ضيم السلطان وجوره، ومن قتل ولد السلطان لا يسأله السلطان بدمه، يقال له بلد الله..."[1].

وقد ذكر ابن بطوطة الأمن في بلاد السودان الغربي لما زارها قائلا :"... فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم، فهم أبعد الناس عنه، وسلطانهم لا يسامح أحدا في شيء منه ومنها شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا من غاصب..."[2].

فالأمن والرخاء في بلاد السودان الغربي كانا عاملين كافيين من أجل جلب العلماء من جميع الأقطار من بلاد المشرق والمغرب والأندلس، خاصة منطقة تنبكتو، أين رحّب بهم سكانها واستقبلهم ملوكها بحفاوة كبيرة، وهذا ما نتج عنه ازدهار الحركة العلمية والفقهية.

وعُرِف عن العلماء اقتفاء أثر التجار أثناء سفرهم إلى بلاد السودان الغربي لما تتوفره المنطقة من ثروات كثيرة لا تُعد ولا تُحصى، وفي هذا الصدد قال العمري:"... إن الرجل منهم كان يشتري القميص أو الثوب أو الإزار وغير ذلك بخمسة دنانير وهو لا يساوي دينارا واحدا وكانوا في غاية سلامة الصدر والطمأنينة تجوز عليهم مهما جوز عليهم ويأخذون كلّ قول يقال لهم بالقبول والصدق..."[3].

ولما زار الحسن الوزان بلاد السودان الغربي ذكر ثرائها قائلا:"... تستعمل قطع الذهب الخالص بدلا من العملة المسكوكة والودع لشراء الأشياء التافهة..."[4]، وقال أيضا:"... وتباع أيضا مخطوطات كثيرة تأتي من بلاد البربر وتدر أرباحا تفوق سائر البضائع..."[5].

[1]- المصدر نفسه، ص179.

[2]- ابن بطوطة، الرحلة، ص672.

[3]- العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص73.

[4]- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص167.

[5]- المصدر نفسه، ص167.

إن هذه الأقوال دليل قاطع على ثراء بلاد السودان الغربي ممّا جعل التجار والعلماء يتوافدون عليها بشكل كبير من أجل ممارسة نشاط التجارة، ونشر العلم في جميع أرجاء المنطقة.

واشتهرت أسواق بلاد السودان الغربي بكثرة الكتب والمخطوطات خاصة في مدينة تنبكتو، ممّا جعل المكتبات تعج بالكتب في مختلف العلوم، وكان بيع الكتب يدرّ أرباحا كبيرة لبائعيها[1]، ممّا دفع بالتجار إلى التوجّه نحو المراكز العلمية في بلاد السودان الغربي ليأخذوا جزءا من الربح، والجدير بالذكر أن تجارة الكتب أدت إلى ازدهار الكتابة والنسخ أيضا ممّا ساعد على ازدهار الحركة العلمية وخاصّة الفقهية منها.

ومن أسباب ازدهار الحركة العلمية عامة والحركة الفقهية خاصة في بلاد السودان الغربي رحلات الملوك إلى بلاد الحجاز، فيلتقي الملوك بأشهر علماء بلاد المشرق، كما يلتقي بهم العلماء المرافقين لملوك بلاد السودان، فيحدث بين الطرفين تبادل ثقافي وعلمي ومناقشة المسائل العلمية وتبادل الكتب، استقدام الملوك السودانيين للعلماء المشارقة إلى البلاد ، مما يساهم غي ازدهار الحركة العلمية وخاصة الفقهية.

ومن أشهر رحلات حج الملوك، والتي تركت آثار واضحة وجلية في ازدهار الحركة العلمية في بلاد السودان الغربي رحلة منسا موسى ورحلة الحاج أسكيا الكبير[2].

وإضافة إلى رحلات الحجّ وجدت الرحلات العلمية التي يقوم بها الطلبة والعلماء إلى بلاد المشرق والمغرب وفي مدن بلاد السودان الغربي ممّا أتاح لطلبة العلم أن يأخذوا عن أكثر من عالم ويتزودوا بالمعارف الجديدة، ويزيد من عدد إجازاتهم، ممّا خلق جوّا للمنافسة بين الطلبة للأخذ عن أشهر العلماء وأفذاذهم[3].

[1]- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص167.

[2]- العمري، المصدر السابق، ص67.

[3]- البسعدي ، المصدر السابق، ص44.

ولم يهاون الطلبة السودانيين في الاجتهاد في طلب العلم، فقد عُرفوا بمثابرتهم ورحلاتهم إلى الخارج وتحمّل مشاق السفر من أجل التحصيل، وعند عودتهم يحاولون نشر ما تعلّموه وأدائه بكل صدق وأمانة، وكانوا يستغلون اللّيالي المقمرة من أجل المطالعة، وهذا دليل على اهتمامهم وتفانيهم في سبيل العلم، في حين كان الفقهاء حرصين جدّا على تقديم كلّ ما لديهم من المعارف والعلم لطلبتهم بكلّ صبر وإخلاص، وفي هذا الصدد قال السعدي:"صبر عظيم على التعليم أناء النهار وعلى إيصال الفائدة للبليد بلا ملل ولا ضجر حتى يملّ حاضروه..."[1].

وتمتع علماء بلاد السودان بالحرية المطلقة في تفكيرهم في المجال العلمي، والعمل بما يرتاحون وتطمئن قلوبهم إليه، ممّا شجعهم على تطوير أفكارهم ومعارفهم ممّا جعل مؤلفاتهم كثيرة ومتنوعة[2].

ولم يبخل ملوك بلاد السودان الغربي في بناء المراكز العلمية والثقافية في كل أنحاء البلاد، حيث بلغ عدد هذه المعاهد في عهد الماسنيين ما يفوق ستمائة مدرسة، وهذا ما أدى بطلاب العلم إلى التحصيل دون عناء السفر إلى المناطق البعيدة[3].

وكان من أسباب ازدهار الحركة العلمية بصفة عامة والحركة الفقهية بصفة خاصة الاحترام الذي تمتع به العلماء والفقهاء من طرف أهالي بلاد السودان الغربي وملوكهم.

وحتى أبغضهم كالملك علي بير الذي عرف بقسوته على العلماء، فإنه يقرّ بفضلهم ويخضع لهم أحيانا، وفي هذا الصدد يقول:" لولا العلماء لا تحلوا الدنيا ولا تطيب ويفعل الاحسان في آخرين ويحترمهم"[4].

---

[1]- السعدي، المصدر السابق، ص44.

[2]- عبد الرحمن ميغا، المرجع السابق، ص65.

[3]- العمري، المصدر السابق، ص59-60؛ محمود كعت، المصدر السابق، ص59.

[4]- السعدي، تاريخ السودان، ص67.

ولما سمع آكل حاكم تنبكتو بمجيء علي بير إلى المدينة "أحضر ألف جمل رحّل فقهاء سنكري ومشى بهم إلى بير فقال إن نشأتهم هو الأهم عليه"[1]، وهذا حتى لا يِديهم علي بير أثناء حملته على تنبكتو.

وكان أسكيا محمد الكبير لا يعارضه في أموره "إلا القاضي ولا يجلس معه على سريره إلا الشرفاء... ولا يقوم لأحد إلاّ للعالم والحجاج إذا قدموا من مكة ولا يأكل معه إلا العلماء والشرفاء وأولادهم..."[2].

فكل هذه العوامل اجتمعت لدفع الحركة العلمية وخاصة الفقهية في بلاد السودان الغربي، وأهمّها اهتمام الملوك السودانيين للعلماء والفقهاء واحترامهم وإعطائهم مكانة مرموقة داخل المجتمع، وتوفير الحرية لهم من أجل التفكير وتطوير المعارف، وأيضا ما تمتعت به البلاد من أمان ورخاء جذب إليها العلماء والطلبة من مختلف الأقطار، ممّا جعل بلاد السودان الغربي بمثابة محطّة للعلم والمعرفة[3].

عُرفت بلاد السودان الغربي على أنها من أغنى المناطق آنذاك، فاتجهت لها الانظار من كل حذب وصوب، خاصة العلماء الذين سكنوا أهم مدنها العلمية كتنبكتو وأروان وولاته وجني وغاو...، وبعد استقرارهم انسجموا مع علماء المنطقة وعملوا على تنشيط الحركة العلمية والثقافية، ومن أهم العناصر التي لعبت دورا فعالا في المجال العلمي العنصر السوداني، الذين تتلمذ معظمهم في بلاد السودان الغربي وارتحل بعضهم إلى بلاد المشرق والمغرب للأخذ عن علمائها عائدين بذلك إلى بلادهم حاملين مختلف أنواع العلوم، ومنهم من استغل فريضة الحجّ ليلتقي بكبار الشيوخ وحضور مجالسهم التعليمية[4].

[1]- المصدر نفسه، ص65.

[2]- محمود كعت، المصدر السابق، ص11-59.

[3]- عبد الرحمن ميغا، المرجع السابق، ص59.

[4]- المرجع نفسه، ص72.

كما كان للعنصر المغربي دورا أساسيا في دفع الحركة التعليمية ببلاد السودان الغربي إلى الأمام، نظرا لقرب المنطقة من المغرب، والعلاقات الثقافية التي تربط بين البلدين منذ وصول المرابطين إلى المنطقة، الذين أدّت حركتهم الإصلاحية في بداية القرن الخامس الهجري إلى وصول الإسلام وانتشاره ببلاد السودان الغربي[1].

ومن أشهر العلماء المغاربة الذين خلّدوا أسماءهم في بلاد السودان نذكر الفقيه عبد الواحد محمد بن الفقيه الجزولي، يحيى التادلسي، الفقيه المقرئ عبد الواحد أبو العباس الدكالي، محمد بن عمر المكناسي، الحاج محمد الوجدي التازي، الفقيه محمد الفيلالي، وأبو عثمان سعيد الدكالي[2].

وتوافد أيضا على بلاد السودان الغربي العنصر المشرقي الذي لعب دورا هاما في تنشيط الحركة العلمية والتجارية وخاصة الحركة الفقهية، نظرا للعلاقات الثقافية والتجارية بين البلدين منذ عصر المماليك في مصر، مما جعل العلماء يتوافدون على بلاد السودان، وتقلدهم مناصب عليا ومرموقة في البلاد، وتعتبر زيارة منسا موسى إلى مصر أثناء رحلته لأداء فريضة الحجّ سببا في جلب العلماء الشارقة إلى السودان، ومن أشهر علماء المشرق الذين كان لهم الدور الفعّال في ازدهار الحركة الفقهية: شمس الدين ابن التفوشي والقاضي عبد الرحمن والتميمي ناصر الدين اللقاني والسيوطي وشمس الدين السخاوي، وشمس الدين ابن التقويش[3].

وشارك العنصر الأندلسي أيضا في ازدهار الحركة العلمية في بلاد السودان الغربي، خاصة بعد توافد أهل الأندلس على تنبكتو بعد المحنة التي أصابتهم من طرف الإسبان، فقدم الكثير منهم واستقروا بالمنطقة نظرا لتوفر الأمن والرخاء واحترام المجتمع للعلماء، واستفاد الطلبة من العلماء الأندلسيين كثيرا، ومن أبرز رموز هذا العنصر، الشاعر الأندلسي إبراهيم الساحلي، الذي جاء به منسا موسى لبناء قصره وجامع جنغريبير الذي لايزال قائما إلى يومنا هذا.

[1]- محمد حجّي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، مكتبة الطالب، الرباط، 1976، ص70.

[2]- ابن بطوطة، المصدر السابق، ص664-665 – السعدي، المصدر السابق، ص37.

[3]- السعدي، المصدر السابق، ص 37-47 – ابن بطوطة، الرحلة، ص664.

ومن بين العناصر التي أثرت في الحركة العلمية ببلاد السودان الغربي العنصر الغدامسي الذي يرجع ظهوره إلى ظهور المدن العلمية في السودان، حيث لعب دورا تجاريا وثقافيا، وتوافدوا إلى المنطقة على هيئة تجار وسكنوا بمدينة تنبكتو، ولم يقتصر دورهم في ازدهار التجارة وإنما نشطوا الحركة الفقهية من خلال فتاويهم ومؤلفاتهم.

أمّا العنصر الأهم الذي وفد على بلاد السودان الغربي، وأثر في هذه المنطقة بشكر كبير في المجال العلمي والثقافي علماء المغرب الأوسط من تلمسان ورجلان وتوات، وذلك نظرا للعلاقات الثقافية والتجارية بين البلدين منذ القرن الثاني الهجري، فوفدوا على بلاد السودان الغربي على هيئة تجار وعلماء، وعملوا على نشر الإسلام والثقافة العربية، واستقروا بمدينة تنبكتو، وكان لهم حي خاص يدعى "حي التواتيين"، وكانوا يجوبون المنطقة على الرغم من خطورتها لممراسة نشاط التجارة[1].

ووصف التاجر العالم الورجلاني أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم (ت 570هـ)، عناء السفر في منطقة السودان، بعد رجوعه سالما من الموت المحتم قائلا في قصيدته:

جزى الله ورجلان خير مـــا جزى ... به بلدا عن طالب الخير ســـائر

هو جنة الدنيا وأبواب مكـــــة ... ومعدن تبرغانةوالدنـــــــانر

فمن كان يبغي الحجّ قليأت ورجلان ... يجد سبلها رحبا وخطر خـــــافر

فلا وجود في الدنيا لمن قلّ مـــاله ... لا مال إلّا ما أتى بالمتـــــاجر

ولن يكسب المال الحلال سوى امرئ ... يجوب الهوامي نحو غانة صـــــابر

وليس يهاب الحرّ والقرّ والشـــوا ... ولا الشمس والظلماء ذات الدياجر

[1] – عبد الرحمن ميغا، الحركة الفقهية ورجالها فغي السودان، ص75.

ويستصغر الأهوال من حيث أقبلت ولو أنها أمثال وخز الخنازيـــــر[1].

فعلماء وتجار بلاد المغرب الأوسط أسهموا مساهمة فعّالة في نشر تعاليم الإسلام الصحيحة ومحاربة البدع والخرافات التي علقت به، ومن أبرزهم محمد عيسى التلمساني وأبو القاسم التواتي ومحمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني[2].

[1]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2]- السعدي، المصدر السابق، ص ص36-60.

الفصل الثاني

إسهامات علماء تلمسان بإقليم توات وبلاد السودان الغربي(الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني- أنموذجا)

أولا : حياة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي .

ثانيا : دور الشيخ المغيلي بإقليم توات .

1- نشر التعليم بإقليم توات

2 - إخراج المغيلي لليهود من إقليم توات

ثالثا : دور الشيخ المغيلي ببلاد السودان الغربي .

1- رسالته لسلطان كانو .

2- أجوبته على سلطان كاغو .

3- محاربة العادات السيئة .

4- نشر المذهب المالكي .

رابعا : تأثير التجار

خامسا : تأثير الزوايا والطرق الصوفية

سادسا : تأثير القبائل

أولا: حياة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني:

يعد هذا العالم بحق الوحيد تقريبا الذي خُلد ذكره وذاع صيته ببلاد السودان الغربي مقارنة بغيره من العلماء، نظرا لما قام به من حركة إصلاحية دينية وعلمية ببلاد توات والسودان الغربي، حيث كسب شهرته الواسعة نتيجة الثورة المشهورة التي قادها ضد اليهود في هذه البلاد.

1 – نسبه:

الشيخ محمّد بن عبد الكريم بن محمّد المغيلي[1]بن عُمر بن مخلوف بن علي بن الحسين بن يحيى بن علي بن محمّد بن أحمد بن عبد القوي بن العبّاس بن عطية بن مناد بن السّري بن قيس بن غالب بن أبي بكر بن أبي بكر بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الكامل بن الحسن[2] بن فاطمة ابنة الرّسول عليه الصلاة و السلام[3].

2– مولده:

كان مولده بمغيلة[4] الّتي اختلف المؤرخون في نسبها، حمل لقبها وسمي بالمغيلي واختلف المؤرّخون حول تاريخ ولادته، فكل مؤرخ يمدنا بتاريخ مختلف عن الآخر، وحسب الشّجرة الكبرى التي تحدد

---

[1] – التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص330 –كفاية المحتاج ص 435 – ابن مريم، المصدر السابق ص 253– محمد مخلوف، شجرة النور الزّكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي بيروت، 349 ه ،ص 274 – بكري البكري: تمنطيط رمز تاريخ و عنوان حضارة، مجلة الحضارة الإسلامية، ع1، أفريل 1993، ص 69 – عبد القادر زبادية الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية، جنوب الصحراء، دراسات و نصوص المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989، ص 153-154 – محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1968، ص 7-22

[2] – هو الحسن بن علي وفاطمة رضي الله عنهم،حفيد (الرسول صلى الله عليه و سلم) أبو محمد التقي النقي توفي عام(49 ه – 669م) – أحمد اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي – دار صادر، بيروت، د ت، ج2، ص 225.

[3] – مبروك مقدم، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي و أثره الإصلاحي بإمارات و ممالك إفريقيا الغربية خلال القرن (8ه، 9ه ، 10ه /15م، 16م، 17م)، ص 47.

[4] – مغيلة: يرى بعض المؤرخين أنها من أصل عربي، ففي الذخيرة السنية يريد إثبات ذلك بقوله:"وقال ابن خلدون في تاريخه لمدينة فاس وظهورهم عليها، قال بنو مرين فخذ من زناتة وهم من ولد مرين من مجرز بن ماخوخ بن وجديج بن قيس عيلان بن مضر بن نزار ومن زانات بن يحيى بن جانا تفرعت من قبائل زناتة كلها، وهم أمم كثيرة وقبائل جمة ومنهم مغراوة وبنو يفرن إخوتهم ومغيلة ومطماطة"، وأشار ابن الأثير إلى أن مغيلة عربية =

نسب سكّان توات، فإن مولده كان سنة (790هـ – 1388م)[1]،لكنّ هذا التّاريخ لا يبدو صحيحا، و الدليل على ذلك أنّ الإمام محمّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني قاتل اليهود في ثورته الثّانية عام (902 هـ – 1496م) فيكون سنه تجاوز المائة سنة، والمرجح أن تاريخ مولده القريب من الصحة كان عام (820 هـ – 1417م).

اختلفت المصادر التاريخية حول تاريخ ولادة الشيخ المغيلي، إلا أنها تتفق حول تاريخ وفاته عام(909 هـ – 1503م)[2]، وهو التاريخ الصحيح إجمالا.

والجدير بالذكر أن الكتب التاريخية التي اهتمت بحياته و سيرته، لم تتطرق للحديث عن أسرته فلم تتحدث عن والديه ولم تذكر أخبارهما، ونجهل أيضا أخبار إخوته[3]، وهل وجد من بينهم علماء وفقهاء؛ وأبناء المغيلي هم عبد الجبّار الذي خلف والده لما سافر إلى بلاد السودان الغربي في تسيير شؤون إقليم توات للنصح والارشاد لكنه قتل بعد أن حيكت مؤامرة ضده تعددت أطرافها[4]، وابنه

= وتبربرت، فقال:"إن البربر كانوا بنواحي فلسطين من الشام، وكان ملكهم جالوت، فلما قتل سارت البرابر وطلبوا الغرب حتى إذا انتهوا إلى لوبية ومرافية، وهما كورتان من كور مصر العربية تفرقوا فسارت زناتة ومغيلة وهما قبيلتان من البربر إلى الغرب فسكنوا الجبال"، أما رأي بن خلدون فهو أن مغيلة بربرية، فعنده أن البتر هم بنو بن مادغيس الأبتر، يجمعهم أربعة :جذام أداسة، ونفوسة، وضرية، وبنو ولو كلهم بنو رحيك ،أما ضرية و هم بنو ضرى بن رحيك بن مادغيس الأبتر فيجمعهم جذمان عظيمان: بنو تمصيت بن ضرى وبنو يحي بن ضرى، فمن بطون تمصيت مطماطة وصطفورة وهم :لحومية ولماية ومطغرة ومرينة ومغيلة، كلهم بنو فاتن ابن تمصيت بن ضرى، استقرت مغيلة بمنطقتين، الأولى بالمغرب الأوسط عند مصب شلف في البحر والثانية بالمغرب الأقصى، وقال ابن خلدون:"وبقائهم لهذا العهد بمواطنهم ما بين فاس وصفرو ومكناسة... ومن إخوتهم درنة هذا الجمهور الثاني من مغيلة، هم الذين تولوا مع أوربة وصدينة القيام بدعوة إدريس بن عبد الله لما لحق بالمغرب وأجازه وحملوا قبائل البربر على طاعته والدخول في أمره، ولم يزالوا على ذلك إلى أن إضمحلت دولة الأدارسة"، ويرى الحسن بن محمد الوزاني الفاسي أنها مدينة صغيرة قديمة أسسها الرومان كذلك على قمة جبل زرهون الذي قمته مدينة وليلي، عندما كانوا يحكمون بلاد الأندلس من الجانب الذي يطل على فاس، ولهذه المدينة أرض طيبة في الجبل مغروسة كلها بأشجار الزيتون وأرض أخرى جميلة في السهل، بها عيون جارية عديدة، تغل كمية كبيرة من القنب والكتان، أنظر: ابن الأثير، المصدر السابق،ص428-429- تاريخ ابن خلدون6، ص90-91-الناصري، الاستقصا1، ص57.

[1] – توجد الشجرة الكبرى لأنساب سكان توات بخزانة الشيخ عبد الله البلبالي بكوسام بتوات – أحمد الحمدي: المرجع السابق، ص 34.

[2] – أحمد بن القاضي: كتاب الوفيات، ضمن ألف سنة من الوفيات، مطبوعات دار الغرب، الرباط 1976، ص 241.

[3] – أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال بعض آثاره المخطوطة، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 1، جامعة وهران – الجزائر حوالي 2003م،ص 34.

[4] – التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 577.

عَلِي ولد بقصر أولاد سعيد و توفي به[1]. و اِبنه عبد الله و هو أكبر أبنائه الّذي يُكَنَّى به المغيلي وينسب إليه أحفاد المغيلي بإقليم توات، وكان مولد هؤلاء الأبناء بقصر أولاد سعيد و والدتهم تدعى زينب و هي ابنة شيخه عبد الرّحمن الثعالبي الذي أخذ عنه الشيخ المغيلي أثناء تحصيله العلمي و بعد رحلته إلى بلاد السّودان الغربي تزوّج المغيلي بإمرأة من كانو[2]، و أنجبت منه ثلاثة أولاد السيّد الأبيض وأحمد و عيسى[3]،هذه أهم أخبار أسرته التي أوردتها المصادر التاريخية المهتمة بحياته.

3– نشأته و تحصيله العلمي:

اشتهرت عائلة الشيخ محمّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني بالعلم و والتّصوّف، فنشأته في مثل هذه البيئة أتاحت له فرصة حب العلم و البحث و الترحال من أجل تحصيله[4].

درس لأول مرة بمسقط رأسه بمدينة تلمسان، بدأ بحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ الجلاب محمّد بن أحمد بن عيسى المغيلي، أخذا عنه كتب مذهب الإمام مالك، ثمّ أخذ تفسير القرآن الكريم و القراءات[5] وقواعد الطريقة القارية على يد الشيخ عبد الرحمن الثعالبي(871 هـ –1476م) بمدينة بجاية[6]، ولم يكتف بذلك بل أخذ عن شيوخها الحديث و علم التّفسير، ثمّ رجع إلى مدينته تلمسان

[1] – أولاد سعيد: هو قصر بتيكورارين، وهم بطن من بني هلال و كانوا يرأسون أولاد سعيد و منهم أولاد عيسى؛ أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص35.

[2] – عبد القادر زبادية، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي جهوده وشهرته خارج الجزائر، أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، ص83.

[3] – أحمد الحمدي، المرجع نفسه، ص34

[4] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5] – الكنتي، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي نبذة عن حياته و مآثره، المهرجان الثقافي الأوّل للتّعريف بتاريخ منطقة أدرار، 1985، ص ص 4–5.

[6] – بجاية: مدينة أسّسها الفينيقيون و سمّوها صلداي ثمّ احتلّها الرّومان و خرّبها بعد ذلك الوندال، ثمّ جدّد بناءها النّاصر الحمّادي عام(468 هـ–1076)ودعاها النّاصرية يحيط بها أسوار عالية متينة و دورها جميلة و بها جوامع و مدارس يكثر فيها الطلبة و أساتذة الفقه و العلوم– الحسن الوزّان، وصف إفريقيا، ج2، ص 50.

تلمسان وواصل طلبه في أخذ العلم،ثم سافر إلى إقليم توات سنة (870 هـ – 1465م)[1]بعد أن نصحه بذلك شيخه عبد الرحمن الثعالبي، أين التقى بالشّيخ قاضي الجماعة يحي بن يدير وأخذ عنه علم الفقه[2].

وبفضل هؤلاء الشيوخ و بما تميز به الشيخ المغيلي من الذكاء والقدرة على الاستيعاب أصبح متمكنا من شتى العلوم كالحديث وعلم المواريث والفقه وعلوم اللّغة، ولم يكتف بالعلوم النقلية فقط بل تعدى ذلك العلوم العقلية ونبغ في علم المنطق على خلاف الكثير من علماء عصره الذين كانوا يكتفون بالعلوم الدينية فقط، واشتهر في هذا العلم بمناظرته مع جلال الدين السيوطي[3].

4– شيوخـه:

أخذ الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي العلم على يد عدد كبير من العلماء و الفقهاء، إلا أنه يصعب على الباحث حصر عدد هؤلاء الشيوخ لسببين أولهما: لكثرتهم و تعددهم، وثانيا ما عُرف عن المغيلي من كثرة الترحال من بلد لآخر من أجل التحصيل العلمي، و كان من عادة طلبة زمانه حصر أسماء شيوخهم، و العلوم التي أخذوها عنهم و نبغوا فيها،وحتى أسماء الكتب بأسانيدها،لكن فهرسة الشيخ المغيلي مفقودة ليومنا هذا مما يجعل الباحث في حيرة من أجل حصر جميع شيوخه،لكن سوف نتطرق لأهمهم وهم:

الشيخ يحيى بن يدير بن عتيق التّدلسي التلمساني:

يحي بن يدير بن عتيق من مدينة دلس[4]التي لُقب نسبة لها التادلسي، أخذ العلم على يد الشيخ أحمد بن زاغو المغراوي عام(843 هـ –1493م)[1] بمدينة تلمسان، ثمّ ارتحل إلى إقليم توات

---

[1] – محمود بلقاسم: التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها، أعمال المهرجان الأوّل للتعريف بتاريخ منطقة أدرار، 1985م، ص44.

[2] – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 756.

[3] – المصدر نفسه، ص 576.

[4] – دلس: مدينة قديمة بناها الأفارقة على بعد نحو أكثر من خمسين ميلا من شاطئ البحر المتوسّط، تحيط بها أسوار قديمة متينة و جلّ سكّانها صبّاغون و يملكون أراضي زراعيّة كثيرة– الحسن الوزّان، وصف إفريقيا، ج2، ص 42.

وأصبح قاضيا بها، وأخذ عنه الشيخ المغيلي الفقه وعلْم المنطق، واشتهر بعلمه وصلاحه وإستقامته وعُد أيضا من كبار فقهاء المالكية في عصره، أما عن وفاته فقد توفي بتوات، وفي هذا الصدد يقول أحمد بابا التّنبكتي: "توفي بتوات ووجدته بخطّ تلميذه محمد بن عبد الكريم المغيلي[2].

عبد الرّحمن الثعالبي:

يُعد الشيخ عبد الرحمن الثعالبي من أشهر شيوخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ، كان مولده عام (786هـ –1384م)، وأثناء طلبه للعلم ارتحل إلى مدينة بجاية عام (802هـ–1399م) والتقى بالفقيه عبد الرّحمن الوغليسي[3] (786هـ –1384م)[4]، ثمّ شد رحاله عام (809هـ –1406م) إلى تونس آخذا عن أبو مهدي عيسى الغبريني[5]من أصحاب ابن عرفة[6] (803هـ – 1400م)، ثم هاجر إلى مصر و التقى بالكثير من العلماء والفقهاء، وحضر بها مجلس أبو عبد الله البساطي [7]، وأجازه الشيوخ في علم الحديث وبعد عودته من أداء فريضة الحجّ هاجر إلى تونس للمرة الثانية والتقى بابن مرزوق الحفيد[8] وأخذ عنه الموطأ وأجازه في الإقراء[9]، ثمّ رجع إلى دياره وتولّى خطة القضاء وهو

---

[1] – ابن زاغو أحمد بن عبد الرحمن المغراوي التلمساني، إمام زاهد صوفي، قال عنه القلصادي "ذو سيق في الحديث و الأصول و المنطق و قدم راسخة في التّصوّف مع الذّوق السّليم و الفهم المستقيم"، توفي سنة (845هـ–1441م)– ابن القاضي، لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد في كتاب ألف سنة من الوفيات، تح: محمد حجّي مطبوعات دار المغرب للتأليف والتّرجمة والنّشر، الرّباط 1976م، ص 250 ؛ ابن مريم: المصدر السابق، ص41.

[2] – التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 637.

[3] – عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي، عالم بجاية و مفتيها، توفي عام(786هـ /1384م). له مقدّمة معروفة بالوغليسيّة و العديد من الفتاوى، أخذ عنه جماعة منهم أبي الحسن علي بن عثمان و بلقاسم بن محمّد المشدالي– التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 248.

[4] – التنبكتي، المصدر نفسه، ص 258.

[5] – الغبريني: عيسى بن أحمد بن محمّد بن محمّد أبو مهدي قاضي الجماعة بتونس، ذكره الثعالبي قائلا: "شيخنا أوحد زمانه علماً و دينًا، مجتهد في مذهب مالك، توفي عام (815هـ–1412م) – التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 297–298.

[6] – ابن عرفة: محمد بن محمد بن عرفة التونسي، المحقّق القدوة النظار وُلِد عام (815هـ–1412م)، تولّى إمامة الجامع الأعظم سنة (750هـ–1349م) وكان باعًا في الأصول و الفروع و العربية والحساب، توفي عام 803هـ–1400م)–التنبكتي،المصدر نفسه، ص 463.

[7] – البساطي: محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم قاضي القضاة بالدّيار المصريّة وُلِدَ عام (760هـ–1358م) و أهم تصانيفه، المغنى في الفقه – التنبكتي، المصدر نفسه، ص511–512.

[8] – أبو الحسن علي القلصادي، رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس 1978م، ص 97 – أبو العبّاس أحمد بن محمّد المقرّي، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب و ذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ج6، دار الفكر العربي، بيروت، 1998م، ص 347–358

[9] – التنبكتي، المصدر نفسه، ص 257–259.

رافض له فتخلّى عن مهمته وأصبح متصوفا نابذا لزخارف الدّنيا مهتما بالآخرة[1]، وفي هذا الصدد قال عنه أحمد بابا التنبكتي "وهو مِمّنْ اِتّفق النّاس على صلاحه وإمامته..."[2]، وذكره أيضا الشّيخ زروق الفاسي[3] قائلا: "شيخنا الفقيه الصّالح و الّذي عليه أغلب من العلم"[4]، ومن أشهر مؤلّفاته:

مؤلّفاته:

– في التصوّف: (الأنوار المضيئة بين الشّريعة والحقيقة، الدّار الفائق في الأذكار والدّعوات، قطب العارفين).

– في التفسير:(الجواهر الحسان في تفسير القرآن).

– في الشروح: (شرح على مختصر خليل بن إسحاق، شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي)[5].

– في علم الفقه: (روضة الأنوار و نزهة الأخيار، جامع الأمّهات في أحكام العبادات).

أما عن وفاة الشّيخ عبد الرّحمن الثعالبي كانت سنة (875 هـ – 1470م) ،مخلفا من بعده الكثير من الفقهاء أمثال:محمد بن عبد الكريم المغيلي،محمّد بن محمّد بن مرزوق الكفيف[6]، الشيّخ السّنوسي[7](ت 895 هـ – 1490م) .

الشيخ محمّد أحمد بن عيسى المغيلي (الجلاّب التّلمساني):

عالم فقيه على مذهب الإمام مالك بن أنس، درس على يده أشهر الفقهاء وهم :أحمد بن يحي الونشريسي[8] (914 هـ –1508م)، والإمام السّنوسي، ومحمّد بن عبد الكريم المغيلي اخذين

---

[1] – المصدر نفسه، ص 258.

[2] – التنبكتي، المصدر السابق، ص 258..

[3] – زروق: أحمد بن أحمد بن محمّد بن عيسى البرنسي الفاسي، وُلِدَ عام (846 هـ– 1442م)، و توفي عام (899 هـ–1493م) – ابن ابن القاضي، لقط الفرائد، ص 274.

[4] – التنبكتي،المصدر نفسه، ص 238.

[5] – عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، مؤسّسة نويهض الثقافيّة، بيروت، ط2، 1980، ص ص 90–91.

91.

[6] – أحمد الونشريسي، وفيات الونشريسي، ص 154.

[7] – التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 325–329 – ابن مريم، البستان، ص 266 .

[8] – التّنبكتي، كفاية المحتاج ،ص 73 – ابن مريم، المصدر نفسه، ص 53 – أحمد المنجور، فهرست أحمد المنجور، تح: محمّد حجّي، دار المغرب للتأليف و التّرجمة و النّشر، الرّباط، 1976م، ص 50.

عنه علم والفقه والعقيدة والحديث ،وصفه يحي بن أبي عمران المازوني[1] قائلا:"صاحبنا الفقيه"[2] وذكره أحمد بن يحي الونشريسي قائلا:"الشّيخ الصّالح شيخنا المحصّل الحافظ أبو عبد الله"[3] واشتهر أيضا بصلاحِهِ وتقواه ويقول السّنوسي بأنّه كان حافظًا لمسائل الفقه، وكانت وفاة الجلاب التلمساني عام (875 هـ – 1470م) و من آثاره فتاوى في المعيار والمازونيّة.

5– تلاميـذه:

اشتهر الشيخ محمّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني بكثرة رحلاته وأسفاره كما أشرنا سابقا ومن خلال هذه الرّحلات والأسفار كان يُعلم و يدرّس بالمساجد أو بزاويته التي حملت اسمه و يفتي للناس في المسائل الدينية، ويُصحح لهم التعاليم الإسلامية وينشر أفكاره في أي إقليم حلّ به، فكانت له حلقات علميّة كثيرة سواء بمساجد إقليم توات أو بلاد السّودان الغربي،فتوافد عليه طلبة العلم من كل حدب وصوب لينهلوا من العلوم التي نبغ فيها (كالتصوف والفقه وعلم المنطق....) فكثر عدد تلاميذه وأشهرهم:

محمّد عبد الجبّار الفجيجي:

يجهل المؤرخون الذين ترجموا لمحمد عبد الجبار الفجيجي سنة مولده،إلا أنه درس في بداية تحصيله العلمي على يد والده عبد الجبّار[4] بفجيج، وغيره من علماء المنطقة، ثم رحل إلى مدينة تلمسان

[1] – المازوني يحي بن أبي عمران موسى بن عيسى، قاضي مازونة، أخذ عن ابن مرزوق الحفيد و قاسم العقباني و ابن زاغو و بن العبّاس، توفي سنة (883 هـ /1434م) – التنبكتي، نيل الإبتهاج، ، ص 637.

[2] – التنبكتي: المصدر نفسه، ص 637.

[3] – أحمد الونشريسي: وفيات الونشريسي، ص 149.

[4] – عبد الجبّار بن أحمد الفجيجي أحد العلماء المشاركين في علوم القرآن و الحديث، أسّس زاوية عُرِفَت بِاسمه، بها مكتبة غنيّة بالكتب في مختلف العلوم ،كان قاضيا بفجيج، و أشهر مؤلّفاته: تفسير القرآن، و كانت وفاته سنة (920 هـ– 1514م) – محمّد حجّي: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السّعديين، مطبعة فضالة، الرّباط، ط 1978م ،ص 85.

طالبا للعلم فأخذ بها عن ابن مرزوق الكفيف ثمّ رحل إلى فاس[1]، فالتقى بمحمد بن عبد الكريم المغيلي ولازمه لفترة طويلة، ثمّ رجع محمّد عبد الجبار الفجيجي إلى مسقط رأسه فجيج وأصبح مدرّسًا لمختلف العلوم الشرعيّة كعلم الحديث، بعد أن تمكن من الكثير من العلوم أهمها(علم الحديث، التصوّف، الفقه، العقيدة، المنطق، الشّعر)، خاصّة قصائده التي عُرف بها في مدح النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومن أهم أعماله هي بناؤه بيتًا للفقراء وللمتصوّفين و الإنفاق عليهم، ووافته المنية عام (956هـ 1549م)[2].

الشيخ محمّد بن أحمد بن أبي محمّد التّاذختي:

درس في بداية طلبه للعلم على يد أحمد بن عمر بن محمد أقيت[3] ثمّ رحل إلى بلاد السودان الغربي و استقر بمدينة تكدة[4]، أين التقى بالشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي فحضر جميع دروسه وأخذ عنه الكثير من العلوم أهمها(الفقه والحديث و المنطق و العقيدة)[5].

وصفه أحمد بابا التنبكتي بالفهم و الإدراك فقال: "شيخنا فقيهًا عالمِا علاّمة محقّقًا فهّامة محدثًا متفنّنًا رحّالة شهيرًا محصلاً نافذًا جيّد الخطّ والفهم، حسن الإدراك كثير النّزاع"[6]، واشتهر محمد التاذختي بكثرة أسفاره ورحلاته، حيث سافر إلى بلاد المشرق لأداء فريضة الحجّ وللأخذ عن شيوخها

[1] – فاس: تمتدّ من نهر أمّ الرّبيع غربًا إلى نهر ملوية شرقًا، و إختلف المؤرّخون حول مؤسّسها غير أنّ المعروف أنّ إدريس الثاني هو من أسّس فاس عام (192 هـ –808م). الحسن الوزّان، المصدر السّابق، ج1، ص 193.

[2] – ابن مريم: المصدر السابق، ص 288.

[3] – أحمد بن عمر أحمد بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحي التّكروري التنبكتي كان محافظًا على السّنة و مُحِبًا للنّبي صلى الله عليه و سلّم و كان يعتني بالعم و حافظًا له و أخذه عن جدّه لأمّه، بينما النّحو فأخذه عن خاله الفقيه المختار و لقي السيّوطي أثناء سفره للمشرق و حجّ عام (890 هـ –1485م)– التنبكتي، نيل الإبتهاج، ، ص ص 137–138.

[4] – تكدة: بلدة ببملكة أهير شمال أكذر – أحمد بلو، إنفاق الميسور، ص 74.

[5] – أحمد بلو: المصدر نفسه، ص 74.

[6] – التنبكتي، المصدر السابق، ص 587.

وفقهائها فأخذ علم الحديث رفقة الفقيه محمود[1]، ونبغ فيه حتّى أصبح من أشهر المحدّثين[2] ثم رجع و إستقرّ بكشنة ببلاد السّودان الغربي، وتولّى بها خطة القضاء، وتوفيّ محمّد بن أحمد التّاذختي سنة (936 هـ – 1529م).

عمر بن أحمد البكاي بن محمّد الكنتي بن علي[3]:

وُلِد عمر بن أحمد البكاي حوالي سنة (865 هـ –1460م)، و اشتهر بكثرة رحلاته وأسفارهمن أجل العلم ،درس في البداية على يد والده، ثمّ رحل إلى مصر وإلى بلاد الحجاز لتأدية فريضة الحجّ.

ثمّ سافر إلى بلاد التكرور واستقر بها، والتقى بالشيخ محمّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ولازمه لمدة طويلة وعملا معا علىنشر الإسلام وسط القبائل الوثنية، وإصلاح المجتمع السوداني ومحاربة العادات السيئة، ثمّ سافرا معا إلى بلاد المشرق لأداء فريضة الحجّ، وعند مرورهم بمصر إلتقيا بجلال الدين السيوطي[4]، ثمّ عادَا إلى توات فاخذ عمر بن أحمد البكاي عن شيخه المغيلي الكثير من العلوم العلوم أهمها (علم الحديث والفقه والمنطق والفرائض والعربيّة)، وعُرِفَ الشيخ بتأثُّره الكبير بشخصيّة

---

[1] – الفقيه محمود: هو محمود بن عمر بن محمّد أقيت بن عمر بن علي بن يحي الصّنهاجي وُلد عام (868 هـ /1463م) ، قاضي تنبكتو، تولّى القضاء سنة (904 هـ /1498م)، و توفي سنة (955 هـ /1548م) – التّنبكتي، المصدر نفسه، ص ص 607-608.

[2] – أحمد بلو: المصدر السابق، ص 74.

[3] –أحمد البكاي: جدّ قبيلة كنتة و هو ابن محمد الكنتي بن علي (ت 910 هـ – 1504م)- بول ماريتي، كنتة الشرقيون، تر: محمد محمود، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق،(د.ت)، ص ص 23-24.

[4] – السيوطي: جلال الدّين وُلِدَ بمصر عام (845 هـ –1441م)، طلب العلم بالحجاز و غيرها من المدن، مكث مدّة بكشنة و أكدز ، ثمّ رجع إلى مصر و درّس بها حتّى توفي سنة (911 هـ –1505م) و له العديد من المؤلّفات منها: الإتقان في علوم القرآن، تكملة تفسير القرآن لجلال الدّين المحلّي، طبقات الحفّاظ، حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة، تاريخ الخلفاء، لبّ اللّباب في تحرير الأنساب– السّيوطي، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، تح: جاد المولى بك و محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي، ج2، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط 1987من ص ص 640 –646– السّيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة، ج1، دار التراث، بيروت 1978 – الشيخاوي : ضوء اللاّمع، ج4، ص 65 – محمد بن احمد الحنفي بن إيّاس، بدائع الزّهور في وقائع الدّهور، ج4، تح: محمد مصطفى: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1983، ص 83 – ابن القاضي: لقط الفرائد، ص 534.

الإمام المغيليو تبنى الطّريقة القادريّة[1] في بلاد التكرور بعد وفاة محمد بن عبد الكريم المغيلي وعمل على نشر أفكار شيخه من أجل تثبيت قواعد الشريعة الإسلاميّة[2] وإصلاح أحوال بلاد السودان الغربي.

العاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي:

العاقب بن عبد الله الأنصمني من بلاد السودان الغربي من مدينة أكدز[3]، أخذ العلم في البداية على يد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني بمسجد الكرامة.

و أخذ عنه الكثير من العلوم أهمها (علم التّوحيد ،علم المنطق، علوم اللّغة ومختلف العلوم الشّرعيّة)، و أخذ أيضا ببلاد التّكرور عن جلال الدّين السيّوطي.

قال عنه أحمد بابا التنبكتي "فقيه نبيه ذكي الفهم حادّ الذّهن وقاد الخاطر مشتغل بالعلم في لسانه الحدّة"[4]،كان متأثرا بشيخه المغيلي وملازمًا له ببلاد السّودان الغربي، وحدثت له منازعات مع الحافظ مخلوف البلبالي[5]؛ وله تعاليق حول بعض مسائل خليل[6] في الفقه، ووضع أجوبة عن أسئلة أسئلة الأمير أسكيا الحاج محمّد.

---

[1] – القادرية: نسبة لعبد القادر الجيلاني من كبار الزّهاد، وُلِدَ بجيلان عام (471 ه –1078م)، انتقل إلى بغداد و تصدّر للإفتاء بها، تُوفي عام (561 هـ– 1166م)، ومن أشهر كتبه: الغنية لطالب الحق؛ خير الدّين الزّركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ج4، ط8، 1989م، ص47.

[2] – بول ماريّ: كنتة الشرقيون، ص – ص 32–33.

[3] – أكدز: قرية من بلاد السّودان الغربي عمرها صنهاجة، دُورُها متقنة البناء على نمط دور بلاد البربر، و في جنوب أكدز يُقْبِلُ النّاس على تربيّة الماعز و البقر – الحسن الوزّان: وصف إفريقيا، ج2، ص ص 171–172.

[4] – محمد بلو، المصدر السابق، ص 65.

[5] – مخلوف البلبالي بن علي بن صالح الحافظ : اشتغل بالعلم و أخذ عن ابن غازي ثمّ دخل بلاد السّودان الغربي و درس بها و رجع إلى مراكش و توفيّ بها سنة (840 ه –1426م) – التنبكتي، نيل الإبتهاج،(ط1، طرابلس 1986م)، ص 608.

[6] – خليل: هو خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب حامل لواء مذهب مالك في زمانه بمصر، ألّف شرح ابن الحاجب شرحًا حسنًا و مختصرًا في المذهب، توفي عام (776 ه –1374م) – التنبكتي،نيل الابتهاج، ص – ص 168–172.

إبراهيم بن عبد الجبّار الفجيجي:

تجهل المصادر التاريخية تاريخ ولادة ابراهيم بن عبد الجبار الفجيجي، إلا أنه بدأ تعليمه على يد أبيه عبد الجبّار، ثمّ رحل إلى مدينة فاس أين أخذ عن شيخ الجماعة محمد بن أحمد ابن غازي[1]، ثمّ سافر إلى تلمسان وأخذ العلم على يد الشيخ السّنوسي، وأخذ عن العالم جلال الدّين السّيوطي بعد هجرته إلى بلاد المشرق لأداء فريضة الحج.

ولما عاد إلى فجيج أصبح قاضيا بها ومُدرسا لمختلف العلوم، لكن الأوضاع أصبحت متدهورة في المنطقة، وتم قتل بعض العلماء فما كان على إبراهيم بن عبد الجبّار إلا الهجرة إلى بلاد السّودان الغربي، وفي طريقه إليها مرّ بإقليم توات والتقى بالشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأخذ عنه الكثير من العلوم أهمّها: العقيدة والحديث والمنطق، وساند الشيخ المغيلي في ثورته على اليهود لما أرادوا بناء الكنائس[2]، وهجا بقصيدته كلّ من عارض المغيلي خاصّة عبد الله العصنوني ثم سافر مع شيخه إلى بلاد السّودان الغربي واستقرّ بمملكة برنو وعمل على نشر الإسلام، وكانت وفاة إبراهيم بن عبد الجبار عام (954هـ - 1574م) [3].

6- مكانته العلميّة:

اشتهر الشيخ محمّد بن عبد الكريم المغيلي بمكانته العلمية الكبيرة بين معاصريه من الفقهاء والعلماء حيث نبغ في الكثير من العلوم الدينية كالفقه والتصوف والعقيدة، والعلوم العقلية كعلم المنطق، وما زاد من شهرته المناظرة الّتي جرت بينه وبين العالم "جلال الدّين السّيوطي"، الّذي رفض علم المنطق واِعتبره علم الكفّار ولا يجوز الاعتماد عليه في أمور الدين الإسلامي خاصة العقيدة فوقع بينهما سجال شعري حاول من خلاله محمد بن عبد الكريم المغيلي إقناع السيوطي بضرورة علم المنطق.

---

[1] – ابن غازي: محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي وُلد بمكناس سنة (841 هـ -1437م) شيخ الجماعة بها وخاتمة علماء المغرب، أنفق عمره في طلب العلم، ألّف في القراءات و الحديث و الفقه والعربية و الفرائض و الحساب والعروض و تخرّج على يديه عامّة طلبة فاس و غيرها وُلِدَ و توفّيّ بفاس سنة (919هـ -1513م)؛ التنبكتي ،نيل الابتهاج ، ص 581-583م.

[2] – عبد الله العصنوني ابن أبي بكر فقيه مارَس التّدريس و الإفتاء و القضاء بتوات لعدّة سنوات، و هو خصم المغيلي في نازلة يهود توات و توفي عام (927 هـ -1521م) – محمّد حجّي: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السّعدين، ص 631.

[3] – محمد حجّي: المرجع نفسه، ص – ص 512-513.

أما القضية الثانية الّتي أثارها في إقليم توات هي قضية اليهود الذين تمردوا على الأحكام الشرعيّة التي وضعها الإسلام و رغبتهم في بناء كنائس جديدة ولم يكتفوا بذلك بل ألحقوا الأذى بالمسلمين، وتحكموا في النشاط التّجاري بهذه المنطقة، فقرّر الشيخ المغيلي أنْ يُوفقهم عند حدّهم ويُلزمهم حدود أهل الذّمة في دار الإسلام وذلك بهدم كنائسهم مستشيرًا في ذلك علماء عصره من بلاد المغرب كالشيخ أحمد بن يحيى الونشريسي والإمام محمد بن يوسف السنوسي فساندوه في قضيته مما مكنه من تهديم كنائس اليهود وإخراجهم من إقليم توات[1].

7– رحلاتـــــه:

أ– رحلته إلى فاس:

ارتحل الشيخ المغيلي إلى مدينة فاس لكي يُناظر علماءها المعارضين له في نازلة اليهود[2]الذين أرادوا بناء كنائس جديدة لهم في أرض المسلمين ويقنعهم بضرورة إبعادهم وإخراجهم من المنطقة لأنهم نشروا فيها الفساد وآذوا المسلمين كثيرا، وبذلك فهم قد تعدوا على الحدود الشرعية.

لكن علماء فاس عارضوا المغيلي في رأيه، لكنه أصر على مناظرتهم وجها لوجه فرحل من توات إلى مدينة فاس، مُصطحبا معه مماليكه الخمسة الّذين اشتهروا بحفظهم المدونة.

واستقبل علماء فاس الشيخ المغيلي بكل مظاهر الإكرام والإجلال، وعند البدأ في المناظرة طالبا من الفقيه ميمون وأحد مماليكه أن يُكلّمهم في شأن نازلة اليهود بإقليم توات رفض العلماء الكلام مع الفقيه ميمون و رجعوا إلى ديارهم و هم غاضبون[3].

[1] – عبد القادر زبادية، التلمساني، محمد بن عبد الكريم المغيلي بعض آثاره و أعماله في الجنوب الجزائري و بلاد السّودان، مجلّة الأصالة، ع26، 1975، ص 210-211.

[2] – محمد بن رمضان شاوش و الغوثي بن حمدان: إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، م1، ط1/1422هـ/2001م، ص 370.

[3] – إسماعيل ميقا، الحركة العلمية و الثقافية و الإصلاحية في السودان الغربي من القرن 5م إلى القرن 12هـ، د.ت، مكتبة الثورة، ص 117-118.

ووشوا به عند سلطان فاس"محمد الشيخ الوطّاسي"،وطلبوا من السلطان أن يأخذ حذره من الشيخ المغيلي، حين يدخل عليه و يتكلّم معه على نصرة الدّين،و في مسألة اليهود فأجابه السّلطان بأنّه يريد التعدي على هذه الدّيار،واتهموه بأنه يريد شرا بمدينة فاس وعليه قصد غيرها فخرج الشيخ المغيلي غاضبا،و قرر الهجرة إلى بلاد السودان الغربي ليعلم ويدرس وينشر أفكاره ويُصلح المجتمع السوداني[1].

ب– رحلته إلى بلاد السّودان الغربي:

رحل الشيخ المغيلي إلى بلاد السودان الغربي من أجل نشر أفكاره الإصلاحية، ونشر التعاليم الصحيحة للدين الإسلامي و المساهمة في ازدهار الحركة الفكرية و العلمية عن طريق التعليم كما ذكرنا سابقا.

ووجد الرغبة لدى سكان بلاد السودان في التغيير واستعدادهم لتقبل الدّعوة في الإصلاح فبدأ المغيلي في حركته الفكرية، ويفتي للأمراء و ملوك البلاد بما يتماشى وفق منهج التعاليم الإسلامية الصّحيحة[2].

و ذكر ابن مريم في البستان رحلة الشيخ المغيلي ببلاد السودان الغربي قائلا:"ثم رحل إلى بلاد اهير و دخل بلدة تكدة ثم دخل بلاد كشن (كتسينا)، واجتمع بسلطان كانو...ثم إلى بلاد التكرور، فوصل إلى بلاد كاغو(كوكو أو غاو)، و اجتمع بسلطانها أسكيا محمد...و بلغه هناك خبر قتل ولده وارتحل لتوات فأدركته المنية بها"[3].

[1] – سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 47.

[2] – بُودواية مبخوث، أعلام السّودان الغربي بين القرنين 9 و 10هـ، ص 179.

[3] – ابن مريم،المصدر السابق،ص155.

اتّجه الشيخ المغيلي إلى بلدة تكدة و استقر بها و اجتمع بأمرائها، و مكث مع أهلها مدّة من الزّمن و نشر العلم بين أهلها، و بنى مسجدا في قرية أباتول شمال شرق أجاديس، حيث أخذ يُدرّس أهالي المنطقة، و من الّذين حضروا دُرُوسه الفقيه محمد بن أحمد بن أبي محمد التّاذختي[1].

ثمّ انتقل إلى كانو، و اتّصل بأميرها "محمد يعقوب" و كتب له رسالة سمّاها "تاج الدّين فيما يجب على الملوك و السّلاطين"، أرشده فيها إلى الالتزام بالأحكام الإسلامية الصحيحة في حكمه فاتّخذه مستشارا له و ولاه القضاء، و بدأ ينشر المفاهيم الإسلاميّة الصّحيحة و يعمل على تثبيتها في نفوس الأهالي فغادر كانو إلى كشنا و منها إلى مملكة سنغاي فوصل عاصمتها و التقى بحاكمها الحاج محمد الأسقيا الكبير، فرحّب به و جعله مستشارا له، و بهذا اشتهر المغيلي و ذاع صيته في كلّ أنحاء بلاد السّودان الغربي و احتل مكانة مرموقة لدى عامة الناس و خاصتهم[2].

8– مؤلفاته:

خلف الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني العديد من المؤلفات نذكرها كالتالي:

– مخطوط: (سراج الأرواح أو أسس السعادة)، ألَّفَهُ الشيخ المغيلي وبعث به إلى الشّيخ السنوسي والشّيخ ابن غازي يدور حول المعاملات و العلاقات الإنسانيّة، وأثنيا عليه بعد قراءته و هو لا يزال مخطوطا يوجد بمكتبة الإمام المغيلي بزاوية الكنتة.

– مخطوط: (البدر المنير في علوم تفسير القرآن الكريم)، موجود بمكتبة الشيخ المغيلي بزاوية كنتة.

– شرح خليل و هو بعنوان (الوجيز الكافي للرّجل الزكي) ،مخطوطة نسخت عدّة مرّات لما تحتويه من الهوامش و الإضافات توجد بمكتبة مركز الأبحاث بأدرار.

[1] – عمّار هلال، الطرق الصّوفيّة و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا السّمراء، منشورات وزارة الثقافة و السياحة، ص 74.

[2] – الصّديق حاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11ه/14 ه (17م/20م)، ص 155.

– مخطوط: (تفسير تأويلي للسّور الأولى من القرآن)، مكتوب على صفحات مزدوجة لا يزال موجودا بمكتبته بزاوية كنتة[1].

– مخطوط: (منح الوهاب في ردّ الكفر إلى الصواب) و هو عبارة عن أرجوزة تدور حول المنطق درسها لتلاميذه و حظيت باهتمام كبير من طرف المتتبعين لأفكار المغيلي وتوجد بمكتبة تمنطيط و بمركز أحمد بابا التنبكتي بمالي.

– مخطوط (تنبيه الغافلين من التصرفات للمنافقين الطامعين في التمتع من اِمتياز المتأملين)، يوجد بمكتبة مركز الأبحاث و الدّراسات التاريخيّة.

– مخطوط بعنوان (شرح على البيع على حدّ ابن الحاجب) تحدث فيها عن آراء ابن عبد السّلام و خليل توجد المخطوطة بمركز الأبحاث و الدّراسات التاريخيّة أدرار[2].

– مخطوط بعنوان (ملخّص تلخيص المفتاح) مرفوق بتعليق في البلاغة يوجد بالخزانات التواتية و بمكتبة بزاوية الكنتة.

– مخطوط بعنوان (ما يُلغي الوضُوء و السُبل الّتي تُؤدي إلى البيع على حدّ خليل) وهو مخطوط مختصر يوجد بمكتبة تمنطيط.

– مخطوط بعنوان (إتباع الشّرع و الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر) رسالة وجّهها الشيخ المغيلي إلى أمير كَانُو (أبو عبيد الله محمد).

– مخطوط بعنوان (شرح على جمل الخونجي) بعنوان (الفهرس في المنطق) توجد بخزانة تمنطيط و بمكتبة الشيخ باي بلعالم.

– مخطوط بعنوان (علوم السنّة) تحدث فيها عن آراء و أفكار مطروحة في مؤلّف النووي (التقريب).

– مخطوط بعنوان (مدخل شرح الفهرس) توجد بمكتبة لمطارفة[1].

[1] – أمين الطيبي، مراجعة كتاب أجوبة المغيلي عن أسئلة الحاج الأسقيا، مجلة كلية الدعوة الإسلاميّة، العدد 3، ليبيا، 1986م، ص 337.

[2] – أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 340.

– مجموعة قصائد شعريّة تحتوي على عدّة فصول لجمل الخونجي جمع فيها كلّ التوضيحات المرغوبة.

– شروح لقصائده، وقد ألّف هذه القصائد وجمع فيها كلّ التوضيحات المرغوبة توجد في مكتبته بزاوية الكنتة.

– فهرس نوه فيه بأساتذته و العلوم الّتي دَرَسَها عليهم، و يعالج فيه طرق الدّراسة يوجد بمكتبة المطارفة[2].

– شرح مدخل لخليل: مخطوط بمكتبة تمنطيط.

– مخطوط بعنوان (أجوبة المغيلي عن أسئلة محمد أسكيا الكبير) في مجموعة نسخ منها:

– نسخة كتبها ابن محمد أسكيا الكبير من المركز الثقافي من نيجريا.

– نسخة بالعربيّة من الولايات المتّحدة الأمريكيّة ترجمها للانجليزية الدكتور جون هنويك.

– النسخة المحقّقة من طرف الأستاذ عبد القادر زبايدية.

– صورة من النسخة المتواجدة بالمكتبة الوطنية بباريس و المسجّلة تحت رقم 5259 تحتوي على 47 ورقة حقّقها الأستاذ عبد القادر زبايدية.

– (مقدمة في اللّغة العربيّة) مخطوط بمكتبة تمنطيط.

– مجموعة أشعار أهمها (الميمية) الّتي مدح فيها النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم عندما وقف على قبره، قافيتها (الميم) وزنها و ميميتها على شكل البردة للبصري[3].

– مخطوط بعنوان (مغني النبيل في شرح مختصر خليل) لم ينته منه حيث وصل فيه إلى القيم بين الزوجات، و له حاشية عليه سماها (إكليل معنى النبيل) بمكتبة أقبلي.

– كتاب الفتح المبين يوجد بمكتبته بزاوية كنتة.

---

[1] – عزّ الدين العلام، السلطان بين السياسة و العمران، مجلّة الوحدة، شهريّة تصدر عن المجلس القومي للثقافة العربية، المغرب، العددان 46–47، يوليو أغسطس 1988م، ص 102، ص 1909

[2] – أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 330.

[3] – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 330.

–كتاب (رسائل مصباح الأرواح في أصول الفلاح) ، حقّقها الأستاذ رابح بونار.

– مخطوط بعنوان (مفتاح النظر في علم الحديث).

– مخطوط بعنوان (هدية الأسرار بلسان الأنوار) تدور حول أحوال النّاس ببلاد السودان توجد بمكتبة تمنطيط.

– مخطوط بعنوان (جزية أهل الذمّة)، توجد بالخزانة العامّة بالرباط مسجّلة تحت رقم: 20/30.

– مخطوط بعنوان (رسالة في الردّ على المعتزلة في اعتقاداتهم الفاسدة) ، حقّقها الدكتور عمار طالبي توجد نسخة منها بمركز الأبحاث التاريخيّة بأدرار[1].

– مخطوط لجواب عن السؤال (حول قبائل في آخر الصحراء لا تنالهم أحكام الأمراء يتّخذهم اليهود أخلاء و يلقبونهم بالغلائف)، توجد بمكتبة تمنطيط و تدور حول الجزية و ما يجب على المسلم مع الكفار.

– مخطوطة بعنوان (المغروض من علم الفروض) يدور حول علم الميراث و الورثة من الذكور، و الإناث، توجد بمكتبة الشّيخ باي بأولف.

– مخطوطة بعنوان (ما يجب على المسلمين من اجتباب الكفار، و عما يلزم أهل الذمة من الجزية و الصغار) تحتوي على ثلاثة فصول و هي:

الفصل الأوّل: بعنوان ما يجب على المسلمين من اِجتناب الكفار.

الفصل الثاني: بعنوان فيما يلزم أهل الذمّة من الجزية و الصغار

الفصل الثالث: بعنوان فيما عليه يهود هذا الزمان[2].

– مخطوط بعنوان (المختصر في علم الفرائض) تدور حول بيان من يرث و من لا يرث وما لكلّ من الورثة و في كيفية فتح التركة بمكتبة بزاوية الكنتة[1].

[1] – يحي بوعزيز، طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى، مجلة الثقافة، (سبتمبر، أكتوبر)، 1986م، ص ص 13-14.

[2] – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 126.

ركز الشيخ المغيلي في مؤلفاته على الفقه المالكي بحكم مذهبه،خاصة على المعاملات و ظهر اهتمامه جليا بأمور الفتوى في السياسة الشرعية و هذا ما يؤكد الطابع العلمي لدى المغيلي و اهتمامه بالعلاقات الاجتماعية للمسلمين.

9– وفاة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي:

اتفقت معظم المصادر التاريخية التي أرخت لوفاة الشيخ المغيلي، أن المنية وافته في ظروف مجهولة عام (909هـ–1503م) [2]، وهو تاريخ مناسب إذا ما قيس بالأحداث المشهورة التي رافقت حياته.

إلا أن ابن القاضي أرجع تاريخ وفاته إلى سنة 820 هـ[4]، و هو تاريخ بعيد عن الصحة لأن أعمال المغيلي و أنشطته لم تبدأ عند هذا التاريخ فضلا عما قبله.

و جعله ابن عجيبة إلى" أول العشرة الثانية بعد القرن الألف"[3]، حدود 866هـ، وجعله حاجي خليفة عام 910هـ[2]، وأرجعه ابن عسكر نحو "أول العشر الثانية "من القرن العاشر[3].

---

[1] – مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، من خلال المصادر و الوثائق التاريخيّة، ص 125.

[2] – ابن مريم، البستان،ص255.

4–أحمد ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال،تح:محمد الأحمدي أبو النور،المكتبة العتيقة، تونس، دار التراث، القاهرة، ص285.

[3] ––أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي،شرح التبيان في علم البيان ،تح:أبو أزهر بلخير هاني، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت،1971 ،ص69.

2 حاجي خليفة،كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون دار الكتب العلمية ،بيروت،1992،ص845.

3–محمد ابن عسكر الحسني الشفشاوني،دوحةالناشرلمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر،تح:محمدحجي،دار المغرب للترجمة و النشر،الرباط،ط 1976،ص132–

4–محمد الطمار،المرجع السابق،ص235.

5–أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي،المصدر نفسه،ص69.

6––المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

أما محمد الطمار ذكر تاريخ الوفاة في "فاتحة القرن العاشر"[4]، أما جون هنويك فجعله عام (940هـ_1533م) [5]، وجعله محمد الطيب بن عبد الرحمن التمنطيطي في القول البسيط في أخبار تمنطيط سنة(959 هـ-1551م)[6]، فاختلافات الباحثين حول تاريخ وفاة المغيلي كثيرة إلا أن التاريخ القريب من الصحة هو عام(909هـ-1503م).

ثانيا: دور الشيخ المغيلي بإقليم توات:

1- نشر التعليم بإقليم توات

تمتعت منطقة توات بحياة فكرية وثقافية مزدهرة خلال القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، فكانت تضيء كل الصحراء بنور المعرفة، مما أدى إلى تطور الحضارة الإسلامية بهذه المناطق القريبة من بلاد السودان الغربي.[1]

وتأثر إقليم توات بمدينة تلمسان التي كانت تعج بالفقهاء و المفسرين والكتاب و المحدثين والشعراء، وكان للدراسات الكلامية والفقهية النصيب الوفير والعناية الكبيرة من طرف العلماء وطلبة العلم.

ولما قدم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني إلى إقليم توات، بدأ في نشر العلم والمعرفة،و كان يُلقي الدروس بزاويته التي حملت اسمه "الزاوية المغيلية"، وأيضا بمساجد المنطقة ولم يكتف بذلك بل نشر العلم ببلاد السودان الغربي لما حل بها و درس بمسجد بأكدز، فتوافد عليه الطلبة من جميع البلدان لينهلوا من العلوم التي نبغ فيها و أهمها:اللغة و العلوم الدينية و علم المنطق.

اللغة:

كان الطلبة في بداية تحصيلهم العلمي يهتمون بتعلم اللغة العربية، ولا يستطيع الطالب الانتقال إلى علم اخر إلا إذا أتقنها بشكل جيد، و لكي يتمكن الطلبة منها كانوا يحفظون قصائد شعرية تعود إلى العصر الجاهلي، وصدر الإسلام ليتعودوا على اللغة الفصحى، ثم يتطرقون إلى الجانب الجمالي كالشعر ويفهمون معانيه، و وضع الشيخ المغيلي لتلاميذه مقدمة في العربية أثناء وجوده بتوات.[2]

نظرا لأهمية اللغة في فهم العديد من العلوم،وبذلك فإن اللغة العربية هي أول المواد الواجب على الطلاب إتقانها معتمدين في ذلك على بعض المتون ليسهل عليهم حفظ قواعدها، ومن علوم اللغة التي نبغ فيها المغيلي:

–الشعر :

وجه الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي نصحه لسكان إقليم توات عن طريق شعره،و تطرق في أبياته الشعرية إلى حادثة يهود توات التي كان لها صدى كبير في حياته،لأنهم ألحقوا الأذى بالمسلمين

(1) عبد الحميد حاجيات، الحركة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان،مجلة الأصالة، العدد26 ،الجزائر،1975م،ص155.

(2) تعتبر من مؤلفات المغيلي المفقودة إلى يومنا هذا.

و تعدوا حدودهم،و أثناء ثورته مع يهود توات لاحظ أن بعض سكان المنطقة ناصروا اليهود ووقفوا في وجهه، فألف قصيدة قال فيها[1]:

تنبه فإن الله منك بحرصـــــــــه ولي لأنصـــــــار النبي محمـــد

تنبه لما ترضى وتكره في العــدى ترى حكم من يحمي عدومحمد

عدوك من يحمي عدوك في الورى فيا ويل من يحمـــي عدو محمد

عدوك من يرضي عدوك في الورى فيا ويل من يرضـــي عدو محمد

أترضون أن يحمي خبيث عدوكـم كما أنتم تحمـوا عـــــدو محمد

أترضون أن يأوي خبيث عدوكـم كما أنتم تأووا عـــــدو محمد

أترضون أن يرضي خبيث عدوكم كما أنتم ترضـــون عدو محمد[2]

و هجى الشيخ المغيلي أنصار اليهود الذين ينصرون اليهود قائلا: [3]

برئت للـــــــرب الودود من قرب أنصـــــار اليهود

قوما أهانـــــــوا دينهم وأكرموا ديـــن اليهـــــود

يكفي الفتى من شيـنهم وخبث أصـــــل صنعهم

إن قطـــــعوا من دينهم ورفعـــــوا دين اليهـــــود

يا ليتهـــــــم لو دبروا واسترجـــــعوا واستغفروا

[1]– أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص 190، نقلا عن: المغيلي، قصيدة في يهود توات وأنصارهم ، مخطوطة ضمن مجموع بالخزانة العامة، بالرباط، رقم 683.

[2]- أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص190. .

[3]- المرجع نفسه، ص191 .

وســـــــتروا ما أظهــروا من نصرهـــــم رهط اليهود

ألم تروا كيـــــــف قضى رب الورى فيمـــــــــا مضى

أنى يفوز بالـــــــــرضى من رضيـــــــــت عنه اليهود[1]

حاول الشيخ المغيلي من خلال شعره إقناع أنصار اليهود بأن باب التوبة لا يزال مفتوحا بعد أن يندموا على أفعالهم ويذكرهم أن الشخص الذي ينصر أعداء الله فعقابه شديد في الآخرة وقال في هذا الشأن:

في حب النبي يقتضي بغض اليهود فاندم على ما قد مضى لا تعــود

كيف يا من قرب أعـــــــداء النبي في القبر والحشر إلى نـــــار الوقود

من ذا الذي يشفع فيـــــه إذا دنت من وجهه الذي أرضى به اليهـود[2].

و تطرق الشيخ المغيلي أيضا في شعره لتقديم النصائح التي يحتاجها المسلم في حياته بهدف إصلاح المجتمع، وأوصى المرء باختيار الصديق الجيد والابتعاد عن صديق السوء، لأن الصديق له تأثير كبير على شخصية الفرد فقال المغيلي في هذا الصدد :

إذا قرب الإنســـــان أخيار قومه وأعرض عن أشرارهم فهو صـــــالح

وإن قرب الإنســـــان أشرار قومه وأعرض عن أخيارهم فهو طـــــالح

وكل امرئ ينبئك عنـــــــه قرينه وذلك أمر في البرية واضـــــــــح[3]

وقال أيضا:

[1]- رسالة إلى كل مسلم ومسلمة ، و9و.

[2]- رسالة إلى كل مسلم ومسلمة، و3و.

[3]- المغيلي ، مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، ص 30- 39 .

حبيبي من يعــادي من نعادي ويشفي ما بقلبي من الأعـــــــادي

ويعلي رايــتي بين البـــــــرايا ويفني عن هواه في مـــــــــــرادي[1] .

فالمغيلي يُوضح في هذه الأبيات بأن الصديق الحقيقي هو الذي يعادي أعداءك، فشعره يقع في النفوس موقعا حسنا و له تأثير كبير لأنه يجمع بين الحكمة والموعظة والنصح.

ويوصي المغيلي في أبيات شعرية أخرى على طاعة الله والرسول، واتباع أولي الأمر وطاعتهم لأن طاعتهم من طاعة الله ورسوله،كما وجب على أولي الأمر أن يكونوا طائعين لله متبعين لأوامره ومجتنبين لنواهيه فقال:

أطع اله العالمين والرســـول ثم أولي الأمر ودع رأي الجــهول

طاعة ذي الأمر أمان وقبول في الدين والدنيا وعز ووصـــول[2]

ومن التصرفات غير اللائقة و التي لاحظها الشيخ المغيلي في أوساط التواتيين"النميمة" التي تُفسد العلاقات بين الأفراد و تُهدمها فحاول الشيخ نبذها و القضاء عليها من خلال توجيه الأبيات الشعرية للسكان فقال :

كم خرب النمام من قصر مشيده بشفتيه لأنفـــــــاس من حديد

فابعد النمام عنك من بعيـــــده كم سفه النمام من عقل رشــيد[3]

لما ذكر الشيخ المغيلي تخريب القصور، لم يقصد القصور المبنية بالحجارة وإنما قصور الأعمال الصالحة التي بنيت بالحسنات،كما نصح بالابتعاد عن الأشخاص النمامين وعدم مصاحبتهم فهم

[1]- المصدر نفسه ، ص 31 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 21.

[3]- المغيلي ، مصباح الأرواح ، ص 15

يتصفون بصفات سيئة كالإحتيال و الكذب و عملهم تسفيه عقول الناس وجاء في المثل " من أطاع الواشي ضيع الصديق "[1].

و وصف الشيخ المغيلي في قصيدة من قصائده الزمن الذي كثرت فيه البدع والخرافات وتمسك الناس بها على الرغم من أنها منافية لتعاليم الدين الإسلامي، وابتعادهم عن السنة فاتبعوا أهواءهم وميولهم، ولا يحضرون لأهل العلم و يستمعون وينتفعون بهم بل يُسارعون لأهل الجهل والبدع ومدعي الفضيلة فقال في هذا الصدد:

صفة أهل الجهل في هذا الزمان الترك للحق وقلة الأمـــــان

إذا دعوا للحـــــــق والعبادة قالوا بلى طريقنا بالعـــــادة

والأمر بالمعروف عندهم غريب واتباع السنة عندهـــم معيب

ويسمح الجور من أهل الفضل ويبغض الحق من أهل العلم[2].

ويتضح من خلال أشعار الشيخ المغيلي أن له أسلوب بارع و جيد في الإقناع وهذا ما تدل عليه آثاره فقد تمكن في وقت قصير من تغيير الكثير من العادات السيئة التي حلت بإقليم توات وتغيير مجريات الأحداث بالمنطقة، فبعدما كان السكان يخضعون للجماعة وبكل ما تحتويه من سلبيات والعمل على تحقيق المصالح، أصبح ولاؤهم للحق و أصبحت الأحكام بين الناس وفق التعاليم الشريعة الإسلامية[3]، ولم يتمكن الشيخ المغيلي من الوصول إلى هدفه إلا بعد إثبات شخصيته القوية القادرة على الإقناع من خلال طريقته المؤثرة وأسلوبه السهل .

– الأمثال والحكم :

[1]- ابن مرزوق التلمساني ، المسند الصحيح الحسن ، ص299 .

[2]- أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص 198.

[3]- أحمد الحمدي ، المرجع السابق ، ص198.

عُرف عن الشيخ المغيلي استعماله للأمثال والحكم، بألفاظ جزلة وقوية وجمل متناسقة متجانسة بهدف تقريب المعنى للسامعين ومن أشهر حكمه "الفكرة سراج القلب"[1]، ومعناها أن الفكرة كالمصباح المنير بالنسبة للقلب المهموم .

ويقول كذلك "أكتم سرك عن غيرك حتى تتمكن من أمرك "[2]، فهو يوصي بكتمان السر خاصة بالنسبة للأمراء الذين يحيطون بهم العديد من الأشخاص و قد يكون فيهم من لا يحب الخير للملكة و يريد بها شرا ويقول أيضا " الكرم روح السلطنة والبخل نفس الشيطنة "وهو بذلك ينصح السلطان بأن سخاء الملك على نفسه مع البخل على رعيته عيث وفساد لمملكته، وشبه المغيلي الأمير الغافل عن عماله وتركهم له يظلمون الرعية ويختلسون أموال بيت المال بأنه :"كماسك قرون البقرة لحالبها"[3]، فأمثال وحكم الشيخ المغيلي دليل على تمكنه من اللغة.

– الخطابة:

كان الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي خطيبا معروفا بإقليم توات، وكان الخطيب بهذه المنطقة عادة ما يكون عالما أو خطيب مسجد أو مدرسا للقرآن الكريم، وكان للشيخ مهارة كبيرة في الخطابة وخير دليل على ذلك تمكنه من إقناع سكان توات بضرورة تغيير الأوضاع بالإقليم وتحذيرهم من مناصرتهم لليهود والسماح لهم ببناء بيع جديدة، وفي هذا الصدد يقول :"لا يفتي بتقريرها إلا دجال وتهدم وإن أدى إلى قطع الرؤوس ومن مات يريد هدمها فهو من أهل الجنة ومن لم يُرد فهو من أهل النار هذه الجنة وهذه النار –يُشير إلى مكانين من الأرض–، من هدمها فله الجنة ومن حماها فله النار

[1]- المغيلي ،مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، ص 5.

[2]- أحمد العلمي حمدان ،استنصاح السودان ، ص 101.

[3]- أحمد الحمدي، المرجع السابق ، ص 189.

هذه محبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهذه محبة اليهود فاختاروا أيها شئتم"[1]، والملاحظ في خطبة الإمام المغيلي استعمال أسلوب الترغيب والترهيب و وضوح الأفكار وبساطتها[2].

و اعتمد المغيلي على الخطابة لأنها وسيلة قوية للتأثير على الناس أو على القبيلة معتمدا على كلام الله ورسوله و كان هدفه الوعظ والنصح و الإرشاد.

في كتابات الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي نجد كلاما خالصا وجمل متناسقة وكلمات سهلة النطق خفيفة على اللسان .

فيقول المغيلي: "لو أنك أطلعت على حبيب من أحبابك قد قرب عدوا من أعدائك لكرهت ذلك منه ونفر قلبك عنه ولا تقبل منه عذرا حتى يبعد عنه أعداءك "[3].

فنلاحظ بساطة الألفاظ وسهولة فهم معانيها وأثناء قراءة هذه الألفاظ لا نحتاج إلى قواميس اللغة أما حديثه فهو غير مبتذل لأنه يستعمل الكلمة في مواضعها ولا يتناول سخيف المعنى للكلمة فهو يشير إلى الشيئ مما يجعل السامع يفهم مقصوده دون التصريح به .

- **التصوف:**

ازدهر تيار التصوف ببلاد المغرب الأوسط خاصة بمدينة تلمسان وبقوة منذ نهاية القرن(6 هـ/ 12م)، بعد انتقاله من ظاهرة دينية إلى ظاهرة اجتماعية، كما نال المتصوفون احترام السلاطين واهتمامهم، واحتلوا مكانة كبيرة في قلوبهم[4].

وظهر الكثير من المتصوفين والزهاد والعلماء الذين صنفوا فيفي هذا المجال وأشهرهم الشيخ "محمد عبد الكريم المغيلي التلمساني" (ت 1503/909م)، الذي أخذ علم التصوف على يد شيخه عبد

[1]- الونشريسي ،المعيار ،ج2 ،ص216

[2]- أحمد الحمدي ،المرجع السابق ،ص 186

[3]- المغيلي ، مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، ص 31

[4]- عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 387 .

الرحمان الثعالبي، ثم أكمل دراسته ببجاية على يد أصحاب أبي العباس الوغليسي[1]، فكان تصوفه من طابع خاص التزم فيه بالكتاب والسنة.

وألف كتابا بعنوان"تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين"[2] وهو نقد لكل من ادعى التصوف في عصره[3]، واعتبر سكان بلاد السودان الغربي المغيلي شيخهم في التصوف بعد أن أسس زاويته التي تعد مركزا هاما للدعوة و الإصلاح لنشر الدين الإسلامي.

لقد ركز الشيخ المغيلي في تصوفه على تربية النفس وجهادها وتهذيب الأخلاق وإصلاحها وانتقد العزلة المؤدية إلى إهمال أمور الحياة، والعمل على محاربة أدعياء العلم، والدفاع عن الإسلام ومحاربة أعدائه، كما حث على الجمع بين العلم والعمل.

– المنطق:

رفض بعض العلماء المسلمين علم المنطق ومنعوا تعلمه أو تدريسه كما عملوا على إبعاده عن أمور العقيدة لأنه لا يتطابق معها، لكن بعض العلماء شجعوا على دراسته أمثال الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، وعمل على توضيح فوائده، كما ألف في هذا العلم مجموعة من علماء المغرب الأوسط وحثوا على تعلمه أمثال "محمد بن يوسف السنوسي"الذي ألف عدة مصنفات في المنطق ومنها: شرح البقاعي وشرح مختصر ابن عرفة[4]، وألف "محمد بن عبد الكريم المغيلي"مؤلفات في شرح جمل

[1]- الكنتي، "الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي "، ص 04.

[2]- لا يزال هذا الكتاب من كتب المغيلي المفقودة .

[3]- الوفد المالي "الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي " ، أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار ، ص 33.

[4]- التنكبتي ، المصدر السابق ، ص 329 .

الخونجي[1]ومقدمة في علم المنطق ومنظومة فيه سماها "منح الوهاب " وكتب ثلاثة شروح عليها؛ وشرح محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد[2]، وشرح سعيد العقباني[3].

واعتبر المغيلي علم المنطق من العلوم العقلية المساعدة على فهم الكثير من المسائل التي تعترض الفرد، لكنه وقع في خلاف مع"جلال الدين السيوطي" الذي اعتبر هذا العلم كفر لأنه يُشكك المسلمين في عقيدتهم، فوجب الإبتعاد عنه خاصة في أمور الدين فقامت بينهما مناظرة وهي عبارة عن قصيدة جاء فيها ما يلي :

سمعت بأمر ما سمـــــعت بمثله وكل حديث حكمه حكم أصله

أيمكن أن المرء في العـــلم حجة وينهي عن الفرقان في بعض قوله

هل المنطق المعـــني إلا عبـــارة عن الحق أو تحقيقه حين جهله

معانييه في كل الكلام وهل ترى دليلا صحيحا لا يرد لشكـــله

أرني هـــــــداك الله منه قضية على غير هذا تنفـــها عن محله

ودع عنك ما أبدى كفور وذمه رجـــال وإن اثبت صحة نقـله

خذ الحق حتى من كفور ولا نقم دليلا على شخص بمذهب مثله

عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن به لا بهم إذ هم هداة لأجـــله

لئن صح عنهم ما ذكرت فكم هم وكم عالم بالشـــرع باح بفضله[4]

---

[1]- هو محمد بن نامارو بن عبد الملك الخونجي الشافعي نزيل مصر (ت 646هـ -1247م) من مؤلفاته أدوار الحميات في الطب، الجمل في مختصر نهاية الأمل في المنطق ، شرح مقامة ابن سينا في النبض ، الموجز في المنطق ،كشف الأسرار عن غوامض الأوكار في المنطق –شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، سير أعلام الشلاء ، ج 16، تح ، خيري سعيد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، (د ت) ، ص 469 .

[2]- ابن مريم، السبتان ، ص 211 .

2-المصدر نفسه، ص212.

3- التنبكتي، نيل الابتهاج، ص579 .

فأجابه السيوطي بقصيدة نظمها للرد على المغيلي معارضا له،كما أبدى فيها تعجبه من العلماء الذين يشجعون على دراسة علم المنطق باعتباره من علوم الكفار، ولا يجوز للمسلمين العمل به ودافع عن كتابه الذي صنفه في تحريم علم المنطق وجاء في رده عليها :

حمدت إله العرش شكرا لفـضله وأهدي صلاة للنبي وأهلـه

عجبت لنظم ما سمـعت بمثـله أتاني عن حبر أقر بفضـله

تعجب مني حين الفت مـبدع كتابا جموعا فيه جـم بنقـله

أقرر فيه النهي عن علـم المنطق وما قاله من قال من ذم شكله

وسماه بالفرقـان يا ليت لم يقـل فذا وصف قرآن كريم لفـضله

وقد قال محتـجا بغير روايـة مقالا عجيبا نائيـا عن محله

ودع عنك ما أبداه كفور وبـعد ذا خذ الحق حتى من كفور بختلة

وقد جاءت الأثار في ذم من حوى علوم يهود أو نصارى لأهـله

يجوز به علما لديـه وإنـه يعذب تعذيبا يليـق بفـعله

وقد منع المختـار فاروق صحبه وقد خط لوحا بعد توراة أهله

وكم جاء من نهـي اتباع لكافر وإن كان ذاك الأمر حقا بأصله

أقمت دليلا بالحديث ولم أقـم دليلا على شخص بمذهب مثله[1]

[1]- التنبكي ، المصدر السابق ، ص 332 . ابن مريم ، المصدر السابق ، ص 257 . المغيلي ، مصباح الأرواح ، ص 17 .

لقد ترك الشيخ المغيلي العديد من التلاميذ في منطقة التكرور وبلاد السودان الغربي الذين تعلموا منه علم المنطق وقاموا بتعليمه أمثال"محمد بن عمر بن محمد أقيت"الذي قام بشرح "منهج الوهاب"، وهو من جملة المتون المقررة على الطلبة بإقليم توات وبلاد السودان.

– التاريخ:

اهتم الشيخ المغيلي بعلم التاريخ،واحتوت مؤلفاته على العديد من المعلومات التاريخية المتعلقة بتاريخ منطقة توات وبلاد السودان الغربي،فقد ذكر مملكة سنغاي في عهد "سني علي"و"الحاج أسقيا محمد" ودوره في محاربة العادات السيئة بهذه الأقاليم[1].

كما وضع المغيلي فهرسة يذكر فيها شيوخه الذين أخذ عنهم مختلف العلوم وما درس عليهم من مؤلفات وصفاتهم وأخلاقهم وطرقهم في التدريس وحلقاتهم العلمية[2].

وتوجد في مؤلفات المغيلي الكثير من الأحداث التاريخية نتيجة كثرة رحلاته وأسفاره، وأهمها حادثة اليهود بإقليم توات وتزايد عددهم بعد أن تم طردهم من الأندلس من قبل المسيحيين الإسبان ووصولهم إلى مناصب عليا في البلاد ورغبتهم في بناء كنائس خاصة بهم بإقليم توات، وتعديهم على الحدود الشرعية وإذاية المسلمين بالمنطقة رغم المعاملة الحسنة التي عاملوهم بها[3].

2– إخراج الشيخ المغيلي لليهود من إقليم توات:

[1]- عبد الحي الكتاني ، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات ، تح: احسان عباسي ، ج 2، ط2 ،دار العرب الإسلامي ، بيروت ، 1982، ص 573

[2]- محمد المنوني ، المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث ، ج 1،مؤسسة النشر بدار البيضاء، 1983،ص ص 137-136

[3]- المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

تواجد اليهود بمدينة تلمسان حاضرة بلاد المغرب الأوسط، وفي بعض مدنه الأخرى، وفي جنوبه كمنطقة توات منذ عصور قديمة، وتضاعف عددهم في العهد الزياني بعد تعرضهم للاضطهاد المسيحي بالأندلس فهاجروا إلى بلاد المغرب فارين بحياتهم من البطش و التقتيل.

و كان استقرارهم بمنطقة توات التي اشتهرت آنذاك بأنها مفترق الطرق التجارية بين مدينة فاس وتلمسان ومارسوا نشاطهم المعتاد ألا وهو التجارة التي اشتهر بها أجدادهم منذ العصور القديمة ولعبوا دور الوسيط التجاري بالإقليم مع مختلف التجار القادمين من كل بلد و واصلوا نشاطهم واستمروا على هذا الحال حتى أصبحوا من أثرياء وأغنياء إقليم توات[1].

ومن أهم الصناعات التي اشتهروا بها في توات صناعة الحلي من الذهب والفضة فكانوا يقومون بشراء الذهب الخام من التجار القادمين من أسواق بلاد السودان الغربي، ثم يُحولونه إلى أشكال مختلفة من حلي المرأة ويبيعونه داخل الأسواق التواتية.

و من خلال نشاطهم التجاري المتزايد كسب اليهود الكثير من الأموال، مما زادهم قوة ونفوذا داخل منطقة توات، فقلق العلماء الذين رفضوا وجود اليهود و قرروا الوقوف في وجه نفوذهم الذي تزايد بشكل ملفت للانتباه[2]، و الذي نتج عنه تراجع النشاط التجاري للمسلمين، و في هذا الصدد قال الحسن الوزان في كتابه "وصف إفريقيا"كان بعض اليهود الأغنياء يقيمون بتيقورارين ثم تدخل أحد علماء تلمسان المغيلي فأدى ذلك إلى نهب أموالهم وتقتيل بعضهم من طرف السكان، حدث ذلك في العام الذي طرد الملك الكاثوليكي اليهود من إسبانيا وصقلية..." [3].

إضافة إلى سيطرة اليهود على التجارة بإقليم توات وكسب الكثير من الأموال والنفوذ والتحكم في الأسواق في شتى القصور التواتية، رغبوا في بناء بيع (كنائس) جديدة خاصة بهم، وتكون ذات مساحات شاسعة، فأدرك شيوخ توات و فقهائها الخطر الذي يحذق بهم، و على رأسهم الشيخ

[1]– حسن الوزان: وصف إفريقيا، ج2، ص436.
[2]– عباس عبد الله، المرجع السابق، ص77.
[3]– حسن الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص 133-134.

محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي غضب كثيرا و اعتبر أن هذا التصرف هو تطاول من قبل اليهود و استعلاء منهم على المسلمين فلا يجوز لهم ذلك مهما كانت الظروف، فخطب الشيخ المغيلي في الناس و حثهم على ضرورة إخراج اليهود من الإقليم في أقرب وقت،لأن بناءهم للبيع سوف ينتج عنه إلا الخراب والفساد مع مرور الزمن، فلما سمع الناس خطبة الشيخ المغيلي انقسموا إلى قسمين قسم وقف في صف المغيلي وقرروا هدم بيعهم و طردهم من الإقليم، وقسم ناصر اليهود واعتبر إخراجهم تهديدا لاقتصاد إقليم توات[1].

فقرار الشيخ المغيلي في إخراج اليهود من توات كان بعد قيامهم لبعض التصرفات المشينة في حق سكان الإقليم، فلم يحترموا شروط أهل الذمة،فقد تجاوزوا الحدود الشرعية، و أذوا المسلمين كثيرا بأفعالهم،على الرغم من أن التواتيين قاموا بتقريبهم منهم وأسكنوهم في بيوتهم إذ اتخذهم البعض منهم من أجل خدمته،حيث يدعون الإسلام،و يعملون على تعليم الصغار القرآن محرفا،ويرمون النجاسات والأوساخ في الطريق الذي يمشي فيه المسلمون، و لم يكن هدف الشيخ المغيلي من طرد اليهود سوى الحفاظ على الإسلام و المسلمين و إصلاحهم و توضيح طريق الحق و التشبث به[2].

اليهود بتوات:

هاجر الشيخ المغيلي من تلمسان حاضرة الزيانيين نحو إقليم توات عام (870هـ - 1465م) بعد أن نصحه شيخه عبد الرحمن الثعالبي بذلك، فالتقى في إقليم توات بالشيخ القاضي يحي بن يدير الذي اشتهر بعلمه وتمكنه من مختلف العلوم فتقرب منه الشيخ المغيلي وحضر دروسه وحلقاته العلمية ثم ارتحل المغيلي لأحد قصور إقليم توات يدعى أولاد سعيد و استقر به مدة من الزمن فسمع بوفاة

[1]- عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص154.

2-أحمد الحمدي ، المرجع السابق، ص106.

شيخه يحي بن يدير فغادر قصر أولاد سعيد متوجها نحو مدينة تمنتيط، فوجد سكان توات قد عينوا في خطة القضاء عبد الله بن أبي بكر العصنوني مكان شيخه.

و خلال هذه الفترة لاحظ محمد بن عبد الكريم المغيلي سيطرة اليهود على التجارة وتحكمهم في الأسواق واشتغالهم بالحرف المربحة كصياغة الذهب والفضة، ونفوذهم التجاري المستمر والمتزايد فتجارتهم ضايقت تجارة المسلمين كثيرا، فأثار هذا الاستعلاء قلق الشيخ المغيلي واعتبره تعديا على الحدود الشرعية كما ذكرنا سابقا.

و لم يكتف اليهود بذلك فحسب بل كانوا يتدخلون في النزاعات و الصراعات التي كانت تحدث بين قبائل توات،و يملكون العبيد الذي ثبت إسلامهم ويتشبهون بالمسلمين في لباسهم كارتداء العمامة،فلا يستطيع الزائر إلى توات التمييز بين المسلم واليهودي، فهذه التصرفات التي صدرت منهم دليل قاطع على عدم التزامهم بأحكام أهل الذمة. [1]

و هناك قصة حدثت للشيخ المغيلي تُعتبر دليلا قاطعا على استعلاء اليهود، حيث كان المغيلي بقصر تاخفيفت في ضيافة الشيخ "محمد عبد الجبار"[2]، فمرّت عليهم جماعة من اليهود ولم يقدموا التحيّة ثمّ مر أحد مناصريهم يُدعى"مبروك بن أحمد"[3]، ورمى حفنة من الرّمال في المكان الذي كان يجلس فيه الشّيخ المغيلي، فغضب الشّيخ" الصديق بن عبد الرّحمان"وهو من أفاضل تاخفيفت من هذا التصرف و توعد اليهود ومن يناصرهم بإخراجهم من منطقة توات.

فهذه الحادثة خير دليل على الاستعلاء الذي كان عليه اليهود بإقليم توات، وهذه التصرّفات مخالفة تماما لأحكام أهل الذّمة.

[1] – أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات، ص107.

[2] – محمد عبد الجبار هو أحد أعيان قصر تاخفيفت وأحد أنصار المغيلي، أنظر: أحمد الحمدي، المرجع نفسه، ص112.

3–هو أحد شيوخ القبائل المناصرين لليهود، أنظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وذكرهم الإمام الغزالي قائلا: "يُمنعون من ركوب الخيل والبغال النفيسة ولا يُمنعون من الحمير وليكن ركابهم من الخشب و يُمنعون من جادة الطريق و يضطرون إلى المضيق إذا لم يكن الطريق خاليا"[1].

ومن أحكام أهل الذمة أيضا ألاّ يغش الذمي المسلمين ولا يضرب مسلما وأن يوقر كلّ مسلم ولا يسب أحدا ولا يستخدمه[2]، وعلى الرغم من وضوح أحكام وشروط أهل الذمة في أرض المسلمين إلا أن اليهود ضربوا كل ذلك عرض الحائط غير مُبالين لا بعامة الناس و لا بالشيوخ نظرا لما رأوه من سند و نُصرة من قبل بعض القبائل التواتية.

موقف العلماء من كنائس اليهود بإقليم توات:

إن قضية يهود توات من أكثر القضايا التي ذاع صيتها في عصر الشيخ المغيلي و بفضلها نال شهرة في جميع البلدان الاسلامية، و أثارت هذه القضية اهتمام مشايخ و علماء المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط و الأقصى، فاختلفت أراؤهم بين مؤيد و رافض لبناء كنائس اليهود، فما كان على المغيلي قبل تهديم هذه الكنائس إلا أن يستشير علماء عصره.

فوافق عبد الله العصنوني على بناء كنائس اليهود حيث قال:"إن معنى الاختطاط عندي البناء والتأسيس و شرط المأمور به أن يكون واجبا بالإجماع و شرط التغيير أن يكون المنهي عنه محرما بالإجماع و الصواب عندي تقريرها اتباعا لقول الغير لجري العمل به في كثير من مدن المغرب"[1].

إضافة إلى رأي العصنوني يوجد علماء وافقوا أيضا على بناء كنائس اليهود بإقليم توات أمثال ابن زكري التلمساني حيث قال:"لو أرادوا إحداث كنيسة في موضع استقرارهم حيث نزلوا فيه لساغ لهم ذلك ولا يسوغ منعهم على أي وجه فرضت من اختطاط أو إحياء إذ هم أهل الذمة "[2].

---

[1] – الونشريسي، المعيار،ج2، ص 235.

[2] – وهبة الزحيّلي، الفقه الإسلامي و أدلته، دار الفكر الجزائر و دار الفكر بدمشق، ط1، ج6، سنة 1991م، ص 451.

[3] –الونشريسي، المعيار، ج2، ص219.

2–يحي بن عبد الله ابن أبي البركات (ت910هـ–1504م)، الفقيه القاضي،أنظر:الونشريسي،الوفيات،ص154.

فابن زكري يرى بأنه بإمكان اليهود بناء كنائس خاصة بهم لأن المالكيين لا يوافقون على هدم هذه الكنائس، وذكر اراء بعض فقهاء المالكية الذين لا يقرون بالكنائس إلا إذا كانت ضمن شروط عقد الذّمة.

و من بين العلماء الذين رفضوا هدم كنائس اليهود" الشيخ أبي زكريا بن أبي البركات"[3] الذي رأى بأنه لا ينبغي تهديم الكنائس حيث قال: " لأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح ولاسيما إذا بدت لذلك أمارات وقامت عليه دلالات تقضي تحريم الخوض في ذلك،كما هو المقرر في تغيير المنكر إذا كان مؤديا إلى منكر أعظم منه ، ولو كان المنكر الذي أريد تغييره مجمعا عليه"[1].

و قال أيضا:"فيجب لأجل ذلك على من قلده الله حكما من الأحكام الشرعية و جعل له نظرا على عباده أن يضرب على يد القائم و لا يمكنه من هذا الغرض فإن مفسدته أعظم من مصلحته فيما ظهر".[2]

فالشيخ ابن زكرياء ابن أبي البركات يرى بأن تهديم كنائس اليهود سوف يؤدي إلى حدوث خصومات و نزاعات لا حل لها و يفقد السكان بإقليم توات أمنهم و استقرارهم فتعم الفوضى والصراعات ،لذلك طلب من الحكام معاقبة كل من يرغب في تهديم هذه الكنائس فهو حسب رأيه أن من يريد تهديمها محب للإفساد و الفتنة.

و يوجد مجموعة من العلماء رفضوا وجود كنائس اليهود، و على رأسهم الشيخ المغيلي الذي ذكر بأن هدم هذه الكنائس واجب على كل مؤمن غيور على دينه و هو أمر لا خلاف فيه ووصف كل من وافق على بنائها بالدجل و أكد على تهديمها و إن نتج عن ذلك قطع الرؤوس[3] .

3-الونشريسي، المعيار، ج2، ص231.

[1] – مجموعة من علماء توات وتلمسان، النوازل التواتية، و20و.

2-المغيلي، رسالة إلى كل مسلم ومسلمة، مخطوط بزاوية المغيلي بتوات، و5ظ.

3-المغيلي، رسالة إلى كل مسلم ومسلمة، و8و.

4-الونشريسي،المعيار،ج2،ص216.

وخطب الشيخ المغيلي في سكان توات بأن يتخذوا موقفا واحدا إما محبّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أو معاداة اليهود، فالمؤمن الحقيقي لا يستطيع الجمع بين أمرين متناقضين و قال في هذا الصدد: "فما أكذب قوما يزعمون أنّهم يؤمنون بالنبي ويحبونه، وهم مع ذلك يقربّون من أنفسهم وأهلهم أعداءه"[4].

وأكد على أن يلتزم اليهود بأحكام الذمة، ووجب عليهم دفع الجزية لأنهم على أرض المسلمين،و معاقبة كل من يتخلى عنها و اعتبر ذلك استعلاء و تمرد، و قال في هذا الصدد:"و أما من ترك شيئا من ذلك و استمر على تركه وصمم عليه فلا خلاف في نقض عهده ووجوب قتله وسبيه لأن ذلك هو التمرد على الأحكام الشرعية".

واعتبر الشيخ المغيلي أن كلّ من منع هدم كنائس اليهود كافر من أهل النّار لأنّه نصر أعداء الله وقال في هذا الصدد: " هذه الجنّة و هذه النّار من هدمها فله الجنّة و من حماها فله النّار و هذه محبّة رسول الله وهذه محبّة اليهود، فاختاروا أيّها شئتم".

و قال الونشريسي أيضا: "فهؤلاء علماء الإسلام مالكيّة وشافعيّة وحنفيّة وحنبليّة وظاهريّة ليس عندهم إلاّ منع إحداث الكنائس فالمسألة إجماعيّة"[1].

ورفض الفقيه "أبو عبد الله محمد الرصاع" بناء كنائس اليهود في أراضي المسلمين بتوات حيث قال: "ليس للمسلمين أن يبيعوا الأراضي المملوكة أو المبتدعة للكنائس بوجه"[2]

ومن المؤيدين لرأي الشيخ المغيلي فقيه فجيج الشيخ "إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي"وصرح برأيه وهو غاضب من بعض القبائل التواتية التي ناصرت اليهود و وافقت على بنائهم للكنائس ووقفت في وجه الشيخ المغيلي، وعلى رأسها القاضي الشّرعي بإقليم توات"عبد الله بن أبي بكر

[1] - الونشريسي، المعيار، ج2، ص251.

[2] – الرصاع، الفقيه القاضي تونسي أبو عبد الله محمد، ت عام 894هـ/1488م، انظر: محمد الرّصاع، فهرسة الرّصاع، تونس، 1967، ص127.

العصنوني"، وفي هذا الصدد ألف "ابراهيم بن عبد الجبار الفجيجي" قصيدة شعرية يذم فيها كل مؤيد لليهود قائلا:

أيا قاطني توات أصغُوا إلى قولي فقد آن أن أَبوُح بالبعض والكلّ

أأنتم على دين النبيّ محمّـــــــد أم القوم واليهود شكل على شكل

فما بالكم شرفتموهم عليكـــــم والإسلام أولى أن يشرف في الأصل

فإن كان هذا الرأي رأي فقيهكم فما الظن بالسفيه والناقص العقل[1].

أما الإمام "أبو مهدي عيسى بن أحمد الماواسي"[2]، فقيه فاس قد رفض بناء كنائس توات وأيد الشيخ المغيلي في رأيه و وضح بأنّ إقليم توات و قصوره هي أراضي يسودها الإسلام فلا يسمح لأي ذمي ببناء الكنائس بها.

حيث قال: "فلا تنبغي المسامحة بإقرار الكنائس فيها للكفار و إن قال به جماعة من العلماء إلا أن يكون ذلك شرطا لهم في عقود جزيتهم فيوقى لهم بما عهد لهم في جزيتهم".[3]

و لما سئل التنسي عن كنائس يهود توات، رفض بشدة و أكد على عدم السماح ببنائها لأن ذلك مخالف للشرع، لأنّ أرض توات أرض اِختطها المسلمون،و قال في هذا الصدد: "و سبب المنع في الجميع إنّما هو إظهار شرف الإسلام، حتّى لا يظهر معه غيره"[3].

و بعث الإمام المغيلي برسالة إلى الشيخ محمد بن يوسف السنوسي يسأله عن رأيه حول قضية يهود توات فرد عليه قائلا: "فقد بلغني أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الايمانية و الشجاعة العلمية

[1] – محمد حجي، الصلات بين شمال المغرب الشرقي وجنوبه في العهد السعدي، ندوة المغرب الشرقي بين الماضي و الحاضر، جامعة محمد الأوّل، منشورات كلية آداب و العلوم الإنسانية، وجدة، المغرب، 1986م، ص 470.

[2] – الماواسي: عيسى بن أحمد بن محمد البطوني، أشتهر بابن ماواس، ت عام 896هـ/1490م)، انظر: الونشريسي، المصدر السابق، ص152.

[3] – الونشريسي، المعيار، ج2 ، ص 225.

3–الونشريسي، المصدر نفسه، ص243.

4–التنبكتي، نيل الابتهاج، ص ص576 –577.

من تغيير إحداث اليهود أذلهم الله كنيسة في بلاد الإسلام و حرصكم على هدمها و توقف أهل تمنطيط فيه من جهة من عارضكم فيه من أهل الأهواء فبعثتم إلينا مستنهضين همم العلماء فيه فلم أر من وُفق لإجابة المقصد وبذل وسعه في تحقيق الحق و شفاء العلة و لم يلتفت لقوة إيمانه ونصوع إيقانه لما يُشير إليه الوهم الشيطاني من مداهمة من يتقي شوكته سوى الشيخ الإمام القدوة الحافظ علم الأعلام أبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي أمتع الله به"[4].

و يُعتبر جواب الشيخ السنوسي للمغيلي جواب واضح،حيث رفض كنائس يهود توات رفضا قاطعا و شجع على هدمها إظهارا لشرف الإسلام.

و لما جمع الإمام المغيلي أجوبة الشيوخ و الفقهاء الذين أقروا هدم كنائس يهود توات، أمر مناصريه بالاستعداد التام لهدم الكنائس و إخراج اليهود من جميع القصور التواتية.

ثورة المغيلي على اليهود :

لما قرر الشيخ المغيلي قتال اليهود و تهديم كنائسهم جمع كل القبائل المناصرة له و المؤيدة لهدم هذه الكنائس سنة(882هـ-1477م)، وأهم هذه القبائل قبيلة البرامكة وقبيلة أولاد يعقوبإضافة إلى قبائل أخرى تقع بالقرب من قصر بوعلي، وخطب فيهم ورغبهم في القتال ونظم مجموعة من القصائد يمدح فيها النّبي صلّى الله عليه وسلّم ويذم اليهود ومن يناصرهم[1] وكان هدفه إيقاظ روحهم القتالية و غيرتهم الدينية و بين لهم خطر اليهود عليهم وعلى أبنائهم وأرزاقهم وقد تعددت أسباب ثورة الشيخ المغيلي في إقليم توات، فلم تكن مسألة كنائس اليهود هي السبب الوحيد لهذه الثورة.

و إنماحادثة أخرى أشعلت فتيل الحرب على اليهود،حيث كان يُصلي في مسجد قصر "عمر بن يوسف"[2]، رجل يهودي اِدعى بأنه مسلمو كان يُصلي بسكان توات لمدّة أربعين سنة و لما

[1] – محمد بن رشد، بداية المجتهد و نهاية المقتصد، ج1، دار شريفة، الجزائر 1989، ص 391.

[2] – قصر عمر بن يوسف إحدى ضواحي تمنتيط، أنظر: الونشريسي، المصدر السابق، ص 115.

كان الناس يجتمعون لأداء صلاة الفجر كان يرشهم بالبول، وهذا دليل على الكره والحقد الذي كان يكنه اليهود للإسلام والمسلمين، ولم يستطع أحد من السكان كشف نفاقه وخداعه حتّى جاء الشيخ المغيلي وكشف أمر اليهودي الكاذب وأدرك نفاقه، وتمكّن من اللحاق به وقتله بقورارة[1] ولما رجع المغيلي بدأ يتلو الآية القرانية الكريمة ﴿**قَاتِلُوا الّذينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَ لاَ بِاليَوْمِ الآخِرِ وَ لاَ يُحَرِمُونَ مَا حَرَّمَ الله وَرَسُولَهُ وَلاَ يُدِنُونَ دِينِ الحَقِّ مِنَ الّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَد وَهُمْ صَاغِرُون**﴾[2].

و كان الشيخ المغيلي كلما لاحظ مناصرة القبائل التواتية لليهود كان يتحسر و يتأسف على ما يقوم به المسلمون من تقريب أعداء الله، فكان يكتب قصائدا يذم فيها مناصري اليهود فقال من البسيط:

برئت للرّب الـودود من قرب أنصـار اليهود

قومـا أهانوا دينهـــم وأكرمُوا ديـن اليهـــود

يكفـي الفتى من شينهـم وخبث أصـل صنعهـم

أن قطعـوا من دينهـم ورفعـوا دين اليهـــود

صُبَّ البـلا من فوقهـم والحق بقـايا رزقهـــــم

والفتح لهم من محقـهـم بابـا إلى نار الوقـود [3]

[1] – القورارة قصر يوجد بمنطقة سبع. انظر: أحمد الحمدي، المرجع السّابق، ص 115.

[2] – سورة التوبة، الآية 29.

[3] – المغيلي،رسالة إلى كل مسلم ومسلمة، و9و.

2– أبو محمد بن أبي سعيد أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن المريني آخر سلاطين الدولة المرينية قتل عام 869هـ/146م. انظر: الونشريسي، الوفيات، ص148.

3–أحمد بن القاضي، لقط الفرائد، ص261.

و السبب الآخر الذي أدى إلى الثورة على اليهود هو تقلدهم مناصبا عليا في معظم البلدان الإسلامية مثل(تلمسان، فاس، تكورارين، الأندلس...)، مما أثار قلق الشيوخ والعلماء الذين نبهوا عامة الناس بخطرهم، فثار سكان مدينة فاس وأعيانها سنة (896هـ/1464م) لما قرب السلطان" أبو محمّد عبد الحقّ بن أبي سعيد"[2] اليهود منه ومن بلاط قصره يستشيرهم في أمور الدولة، وإبعاده للعلماء والمشايخ وأهل الرأي عنه، ولكن السكان تمكنوا من إسقاط الدولة سنة (896هـ–1464م) [3].

فكل هذه الأسباب اجتمعت بطريقة أو بأخرى و نتج عنها توجه الشيخ المغيلي وأنصاره إلى كنائس اليهود وتحطيمها عن آخرها، و بذلك أصبحت توات خاضعة للمغيلي، الّذي بدأ بتطبيق مبادئ الشريعة الإسلاميّة و معاقبة كل من يتعدى على الحدود الشرعية أو يحاول احتقار المسلمين أو التقليل من شأنهم، وحكم المغيلي بالكفر على كلّ من ناصر يهود توات، وللمسلمين الحق في سبى نسائهم و أخذ أموالهم.

ومنح للقضاة و العلماء السلطة لإصدار الأحكام فيما يتعلق بالأمور الدينية أو الدنيوية، و حارب كل من يدعي العلم لأنهم سبب تخلف الشعوب و مصدر لفساد و خراب الأمم و قال فيهم الشيخ المغيلي:"**من بين علامات علماء السُوء أنّهم لا يصلحون و لا يتركون من يُصلح، فمثلهم كمثل الصّخرة في باب النّهر، لا تشرب و لا تترك من يشرب**"[1].

فالمغيلي شبه أدعياء العلم بالصخرة على باب النهر لا تشرب ولا تترك من يشرب، بمعنى لا ينفعون الناس و لا ينتفع الناس منهم و لا يُصلحون و لا يتركون من يقوم بالإصلاح.

و عمل المغيلي أيضا على نقل عاصمة توات من مدينة تمنتيط إلى قصر بوعلي الذي يضم زاويته وهي القاعدة الرئيسية لتنظيم جيشه وتسيير ثورته على اليهود، كما سحب جميع السلطات من رؤساء

[1] – المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص 31.

القبائل المناصرة لليهود لأنهم كانوا سببا في جميع الصراعات التي عاشها إقليم توات، فلولا مناصرتهم لليهود لما حل بالإقليم كل هذه النزاعات و عرف اليهود حدودهم[1].

و بعد إخراج اليهود و طردهم من إقليم توات أنشأ المغيلي جهاز أمن لحماية منطقة توات من أي خطر و إعادة النظام و الأمن للإقليم بعد الصراعات التي عاشها السكان، و قاد هذا الجهاز "عبد الجبار بن محمد بن عبد الكريم المغيلي"الذي اشتهر بالعدل والاستقامة والتقوى، وكان عامة الناس وخاصتهم يكنون له الاحترام والتقدير[2]، وكان لهذا الجهاز فروع في معظم قصور إقليم توات التي كانت خاضعة لنفوذ الشيخ المغيلي.

إلا أنه بعد إخراج اليهود من إقليم توات تدهور إقتصاد المنطقة فتعطلت الصنائع و تدهور النشاط التجاري و شُلت الأسواق، لأن اليهود كانوا المحرك الرئيسي للتجارة خاصة مع بلاد السودان الغربي ومدن بلاد المغرب،وسيطرتهم على الحرف خاصة صياغة الذهب[3].

و ترددت بعض الأقاويل على مسامع التجار بأن منطقة توات أصبحت محفوفة بالمخاطر خاصة اللصوص و قطاع الطرق ولم تعد طرقها آمنة، فخاف التجار على سلعهم و تجنبوا طريق توات عند مرورهم إلى بلاد السودان الغربي مما زاد من تدهور الأوضاع بالإقليم و انتشرت الأوبئة و الأمراض والفقر و عانى السكان كثيرا.

و أثناء هذه الصعاب التي كان يعيشها سكان إقليم توات،سافر الشيخ المغيلي إلى مدينة فاس ليوضح للسلطان الفاسي"محمّد الشيخ الوطاسي"[4] موقفه من مسألة كنائس يهود توات وأنّ إخراجهم من الإقليم كان بعد إستشارة الكثير من مشايخ و فقهاء المالكية الذين وافقوا على تهديم هذه الكنائس لأن منطقة توات أرض إسلاميّة، لا يجوز بناء الكنائس فيها.

---

[1] – أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص 116.

[2] – الونشريسي، المصدر السابق، ص 216.

[3] – محمد الطيب بن عبد الرحيم، المصدر السابق ، ص 14.

[4] – محمد الشيخ الوطاسيابن أبي زكريا ، بويع له في 16 ذي القعدة عام 875هـ/1470م و به قامت دولة الوطاسيين و توفي في ليلة 27 رمضان (910هـ/1504م)، انظر: أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص 117.

إلا أن السلطان الفاسي لم يستمع لرأي الشيخ المغيلي، واتهمه علماء فاس بأنّه يطمع في الملك لكن المغيلي لم ييأس وحاول توضيح رأيه لكن كل محاولاته باءت بالفشل لأن السلطان كان محاط بمجموعة من علماء السوء فقرّر الرحيل من فاس والتوجه نحو إقليم توات[1].

ثم سافر إلى بلاد السودان الغربي بعد أن أدرك بأن سكان هذه المناطق يحتاجون لمن يُرشدهم لطريق الحق و يُخرجهم من الوثنية و يدخلهم الإسلام و يُصلح أحوالهم و أحوال حكامهم، و ترك من بعده بإقليم توات ابنه "عبد الجبار" ليخلفه في تسيير شؤون الإقليم و مواجهة المشاكل والأخطار التي تهدد أمن المنطقة.

و لما وصل الشيخ المغيلي إلى بلاد السودان الغربي استقر بمدينة كانو لفترة قصيرة ووجه الكثير من النصائح و التوجيهات حول أمور الحكم لسلطانها، ثم ارتحل إلى كاغو وأصبح مستشار السلطان بها، حتى سمع بمقتل ابنه عبد الجبار بمنطقة بتوات[2]، فتأثر الشيخ المغيلي كثيرا لمقتل ابنه وطلب من السّلطان الأسقيا "محمد الحاج"[3] القبض على التواتيين المتواجدين بكاغو، فتمّ القبض عليهم ثمّ عفى عنهم بعد أن حدثه الشيخ "أبو المحاسن محمود بن عمر"[4]،بأنه لا دخل لهم في مقتل ابنه.

ولم يسافر المغيلي مباشرة من كاغو إلى توات بل شد رحاله إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج ولما عاد إلى توات لاحظ عودة اليهود بكثرة إلى المنطقة وساعدهم على ذلك مناصريهم الذين وفروا لهم الحماية فما كان على المغيلي إلا أن يستعد لمواجهة اليهود و أنصارهم[5].

فبدأ بتفقد أحوال القبائل الموالية له والرافضة لليهود، وحث السكان على ضرورة مقاتلتهم وبين في خطبه مدى خطرهم على المسلمين،لكن اليهود في هذه الفترة ازداد نفوذهم كثيرا خاصة بعد مناصرة

---

[1] – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 150.

[2] – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 557.

[3] – الأسقيا محمد الحاج حكم سنغاي سنة(899 هـ/1493م)،وعُرف بعدالته وحبه للعلماء وأقامت مملكته أثناء حكمه علاقات تجارية مع مختلفالبلدان الإسلاميّة، أنظر: عبد القادر زبايدية، المرجع السابق، ص ص 155-156.

[4] – أبو المحاسن محمود بن عمر أحد علماء بلاد السودان الغربي الّذين قربهم محمد الحاج أسقيا، انظر: أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص 119.

[5] – أحمد بابا التنبكتي، نفس المصدر، ص 577.

القبائل لهم كقبيلة أولاد نسلام[1] التي كانت تدافع عنهم وتعمل على تحقيق مصالحهم أينما وُجدوا فكان أفراد هذه القبيلة يسرقون وينهبون في كل مكان يحلون به في إقليم توات فضايقوا السكان كثيرا و نشروا الذعر والخوف في أوساطهم[2].

و تحالفت قبائل تواتية أخرى فيما بينها وناصرت اليهود وهي أولاد ملوك[3] وأولاد الحاج[4] مع أولاد علي بن موسى، وذكر التمنتيطي تحالف هذه القبائل فيما بينها قائلا: "بانضمامهم إليهم يستوي الفارس على الجواد وسلّ سيفه من الأغماد"[5].

و يُعد السبب الوجيه الذي أدى إلى إعلان القتال على اليهود للمرة الثانية هو قتل "عبد الجبار بن المغيلي" بمنطقة توات، لأن القبائل التي عارضت المغيلي في ثورته كانت ترفض كل من يتحكم في نفوذها داخل الإقليم .

إلا أن حادثة مقتل عبد الجبار يسودها الغموض و يُجهل قاتله إلا أن التنبكتي يرى بأنّ اليهود هم من قتلوه و قال في هذا الصدد:"و بلغه هناك قتل ولده بتوات من جهة اليهود[6]، لكن اليهود لا يستطيعون قتله لأنه كان مُحاط بأنصاره،إلا إذا ساعدهم في ذلك القبائل المناصرة لهم و التي اتهمت المغيلي بأنه يريد الإفساد في الأرض و يرغب في السلطة و الجاه[7].

[1] – أولاد نسلام إحدى أكبر القبائل اليهودية المهاجرة بتوات، انظر: أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص 119.

[2] – محمد الطيب بن عبد الرحيم، المصدر السابق، ص 28.

[3] – أولاد ملوك قبيلة عربية سكنت بودة وتنقسم إلى أولاد شبل وأولاد غانم، أنظر: محمد الطيب بن عبد الرحيم،القول البسيط، ص 26.

[4] – أولاد الحاج من عرب ثقيف تسكن شرق تمنتيط،أنظر:محمد الطيب بن عبد الرحيم، المصدر نفسه، ص 26.

[5] – نفس المصدر، نفس الصفحة.

[6] – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص577.

[7] – أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص 120.

و كانت الدولة الوطاسية تدعم هذه القبائل وتبعث لها بالأسلحة وكل ما تحتاجه لقتال الشيخ المغيلي وضمان استمرار نفوذها داخل إقليم توات[1]، وعينت سنة(903هـ/1497م)، الشيخ "عمر بن عبد الرّحمان"قائدا على إقليم توات و كان أول المعارضين لثورة المغيلي ضد اليهود.

و هذا دليل قاطع على أن الدّولة الوطّاسية كانت شريكا في الأحداث التي عاشتها منطقة توات في هذه الفترة، ولا يُستبعد الأمر أن يكون لها دخل بمقتل "عبد الجبار بن المغيلي" بعد التحالف مع اليهود و أنصارهم.

وفي سنة (902هـ/1496م) قام الشيخ المغيلي بجمع مناصريه وخطب فيهم قائلا: "من قتل يهوديا فلَهُ عليَّا سبع مثاقيل"[2] ثم توجّه إلى مدينة تمنتيط أين وجد الشيخ "عمر بن عبد الرّحمان" زعيم قبيلة أولاد علي بن موسى مستعدا بجيشه بقيادة ابنه علي لخوض القتال، والتقى الطرفان قرب قصر "أولاد إسماعيل" ووقعت بينهما معركة مات خلالها الكثير من الناس ولم يتمكّن أيّ طرف من تحقيق النّصر وبعد المعركة رجع المغيلي إلى زاويته وبقي فيها للتعليم وإلقاء الدروس ونشر تعاليم الإسلام الصحيحة[3].

فإخراج اليهود من إقليم توات في المرة الثانية يُعد مستحيلا لأنهم لقوا مساندة كبيرة من القبائل التواتية و من الدولة الوطاسية التي بعثت لهم بالأسلحة والمؤونة لخوض المعركة مع المغيلي ولم يكن هدف الوطاسيين من تدخلهم هو تحقيق مصالح التواتيين، وإنما السيطرة على توات وتأمين طريق القوافل التجارية لبلاد السودان الغربي، وعملوا على الدفاع عن اليهود و إبقائهم بالإقليم لأنهم المحرك الأساسي للتجارة والمسيطرين على الحرف والصناعة فإخراجهم هو تهديد لمصالح الدولة الوطاسية لذلك عملت المستحيل من أجل استقرارهم بمنطقة توات.

[1] – بودواية مبخوت، أعلام السودان الغربي بين القرنين التاسع و العاشر الهجريين، العدد 6، جامعة تلمسان، جويلية 2005م، ص 177.

[2] – حكم إقليم توات سنة(951هـ/1544م)، وقام بإصلاح مدينة تمنتيط، انظر:أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 577.

[3] – التنبكتي، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ثالثا: دور الشيخ المغيلي ببلاد السودان الغربي:

1– رسالة المغيلي لسلطان كانو:

بعد ثورة الشيخ المغيلي على يهود توات سافر إلى بلاد السودان الغربي بعد أن وصلته أخبار هذه المناطق عن طريق الحجاج المارين بالمنطقة والتجار الذين كانوا على صلة متينة بهذه الديار ليعمل على الإصلاح والتوجيه وتصحيح العقيدة الإسلامية التي أخذ الفساد يدب فيها بسبب تمسك بعض السودانيين بعادات سيئة مقتبسة من الوثنية على الرغم من إسلامهم.

وسبق الشيخ المغيلي إلى بلاد السودان الغربي بعض العلماء والتجار والفقهاء الذين عملوا على نشر الإسلام،وعند دخوله إلى بلاد السودان الغربي لاحظ أن فهم السكان للإسلام غير صحيح فبدأ رحلته الإصلاحية وإسهاماته الفكرية، فدخل أكدز وأنشأ بها مسجدا يسمى مسجد الكرامة اتخذه مكانا للعبادة و التدريس ليُفهم لسكان بلاد السودان أمور دينهم و ينشر التعليم وأفكاره الإصلاحية المأخوذة من الشريعة الإسلامية السمحاء، ثم رحل إلى تكدة وأخذ عنه الكثير من العلماء مختلف العلوم التي نبغ فيها ثم توجه إلى كشنة[1] وتولى قضاء الجماعة بها ، وعمل على التدريس وانتفع منه الكثير من طلبة العلم[2].

ثم توجه إلى كانو فأحبه الناس كثيرا نظرا لتدينه وتقواه ولما رأوه فيه من أخلاق نبيلة فأثنوا عليه ولقبوه بالإمام، مما جعل السلطان "محمد رومفا"[3] يقربه منه فتوطدت العلاقة بينهما وجعله مستشاره الخاص ووزيره الذي يستشيره في كل كبيرة و صغيرة حول أمور المملكة، وطلب من المغيلي أن يكتب له وصية في شؤون الدولة فكتبها له، وهي عبارة عن رسالة تتضمن مجموعة من الأحكام الشرعية

[1]–تقع كشنة بالقرب من كانو، أنظر: محمد بلو ، إنفاق الميسور، ص67.

[2]– أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص121 .

3–محمد رومفا: سلطان كانو كان محبا للعلماء ومن بينهم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي،أنظر: أحمدالحمدي، المرجع السابق،ص121.

لتنظيم شؤون المملكة، وتعرضت رسالته لأمور عديدة في شؤون الحكم وعنونها ب"ما يجب على الأمير من حسن النية للإمارة[4] "قسمها إلى ثمانية أجزاء وكل جزء يحمل عنوانا و هي كالتالي:

-الجزء الأول: بعنوان "إحسان النية للإمارة ".

-الجزء الثاني:بعنوان" إحسان الهيئة ".

-الجزء الثالث:بعنوان" ترتيب المملكة ".

-الجزء الرابع:بعنوان " الحذر في الحضر والسفر".

-الجزء الخامس: بعنوان:"الكشف عن الأمور".

-الجزء السادس: بعنوان" العدل في الأحكام السلطانية " .

-الجزء السابع:بعنوان: "جباية الأموال من وجوه الحلال " .

-الجزء الثامن بعنوان: "مصارف أموال الله"[2].

– إحسان النية للإمارة :

وضح الشيخ المغيلي لسلطان كانو بأن الإمارة ليست بالأمر الهين والسهل واعتبرها ابتلاء من الله ووجب على السلطان أن لا يتبع هواه، بل وجب عليه أن يكون تقيا يحمل مخافة الله في قلبه و يخلص النية في أدائها، وتُعتبر أمانة ومسؤولية فعلى كل سلطان أن يحسن القيام بها ويؤديها على أحسن وجه[3].

[4]– توجد منها نسخة مصورة بزاوية المغيلي بتوات .

[2]– التنبكتي، نيل الابتهاج ،ج2، ص278.

[3]- صلاح الدين بسيوني رسلان ، الفكر السياسي عند المرودي ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، ط 1985 ،ص86.

و في هذا الصدد قال المغيلي:"إن الله سبحانه وتعالى ما ولاك عليهم لتكون سيدهم ومولاهم وإنما ولاك عليهم لتصلح لهم دينهم ودنياهم"[1]، فالحاكم يسهر على تحقيق مصالح الناس وتوجيههم إلى طريق الحق والصواب،وليس للسيطرة عليهم.

– إحسان الهيئة :

نبه الشيخ المغيلي السلطان بأن يكون صادقا لكي يثق فيه الناس وتطمئن قلوبهم لهويكون مثلهم الأعلى ولا يقتصر صدقه في أقواله فقط وإنما في أفعاله، فأبشع الأمور كذب الحكام فيقول المغيلي في هذا الشأن: " قدم عقلك تجمع شملك ويعلو شأنك ويُعظم سلطانك أقبح القبائح إثنان كبر الفقير وكذب السلطان ".[2]

وأن يكون وفيا يوفي بما وعد به لكي يكون محبوبا لدى عامة الناس ويكبر شأنه في نظرهم وتزداد هيبته قال المغيلي "إياك أن تقصر خطوتك عن مقالك فتذهب هيبتك من قلوب رعيتك وعمالك"[3].

وبالنسبة للهندام نبه الشيخ المغيلي السلطان بأن لا يبالغ في لباسه يكفي أن يكون ساترا له ويدفع عنه الحر والبرد ولا يكون شبيها بلباس النساء، وأن لا يبالغ في أكل الأطعمة الطيبة حتى لا تتعلق نفسه بملذات الحياة وشهواتها، فوجب عليه أن يتحلى بالقناعة، وأن لا يرتدي الذهب والفضة والحرير وقال في هذا الصدد :"فلا تتزين بذهب ولا فضة ولا حرير بحال فإن ذلك كله قبح ودناءة وضلال"[4].

---

[1]- أحمد العلمي حمدان "استنصاح السودان أحد فقهاء توات وتلمسان"، مجلة كلية العلوم الإنسانية بفاس عدد05، سنة1989م،ص98.

[2]– أحمد العلمي حمدان، المرجع السابق ، ص98.

[3]- المرجع نفسه ، ص99.

[4]- أحمد الحمدي ، المرجع السابق ، ص123.

ولزم على الحاكم أن يُحافظ على هيبته أمام الجميع وذلك بانضباطه في المجالس ومحافظته على هدوئه، ويقول المغيلي في هذا الصدد:" فعلى كل أمير أن يتردى برداء الهيبة في الحضور والغيبة"[1] وهذا بهدف كسب احترام الجميع، والتواضع والعفو عنهم لأن التكبر صفة سيئة لا ينتج منها إلا الكره والإنتقام[2].

- **ترتيب المملكة :**

أكد الشيخ المغيلي لسلطان كانو أن ترتيب المملكة في غاية الأهمية معتمدا في ذلك على أفراد يتميزون بالحكمة ورجاحة العقل لاستشارتهم وأخذ أرائهم في شؤون الدولة خاصة أثناء تعرضها للأزمات وأوصاه بأن يضع على بيت المال رجالا يتميزون بالصدق والتقوى لكي يحافظوا على أموال المملكة من النهب والسرقة، ووجب اتخاذ الكتاب ومراقبتهم أثناء تأدية مهامهم، فالسلطان لا يستطيع لوحده تولي جميع أمور المملكة فوجب توزيع المهام على جميع الأفراد، وقال المغيلي في هذا الصدد: "إلى خدام بالحضرة يتصرفون وعقلاء يشيرون وأمناء يقبضون ويصرفون وكتاب وحساب يحرسون ويحفظون"[3].

واتخاذ عمال الشرطة الذين يسهرون على نشر الأمن والهدوء بالمملكة، ومحاربة الفساد والغش والقبض على اللصوص وقطاع الطرق الذين يزرعون الرعب في نفوس الناس، ويقول الشيخ المغيلي في هذا الصدد:"رسل وجُساس وحفظة وعُساس وأرباب شرطة يزجرون ".[4]

ونصح السلطان باتخاذ القضاة المعروفين بالتقوى والعلم ومخافة الله والعفة عما في أيدي الناس حتى يسود العدل والمساواة وتطبق الأحكام الشرعية،قال المغيلي :"قضاة تقاة يفصلون ورجال معظمون لوجه الله ".[1]

---

[1]- المغيلي، رسالة الإمارة، نسخة مصورة بزاوية المغيلي بتوات،و1ظ.

[2]- صلاح الدين بسيوني رسلان ، المرجع السابق ،ص138.

[3]- المغيلي، رسالة الإمارة، و2و .

[4]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ويرى المغيلي أن اتخاذ الوزراء في المملكة أمر مهم،ويُشترط فيهم الخوف من الله وأن يكونوا سندا للسلطان يعتمد عليهم ويتشاور معهم في شؤون المملكة،وقال المغيلي في هذا الشأن:"يتخذ وزراء لا يخشون إلا الله ومن ذلك أيضا حصن حصين"[2].

– الحذر في الحضر والسفر:

ينبه الشيخ المغيلي الأمير أن يكون حذرا في حضرته أو سفره، لأن معظم السلاطين والحكام كانت نهايتهم بسبب القتل،فلا يقرب طعامه أو فراشه إلا أقرب الناس إليه، وأن لا يُفشي سره ويحفظه وهذا من صفات الأمير الفطن والذي يتميز بالنباهة، لأن إفشاء الأسرار يؤدي بالمملكة إلى الهلاك، ووجب عليه أن يكون حازما في قراراته، حتى يسهل عليه تسيير شؤون الحكم، وفي هذا الصدد قال المغيلي:"أن يظهر القوة والجلد والرغبة في الإبطال والعدد"[3].

– الكشف عن الأمور :

وجب على الأمير مراقبة الأمناء في المملكة الذين تولوا مناصبا قبل توليته والكشف عن حال الأمور التي كانت تحت أيديهم كأموال بيت المال ورواتب العمال، ووجب مراقبة الولاة خاصة الذين يشتكون من تصرفاتهم،فيلجأ الأمير إلى عزلهم عن مناصبهم، وبالتالي يُنقص من الفساد الحاصل في المملكة[4].

وعلى الأمير أن يكون حازما وصارما مع الولاة في تعامله، وأن لا يقبل ما يقدمونه له من الهدايا لأنها في غالب الأحيان يكون مصدرها من بيت المال، ويتقربون بها من الحاكم من أجل تحقيق مصالحهم ويقول الشيخ المغيلي في هذا الشأن:"فكم حولت الهدية من ناسك لليهودية والنصرانية"[3].

---

[1]- أحمد العلمي حمدان ، استنصاح السودان ، ص100 .

[2]- المغيلي، رسالة الإمارة، و2و.

3–المغيلي، رسالة الإمارة، و2و.

4–أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص129.

[3]- أحمد العلمي ، استنصاح السودان 101.

– العدل في الأحكام السلطانية :

نبه الشيخ المغيلي الأمير أن يكون عادلا في الأحكام السلطانية،ويعامل الناس بالعدل والمساواة لأن السلطنة لا تثبت إلا بالعدل والإحسان.

أما الأمير الظالم الذي يظلم الرعية ولا يحكم عليهم بالعدل ويخون الأمانة ولا يطبق تعاليم القرآن والسنة فمن حق الرعية عزله عن منصبه[1].

وعند تطبيق الأمير لحد من حدود الله فوجب عليه إظهار البينة عند القيام بذلك ويجب عليه أن يجلس كل يوم لسماع هموم الناس،لأن جلوسه أمام الرعية مباشرة له أثر كبير في نفوسهم لأنه يتمكن من الإطلاععلى جميع أحوالهم و حل مشاكلهم.

– جباية الأموال:

ينبه الشيخ المغيلي على الأمير ألا يجبي الأموال إلا من حيث أباح الله له،ومن الأموال التي يستطيع الأمير أخذها من الرعية هي زكاة الفطر وزكاة الحرث والماشية وما يؤخذ من التجار وتركات الأفراد الذين ليس لهم وريث وخمس الغنائم وأموال الجزية[2].

وأوصى المغيلي الأمير بأن يكون كريما مع الناس حتى يكسب محبتهم،وقال في هذا الصدد: "وأول الكرم وأساسه الإمساك عما في أيدي الناس "،وعلى كل فرد من المملكة تأدية ما عليه من الأموال ومن لا يؤدي ذلك فوجب سجنه وعقابه خاصة إذا كان ميسور الحال و لا تعترضه أي مشاكل.

ويتطرق المغيلي في رسالته إلى الأموال المحرمة التي لا يجوز الإقتراب منها وهي أموال المكس وقال عنها : "و من الظلم أيضا المكس وهو حرام بإجماع ومن زعم حليته كفر وقد جاء في الخبر لا يدخل الجنة مكاس "[1].

[1]- عبد الكريم زيدان ، أصول الدعوة ، قصر الكتاب ، لجزائر،ط1990 ص ص 256- 268 .

[2]- عبد الكريم زيدان ،المرجع السابق، ص268.

– مصارف أموال الله:

يُنبه الشيخ المغيلي على أن يُصرف المال المجموع فيما شرع الله، ووجب تفادي التبذير و البخل في نفس الوقت،و يتم إعطاؤها للفقراء والمحتاجين و قال أيضا:"و أحق الناس بالتوسعة عليه من مال الفيء، حماة الدين،من قضاة المسلمين والعلماء الأتقياء المرشدين"[2]، فمال الفيء وجب صرفه في شراء الأسلحة وتشييد الحصون لتوفير الأمن للمملكة،وأيضا بناء المساجد ومساعدة الحجاج المحتاجين وقال المغيلي:"ويبقى منه فضلة لما يحدث من النوائب وبناء المساجد وفك الأسرى وقضاء الديون ومؤونة تزويج العزاب وإعانة الحجاج وغير ذلك من وجوه الإحتياج"[3].

ويوصي الشيخ المغيلي سلطان كانو في آخر رسالته بأن يكون عادلا ومحسنا لرعيته لينال بذلك محبتهم واحترامهم ووجب عليه العمل على حل مشاكلهم وتحقيق مصالحهم فينال جزاء الدارين الدنيا و الآخرة، ويظهر من خلال رسالته تأثره بالعلماء المسلمين الذين نبغوا في السياسة الشرعية الذين اعتمدوا على القران والسنة في إصدار أحكامهم[4].

وبعد كتابة الشيخ المغيلي رسالته لسلطان كانو حول أمور المملكة،توجه إلى كاغو ليقدم أجوبة على أسئلة سلطانها.

2– أجوبته على سلطان كاغو

اشتهر سلطان كاغو "الحاج محمد" بحبه للعلماء والفقهاء واحترامه لهم،فقرب الشيخ المغيلي منه وأدخله إلى بلاطه وكان دائما يطرح عليه أسئلة تخص شؤون الحاكم والرعية و المملكة فألف له المغيلي تأليفا أجاب فيها عن جميع المسائل التي كانت تشغل بال السلطان[5].

2– المغيلي، رسالة الإمارة، و4و

[2] - المغيلي، رسالة الإمارة، و5ظ.

[3] - أحمد العلمي، المرجع السابق، ص108.

[4] - أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص132

[5]- أحمد بابا ، نيل الإبتهاج ، ص577 .

– السلطان راع لا مالك:

بين الشيخ المغيلي لسلطان كاغو أن الحاكم ليس ملكا على الرعية وإنما راع لهم مسؤول عنهم فوجب عليه السهر على تحقيق مصالحهم وحل مشاكلهم وما يُعرقل صفو حياتهم وتوجيههم إلى طريق الحق بإصلاح دينهم ودنياهم، فالملك لله سبحانه وتعالى فقط، وقال في هذا الصدد: "قد رفعك مولاك على كثير من عباده لتصلح لهم دينهم ودنياهم لا لتكون سيدهم ومولاهم"[1].

إبعاد علماء السوء :

أوصى الشيخ المغيلي السلطان بأن يُبعد عن نفسه علماء السوء،لأنه لا خير فيهم فهم يقرؤون القرآن والحديث ويسردون نصوصا من الكتاب، لكنهم يقومون بالإساءة للناس ويأخذون أموالهم بالباطل وبسبب أعمالهم الدنيئة ينتشر الفساد في المملكة،وقال عنهم أحمد بابا التنبكتي"أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه"[2].

وذكرهم المغيلي بقوله"وبسبب هؤلاء العلماء والعباد شاع الفساد في جميع البلاد ،فالجهاد فيهم وفي أنصارهم أفضل من كل جهاد"[3]، وقال أيضا"هم لصوص الدين وأضر على المسلمين من جميع المفسدين"[4].

تقريب أهل الذكر:

أهل الذكر هم أولئك العلماء الذين يدافعون عن الدين بالأدلة والحجج الواضحة ويعرفون أمور الشريعة حق المعرفة،ويوصي الشيخ المغيلي سلطان كاغو بأن يستمع لأهل الذكر ويسألهم في كل عمل يريد القيام به ولا يعلم حكم الله فيه، ووجب مجالستهم لأنهم يذكرون بالآخرة ويقللون من شأن

[1]- المغيلي ،أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي ، تحقيق عبد القادر زبايدية ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، ط 1989 ، ص 162.

[2]- أحمد بابا ، تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء ، تحقيق سعيد سامي ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط ، ط 1992،ص : 59.

[3]- المغيلي ، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي،ص 164.

[4]- المغيلي ، المصدر نفسه ، ص 166.

الدنيا وملذاتها، وأما الأمير الذي يقرب علماء السوء فذلك مقرب لأعداء الدين وهو ظالم لنفسه ولرعيته ومضيع لحقوقهم، ويصفهم المقري بأنهم: "جهابذة يذبون عن حوزته تحريف الجاهلين ويميزون بنقدهم الصحيح والحسن والضعيف والطيب والخبيث"[1].

وقال المغيلي في هذا الصدد:"يحفظ الدين بأن لا يتركوا أحدا يتكلم في دين الله بتعليم ولا حكم ولا فتوى حتى يكون من أهل العلوم والتقوى ".[2]

–اتخاذ المحتسب :

إن نظام الحسبة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجب على المحتسب أن يبحث عن المنكرات الظاهرة ليبطلها، والأمور الصالحة التي تُركت ليأمر بالقيام بها، قال الماوردي" والحسبة هي واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم "[3]، وللحسبة أهمية كبيرة تتمثل في ضبط أوضاع المجتمع وإصلاحه و منع انتشار الفساد فيه.

ويوصي الشيخ المغيلي السلطان بأن يتخذ محتسبا،ووجب أن تتوفر فيه مجموعة من الشروط وهيأن يكون ذكرا مسلما عاقلا متبعا للسنة وخلوقا لينا في القول والفعل طليق الوجه عفيف عما في أيدي الناس[4].

ولما رفض الشيخ المغيلي عادة إختلاط النساء بالرجال بمملكة سنغاي وعدم تحجبهم وتسترهم طلب من السلطان اتخاذ المحتسب، وعلى المحتسب أن يختار من يساعده على أداء مهامه كما طلب المغيلي من السلطان مراقبة المحتسبين عند أداء مهامهم.

---

[1]- أحمد بن محمد المقري ، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحاضرتين مراكش وفاس، المطبعة الملكية بالرباط ، ط2،1983 ، ص266.

[2]- المغيلي ، أسئلة الأسقيا، ص 165.

[3]- الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص : 241.

[4]- حسن علي حلاق ، الإدارة المحلية الاسلامية ، المحتسب ، الدار الجامعية بيروت ، ط 1980، ص ص 17 . 18.

وعلى المحتسب أن يمنع الفساد والظلم وقال المغيلي في هذا الصدد:"وأن يجتهد في منع ذلك كله بما استطاع وأن يجعل أمناء ويحتسبون على ذلك ليلا ونهارا سرا وجهارا وليس ذلك من باب التجسس على المسلمين وإنما ذلك حسن الرعي"[1].

3– محاربة العادات السيئة لسكان بلاد السودان الغربي:

لما سافر الشيخ المغيلي إلى بلاد السودان الغربي لاحظ أن بعض السكان يمارسون السحر والشعوذة التي ينبذها الدين الإسلامي،وكان مصدر سحرهم هو الوثنية لأنها ديانتهم الأولى قبل دخولهم الإسلام، وقال المغيلي حول سحرهم: "إن فيهم من يزعم أنه يعلم شيئا من الغيب بالخط على الرمل أو بأحوال النجوم أو بأخبار الجن أو بشيء من أصوات الطير أو حركاتها[2]".

وكان السحرة يسكنون الغابات المظلمة ويُشعلون النيران ويضربون بطونهم وجباههم بالخناجر وفي الأيام الأخيرة من شهر شعبان يذبحون الحيوانات للشياطين للتقرب منها لتقوم بخدمتهم ويقومون أيضا بشرب الدماء فهذه الأفعال كلها بسبب جهل سكان بلاد السودان الغربي للإسلام وعدم تمسكهم بالقرآن[3].

إضافة إلى السحر والشعوذة التي مارسها سكان بلاد السودان الغربي،لاحظ الشيخ المغيلي عادة سيئة أخرى وهي إختلاط الرجال بالنساء بشكل ملحوظ وهذا ما يشير إليه بقوله :" ومن مناكرهم اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق والطرقات"[4]، واعتبر المغيلي هذه العادة منكرا لأنها ليس لها علاقة بالتعاليم الإسلامية.

---

[1]- المغيلي ، أسئلة الأسقيا، ص: 189.

[2]- مجهول ،كتاب الاستبصار ، ص 223.

[3]- أحمد بلو ، إنفاق الميسور،ص 51.

[4]- المغيلي ، أسئلة الأسقيا، ص187.

فكانت النساء لا تتحجبن أمام الرجال الأجانب ولا تحتشمن ولهن الأصدقاء، فأزواجهم لا غيرة لديهم عليهن وكذلك للرجال أصدقاء من النساء،قال المغيلي : "وعدم احتجاب المرأة على أخ زوجها وابن عمه أو صاحبه ومن مناكرهم كشف عورات الحرائر والإماء حتى أن من عوائد أهل جني أن البنت لا تستر شيئا من عورتها ما دامت بكرا ولو بلغت خمسين سنة وكانت شابة من أجمل النساء تخرج بين الناس عريانة بلا ستر وهي بين أبيها وإخوانها وكذلك حتى تتزوج[1]".

وقال أيضا : "ولقد رأيت في ليلة سبعة وعشرون من رمضان نحو مائة جارية خرجن بالطعام من القصر عرايا "[2]، وكان السوداني إذا دخل بيته يجد زوجته مع صاحبها فلا يفعل شيئا ويعتبره أمرا عاديا، والمشكل يكمن في أنهم من المسلمين فلا ينكر ذلك .

وقد ذكر ابن بطوطة هذه العادة السيئة قائلا: "دخلت يوما على أبي محمد يندكان المسوفي الذي قدمنا في صحبته، فوجدته قاعدا على بساط وفي وسط داره سرير مظلل عليه امرأة معها رجل قاعد وهما يتحدثان فقلت له: من هذه المرأة ؟ فقال هي زوجتي فقلت: وما الرجل الذي معها من هو ؟ فقال : هو صاحبها فقلت له: أترضى بهذا وأنت قد سكنت بلادنا وعرفت أمور الشرع ؟ فقال لي: مصاحبة النساء للرجال عندنا على خير وحسن طريقة لا تهمة فيها، ولسنا كنساء بلادكم، فعجبت من رعونته وانصرفت عنه فلم أعد إليه بعدها، واستدعاني مرات فلم أجبه "[3].

وقال أيضا: "دخلت يوما على القاضي بإيولاتن بعد إذنه في الدخول فوجدت عنده امرأة صغيرة السن بديعة الحسن فلما رأيتها ارتبت وأردت الرجوع فضحكت مني ولم يدركها خجل وقال لي القاضي : لم ترجع ؟ إنها صاحبتي فعجبت من شأنهما فإنه من الفقهاء الحجاج"[4].

---

[1]- المغيلي ، المصدر نفسه ، ص 187.

[2]- ابن بطوطة ، الرحلة ، ج 2 ، ص 665 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 678.

[4]- المصدر نفسه، ص678.

وقد نتج عن اختلاط الرجال بالنساء في بلاد السودان الغربي وعدم تحجب النساء أمام الأجانب ارتكاب الزنا والفاحشة وانتشار الفساد في المجتمع، وأشار البكري إلى ذلك قائلا :"الزنا عندهم مباح"[1].

لكن الشيخ المغيلي رفض هذه العادة السيئة رفضا قاطعا وبدأ في النصح والإرشاد،ووضح لسكان بلاد السودان الغربي بأن هذه العادات ليست من صفات المسلمين،فعمل على تغيير الأوضاع وبث روح الاحتشام والتستر.

وكان السكان يصومون إلا أنهم يقومون بعبادة الأوثان مثلما فعل أجدادهم، ورغم إسلامهم إلا أنهم تعلقوا بمعتقدات أسلافهم قال المغيلي: "فإن أصابوا خيرا زعموا أن تلك الأصنام هي التي أعطتهم وإن لم يصيبوا رأوا أنها منعتهم فلا يغزون حتى يشاورونها وإن قدموا من سفر قصدوها ونزلوا عندها..." [2].

وكان السودانيون يكنون كل الاحترام الأصنام ويقدمون لها القربان والهدايا وببلاد السودان الغربي وُجدت قلعة كبيرة عليها صنم على شكل امرأة وهو مغطى بغطاء لكي لا يراه أحد[3]، كما كانت لهم ألهة تدعى"كحبر"،يعتقد السودانيون بأنها نزلت من السماء يعبدونها ويتقربون منها بالذبح ولا يمسها أحد منهم إلا إذا كان على طهارة[4]، فوُصف سكان بلاد السودان الغربي بالكفر،ولما سُئل المختار الكبير الكنتي عن هذا البلد قال:"بلد السودان بلد غلب على أكثر أهلها الكفر"[5].

---

[1]- البكري ، المسالك والممالك ،ج2،ص 880.

[2]- المغيلي ، أسئلة الأسقيا ، ص 170 .

[3]- مجهول (كاتب مراكشي من القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي) ،كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ط 1985 ، ص 225 .

[4]- أحمد بن القاضي التنبكتاوي ، هتك الستر عما عليه سودان تونس من الكفر ، تح: عبد الجليل التميمي ، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل تونس ، ط1، 1981، ص 43.

[5]- أحمد بلو ،انفاق الميسور ، ص : 298 .

وعُرف السودانيون بتذللهم لملكهم وهذا ما أشار إليها بن بطوطة أثناء رحلته قائلا: "فإذا دخل أحد ما على السلطان رفع ثيابه وتقدم بذلة ومسكنة وضرب الأرض بمرفقيه ثم يقف كالراكع يسمع كلام السلطان وإذا كلم أحدهم السلطان فرد عليه جوابه كشف ثيابه عن ظهره وظهر بالتراب على رأسه وظهره كما يفعل المغتسل بالماء وإذا تكلم السلطان في مجلسه بكلام وضع الحاضرون عمائمهم عن رؤوسهم وأنصتوا للكلام "[1].

ومن الصفات السيئة التي لاحظها الشيخ المغيلي في بلاد السودان الغربي هي هجوم القبائل القوية على القبائل الضعيفة،فينهبونها ويتخذون الناس الأحرار عبيدا لهم، فكان القوي يأكل الضعيف مثلما فعل سني علي بقبيلته بعد وفاة والده، قال المغيلي في هذا الشأن :"ثم بعد موت أبيه طلب السلطنة فقام على سنغاي وقاتلهم حتى غلبهم"[2]، وهجم على مملكة كاشنة وكانو وخربهما واستولى على الكثير من المناطق مما أدى إلى ظهور الإضطرابات والفوضى.

وكان بعض السودانيين يُرغمون القوافل التجارية المارة بأرضها على دفع الضريبة وتحدث ابن بطوطة في هذا الشأن قائلا :"حبس القافلة حتى عزموا له أثوابا وسواها وكان وصولنا إلى بلدهم في شهر رمضان وهم لا يغيرون فيه ولا يتعرضون القوافل وإذا وجد سراقها المتاع في رمضان لم يعرضوا له ." [3]

وحكم بلاد السودان الغربي بعض الملوك الظالمين المتجبرين مثل سني علي[4]، الذي اشتهر بتزوج العديد من النساء فإذا أعجبته امرأة أخذها لنفسه غصبا عن أهلها،ولم يكتف بذلك بل كان يجمع المرأة مع أمها وهذا ما حرمه الإسلام، ومنع الناس من الصلاة والصوم إلا أنهم كانوا يصومون خفية،فحرمانهم من أداء واجباتهم الدينية أدى بهم إلى الابتعاد عن دينهم.

---

[1]- ابن بطوطة ، الرحلة ، ج2، ص665.

[2]- المغيلي ،أسئلة الأسقيا ، ص 170 .

[3]- ابن بطوطة ، الرحلة ، ج2 ، ص 699 .

[4]- سني علي من أهم ملوك مملكة سنغاي ، امتدت فترة حكمه مابين(869-899هـ -1464-1493م)،اشتهر بظلمه وجبروته وكان يظلم العلماء ويطاردهم، وصفه مؤرخ السودان عبد الرحمان السعدي با "الظالم الأكبر والفاجر الأشهر " ، أنظر محمد بلو ، انفاق الميسور ، ص264 .

وقتل ملك سنغاي الكثير من الفقهاء المسلمين ولم يكتف بذلك بل قتل النساء والأطفال[1] واتخذ لنفسه مجموعة من الفقهاء ليُحللوا له أي فعل مُشين يقوم به كي لا يصفه الناس بالملك الظالم[2] وفرض على السكان دفع الضرائب الباهضة واعتبرهم كعبيد له[3]، ونتج عن ذلك انتشار الفساد والظلم في مملكته.

فقام الشيخ المغيلي بمحاربة هذه العادات السيئة التي ليس لها علاقة بالتعاليم الإسلامية ووضح للسودانيين خطر أفعالهم التي لا ينتج عنها إلا الظلم والفساد ونبههم لكي يتخلوا عن ديانة أجدادهم وعاداتهم لأنها ليست من صفات المسلم التقي، فبدأ في تعليمهم ونصحهم إلى طريق الحق والصواب.

إن هدف الشيخ المغيلي من النصائح التي قدمها لسلطان كاغو وكانو هو تصحيح الأوضاع التي كانت تعيشها بلاد السودان الغربي وجهلهم بالتعاليم الإسلامية.

4- نشر المذهب المالكي

أُعتبر المذهب المالكي المذهب السائد في بلاد السودان الغربي، وانتشر منذ أواسط القرن الثاني الهجري في البلدان الإسلامية خاصة بلاد المغرب، واستمر انتشاره بعد القرن الثاني الهجري إلى غاية وصوله إلى بلاد السودان الغربي مع منتصف القرن الخامس الهجري وتوطدت أركانه ودعائمه بهذا البلد[4].

وقد عانى علماء المذهب المالكي قبل القرن الخامس الهجري الكثير من الصّعاب والمحن وذاقوا جميع أنواع التعذيب وتعرّضوا للمطاردة، وكان ذلك في عهد الأغالبة والفاطميين بتونس وعهد الموحدين بالمغرب وبقوا صامدين حتى وصول المرابطين إلى الحكم وانتصروا للمذهب المالكي.

---

[1]- المغيلي ، أسئلة الأسقيا، ص ص 171-172 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 178 .

[3]- حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ص187 .

[4]- عبد الرحمن محمد ميغا، المرجع السابق، ص31.

ومنذ هذا التاريخ بدأ المذهب المالكي بالانتشار، وأصبح مذهبا رسميا للدولة المرابطية ووصل إلى بلاد السودان الغربي وباقي المغرب، وفي هذا الصدد قال ابن خلدون :"... أما مذهب مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس وإن كان يوجد في غيرهم إلا أنهم لم يقلّدوا غيره إلّا القليل..."[1].

واعتبر القرن الخامس الهجري، القرن الذهبي الذي انتصر فيه المذهب المالكي في بلاد المغرب بعد المعاناة التي ذاقها أتباعه، الذين كثر عددهم ودافع عنه عامة الناس وخاصّتهم.

وبعد انتشاره ببلاد السودان الغربي بفضل علماء تلمسان وعلى رأسهم السيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، بدأ الفقهاء السودانيين في تدريسه ويظهر ذلك من خلال انتاجاتهم الفقهية التي تدور حول فقه مالك وتاريخه ورجالاته تأليف وشرحا وتعليقا واختصارا.

وبذلك أصبح المذهب المالكي المذهب الوحيد ببلاد السودان الغربي، خاصة في مدينة تنبكتو، ويرجع سبب ترسيخ المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي ومكانته الكبيرة إلى مجموعة من الأسباب، وأهمها دور علماء تلمسان في تدريسه بعد أن وفدوا إلى بلاد السودان، خاصة في مدينة جاو، وأهم هؤلاء العلماء الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني كما اشرنا سابقا، وقد انتفع به الطلبة بفقهه وعلمه، ثم دخل بلدة تكدة واجتمع بحكامها واستقر مدّة من الزمن وبدأ في نشر العلم والتدريس بها ووعظ الناس ونصحهم[2].

وقد دروسه في تكدة الفقيه محمد بن أحمد بن محمد التاذختي[3]، وأخذ عنه الفقه المالكي أيضا عبد الله الأنصمني (ت 950هـ/ 1543م)، الذي أصبح بفضل شيخه فقيها كبيرا ومن أعيان مذهب الإمام المالك[4].

---

[1]– ابن خلدون، المقدّمة، ط1، 1993، ص256.

[2]– سحر عنتر، المرجع السابق، ص112.

[3]– السعدي، المصدر السابق، ص39.

[4]– أحمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، 588.

ثم ارتحل الشيخ المغيلي إلى مدينة جاو واجتمع بسلطانها أسكيا محمد ووضع له مؤلّفا يجيب فيه عن مجموعة من الأسئلة فيما يخص المملكة، فصحّح المغيلي الكثير من العادات السيئة بهذا البلد.

لقد تعدد أسباب انتشار المذهب المالكي ببلاد السودان الغربي في زمن دولة مالي وأهمها: اهتمام الملوك به ودعمه والعمل على ذيوعه، وأشهرهم "ماريجاطة" بعد أن قضى على دولة صوصو الوثنية التي فرّ منها الكثير من المسلمين وعدد لا يستهان به من علماء وفقهاء المذهب المالكي[1]، إلا أن انتشار الاسلام في مالي أدّى إلى ذيوع الفقه المالكي، خاصة عندما تولى "منسا ولى" (652-669هـ/ 1255-1270م) الحكم بعد وفاة والده "ماريجاطة" الذي حرص على إحياء الشعائر الإسلامية كأداء فريضة الحج، خاصة بعد سيطرته على المراكز التجارية والثقافية العامرة بالفقهاء الذين يُساعدون الناس على فهم أمور الإسلام[2].

واعتبر عهد منسا موسى (712-737هـ/ 1312-1337م) عهد ازدهار المذهب المالكي بفضل أعمال منسا موسى الذي اشتهر بورعه وتقواه ومحافظته على الصلاة وقراءة القرآن[3]، وقام بتشييد الكثير من المساجد وأهمها: الجامع الكبير بتنبكتو، والمسجد الجامع بمدينة جاو، وكان منسا موسى مهتما بإحياء المناسبات الدينية وبالعلم وأهله وتمسكه بالمذهب المالكي والافتخار بالانتساب له[4].

ولما أراد زيارة البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج مرّ بمصر سنة (724هـ/ 1324م)، واشترى مجموعة من الكتب في الفقه المالكي أهمها: مدونة الإمام سحنون وكتاب مختصر خليل وكتاب الموطأ

[1]– سحر عنتر محمد، فقهاء المالكية وأثرهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2010، ص69.

[2]– سحر عنتر، المرجع نفسه، ص69.

[3]– العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: محمد عبد القادر خريسات، عصام مصطفى، يوسف أحمد، ج4، مركز زايد للترات والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 2001م، ص59.

[4]– سحر عنتر، المرجع السابق، ص69.

للإمام مالك بن أنس، وحرص منسا موسى على توطيد العلاقة مع الفقهاء بمصر حيث التقى بالقاضي الفقيه المالكي محمد بن أحمد بن ثعلب المصري الذي كان يُدرّس بالمدرسة المالكية[1].

ولما عاد منسا موسى من الحجّ إلى دياره اصطحب معه العالم الفقيه عبد الرحمن التميمي الحجازي، الذي استقرّ بتنبكتو، فوجد بها الكثير من الفقهاء السودانيين فتفوّقوا عليه في الفقه المالكي فقرّر الرحيل إلى فاس ليتفقّه بها ثم عاد إلى مدينة تنبكتو واستقرّ بها إلى غاية وفاته بها وخلّف الكثير من الأبناء والأحفاد الذين ساهموا مساهمة فعّالة في نشر المذهب المالكي[2].

كما استقدم كاتب منسا موسى معه إلى الفقيه عبد الله البلبالي[3]، فاستقر البلبالي بمدينة تنبكتو وتولّى إمامة المسجد الجامع، وكان له الفضل الكبير في نشر المذهب المالكي، وتجدر الإشارة إلى القول أن منسا موسى عمل على ذيوع المذهب بفضل جهوده في جلب مؤلفات وشروح لكبار فقهاء المالكية واستقدام الفقهاء من بلاد الحجاز والمغرب وتشجيعهم.

أمّا في عهد دولة صنغي قامت أسرة حاكمة عُرفت باسم الأساكي، فقام الأسكيا محمد الكبير[4] (898-924هـ/ 1492-1582م)، وابنه الأسكيا داوود (956-991هـ/ 1549-1583) على تشجيع فقهاء المالكية في دولتهم.

ولما تولى أسكيا الكبير محمد الحكم ارتفع شأن المذهب المالكي، وكان هذا الحاكم معروفا بورعه وتقواه، محبا للدين ملتزما باتّباع أحكامه، وكان مهتما بالفقهاء ويستشيرهم في جميع الأمور.

واتصل الأسكيا محمد بالتلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي سنة (902هـ/ 1502م) الذي كان يعد من كبار فقهاء المالكية في عصره، فحدّثه الأسكيا بأمر بعض علماء بلاد السودان الغربي

---

[1]– سحر عنتر، المرجع نفسه، ص81.

[2]– أحمد الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية، 1990، ص

[3]– هو عبد الله البلبالي أوّل البيضان، قال السعدي:"هو جدّ جدّتي أم والدي"، جاء إلى تنبكتو صحبة الفقيه الإمام القاضي كاتب منسا موسى لما رجع من فاس وخلفه في الإمامة، أنظر: السعدي، المصدر السابق، ص58.

[4]– السعدي، المصدر السابق، ص 71-72.

الذين كانوا لا يتقنون اللّغة العربية ويجهلون الأمور المتعلقة بالدين فلم يكونوا على استعداد لتولي المناصب المهّمة في البلاد، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي قائلا:"... وجب عليك أن تطلب عالما من أهل الذكر فالعلماء في هذه الأمة كالأنبياء في الأمم الماضية، يجب الاعتماد عليهم والسعي إن بعدوا..."[1].

فسمع الأسكيا محمد الكبير لنصيحة الشيخ المغيلي التلمساني وبدأ بالاهتمام بالعلماء وجلبهم من مختلف البلدان، ويُعدُ محمد بن عبد الكريم المغيلي من أهم العلماء الذين وفدوا غلى بلاط أسكيا محمد في مدينة جاوْ، وأصبح من المقرّبين للسلطان ومستشاره الخاص، ولم يكتف المغيلي بأن يكون مستشارا فقط بل أصبح مدّرسا فأقام الحلقات العلمية وألّف العديد من المؤلفات وناظرا لعلماء فتقرب منه الطلبة وانتفعوا من فقهه كثيرا[2].

وكان الأسكيا الحاج محمد الكبير مقرّبا للفقهاء فلمّا يستضيفهم كان يُجلسهم ويتقرّب منهم[3]، وكان لهؤلاء العلماء الفقهاء مكانة لا مثيل لها لدى الأسكيا، فلمّا عاد القاضي أبي البركات من أداء فريضة الحجّ سنة (924هـ/ 1518م)، جاءه الأسكيا من تنبكتو إلى جاو من أجل استقباله، وهذا يدلّ على الاحترام والمكانة العظيمة لدى الأسقيا اتجاه الفقهاء[4].

وتجدر الإشارة إلى أن فقهاء المالكية كان لهم الدور الكبير في ترسيخ ودعم المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي عن طريق تدريسه والتأليف فيه.

كما كان للملوك دور لا يستهان به في استقرار المذهب المالكي ببلاد السودان، حيث قاموا بجمع الأهالي على مذهب واحد هو المذهب المالكي، فعملوا على نشره ووفّروا له الحماية خوفا من الطرق الخرى سواء السياسية أو عقائدية، خاصة ملوك مالي الذين عملوا على نشره وذيوعه، وحكام دولة

[1]– محمد بن عبد الكريم المغيلي، أسئلة أسكيا وأجوبة المغيلي، تقديم: عبد القادر زبادية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص32.
[2]– سحر عنتر، المرجع السابق، ص93.
[3]– محمود كعت، المصدر السابق، ص11–55.
[4]– السعدي، المصدر السابق، ص76.

صنغاي الذين عملوا على تحقيق السيادة الكاملة للمذهب المالكي، حيث تولى فقهاء المالكية جميع خطط الدولة مثل خطّة الفتوى وخطّة القضاء، فصارت جميع الأحكام القضائية تتماشى وفق المذهب المالكي، ومنذ ذلك الحين أصبح هذا المذهب راسخا في بلاد السودان الغربي.

رابعا: إسهامات التجار بإقليم توات وبلاد السودان الغربي:

إن دور التجار بإقليم توات وببلاد السودان الغربي لا يقل أهمية عن دور العلماء والفقهاء بهذه المناطق، إذ ساهموا في نشر الإسلام وإخراج سكان بلاد السودان الغربي من ظلمات الوثنية إلى النور، ونشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية، وتقرّ الكثير منهم من الملوك والأمراء، وعملوا على خدمتهم وقدّموا لهم النصح، وحبّبوا إليهم الدين الجديد[1].

فكانت لأعمالهم التجارية ربحا مزدوجا في الدنيا والآخرة، إذ نشّطوا المبادلات التجارية وأنعشوا الاقتصاد من جهة ومن جهة أخرى أدخلوا سكان بلاد السودان الغربي إلى الإسلام وأخرجوهم من الوثنية، وأبطلوا لهم الكثير من عاداتهم وتقاليدهم السيئة كعبادة الأصنام وتقديس السلاطين الذين بلغوا درجة الإله.

ولم يستسلم التجار في مواصلة فتح إفريقيا ونشر الاسلام في ربوعها رغم الصعوبات والمشاق، معتمدين في ذلك على الصبر والموعظة والأخلاق[2]، رغم وجود الصحراء الكبرى القاحلة التي تفصل بين شمال إفريقيا وجنوبها، فهي لم تقف كحاجز دون نشاطهم في إسهاماتهم الفكرية والدينية والإصلاحية[3].

ونتج عن نشر الإسلام خاصة في وادي النيجر ظهور المدن المتحضرة التي أّتبرت مركز إشعاع ثقافي وفكري لا مثيل له، وأهمها مدينة تنبكتو التي تأسست في القرن الثاني عشر الميلادي، والتي ذكرها

[1]– عبد الله عبّاس، الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته في بلاد السودان الغربي من القرنين 9و10 هـ/ 15-16م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001-200، ص104.

[2]– خليل النحوي، بلاد شنقيط، المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس، 1987، ص262.

[3]– عبد الله عباس، المرجع نفسه، ص105.

السعدي قائلا:" ما دنّستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمن"[1]، إضافة إلى مدينة "جيني"، التي هدم سكانها كلّ الأصنام، وشيدّوا مكانها المساجد في بداية القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)[2].

وكان لهذه المدن الأثر الكبير في نشر وتقدم الإسلام الذي توغّل داخل قارة إفريقيا بفضل القوافل التجارية التي كانت نشطة بين الإقليم الشمالي والمناطق التي تطلّ على الصحراء الكبرى من جنوبها التي تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى وادي النيل شرقا[3].

ومن أهم الأعمال التي قام بها التجار المسلمون تشييد المساجد وبناء المدارس والزوايا وكانوا يشترون العبيد ويُدخلونهم إلى الدين الإسلامي ثم يقومون بتحريرهم وإعادتهم إلى أوطانهم، لكي ينشروا بدورهم الإسلام في بلادهم، وقام الكثير من الجار بالزواج من نساء من بلاد السودان الغربي بعد استقرارهم بها فحصلت المصاهرة مع سكان المنطقة، ممّا أدّى إلى توطّد العلاقة مع التجار الوافدين والسودانيين[4].

ولم يستسلم التجار المسلمون في مواصلة توافدهم على بلاد السودان الغربي رغم صعوبة المسالك وبعد المسافة والأخطار المتوقعة التي يتعرضون لها كقطّاع الطرق والزوابع الرملية وضياع الطريق ونقص المياه، حيث ربطت القوافل التجارية بين مراكز الحضارة في الشمال وبين أهالي سكان جنوب الصحراء الكبرى، واتسع دور القوافل التجارية خاصة بعد انتشار الإسلام بشكل واسع، فحمل المسلمون سواء من العرب أو من البربر الإسلام إلى بلاد السودان الغربي، حيث عُرف عن التجار المسلمين قيمهم الدينية وأخلاقهم العالية ممّا ساعدهم على التأثير على السكان[5].

[1]– السعدي، المصدر السابق، ص60.

[2]– قداح نعيم، حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، الشكرة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (د–ت)، ص86.

[3]– حسن إبراهيم حسن، إنتشار الإسلام في القارة الإفريقية ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1984، ص17.

[4]– حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص16.

[5]– عبد الله عباس، المرجع السابق، ص107.

فكان التجار إذا ما دخلوا قرية وثنية سرعان ما يلفت إليه الأنظار بكثرة وضوئه الذي يُعد مظهرا من مظاهر الصلاة والعبادة التي يؤديها بنظام وخشوع وأيضا مظهر من مظاهر النظافة المحبّبة إلى النفوس البشرية، وما يتجلى عليهم احترامه وتقديره والاستماع لما يقوله[1].

فأخلاق التجار المسلمين وسموّهم الفكري والخلقي كان له الدور الكبير في جلب قلوب سكان بلاد السودان الغربي الذين اتخذوا من الوثنية دينا لهم[2].

ومن أشهر التجار الذين ساهموا مساهمة فعّالة في ازدهار الحياة الاقتصادية والفكرية في بلاد السودان الغربي "عائلة المقرّي" التي وفدت من تلمسان وكوّنت ثروة هائلة من النشاط التجاري وتحكم في طريق السودان، وكان بها خمسة إخوة تقاسموا الأدوار فيها بينهم، واستقر اثنان منهم في مدينة تلمسان التي اعتبرت المقر الرئيسي للشركة، وانتقل أخوهم الأكبر إلى مدينة سجلماسة ففتح بها مكتبا تجاريا، بينما استقر الاثنان الآخران بمدينة بإيولاتن التي تبعد عن تنبكتو بنحو أربعمائة كيلومتر، فشيدا بها دارا ومتجرا، وفي هذا الصدد ذكر حفيدهم صاحب كتاب "نفح الطيب" دورهم ونشاطهم التجاري في الخطّ الرابط بين بلاد السودان الغربي ومدينة تلمسان قائلا: "انتشرت ذريته (أي المقري) على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة فمهّدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار واتخذوا طَبْلَ الرحيل وراية التقدم عند المسير، وكان أولاد يحي الذين كان أحدهم أبو بكر خمسة رجال، فعقدوا الشركة بينهم فيما ملكوه وفيما يملكونه على السواء بينهم والاعتدال، وكان أبو بكر ومحمد وهما أرومتا نسبي من جميع جهات الأم والأب بتلمسان وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسلجماسة وعبد الواحد وعلي وهما شقيقاهم الصغيران بأيولاتن فاتخذوا هذه الأقطار والحوايط والديار فتزوجوا النساء واستولدوا الإماء..."[3].

[1]– حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص16–17.

[2]– عبد الله عباس، المرجع السابق، ص107.

[3]– لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبرا غرناطة، المجلد الثاني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص117.

ويواصل قوله:"وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتبر والسجلماسي كلِسان الميزان يعرفهما بقدر الرُجحان والخسران ويكاتبهما بأحوال التجّار وأخبار البلدان حتى اتسعت أموالهم وارتفعت في الفخامة أحوالهم، ولما افتتح التكرور كورة أيولاتن وأعمالها أُ صيب أموالهم فيها أصيب من أموالها بعد أن جمع من كان بها منهم إلى نفسه الرجال ونصب دون ماله القتال ثمّ اتصل بملكهم فأكرم مثواه ومكنّه من التجارة وبجميع بلاده وخاطبه بالصديق الأحبّ والخلاصة الأقرب، ثم صار يكاتب من تلمسان يستقضي منهم مآربه فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة وعندي من كتبه وكتب الملوك بالمغرب ما ينبئ عن ذلك فلمّا استوثقوا من الملوك تذلّلت لهم الأرض للسلوك فخرجت أموالهم عن الحدّ وكادت تفوق الحصر والعدّ لأن بلاد الصحراء قبل أن يدخلها أهل مصر كانت تجلب لها من المغرب ما لا بال له من السلع فيُعاوِضُ عنه بماله بال من الثمن، ولما هلك هؤلاء الأشياخ جعل أبناؤهم ينفقون ممّا تركوا لهم ولم يقوموا بأمر التثمير قيامهم وصادفوا توالي الفتن، ولم يسلموا من جور السلطان فلم تزل حالهم في نقصان إلى هذا الزمان فها أنا ذا لم أدرك في ذلك إلا أثر نعمة اتخذنا فصوله عيشا وأصوله حرمه، ومن جملة ذلك خزانة كبيرة من الكتب وأسباب كثيرة تُعين على الطلب فتفرّغت بحول الله عزّ وجل للقراءة، فاستوعبت أهل البلد لقاء وأخذت عن بعضهم عرضا وإلقاء، سواء المقيم القاطن والوارد والظاعن"[1].

إن عائلة المقرّي التلمسانية أسهمت مساهمة فعّالة في بلاد السودان الغربي كغيرها من التجار، فلم يكتفوا بالنشاط التجاري بل نشروا العلم والثقافة في مجتمع غلاب إفريقيا.

خامسا: إسهامات الطرق الصوفية والزوايا:

انتشر التصوّف في بلاد السودان الغربي بفضل انتشار الإسلام ومن أهم الطرق الصوفية[2]، التي انتشرت بهذه المناطق الطريقة القادرية[1]والتيجانية[2] والشاذلية[3].

[1]– لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة ، ص118.

[2]– الصوفية مأخوذة من التصّوف وهو التخلي بالأخلاق بالوقوف من الآداب الشرعية ظاهرا، أنظر: عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية ومدارسها، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1989م، ص21–22.

وتمتع أتباع الطرق الصوفية في غرب إفريقيا بالاحترام من قبل السكان وكانت لهم مكانة عظيمة في المجتمع، وهذا ما ساعد على مواصلة نشر الإسلام في أواسط الوثنيين الذين سيطرت على عقولهم الخرافات والعادات السيئة كالشعودة، فتخلّوا عنها واتّبعوا الإسلام وخضع أغلبهم للطريقة التيجانية والطريقة القادرية حتّى إلى يومنا هذا كالسنغال والنيجر وموريتانيا[4].

وتجدر الإشارة إلى أن للطرق الصوفية التي تأسست في غرب إفريقيا دور لا يستهان به، فعملت على النصح والارشاد وتوجيه الناس إلى ما فيه الخير والسداد، والقضاء على المعتقدات الشائعة كالتنجيم والسحر، كما عملت هذه الطرق الصوفية على نشر الوعي والعلم في أوساط السودانيين وتهذيبهم وغرس ثقافة التسامح والسلم والتعايش، خاصة وأن منطقة غرب إفريقيا معروفة بتنوع أجناسها واختلاف دياناتها[5].

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف عمل المتصوفون على بناء المساجد وفتح المدارس والزواج من نساء البلد للمصاهرة وأيضا شراء العبيد ثمّ عتقهم بعد إدخالهم للدين الإسلامي وتعليمهم لمبادئه الصحيحة، وعرف بلاد السودان الغربي بوجود أشهر الطرق الصوفية وهما الطريقة القادرية والتيجانية، التي كان هدفها نشر الإسلام.

---

[1]– تأسست الطريقة القادرية في القرن 12م، وانتشرت في غرب إفريقيا كغيرها من الطرق الصوفية الأخرى خلال القرن 15م، ومؤسسها يُدعى الشيخ عبد القادر الجيلالي في العراق، ويرجع ارتباط سكان بلاد السودان بالطريقة القادرية إلى جماعة من المهاجرين العرب الذين استقروا بإقليم توات ثم انتقلوا إلى ولاتة التي كانت تعد من أكبر المراكز الحضارية القديمة للثقافة العربية الاسلامية في بلاد السودان الغربي، ثم رحلوا إلى مدينة تنبكتو للإصلاح ونشر العلم والمعرفة، أنظر: أحمد شلبي، موسوعة التاريخ، ج6، ط4، مكتبة النهضة المصرية، 1983م، ص211 – عمّار هلال، المرجع السابق، ص108.

[2]– مؤسسها أبو العبّاس أحمد بن محمد المختار التيجاني (1150هـ/1737م) بقرية عين ماضي بالأغواط الجزائرية، أنظر: سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص517-518.

[3]– تنسب الطريقة الشاذلية إلى أبي الحسن بن عبد الجبار الشاذلي الملقب بتقي الدين، ولد عام (593هـ/1196م)، وتوفي عام (565هـ/1258م)، وكان من تلاميذ محمد عبد السلام بن مشيش، أنظر: التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي ببلاد تونس (1881-1939م)، منشورات كلية الآداب، تونس، 1987م، ص48.

[4]– إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص221.

[5]– عبد الله عبّاس، المرجع السابق، ص115.

إلا أن الطريقة القادرية عرفت توسعا كبيرا، وقد دخلت في إفريقيا الغربية في القرن الخامس عشر الميلادي على يد مجموعة من المهاجرين من إقليم توات، واتخذوا من ولاتة أول مكان لطريقتهم الصوفية لكنّ أحفادهم طُردوا فيما بعد من هذه المدينة، ثم ارتحلوا إلى تنبكتو وأقاموا في جهة نائية شرقي ولاتة[1].

وبعد فترة من الزمن أصبحت بلاد السودان الغربي عامرة بالمتصوفين القادريين والفقهاء والعلماء، الذين استقروا في أوساط السودانيين الذين احترموهم أشدّ الاحترام باعتبارهم فقهاء متعلمون، ومن مهامهم الدعوة إلى الدين الإسلامي وإلى اكتساب العلم، وكانوا يشجعون طلبة العلم ويرسلونهم إلى المراكز العلمية في البلدان الأخرى، كما أنهم بنوا المدارس وأشرفوا على تنظيمها والإنفاق عليها للقيام بدورها على أتم وجه في تعليم الصبيان والكبار.

واعتمدت الطريقة القادرية في دعوتها في بلاد السودان الغربي على النصح والإرشاد والتمسك بالدين والأخلاق، فكان هؤلاء الدعاة قدوة حسنة لغيرهم[2].

وقد ساهم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني في انتشار الطريقة القادرية في بلاد السودان الغربي، والتي أخذها عنه الشيخ عمر بن أحمد البكاي بن أحمد الكنتي (959هـ/1552م)، ومن أهم فروع الطريقة القادرية في غرب إفريقيا البكائية نسبة إلى مؤسسها الشيخ عمر بن أحمد البكاي خلال القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، وعرفت الطريقة البكائية ازدهارا ملحوظا مع ظهور الشيخ مختار الكنتي (ت1226هـ/1821م)[3].

[1]– آرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، 1957م، ص365.
[2]– عباس عبد الله، المرجع السابق، ص116.
[3]– قدّاح نعيم، المرجع السابق، ص94-95.

وأثر إقليم توات ثقافيا على مدينة ولاتة، وارتحل إليها الكثير من العلماء والمتصوفين وأهمهم يحيى كامل المحجوب[1]، وأحمد البكاي (ت920هـ/1541م) الذي استقر بولاتة في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، وكان له الفضل في نقل الطريقة القادرية إلى السنغال[2].

وممّا أدّى إلى نجاح الطريقة القادرية هو انضمام ملوك وأمراء غرب إفريقيا إلى دعاتها مثلما فعل أمراء ماسينا مع الكنتيين واتخذوهم مستشارين لهم في أمور المملكة[3].

ومن أهم الطرق الصوفية الأخرى المنتشرة ببلاد السودان الغربي الطريقة الشاذلية التي تأسست على يد أبي القاسم الجنيدي[4] الذي تأثر به الشيخ أبو مدين الأندلسي[5]، وتتلمذ على يده عبد السلام بن مشيش[6] الذي نشر طريقته الشاذلية وبفضلها ذاع صيته، ثم بدأت هذه الطريقة في الانتشار في بلاد المشرق وبلاد المغرب والحجاز وغرب إفريقيا.

وكان للزوايا دور مهم في الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية والفكرية للسكان في غرب إفريقيا، والتي أنشأها رجال الطرق الصوفية والعلماء والتجار وكان هدفها نشر الإسلام وتثبيت دعائمه في كامل قارة إفريقيا[7].

وكانت الزوايا مقرّ للعبادة والعلم ومراكز لتقييم طلاب العلم ويلجأ إليها المسافرون والفقراء، فالخدمات التي قدمتها الزوايا للسكان كانت عاملا في انتشار الإسلام في قارة إفريقيا، والقضاء على

[1]– جد قبيلة المحاجيب التواتية الذي جاء من ولاتة في عهد اختلف في تحديده، هل في القرن الثاني عشر أو السادس أو التاسع للهجرة، وقد ذكر أن هذا العالم كان معاصرا للشيخ عبد القادر الجيلالي، أنه كان معه في العرق، مما يرجع أنه من أهل القرن السادس، وبوصول يحيى الكامل انتعشت حركة الثقافة العربية الاسلامية في مدينة ولاتة، أنظر: عباس عبد الله، المرجع السابق، ص117.

[2]– خليل النحوي، المرجع السابق، ص69.

[3]– عباس عبد الله، المرجع السابق، ص118.

[4]– وُلد ببغداد ونشأ بها، اشتهر بفصاحته وفقهه وأخلاقه الحميدة وتصوّفه، أنظر: عبد المنعم حقي، الموسوعة الصوفية: أعلام التصوف والمنكرين عليه، والطرق الصوفية، ط1، دار الرشاد، مصر، 1992، ص107.

[5]– الغبريني، عنوان الدراية، ص385.

[6]– أبو محمد عبد السلام بن مشيش بن منصور بن إبراهيم الحسن، كان معاصرا للسلطان عبد المؤمن (ت1160م)، أصله من المغرب، عاش في القرن السابع الهجري، وتم اغتياله عام (1127م–1128م)، أنظر: عمّار هلال، المرجع السابق، ص100.

[7]– عباس عبد الله، المرجع السابق، ص121.

الوثنية، وتطورت الزوايا بإقليم توات في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)، ودعت إلى محاربة اليهود وإخراجهم من الإقليم بعد أن أفسدوا في الأرض[1]، واهتمت الزوايا بالعلوم الدينية وأيضا بالأدب وتلقينها للطلبة، وعملت أيضا على تثبيت الدين الإسلامي في قلوب المسلمين الجدد في بلاد السودان الغربي نظرا لبعدهم عن مراكز التوجيه الإسلامي[2].

واهتمت الزوايا بإقليم توات بإرسال أفواج من خرّيجيها إلى غرب إفريقيا من أجل تأسيس زوايا فرعية[3]، كما كان لها دور كبير في نشر اللغة العربية ببلاد السودان الغربي.

وبعد استقرار الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني بإقليم توات قام ببناء زاوية تتبع الطريقة القادرية واتخذها قاعدة أساسية لنشر الاسلام بمناطق الهوصة ببلاد السودان الغربي، ويستشيره السلاطين في الأمور الصعبة فيفتي لهم حسب ما جاء في الشريعة الاسلامية، وبعد وفاة الشيخ المغيلي استمر توافد الفقهاء والعلماء على بلاد السودان الغربي وعملوا على نشر الثقافة الاسلامية، وكان للتجار أيضا الفضل الكبير في بناء المساجد والزوايا بمدينة تنبكتو بعد استقرارهم بها[4].

ولقّن العلماء أيضا تعاليم الاسلام للسودانيين والأخلاق والوعظ والنصح بعد هجرتهم إلى بلاد السودان الغربي.

وكان لقبائل الشمال المهاجرة دور مهم في بلاد السودان الغربي حيث ساهمت في نشر اللغة العربية وتأليف الكثير من المؤلفات في اللغة والفقه والأدب[5] وتشجيع العلماء والفقهاء الذين حافظوا على الثقافة الاسلامية بهذه المناطق ممّا جعلها تكتسب مكانة عظيمة في نفوس سكان بلاد السودان الغربي.

---

[1]– نفسه، ص123.

[2]– فرج محمد فرج، المرجع السابق، ص165.

[3]– عبّاس الجواري، ثقافة الصحراء، طبعة تونس، 1987، ص42.

[4]– حوتية محمد، قبيلة كنتة بين إقليمي توات والزواد، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 1992–1993م، ص125.

[5]– عباس عبد الله، المرجع السابق، ص125.

سادسا: تأثير القبائل:

شهدت جنوب إفريقيا هجرة الكثير من القبائل خاصة بإقليم توات الذي عرف العديد من تحركات وتنقلات الأفراد والجماعات ونتج عن ذلك انتشار الاسلام بهذه المناطق بفضل القبائل المهاجرة[1].

وأول القبائل المهاجرة تُدعى قبيلة أولاد عبد الجليل وآخرها أحرازم، ومن القبائل التي هاجرت من إقليم توات إلى السودان الغربي لنشر الاسلام قبيلة كنتة التواتية، وهي القبيلة العربية الوحيدة التي كان لها أثر كبير في إسلام السودانيين وإخراجهم من ظلمات الوثنية في منطقة الصحراء والنيجر الوسطى[2]، وكانت هجرتها في القرن التاسع الهجري ووصلت إلى تنبكتو .

ومن الأسباب المؤدية إلى هجرة القبائل نحو توات هو تمتع الإقليم بالأمن والاستقرار، وكانت بمثابة مأوى لها بدءا من العبيديين والبرامكة وانتهاء بالهلاليين والمرابطين، ثم ارتحلوا بعد ذلك إلى بلاد السودان الغربي، على شكل هجرات جماعية نتج عنه إنشاء ممالك إسلامية قوية غرب إفريقيا.

ومما ساعد على نشر الاسلام في غرب إفريقيا هو علاقة الجوار بين سكان إقليم توات وسكان بلاد السودان الغربي إضافة إلى رابطة القربى فيما بينهم، وانصهار العديد من المجموعات التواتية في المجتمع الإفريقي كقبيلة أبي السباع وأولاد الحاج والترارزة والشرفاء عن طريق التزاوج، فعملوا على نشر الثقافة الاسلامية واللغة العربية ونشر العلم والمعارف[3].

ولم يكتف التواتيون بإقامة علاقات مع عامة سكان بلاد السودان الغربي، بل تقربّوا من الملوك والأمراء وقدّموا لهم النصائح لتسيير شؤون المملكة ومعالجة المشاكل والصعوبات التي يتلقاها الحاكم، مثلما فعل الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني في عهد الأساكي كما ذكرنا سابقا.

---

[1]- المرجع نفسه، ص108.

[2]- مصطفى أبو ضيف، ملتقى الدراسات الاسلامية والعربية بإفريقيا، مجلة الرسالة، أدرار، العدد 10، 1988، ص27.

[3]- عبد الله عباس، المرجع السابق، ص110.

وقام شيوخ قبيلة كنتة بتقديم النصح لأمراء ماسينا وأهمهم الشيخ محمد بن المختار الكبير الذي قدّم رسالته بعنوان "فيما يجب أن يكون عليه حكام ماسينا من صفات حميدة"[1].

وتجدر الاشارة إلى القول بأن القبائل والجماعات المهاجرة من الأقاليم الشمالية كان لها دور فعّال وتأثير قوي بإقليم توات في نشر الاسلام واللغة العربية.

[1]– المرجع نفسه، ص112.

خاتمة

ـ عرفت مدينة تلمسان في العهد الزياني بوضعها الثقافي المزدهر الذي لا مثيل له ، واشتهرت بأنها مركز إشعاع حضاري ضاهت به مختلف الأقطار الإسلامية في هذا العهد ، فعجت بالعلماء والطلبة وكثرة المراكز الثقافية والمؤسسات التعليمية من (مساجد ومدارس وزوايا وكتاتيب) ، وكان ذلك بفضل اهتمام السلاطين الزيانيين بالعلم والعلماء ، إضافة إلى الهجرة الأندلسية وما أتى به الأندلسيون من علوم وثقافة ، واشتهرت مدارسها بتدريس مختلف العلوم التي صنفت إلى علوم نقلية وعلوم عقلية نبغ فيها علماء تلمسان وألفوا فيها الكثير من المؤلفات ، وكان لهم دور بارز في ازدهار الحركة الفكرية ولم تقتصر إسهاماتهم على الحاضرة تلمسان بل وصل صيتهم إلى الأقاليم الصحراوية (إقليم توات)وحتى غرب إفريقيا (بلاد السودان الغربي) .

ـ اشتهر إقليم توات بطبيعته القاسية مثل كثرة الحر والرياح ورغم ذلك تحدى علماء تلمسان قسوة طبيعته واستقروا بهذا الإقليم لنشر المزيد من العلم والمعرفة ، واشتهر إقليم بمدينة تمنطيط المدينة العلمية التي عرفت بكثرة العلماء والفقهاء ن وكان لإقليم توات علاقات ثقافية مع الكثير من المدن العلمية (كتلمسان وفاس وبلاد السودان الغربي)

أما اقتصاديا فقد اعتبرت توات مركزا لأهم الطرق التجارية التي تربط بلدان شمال افريقيا بمدن بلاد السودان الغربي التي اشتهرت بالتبر وتجارة العبيد اشتهرت أيضا بالحرف اليدوية والمنتوجات الزراعية كالتمر والحناء ، فكان الإقليم بمثابة حلقة وصل بين الأقاليم الشمالية والأقاليم الجنوبية لقارة افرقيا ، ولعبت القوافل التجارية دورا كبيرا في ازدهار الحياة الثقافية والفكرية ، فكان يتم فيها بيع الكتب إضافة إلى أن طلبة العلم كانوا يسافرون ويتخذون من هذه القوافل التجارية رفيقا لهم خلال رحلتهم العلمية ، أما الحياة الإجتماعية بتوات فتميزت بتنوع الأجناس من (بربر وعرب وعبيد وحراثين) وطغى على حياتهم التكامل والنشاط ، حيث عرف التواتيون بعادات تميزهم عن غيرهم كالاحتفال بالمناسبات الدينية .

وعرفت بلاد السودان الغربي بازدهارها العلمي خاصة بعد أن توافد عليها علماء تلمسان وفقهائها، فكثرت فيها المؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية (المساجد ـ الكتاتيب ـ المادرس ـ الزوايا ـ المحاضر) ، مما أدى إلى كثرة العلماء ، وكان من بينهم علماء سودانيين ، حيث وجدت في الأسرة السودانية الواحدة أكثر من عالم ، أما مراحل التعليم ومناهجه وطرق تدريسه بغرب إفريقيا لم تكن تختلف كثيرا عن طريقة بلاد المغرب وهذا دليل على التأثير الثقافي لعلماء بلاد المغرب خاصة علماء تلمسان على هذه الأقطار .

كان لعلماء تلمسان حضور قوي ومتميز في كافة أرجاء أقاليم الصحراء الكبرى دخلوها لنشر العلم والمعرفة وبالتالي ازدهار الحركة العلمية والفكرية ، كما دخلوها داعين ومصلحين لأهالي المنطقة إذ أنه على امتداد فترات المد الإسلامي تتابعت رحلات العلماء والشخصيات البارزة في تلمسان إلى أعماق الصحراء حيث دخلها القاضي أبو يحي بن محمد سنة 815 هـ ، والعالم يحي بن يدير عام 845 هـ الذي عين قاضيا على توات ، والعالم عبد الله بن أبي بكر العصنوني سنة 862 هـ الذي تربع على عرش الافتاء والتدريس ، وبعد ثماني سنوات من هذا التاريخ لحق به الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني سنة 870 هـ .

وبفضل هؤلاء العلماء ازدهرت الحياة الفكرية في معظم الأقاليم الصحراوية فانتشر التعليم وكثرت المدراس والمعاهد ، فقد سجلت الذاكرة التاريخية حضورا فكريا وإصلاحيا لهؤلاء العلماء ومن عاصرهم من علماء تلك الأقاليم .

ومن أشهر هؤلاء العلماء العلامة المجدد الداعية المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي قام برحلة علمية إصلاحية إلى المجتمعات الإفريقية ، صال وجال فيها وهو يقوم بمهمة الدعوة إلى الله والإصلاح ونبذ الوثنية ، ونشر المبادئ الإسلامية الصحيحة ، وانشغل بالدعوة والوعظ والتدريس والقضاء والفتوى وبذل النصح لأمرائها وملوكها ، وطاف بعدد من عواصمها وأقاليمها فزار كانوا

وكشنة في شمال نيجيريا وكاغوا أو (جاو) الواقعة في مالي حاليا ، وتكدة من منطقة أهير (التابعة للنيجر حاليا)، وغيرها من البلاد الواقعة بين نهري السنغال والنيجر .

ـ ولما ارتحل الشيخ المغيلي إلى ممالك بلاد السودان الغربي ، كتب لسطان كانوا رسالة في الإمارة ينصحه فيها على الحكم بالعدل بين الناس وأن يخشى الله ويعمل على تنظيم شؤون مملكته وقام بنفس الأمر مع سلطان كاغو الذي قدم له أجوبة حول أسئلة كانت تشغل باله تتعلق بأمور المملكة، ومن خلالها نصحه بإتباع الشريعة وتطبيق أوامر الله تعالى والتخلي عن الهوى واجتناب المحرمات .

وكان المسلمون بهذه المناطق يتشرفون بإقامة هذا العالم الجليل بينهم تعليما وتدريسا وتوعية وإصلاحا ، وتنظيرا للأسس والقواعد التي يقام عليها نظام الحكم والسياسة في ظل الإمارات الإفريقية ذات المرجعية الإسلامية ، وترك أثرا بالغا في حياتهم الاجتماعية والثقافية والسياسية فضلا عن الجوانب الدينية .

واعتبرت نازلة يهود توات الشغل الشاغل لحياة محمد بن عبد الكريم المغيلي ، الذي ذاع صيته واشتهر في جميع الأقطار من خلالها ، حيث عمل على إخراج اليهود من إقليم توات طبقا للأحكام الشرعية ، لأنهم تعدوا على المسلمين ولم يحترموا أحكام أهل الذمة .

واعتبر الفصل في مسألة يهود توات اجتهاد من طرف الشيخ المغيلي ومن عاصره من العلماء أمثال الشيخ السنوسي والتنسي .

لقد اهتم الشيخ المغيلي بالعقيدة والتوحيد وعمل على تصحيح عقائد السكان وتوجيهها إلى الطريق الصواب ونبذ العادات السيئة كالسحر والشعوذة وعبادة الأوثان خاصة ببلاد السودان الغربي التي أثرت بإقليم توات بحكم القرب بين البلدين .

كما اهتم الشيخ المغيلي بعلم المنطق وألف فيه مجموعة من المؤلفات لاقناعه بأن المسلم وجب عليه استعمال عقله مع التدبر والتفكر في آيات الله ، وولى اهتمامه أيضا بالتصوف الذي يدعو إلى

نبذ ملذات الحياة وتزكية النفس والإخلاص في العلم والعمل ، وتميزت مؤلفات المغيلي بفصاحة اللغة ووضوح الأسلوب .

لقد نال العلماء التلمسانيون مكانة محترمة في أوساط السكان خاصة ببلاد السودان الغربي، فقربهم الملوك والأمراء واتخذوهم مستشارين لهم ، ووظفوهم وظائف مهمة في الدولة إلى جانب التدريس (كالقضاء والإفتاء)

واعتبروهم ورثة الأنبياء في الأرض وأطلقوا عليهم العديد من الألقاب (كالأستاذ والحافظ والفقيه والمدرس ...)

وكان للتجار والطرق الصوفية أيضا دور كبير في إقليم توات وبلاد السودان الغربي فتمثل دورهم في نشر الثقافة العربية والدين الإسلامي ونسخ وبيع الكتب ومن أشهر العائلات " أسرة المقري " التي جمعت بين التجارة ونشر العلم ، وأهم الطرق الصوفية أيضا (الطريقة القادرية والشاذلية ...) ، والتي اشتهرت بدورها الفعال في إحياء المناطق بغرب إفريقيا .

وهدفنا من خلال هذه الدراسة هو التعريف بعلماء تلمسان الذين تحملوا عناء السفر وشقائه وقسوة الطبيعة الصحراوية والتوغل نحو غرب إفريقيا من أجل الإسهام الفكري الذي قدموه بهذه الأقطار كالتدريس ونشر التعليم.

ونرجو في الأخير أن بحثنا قد ساهم ولو بقدر يسير في الكشف عن الدور الفكري الكبير الذي قدمه علماء تلمسان بإقليم توات وبلاد السودان الغربي خاصة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي قضى نصف حياته في نشر العلم والدعوة والإصلاح .

ملاحق

الملحق الأول: المغيلي، الرد على المعتزلة،نسخة
مصورة بزاوية المغيلي بتوات

الملحق الثاني : المغيلي،مختصر في علم الفرائض، نسخة مصورة بزاوية المغيلي بتوات

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال الشيخ الإمام العلامة الولي الصالح سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي رحمه الله ورضي عنه

الحمد لله رب العلمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله النبي الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين صلاة وسلاما كثيرين يتكرر بتكررهما العالمين. أما بعد فهذا مختصر جمع البوابض مشتملا على جملة من مهمات الفوائد بينت فيه المجمع إليه معتصما بالله متوكلا عليه ورتبته على مقصد ومقدمة وبابين وخاتمة والله المرجو للصواب

الباب الأول في بيان من يرث ومن لا يرث وما لكل من الورثة

اعلم وفقنا الله وإياك أن الإرث قسمان إرث بالنسب وإرث بالسبب والنسب ينقسم إلى جهات البنوة والأبوة والأمومة والأخوة والجدودة والعمومة فالبنوة لا يرث بها إلا الابن وابن الابن وابن وابن الابن والأبوة لا يرث بها إلا الأب والأمومة لا يرث بها إلا الأم وأما الابن وابن الابن والبنت وبنت الابن فيرث بها الأب والأم والجد والجدة وأبو الأب وأبو الأم والأخوة لا يرث بها إلا الأخ الشقيق والأخ للأب والأخ للأم وابن الأخ الشقيق وابن الأخ للأب وابن ابن الأخ الشقيق والأخت الشقيقة والأخت للأب والأخت للأم والجدودة لا يرث بها إلا الأب الأب وأب الأم والأم وأم الأم وأم كل واحد منهما والعمومة لا يرث بها إلا العم الشقيق والعم للأب وابن العم الشقيق وابن العم للأب والسبب ينحصر في ثلاث جهات النكاح والولاء والإسلام فالنكاح يرث به الزوج والزوجة

الملحق الثالث : المغيلي ، مايجب على المسلمين من اجتناب الكفار
وما يلزم اهل الذمة من الجزية والصغار، نسخة
مصورة بزاوية المغيلي بتوات

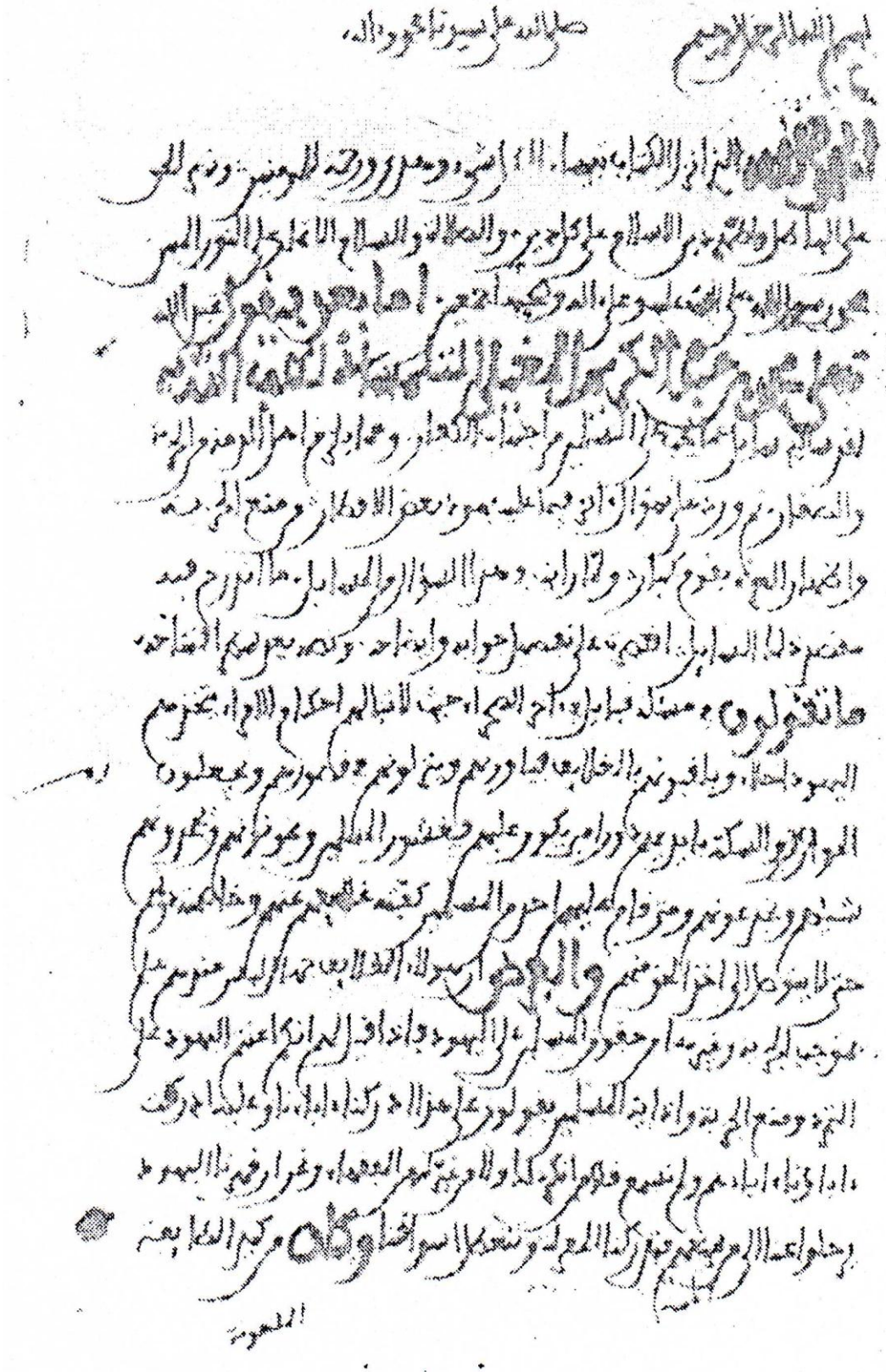

الملحق الرابع: المغيلي رسالة الى كل مسلم ومسلمة ، نسخة مصورة بزاوية المغيلي بتوات

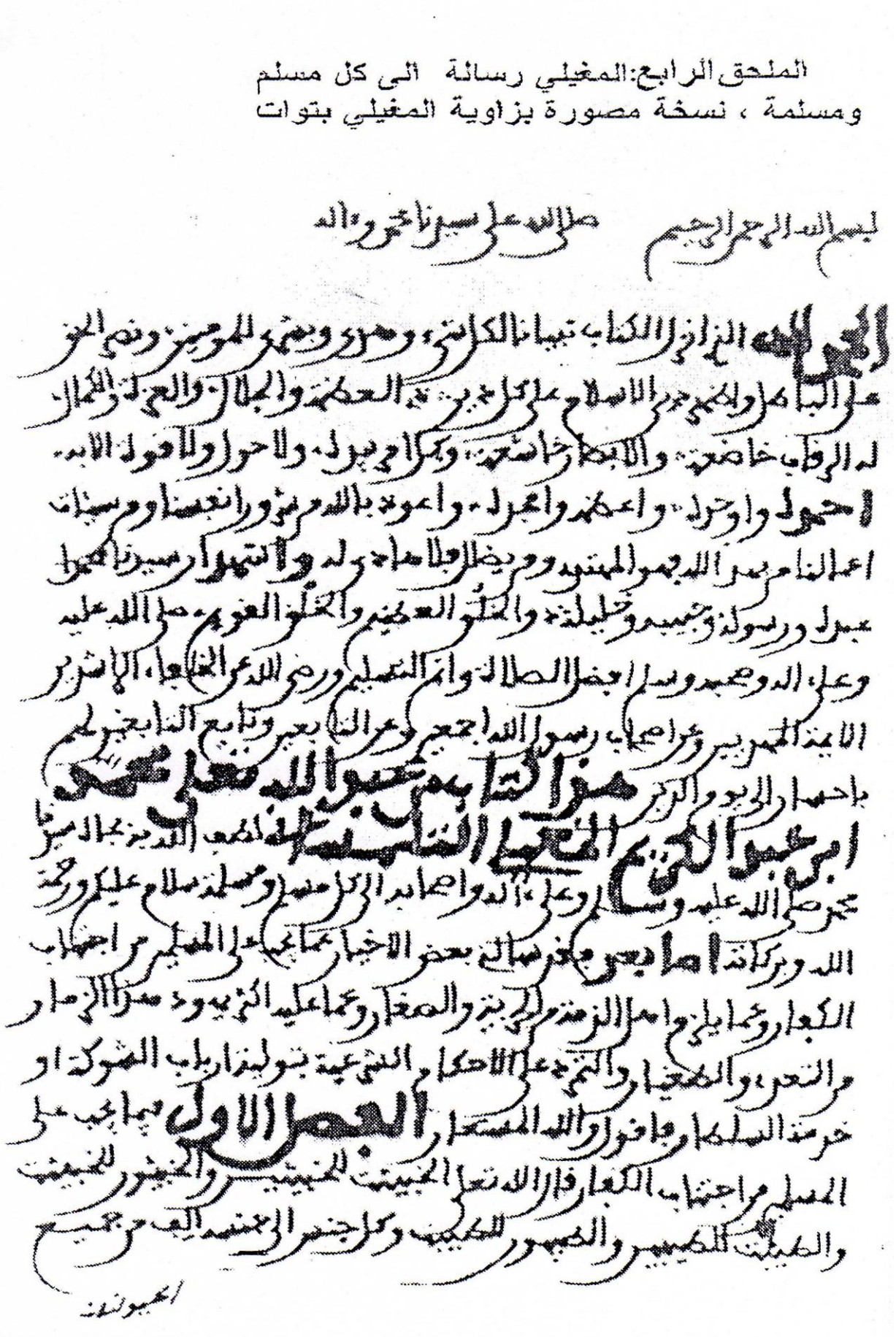

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الذي أنزل الكتاب تبيانا لكل شيء، وهدى ورحمة للمؤمنين ونصح الخلق على الباطن والظاهر، وألهم عباده الإسلام على كل حين، وخصه بالعظمة والجلال والعز والكمال له الرقاب خاضعة والأبصار خاشعة، وكل أمر إليه يرجع، ولا حول ولا قوة إلا به، أحمده وأشكره، وأعظمه وأكبره، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله، والخلق العظيم والخلق العميم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أفضل الصلاة وأتم التسليم ورضي الله عن الخلفاء الأشهر الأئمة المهديين وعن أصحاب رسول الله أجمعين وعن التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

هذا كتاب من عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني لمن نصح الدين من المسلمين ومسلمة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فقد سألني بعض الإخوان مما يجب على المسلم من اجتناب الكفار وأهل الذمة في البيع والصغار وعما عليه الذميون من الزنار والتعرض والصغار والتمييز في الأحكام الشرعية بتوليه أرباب الشوكة أو خوف السلطان وأخواله والله المستعان.

الفصل الأول فيما يجب على المسلم من اجتناب الكفار قال الله تعالى الخبيث والطيب لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث وكل جنس إلى جنسه يأوي من جميع

الحيوانات

الملحق الخامس : المغيلي، فصل الخطاب في رد الفكر الى الصواب الى الصواب ، نسخة مصورة بزاوية المغيلي بتوات

الملحق السادس: المسجد الكبير - تلمسان

الملحق السابع: مسجد أبي الحسن التنسي - تلمسان

الملحق الثامن: مسجد سيدي الحلوي - تلمسان

الملحق التاسع: مسجد سيدي بومدين – تلمسان

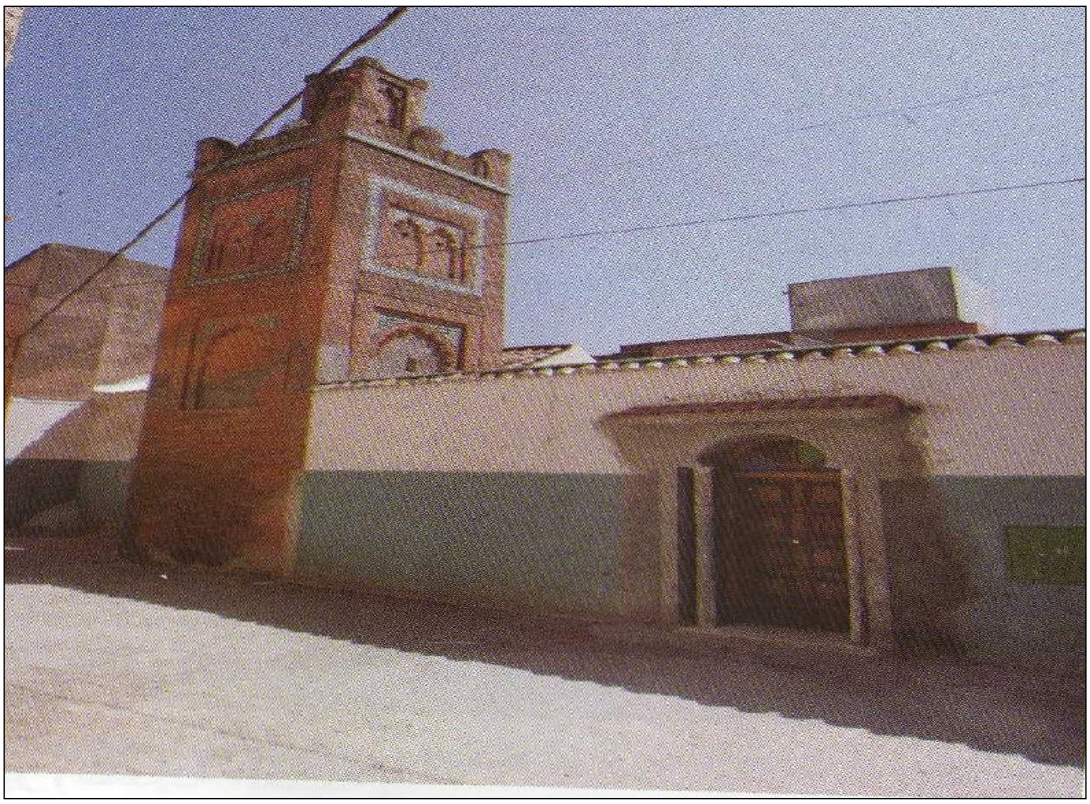

الملحق العاشر: مسجد أولاد الإمام

الملحق الحادي عشر: مسجد وزاوية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي

الملحق الثاني عشر: ضريح الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي

الملحق الثالث عشر: قبر زينب بنت عبد الرحمن الثعالبي زوجة محمد بن عبد الكريم المغيلي

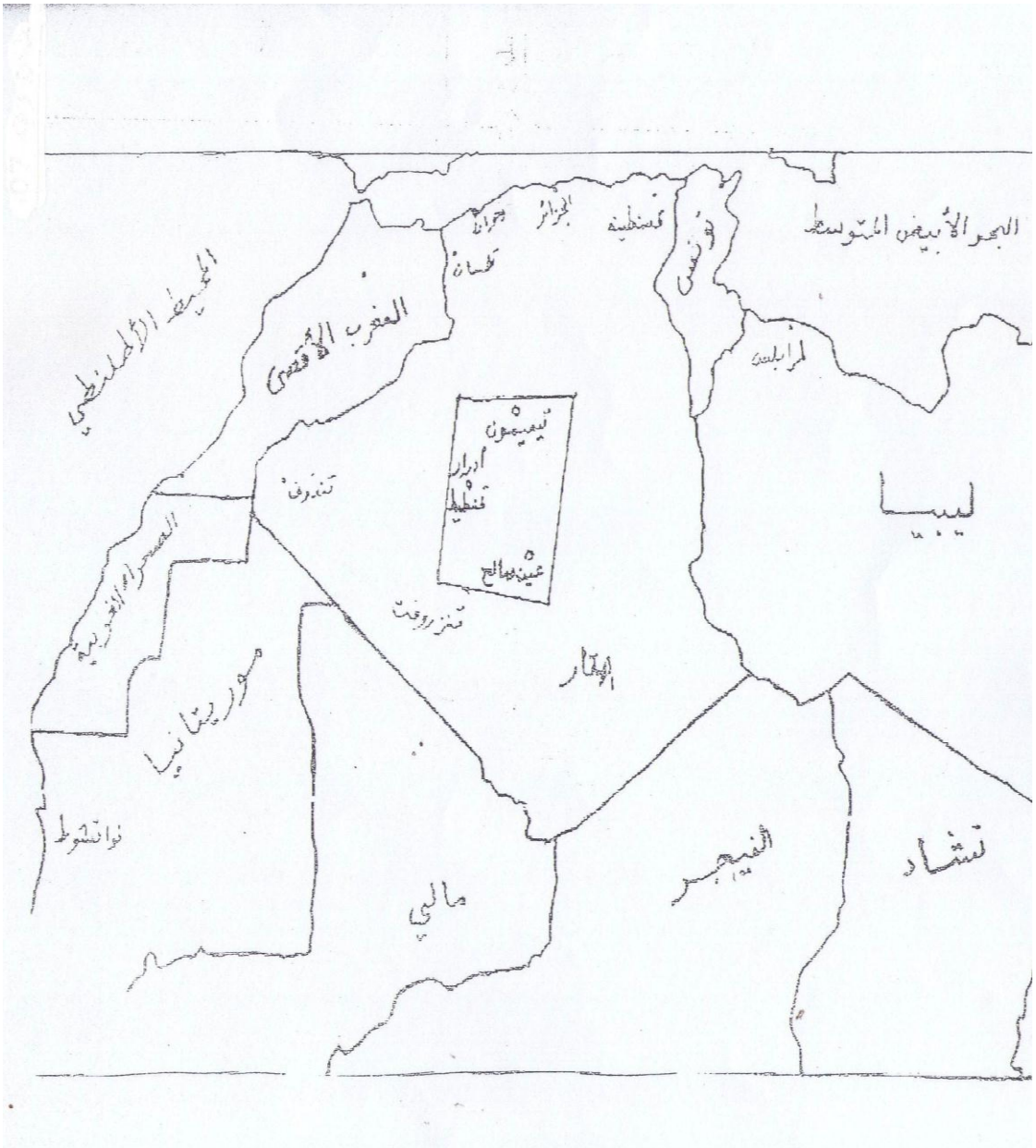

الملحق الرابع عشر:

خريطة توضح موقع إقليم توات من بلاد المغرب العربي وإفريقيا حاليا

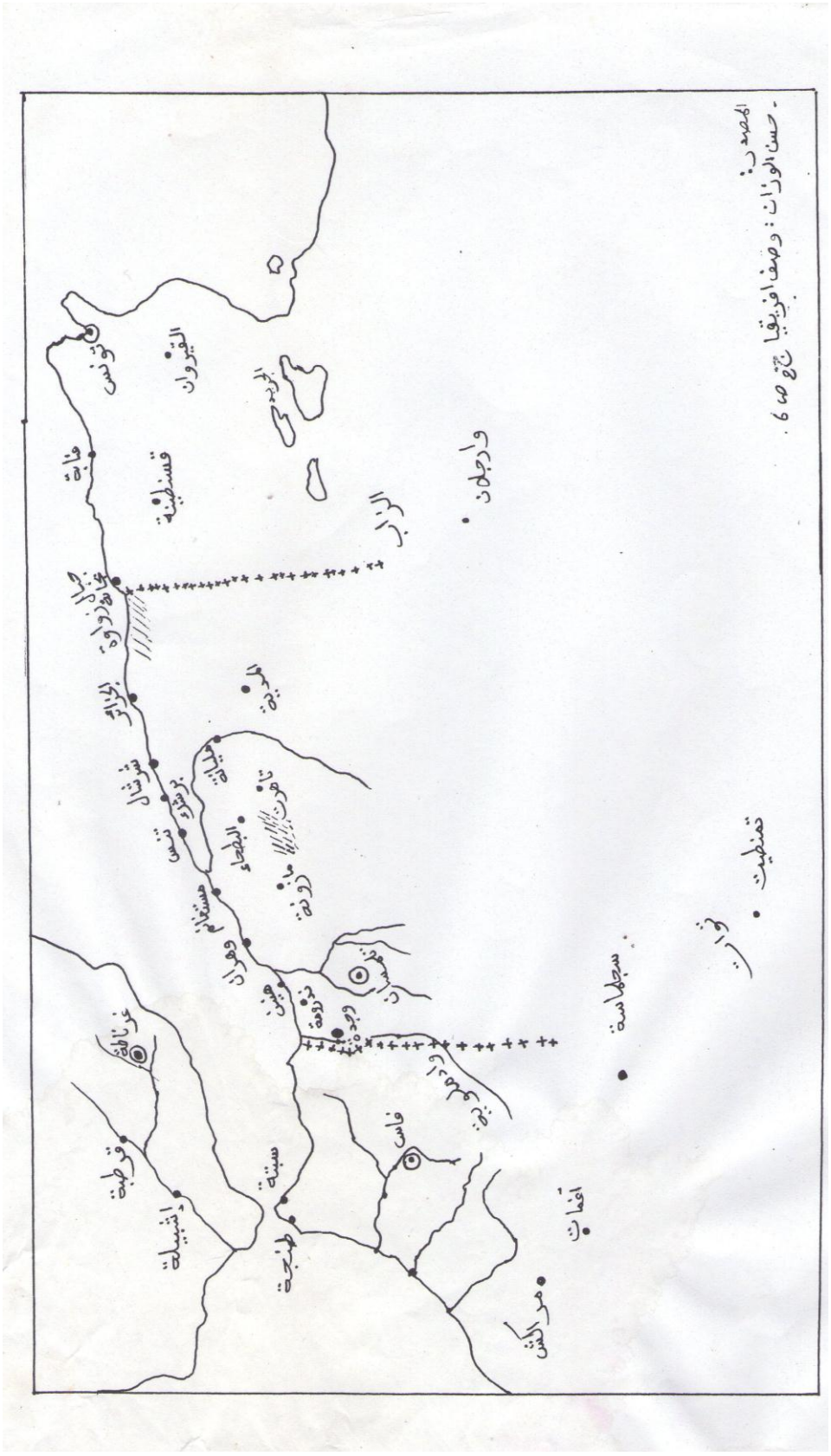

الملحق الخامس عشر:

خريطة تمثل المراكز الثقافية ببلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني

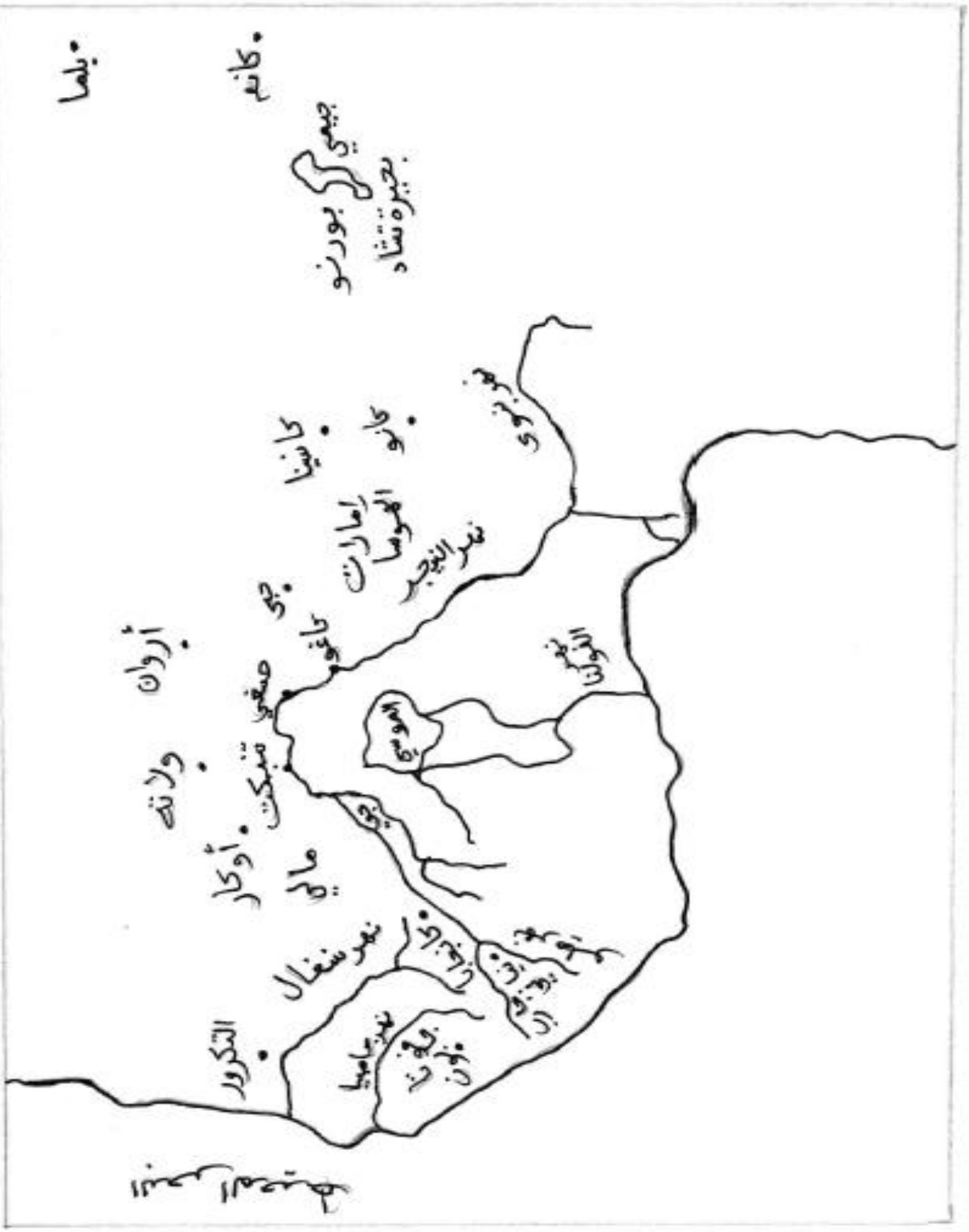

الملحق السادس عشر:

خريطة تمثل مدن السودان الغربي وأنهاره

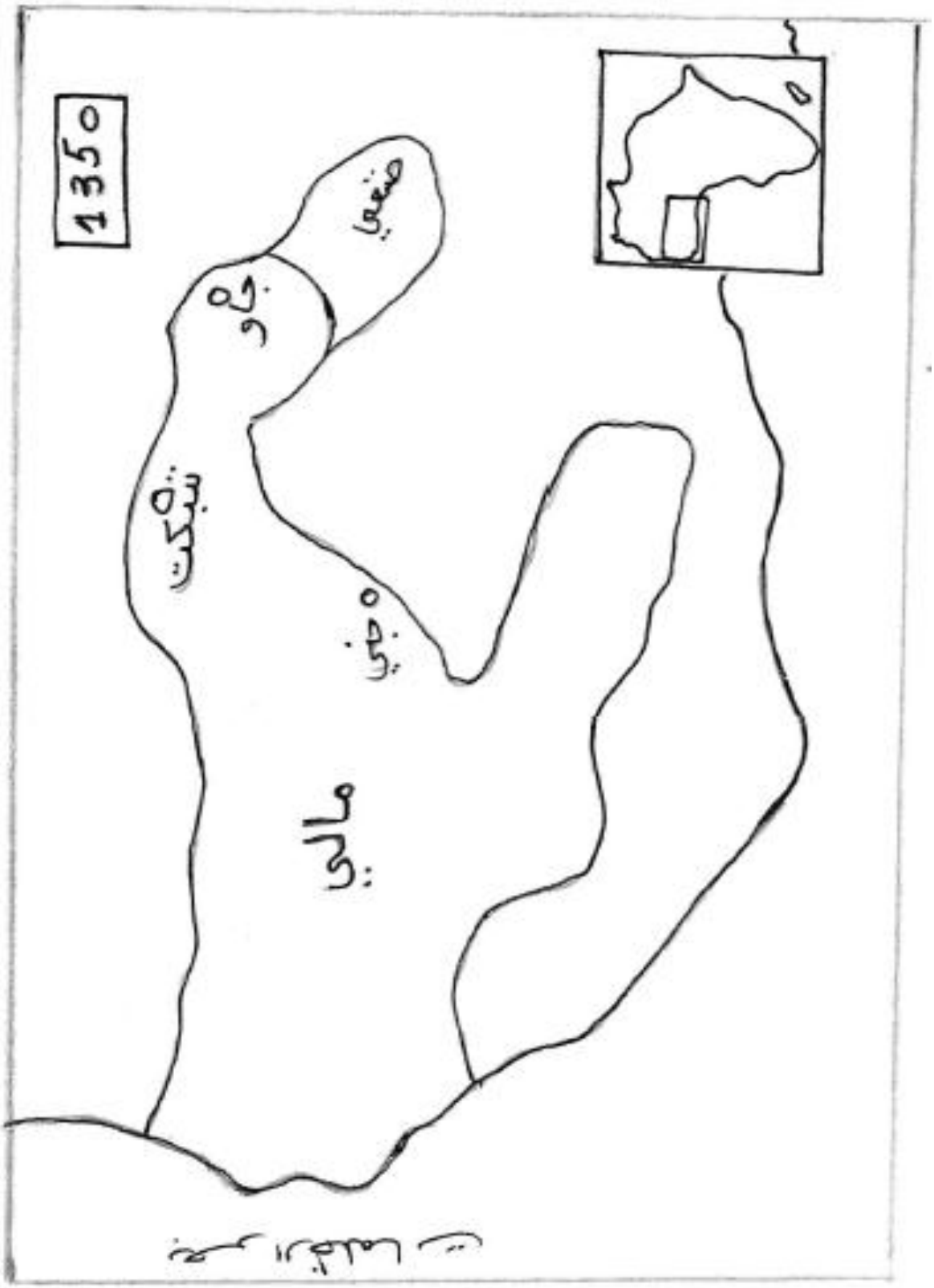

الملحق السابع عشر:

خريطة تمثل المراكز الثقافية ببلاد السودان الغربي

الملحق السابع عشر:

خريطة تمثل شبكة الطرق التجارية ما بين بلاد المغرب والسودان الغربي

الملحق التاسع عشر: آثار علماء تلمسان بغرب إفريقيا

المصدر: بيبليوغرافيا تلمسان **1400** عنوان

المكتبة الزينية "بوجبيهة"

دولة مالي

ورقة تعريف: تقع في مدينة بوجبيهة شمال تنبكتو تأسست سنة 1155 هـ، وما يزال أحفاد المؤسس يقومون عليها، وتحمل هذه المكتبة اسم "زيني بن عبد العزيز" من اشهر علماء الأسرة العلمية المؤسسة، وكان مصدر المؤلف في عملية المسح التي قام بها لمخطوطات هذه المكتبة هو فهرسة السيد عبد القادر ما حيدرة، تضم اليوم ألف مخطوط، يشمل مسحنا هذا جميع مخطوطات هذه المكتبة.

- عقيدة السنوسي

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر السنوسي أبو عبد الله المتوفي 895هـ.

ملاحظات: هي ضمن المجموع رقم 5 في آخر المجموع رقم 22/1.

- السنن المبين شرح أحاديث الأحكام للمقري التلمساني.

المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي المقري التلمساني المتوفي 758هـ.

الشارح: محمد الصغير بن عمر بن محمد بن المختار الكنتي المعروف بباي المتوفي سنة 1348هـ.

الناسخ: محمد بن عمر

الخط: صحراوي.

عدد الصفحات: 40.

ملاحظات: النسخة عبارة عن مقدمة الكتاب فقط، وحالتها جيدة.

- الأجوبة الباهرة والفتاوى الواضحة.

المؤلف: أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي التلمساني المتوفي 914هـ.

تاريخ التأليف: 901هـ.

الناسخ: محمد بن محمد بن سليمان بن عبد القادر بن عبد الله بن أحمد بن منصور المناصري.

تاريخ النسخ: 1208هـ.

ملاحظات: ناقصة الأول والأخير نقصا بسيطا وحالتها جيدة.

- كتاب في التصوف

المؤلف: محمد بن يوف بن عمر السنوسي أبو عبد الله 895هـ.

الناسخ: عبد العزيز بن الناصر الدرعي.

تاريخ النسخ: 1104هـ.

عدد الصفحات: 71.

ملاحظات: حالتها جيدة وفي آخرها:"انتهى، قال مقيدها عفا الله عنه: حذفت منها نحو ستة أسطار من أولها وأدخلت فيه من كلام الشيخ في الغياشية"، توجد ضمن المجموع رقم 253/1.

- كتاب في التصوف

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر السنوسي أبو عبد الله المتوفي 895هـ.

ملاحظات: توجد في مجموع يحمل رقم 253/2.

- كتاب في الأسرار

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر السنوسي أبو عبد الله المتوفي 895هـ.

عدد الصفحات: 4

ملاحظات: حالتها جيدة.

- القصيدة المنفرجة

الناظم: يوسف من محمد بن يوسف التوزري التلمساني المتوفي سنة 513هـ.

عدد الصفحات: 2

ملاحظات: حالتها جيدة مع نقص طفيف في أولها.

- شرح أسماء الله الحسنى

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر السنوسي أبو عبد الله المتوفي 895هـ

عدد الصفحات: 12

ملاحظات: جيدة

- عقيدة السنوسي

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر السنوسي أبو عبد الله المتوفي 895هـ

عدد الصفحات: 3

ملاحظات: حالتها جيدة مع نقص في آخرها

- ارع بالك يا حساس على صغرى السنوسي، شرح العقيدة الصغرى للسنوسي باللغة العربية وبلهجة بني حسّان

الناسخ: عبد العزيز بن محمد بن علي بن إبراهيم بن أحمد السوقي

عدد الصفحات: 12

ملاحظات: حالتها جيدة

- شرح منظومة أبي مدين في التصوف

الشارح: أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله السكندري الشاذلي تاج الدين أبو الفضل المعروف بابن عطاء الله المتوفي سنة 709هـ

الناسخ: محمد بن محمد الأمين بن محمد علي بن إبراهيم بن أحمد السوقي

تاريخ النسخ: 1273هـ

عدد الصفحات: 5

ملاحظات: حالتها جيدة

- إضاءة الدجنّة في عقيدة (اعتقاد) أهل السنة

المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقري التلمساني شهاب الدين أبو العباس المتوفي سنة 1041هـ

عدد الصفحات: 2

ملاحظات: حالتها جيدة

- شرح صغر السنوسي

الشارح: محمد بن إبراهيم بن عمر بن علي أبو عبد الله الملالي 898هـ/1492م

الناسخ: أحمد بن عبد الله اليازغي

تاريخ النسخ: 1050هـ

عدد الصفحات: 17

ملاحظات: حالتها جيدة

- منظومة في الاستغفارات

الناظم: شعيب بن الحسن سيدي أبو مدين الغوث التلمساني المتوفي سنة 594هـ

عدد الصفحات: 2

ملاحظات: يرثى حالها

- شرح عمدة أهل التوفيق، وهو شرح على عقيدة أهل التوحيد، وكلاهما للسنوسي

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر السنوسي أبو عبد الله المتوفي 895هـ

الناسخ: يحيى بن محمد بن عبد العزيز بن أحمد بن محمد المالكي الغرناطي الأندلسي الهواري

عدد الصفحات: 133

ملاحظات: حالتها جيدة، وفي آخرها ما نصه: "وكان الفراغ من مبيضته وتأليفه في يوم الأربعاء مضت تسعة عشر يوما من شهر ذي القعدة من عام واحد وتسعين وألف"

- عقيدة السنوسي

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر السنوسي أبو عبد الله المتوفي 895هـ

عدد الصفحات: 4

ملاحظات: أولها ناقص وآخرها ناقص والبقية جيدة

- عقيدة السنوسي

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر السنوسي أبو عبد الله المتوفي 895هـ

عدد الصفحات: 5

ملاحظات: حالتها جيدة

- عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر السنوسي أبو عبد الله المتوفي 895هـ

عدد الصفحات: 7

ملاحظات: حالتها جيدة

- شرح المنظومة الجزائرية

الشارح: محمد بن يوسف بن عمر السنوسي أبو عبد الله المتوفي 895هـ

عدد الصفحات: 20

ملاحظات: آخرها ناقص والبقية جيدة

- العقيدة الوسطى

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر السنوسي أبو عبد الله المتوفي 895هـ

عدد الصفحات: 7

ملاحظات: حالتها جيدة

- نسخة أخرى حالتها جيدة: محمود بن الحسن بن الحاج عثمان.

عدد الصفحات: 12

- شرح صغرى السنوسي

الشارح: محمد المأمون بن محمد بن محمد الحفصي

الناسخ: سعيد بن الحاج العياشي الأندلسي

تاريخ النسخ: 1169هـ

عدد الصفحات: 34

ملاحظات: حالتها جيدة

- عقيدة السنوسي

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الحسني السنوسي التلمساني المتوفي 895هـ

عدد الصفحات: 2

ملاحظات: حالتها جيدة

- تقرير المنة لإضاءة الدجنّة

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الحسني السنوسي التلمساني المتوفي 895هـ

الشارح: عبد الله بن أحمد بن حمى الله (حماه الله) الغلاوي الأحمدي التيشيتي الشنقيطي المتوفي 1209هـ

تاريخ الشرح: ذو الحجة 1192هـ

الناسخ: محمد بن الله بن أحمد التنواجيوي

تاريخ النسخ: 1263هـ

عدد الصفحات: 65

ملاحظات: حالتها جيدة

- عقيدة السنوسي

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الحسني السنوسي التلمساني المتوفي 895هـ

الناسخ: علي بن حم بن علي

تاريخ النسخ: 1259هـ

عدد الصفحات: 5

ملاحظات: حالتها جيدة

- العقيدة الكبرى

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الحسني السنوسي التلمساني المتوفي 895هـ

الناسخ: محمد المختار بن محمد بن إبراهيم بن أحمد السوقي

تاريخ النسخ: 1235هـ

عدد الصفحات: 16

ملاحظات: حالتها جيدة

- شرح العقيدة الصغرى

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الحسني السنوسي التلمساني المتوفي 895هـ

الشارح: عبد الرحمن بن محمد الصغير بن عامر أبو زيد الأخضري الينطيوسي المتوفي 983هـ

الناسخ: محمد الأمين بن محمد المختار بن محمد بن إبراهيم السوقي

عدد الصفحات: 2

ملاحظات: حالتها جيدة

- شرح عقيدة التوحيد

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الحسني السنوسي التلمساني المتوفي 895هـ

تاريخ النسخ: 925هـ

عدد الصفحات: 35

ملاحظات: حالتها جيدة

- أم البراهين

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الحسني السنوسي التلمساني المتوفي 895هـ

عدد الصفحات: 3

ملاحظات: آخرها ناقص والبقية جيدة

- العقيدة الصغرى

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الحسني السنوسي التلمساني المتوفي 895هـ

الناسخ: أحمد بن الحاج محمد عبد الله السوقي

عدد الصفحات: 2

ملاحظات: آخرها ناقص والبقية جيدة

- شرح عقيدة السنوسي

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الحسني السنوسي التلمساني المتوفي 895هـ

الشارح: مجهول

الناسخ: محمد بن محمد الأمين بن محمد علي

تاريخ النسخ: 1273هـ

عدد الصفحات: 25

ملاحظات: حالتها جيدة

- عقيدة السنوسي

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الحسني السنوسي التلمساني المتوفي 895هـ

عدد الصفحات: 2

ملاحظات: آخرها ناقص والبقية جيدة

- الوسائل المتبقية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

الناظم: عبد الرحمن بن يخفلتن بن أحمد الفازازي القرطبي التلمساني أبو زيد المتوفي 895هـ

عدد الصفحات: 5

ملاحظات: أولها وآخرها ناقصين والبقية جيدة

- شرح الوسائل المتبقية في مدخ النبي صلى الله عليه وسلم

المؤلف: عبد الرحمن بن يخفلتن بن أحمد الفازازي القرطبي التلمساني أبو زيد المتوفي 895هـ

عدد الصفحات: 169

ملاحظات: أولها ناقص والبقية جيدة رغم أن آثار القدم بادية عليها

- الوسائل المتبقية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

الناظم: عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد الفازازي القرطبي التلمساني أبو زيد المتوفي 895هـ

عدد الصفحات: 16

ملاحظات: أولها ناقص والبقية جيدة

- نسخة أخرها أولها ناقص والبقية جيدة، الناسخ: المختار بن محمد بن اليحميد، عدد الصفحات: 30، نسخة أخرى أولها ناقص وآخرها والبقية جيدة، عدد الصفحات: 9، نسخة أخرى أولها وآخرها ناقصين والبقية جيدة، عدد الصفحات:6، نسخة أخرى أولها ناقص وآخرها كذلك والبقية جيدة، عدد الصفحات: 4.
- تحقيق المقال وتسهيل المنال في شرح لامية الأفعال

الشارح: محمد بن العباس بن محمد بن عيسى التلمساني أبو عبد المتوفي 895هـ

تاريخ تأليف الشرح: 851هـ

تاريخ النسخ: 1110هـ

عدد الصفحات: 123

ملاحظات: حالتها جيدة

- مِنَح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب

الناظم: محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني محيي الدين أبو عبد الله المتوفي 909هـ

عدد الصفحات:4

ملاحظات: حالتها جيدة وعلى هوامشها شروح

- نفح الطيب من غصن تاريخ الأندلس الرطيب

المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي المقري التلمساني شهاب الدين أبو العباس المتوفي 1041هـ

عدد الصفحات: 372

ملاحظات: أولها ناقص وحالة نصفها الأول جيدة والثاني متآكل الأطراف وعليها مطالعات بتاريخ 1219هـ

- رحلة حجازية

المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقري التلمساني شهاب الدين أبو العباس المتوفي 1041هـ

عدد الصفحات: 2

ملاحظات: حالتها جيدة

- شرح أسماء الله الحسنى

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الحسني السنوسي التلمساني أبو عبد الله المتوفي 895هـ

عدد الصفحات: 10

ملاحظات: حالتها جيدة

- مجموع في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والأدعية

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب الحسني السنوسي التلمساني أبو عبد الله المتوفي 895هـ

عدد الصفحات: 4

ملاحظات: حالتها جيدة

- قصيدة في التصوف

الناظم: شعيب بن الحسن، سيدي أبو مدين الغوث التلمساني المتوفي 594هـ

عدد الصفحات:2

أولها:

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا هم السلاطين والسادات والأمرا

فاصحبهم متأدب في مجالسهم وخلّ حظك مهما قد رموك ورا

وآخرها:

لا زال شملي بهم في الله مجتمعا وذنبنا فيه مغفورا ومغتفرا

ثم الصلاة على المختار سيدنا محمد خير من أوفى ومن نذرا

ملاحظات: حالتها جيدة

مكتبات "شنقيط" و"وادان"

موريتانيا

بطاقة تعريف: تقع شنقيط ووادان، وهما مدينتان تاريخيتان قديمتان، في شمالي موريتانيا، وقد شمل هذا المسح الذي قمنا به 1106 مخطوط موزعة على 12 مكتبة قديمة موزعة هي الأخرى على المدينتين، علما أن عدد المخطوطات في موريتانيا يتجاوز بكثير 40000 مخطوط كما أن المكتبات تفوق الثلاثمائة.

- شرح نظم عبد الرحمن بن الإمام

المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله، أبو زيد ابن الامام التلمساني توفي 743هـ/1342م

الشارح: أحمد بن سعيد محمد بن حبت الغلاوي المتوفي 1301هـ

الناسخ: أحمد بن حبت

الموضوع: علوم القرآن

عدد الأوراق: 103

ملاحظات: ناقصة الآخر.

- الجمع الغريب في ترتيب أي مغني اللبيب

المؤلف: محمد بن القاسم أبو عبد الله المعروف بالرصاع المتوفي 894هـ

الموضوع: علوم القرآن

عدد الأوراق: 265

ملاحظات: نسخة كاملة جيدة رغم آثار البلل.

- شرح المقدمة الصغرى

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر السنوسي أبو عبد الله المتوفي 895هـ

تاريخ النسخ: 1259هـ

الموضوع: توحيد

عدد الأوراق: 424

ملاحظات: نسخة كاملة.

- تأليف في الوحيد

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر السنوسي أبو عبد الله المتوفي 895هـ

الناسخ: داود بن عبد الله بن عيسى الصنهاجي

تاريخ النسخ: 996هـ

الموضوع: توحيد

عدد الأوراق: 11

ملاحظات: نسخة كاملة.

- شرح السنوسي على لامية الجزائري

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر السنوسي أبو عبد الله المتوفي 895هـ

الموضوع: توحيد

عدد الأوراق: 245

ملاحظات: نسخة كاملة.

- ورقات من عقيدة السنوسي

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر السنوسي أبو عبد الله المتوفي 895هـ

الموضوع: توحيد

عدد الأوراق: 3

ملاحظات: ناقصة من الوسط.

- شرح الكبرى للسنوسي

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر السنوسي أبو عبد الله المتوفي 895هـ

الناسخ: محمد بن شاهين

تاريخ النسخ: 1131هـ

الموضوع: توحيد

عدد الأوراق: 177

ملاحظات: نسخة كاملة.

- عمدة أهل التوفيق والسداد في شرح عقيدة أهل التوحيد

المؤلف: محمد بن يوسف بن عمر السنوسي أبو عبد الله المتوفي 895هـ

تاريخ التأليف: 875هـ

الناسخ: أحمد بن سيدي أحمد بن حبت

تاريخ النسخ: 1257هـ

الموضوع: توحيد

عدد الأوراق: 77

ملاحظات: نسخة كاملة.

- المعيار المعرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس في بلاد المغرب، الجزء الأول

المؤلف: أحمد بن يحيى الونشريسي المتوفي 914هـ

الناسخ: محمد بن البشير بن الحسن

تاريخ النسخ: 1297هـ

الموضوع: فقه مالكي، نوازل

عدد الأوراق: 205

ملاحظات: نسخة جيدة.

- نسخة أخرى، نفس الجزء

الناسخ: الخرشي بن نافع

تاريخ النسخ: 1270هـ

عدد الأوراق: 357

ملاحظات: نسخة جيدة وكاملة

معهد الأبحاث والعلوم الإنسانية "نيامي"

دولة نيجر

بطاقة تعريف: المعهد تابع لجامع نيامي عاصمة دولة نيجر، حيث يقع، وقد شمل مسحنا هذا 2003 مخطوط فقط من أصل 4000 مخطوط هي ثروة المعهد المذكور من المخطوطات العربية الإسلامية.

- مراسلات بين الشيخ المغيلي وآسكيا الحاج محمد

عدد الأوراق: 1

- منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب

المؤلف: محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني المتوفي 909هـ

عدد الأوراق: 22

ملاحظات: نسخة بخط المؤلف، جيدة وبحواشيها بعض الشروح

- نسخة أخرى

عدد الأوراق: 18

ملاحظات: حالتها جيدة وبحواشيها بعض الشروح

- واسطة السلوك

المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الحوضي التلمساني، أبو عبد الله المتوفي 910هـ

عدد الأوراق: 8

ملاحظات: نسخة جيدة، وهي أرجوزة توجد منها نسخة في الخزانة العامة بالرباط بالمملكة المغربية تحت رقم: 331 د5

- أسماء بعض أولياء المغرب

المؤلف: محمد بن عبد الرحمن الحوضي التلمساني، أبو عبد الله المتوفي 910هـ

عدد الأوراق: 4

ملاحظات: حالتها جيدة.

- الوسائل المتقبلة في مدح خير البرية

الناظم: عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد الفازازي القرطبي الأندلسي، أبو زيد المتوفي 627هـ

عدد الأوراق: 50

ملاحظات: حالتها جيدة وبحواشيها بعض الشروح.

- نظم وسطى السنوسي، وهو نظم للعقيدة الوسطى للسنوسي

الناظم: عبد الله بن محمد بن فودي بن عثمان بن صالح المتوفي 1245م

عدد الأوراق: 15

ملاحظات: حالتها جيدة، وبحواشيها بعض الشروح.

- نظم كبرى السنوسي، أي نظم العقيدة الكبرى للسنوسي

الناظم: محمد الطاهر بن إبراهيم بن هارون الفلاني البرناوي المالكي المتوفي 1158هـ

عدد الأوراق: 35

ملاحظات: نسخة جيدة وبحواشيها بعض الشروح.

- إضاءة الداموس ورياضة الشموس في اصطلاح القاموس

المؤلف: أحمد بن عبد العزيز بن الرشيد الملالي

الناسخ: عبد اللطيف بن محمد بن حسين الحمز

تاريخ النسخ: 1230هـ

عدد الأوراق: 18

ملاحظات: في حالة يرثى لها.

- الوسائل المتقبلة في مدح خير البرية

الناظم: عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد الفازازي القرطبي الأندلسي، أبو زيد المتوفي 627هـ

عدد الأوراق: 61

ملاحظات: يُرثى لحالها.

- تخميس القصائد العشرينيات

الناظم: عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد الفازازي القرطبي الأندلسي، أبو زيد المتوفي 627هـ

المخَمِّس: مرتضى الزنفري الكاروي

عدد الأوراق: 37

ملاحظات: جيدة ومزخرفة، ولكن بها بتر من أولها

- أجوبة المغيلي

المؤلف: محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، محي الدين أبو عبد الله المتوفي 909هـ

الناسخ: محمد عبد الله بلعراف

عدد الأوراق: 46

ملاحظات: حالتها جيدة.

- نفح الطيب في شرح تخميس ابن مهيب

وتخميس أبي بكر محمد بن مفضل بن مهيب يعرف بشمس القصائد وأسنى المقاصد في مدح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو تخميس على القاصد العشرينيات لأبي زيد عبد الرحمن بن يخلفتن الفازازي المتوفي 627هـ

الشارح: عبد الرحمن بن إدريس بن محمد المنجري الحسني الإدريسي المتوفي 1179هـ

تاريخ النسخ: 1219هـ

عدد الأوراق: 101

ملاحظات: نسخة غير مرتبة

- عقيدة السنوسي (باللغة الفلاّنية)

المترجم: لم يذكر

عدد الأوراق: 36

ملاحظات: جيدة رغم بتر في أولها

- نظم صغرى السنوسي

الناظم: محمد بن محمود بن أبي بكر الونغزي السوداني التنبكتي الملقب بَغَيُغْ المتوفي 1002هـ

عدد الأوراق: 7

مكتبة "معهد أحمد بابا التنبكتي"

تنبكتو – دولة مالي

بطاقة تعريف: أنشئ المعهد وفقا لقرار صادر من الدورة الرابعة عشرة للمؤتمر العام لليونسكو، في الستينيات من القرن الميلادي الماضي بناء على ذلك أصدرت حكومة مالي، في 1970/01/23، مرسوما يقضي بإنشائه يضم المعهد أكثر من عشرة باحثين في أغشت 1993 كان يضم 9000 مخطوط عربي، وفي 1996 قفز هذا العدد إلى 13000، ويجري الحديث حاليا عن حوالي 30000 مخطوط يضمها المعهد حاليا، أقدم مخطوط من بينها يرجع إلى القرن السابع للهجرة.

يشمل مسحنا هذا 7500 مخطوط من رصيد هذا المعهد علما أن المخطوطات المجهولة المؤلفين كثيرة جدا من بين هذا العدد.

- المنهل الأصفى في شرح ما تمس الحاجة إليه من ألفاظ الشفا

محمد بن الشريف الحسني التلمساني

الرقم: 726، عدد الأوراق: 20.

- أجوبة على أسئلة أسكيا الحاج محمد

محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المتوفي 909هـ

الرقم: 6، عدد الأوراق: 12.

- إرشاد المتعلم لفرائض الشيخ الخليل

علي بن محمد القلصادي، أبو الحسن المتوفي 891هـ

الرقم: 56، عدد الأوراق: 16.

- إيضاح المسالك إلى قواعد أبي عبد الله بن مالك

أحمد بن يحيى التلمساني الونشريسي أبو العباس المتوفي 914هـ

الرقم: 22، عدد الأوراق: 35.

- إيضاح المسالك في قواعد الإمام مالك

أحمد بن يحيى التلمساني الونشريسي أبو العباس المتوفي 914هـ

الرقم: 1217، عدد الأوراق: 62.

- إضاءة الدجنّة في عقائد أهل السنة

أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقري، أبو العباس المتوفي 1041هـ

الرقم: 1113، عدد الأوراق: 17.

- الجوهر في المقصورات

شعيب بن الحسن المغربي التلمساني، أبو مدين الغوث المتوفي 594هـ

الرقم: 1367، عدد الأوراق: 4.

ملاحظات: لعلها مقصورته المسماة بالجوهرة.

- شرح التوحيد

محمد بن يوسف السنوسي المتوفي 895هـ

الرقم: 228، عدد الأوراق: 10.

- فتوحات ذي الرحمة والمنّة في شرح إضاءة الدجنّة للمقري

الشارح: محمد بن المختار بن الأعمش الشنقيطي العلوي

الرقم: 247، عدد الأوراق: 71.

ملاحظات: نسخ أخرى: الرقم 1242، عدد الأوراق:41 ؛ الرقم: 1842، عدد الأوراق: 43؛ الرقم: 566، عدد الأوراق: 55؛ والنسخة الأخيرة هي بخط البكاي بن محمد بن المختار الكنتي الوافي العقبي المتوفي 1282هـ/1865م، وكان من أكابر أعيان تنبكتو وشيخا من شيوخ الطريقة القادرية في المنطقة.

- كتاب في التوحيد

محمد بن يوسف السنوسي

الرقم: 911، عدد الأوراق: 22.

ملاحظات: نسخة أخرى: الرقم 770، عدد الأوراق: 20.

- نظم العقيدة الصغرى للسنوسي

الناظم: عبد الله محمد بن أحمد بن محمود بغيغ

الرقم: 131، عدد الأوراق: 17.

ملاحظات: نسخة أخرى: الرقم 641، عدد الأوراق: 10.

- القصيدة المرزوقية في مدح خير البرية

محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني، شمس الدين المتوفي 871هـ

الرقم: 142، عدد الأوراق: ورقتان

- شرح منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب

محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني

الرقم: 1399، عدد الأوراق: 15

ملاحظات: نسخة أخرى: الرقم 1090.

عدد الأوراق: 17

- منظومة في المنطق

محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني.

الرقم: 337، عدد الأوراق: 16.

- محصل المقاصد أرجوزة؟

أحمد بن محمد بن زكري التلمساني المتوفي 906هـ

الرقم: 1241، عدد الأوراق: 69.

- منظومة العقيدة السنوسية

الناظم غير معروف

الرقم: 1651، عدد الأوراق: في مجموع عدد صفحاته 38.

- العقيدة السنوسية

محمد بن يوسف السنوسي

الرقم: 1708، عدد الصفحات: 114

- الجوهرة: مقصورة في المواعظ والحكم

شعيب بن الحسن الأندلسي المغربي الأنصاري التلمساني (الغوث أبو مدين) المتوفي 594هـ

الرقم: 1880، عدد الأوراق: 5.

- شموس الأنوار وكنوز الأسرار

أبو عبد الله محمد بن محمد (ابن الحاج) المتوفي 737 هـ

الرقم: 1842، عدد الأوراق: 43.

- الجوهرة في المواعظ والحكم

شعيب بن الحسن الأندلسي المغربي الأنصاري التلمساني (الغوث أبو مدين) المتوفي 594هـ

الرقم: 1880، عدد الأوراق: 5.

- شرح إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة للمقري

الشارح: محمد بن المختار بن الأعمش العلوي المتوفي 1107 هـ

الرقم: 2003، عدد الأوراق: 68.

- شرح مختصره في علم المنطق

محمد بن يونس السنوسي

الرقم: 2021، عدد الأوراق: 108.

- سُلّم المبتدئين على العقيدة الصغرى للسنوسي المسماة بأم البراهين.

الرقم: 2023، عدد الأوراق: 38.

- شرح على منظومة أبي العباس أحمد الجزائري.

محمد بن يونس السنوسي

الرقم: 2179، عدد الأوراق: 200.

- فتوحات الرحمن والمنة في شرح إضاءة الدجنة للمقري

محمد بن المختار بن الأعمش العلوي

الرقم: 2208، عدد الأوراق: 94.

- أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي

محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني

الرقم: 2246، عدد الأوراق: 5.

- منظومة في الاستسقاء

شعيب بن الحسن الأندلسي المغربي الأنصاري التلمساني

الرقم: 2366، عدد الأوراق: 1.

- شرح السنوسية

محمد بن يوسف السنوسي

الرقم: 2382، عدد الأوراق: 20

- الجوهرة: مقصورة في المواعظ والحكم

شعيب بن الحسن الأندلسي المغربي الأنصاري التلمساني (أبو مدين الغوث)

الرقم: 2497، عدد الأوراق: 6.

- العقيدة السنوسية وشرحها

محمد بن يوسف السنوسي

الرقم: 2611، عدد الأوراق: 26.

- الجوهرة: مقصورة في المواعظ والحكم

شعيب بن الحسن الأندلسي المغربي الأنصاري التلمساني (أبو مدين الغوث)

الرقم: 2844، عدد الأوراق: 5.

- رسالة في التصوف

شعيب بن الحسن الأندلسي المغربي الأنصاري التلمساني (أبو مدين الغوث)

الرقم: 2853، عدد الأوراق: 3.

- شرح على عقيدة المقري في العقائد النسفية

الشارح: محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي

الرقم: 2979، عدد الأوراق: 136.

- اختصار مسائل الأحكام والحكام

أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي التلمساني

الرقم: 3109، عدد الأوراق: 43.

- شرح مختصر ابن الحاجب

سعيد بن محمد العقباني

الرقم: 3176، عدد الأوراق: 169.

- رسالة في التصوف

شعيب بن الحسن الأندلسي المغربي الأنصاري التلمساني (أبو مدين الغوث)

الرقم: 4368، عدد الأوراق: 5.

- تسبيع البردة

محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق الحفيد التلمساني

الرقم: 3970، عدد الأوراق: 14.

- أرجوزة واسطة السلوك

محمد بن عبد الرحمن بن علي الحوضي المتوفي 910 هـ.

الرقم: 3166، عدد الأوراق: 6.

- قصيدة في التوحيد

محمد بن عبد الرحمن بن علي الحوضي المتوفي 910 هـ.

الرقم: 3213، عدد الأوراق: 6.

- واسطة السلوك في التوحيد

محمد بن عبد الرحمن بن علي الحوضي المتوفي 910 هـ.

الرقم: 3498، عدد الأوراق: 6.

- مصباح الأرواح

محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني

الرقم: 3362، عدد الأوراق: 5.

- قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني

الرقم: 3455، عدد الأوراق: 1.

- مصباح الأرواح وميزان الأرباح لمن خص بحقبة السلاح في الكفاح

محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني

الرقم: 4432، عدد الأوراق: 6.

- كتاب في الأدعية والأسرار

محمد بن قاسم التلمساني الرصّاع المتوفي 895 هـ.

الرقم: 4322، عدد الأوراق: 5.

- الخصائص المباركة والفوائد الجليلة المجربة

محمد بن يوسف السنوسي

الرقم: 4360، عدد الأوراق: 26.

- مختصر في المنطق مع شرحه

محمد بن يوسف السنوسي

الرقم: 4287، عدد الأوراق 74

- مصباح الأرواح وميزان الأرباح

محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني

الرقم: 4637، عدد الأوراق: 10.

شرح منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب

محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني

الرقم: 4798، عدد الأوراق 17.

قائمة المصادر والمراجع

والمراجع

- **القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع.**
- **الأحاديث النبوية الصحيحة**

أولا : قائمة المصادر

أ. المخطوطات :

- الإدريسي أحمد القاهري : نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ، محفوظة موجودة بخزانة كوسام.
- البكري محمد بن عبد الكريم البكرواي : درّة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ، مخطوطة بخزانة تمنطيط.
- التمنتيطي محمد بن عبد الكريم : تقييد حول تاريخ تمنتيط وتوات ، مخطوطة موجودة بالخزانة البكرية بتمنتيط.

ب ـ المصادر المطبوعة :

- ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرَّعيني القيرواني : ت (1110 هـ / 1699م) المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، ط3، دار المسيرة ، بيروت ، 1993 م .
- ابن أبي زرع (علي الفاسي) ت : (726 هـ /1325م) ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1972م.
- ابن الأحمر إسماعيل : روضة النسرين في دولة بني مرين ، تح : عبد الوهاب بن منصور ، ط2، المطبعة المالكية (د.ت) .
- ابن الخطيب (لسان الدين ت 776 هـ/1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج1، مطبعة الموسوعات ، مصر 1901.

والمراجع

- (ـــــــــ) ، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام وما يجرُّ ذلك من شجون الكلام ، تحقيق : احمد مختار العبادي ، إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1964 .
- ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن أحمد بن محمد ت 1089 هـ/1678م ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، (8 أجزاء) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت.
- إبن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، تح : إبراهيم الأبياري ، ج1، ط2، دار الكتاب اللبناني بيروت ، لبنان 1989 م .
- ابن القاضي (أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المكناسي ت 1025 هـ/1615م) ، درة الحجال في أسماء الرجال ، (4أجزاء) ، تحقيق : محمد الأحمدي أبو النور ، دار النصر للطباعة، القاهرة، 1970 .
- ابن القاضي أحمد التميكتاوي ، جدوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1973.
- (ـــــــــ) ، كتاب الوفيات ضمن ألف سنة من الوفيات ، مطبوعات دار الغرب ، الرباط 1976 .
- (ـــــــــ) ، لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد في كتاب ألف سنة من الوفيات ، تحقيق : محمد حجي ، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط 1976 .
- (ـــــــــ) ، هتك الستر عما كان عليه أهل السودان من الكفر ، تح : عبد الجليل التميمي ، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل ، تونس ، ط1 ، 1981 .
- ابن الملقن (سراج الدين أبي حفص بن علي بن أحمد المصري ت 806 هـ/1401م)، طبقات الأولياء ، تحقيق : نور الدين شريبة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1973 .
- ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي) ت (930 هـ/1524م) ، بدائع الزهور في وقائع الدُّهور ، (5أجزاء)، تحقيق : محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1983.

والمراجع

- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ت (776 هـ /1373م) ، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، (جزآن) ، تحقيق : محمد عبد المنعم العريان ، مراجعة : مصطفى القصاص ، دار غحياء العلوم ، بيروت ، 1996 .
- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر ، 1962.
- (ـــــــ)، الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، شركة الشهاب الجزائر ، (د.ت) .
- ابن حوقل (أبو القاسم محمد النصيبي ق7 هـ/10م) ، كتاب صورة الأرض ، الطبعة الثانية ، الجزآن) ، ليدن (دار صابر ، بيروت) ، 1938.
- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبد الله) ، المسالك والممالك ، ليدن ،1889 .
- ابن خلدون يحي، تاريخ ابن خلدون ، ج1، ط1، دار الكتب العلمية ،1992.
- (ـــــــ) (أبو زيد عبد الرحمان ت 808 هـ/1406م) ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، (الأجزاء 5ـ 6ـ7) ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1981 .
- (ـــــــ) ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، الجزء الأول ، تحقيق : عبد الحميد حاجيات ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1980 م.
- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد ت 681 هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، جزآن ، المطبعة الميمنية ، مصر ن 1310 هـ .
- ابن زكري (أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني ت 900 هـ/1403م)، غاية المرام في شرح مقدمة الإمام تحقيق : محمَد أوغدير مشنان ، (جزآن) ، دار التراث ناشرون ، دار ابن حزم ، الجزائر، 2005 م.

والمراجع

- ابن زيد الجراعي (تقي الدين أبي بكر ت 883 هـ/1480م) ، تحفة الراكع والساجد في أحكلم المساجد ، تحقيق ك طه الولي ن المكتب الإسلامي ، بيروت ن 1981.
- ابن سحنون (محمد) ، كتاب آداب المعلمين ، تحقيق : حسن حسني عبد الوهاب : مراجعة : محمد العروسي المطوي ، دار الكتب الشرقية : تونس ، 1972.
- ابن صعد (محمد الانصاري التلمساني) ، روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق : يحي بوعزيز ، الجزائر ، 2000 .
- إبن عبد الحكم ، فتوح إفريقيا والأندلس ، تح : عبد المنعم عامر ، القاهرة 1961 م .
- ابن عبد الرحيم محمد الطيب : القول البسيط في أخبار تمنطيط ، تح : محمود فرج ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1977.
- ابن قنفذ (أبو العباس أحمد القسنطيني ت 810 هـ/1407م ، أنس الفقير وعز الحقير ، تحقيق: محمد الفاسي ـ أدولف فور ، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ، 1965 .
- ابن مريم (أبو عبد الله بن أحمد المليتي التلمساني ، كان حيا سنة 1014 هـ/1605م) البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، تحقيق : محمد بن أبي شنب ، نشر : عبد الرحمان طالب ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1986.
- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي ، فتح الشكور في معركة أعيان التكرور ، تح : محمد إبراهيم الكتلي ومحمد حجي ، دار المعرفة الإسلامي ، بيروت ، 1981.
- الإدريسي (أبو عبد الله الشريف ت 548 هـ/ 1154م)، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس ، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق : إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983.

والمراجع

- البغدادي إسماعيل باشا : هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، ج1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992.
- البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز ت487هـ/1094م) ، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب ، مقتطف من المسالك والممالك ، ترجمة ونشر ، البارون دي سلان : مكتبة أمريكا والشرق باريس ، 1965 م.
- البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي ت أواخر ق 6 هـ/12م) ، أخبار المهدي بن تومرت تح: عبد الحميد حاجيات ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1975.
- الحفناوي ، أبو القاسم : تعريف الخلف برجال السلف ، مؤسسة الرسالة ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1985.
- الحموي ياقوت : معجم البلدان ، ج5 ، دار صادر ، بيروت ، 1986 م.
- الحميري محمد بن عبد المنعم : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح : إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1975 م.
- الحنبلي عبد الحي بن أحمد بن محمد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج8، إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت) .
- الزركشي (أبوعبد الله) : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تح : محمد ماضور ، المكتبة العتيقية، تونس ، 1966.
- الكتاني عبد الحي : فهرس الفهارس والإثبات ، ومعجم المعاجم والمشيخات ، تح : إحسان عباس ، ج2 ، ط2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1982
- مجهول مؤلف (كتاب مراكشي من القرن السادس الهجري ، الثاني عشر ميلادي) كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق ، سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر المغربية، الدار البيضاء ، 1985.

والمراجع

- مجهول مؤلف ، تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان ، تح : هوداس ، باريس ، 1961م.
- مخلوف محمد ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1349هـ.
- المراكشي عبد الواحد : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح : صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2006 .
- المغيلي محمد بن عبد الكريم ، أسئلة الأستقيا وأجوبة المغيلي ، تح : عبد القادر زبادية ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، ط 1989 م.
- (ـــــــــ) ، مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، تح : رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1968 م.
- المقري أبو العباس أحمد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي ، ج6، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1998.
- (ـــــــــ): روضة الأنس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس ، المطبعة الملكية بالرباط ، ط2، 1983.
- المقريزي : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقريزية ، ج1،ط1، المكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة ، 1987 م.
- المكناسي أحمد بن القاضي : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1973.
- المنجور ، فهرست أحمد المنجور ، تح : محمد الحجي ، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ، 1976.

والمراجع

- الوزان الحسن بن محمد الفاسي ، المعروف بليون الإفريقي ، وصف إفريقيا ، ج1، تح : محمد حجي، محمد الأخضر ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983.
- اليعقوبي أحمد بن واضح ، البلدان ، تح : محمد أمين ضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2002م.

ثانيا : المراجع العربية :

- إبراهيم طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973.
- أبو بكر محمد تاج الإسلام الكلاباذري، التعرف لمذهب أهل التصوف، تح: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1960.
- أبو ضيف مصطفى أحمد عمر : القبائل العربية في المغرب ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982.
- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر إسبانيا (1492-1792)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.
- أحمد شكري، الإسلام والمجتمع السوداني: إمبراطورية مالي (1230-1430م)، ط1، إصدارات المجتمع الثقافي، أبو ظبي، 1999.
- أحمد محمد كاني ، الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا ، طبعة الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، 1987.
- أحمد مهدي رزق الله، حركة التجارة والإسلام قبل الإستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1998.
- أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، تر: حسن إبراهيم حسن، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، 1957.
- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

والمراجع

- إسماعيل ميغا، الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من القرن 05م إلى ق12هـ، (د.ت).
- أمطير سعد غيث، التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي، دار الرواد، بيروت، (د.ت).
- بكري عبد الحميد : نبذة في تاريخ توات وأعلامها ، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، مليلة الجزائر ، 2005 .
- بن آشنهو : دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر ، الطباعة الشعبية للجيش (د.ت)
- بن عميرة محمد ، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984.
- بن قربة صالح : المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى ، الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986.
- بوداود عبيد، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (ق13-15م)، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت).
- بورويبة رشيد ، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية ، تر : إبراهيم شوح ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979.
- بوعزيز يحي ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، ج2،ط1،الغرب الإسلامي ، بيروت، 1955.
- بوكلي حسن جمال الدين : الإمام بن يوسف السنوسي وعلم التوحيد ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1985.
- توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، تر : حسن إبراهيم حسن ، القاهرة ، 1957م.
- جعفري أحمد ، محمد بن أب المزمري : حياته وآثاره ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2004.

والمراجع

- جمال يحياوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين (1492-1610م)، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 1984.
- جوزيف كي زربو، تاريخ إفريقيا السوداء، القسم الثاني، تر: يوسف شلب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1994.
- حاج أحمد الصديق : التاريخ الثقافي لإقليم توات ، ط1، مديرية الثقافة لولاية أدرار ، 2004.
- حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي لإقليم توات، ط2، مديرية الثقافة لولاية أدرار، الجزائر، 2011.
- حاجيات عبد الحميد : الحياة الفكرية بالجزائر ضمن كتاب الجزائر في التاريخ ، ج3،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984.
- حجي محمد : الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، مطبعة الأصالة، الرباط ، ط1978م.
- حسن ابراهيم حسن ، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ، ط3 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، 1984 م .
- حسن العاصي، تاريخ العلوم عند العرب، دار الموسم للطباعة والنشر والتوزيع، نشر مكتبة الخانجي ومطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، 1968.
- حسن محمد نبيلة، في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت).
- حمادي عبد الله، المورسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس (1492-1916)، الجزائر، 1989م.
- خليل النحوي، بلاد شنقيط، المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس، 1987.

والمراجع

- رشيد بلبل، قصور قورارة وأولياؤها الصالحون والمأثور الشفهي والمناقب والأخبار المحلية، تر: عبد الحميد بورايو، الجزائر، (د.ت).
- زبادية عبد القادر ، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية ، جنوب الصحراء ، دراسات ونصوص ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989 .
- (ـــــــ): مملكة سنغاي فيعهد الأسقين ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1971.
- الزركلي (خير الدين) : الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ج4، ط8، 1989 .
- زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد الغربي، بيروت، 1981م.
- زيدان عبد الكريم : أصول الدعوة ، قصر ، الجزائر ، ط1990.
- سالم عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج2، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1972م.
- (ـــــــ)، أحمد مختار العباسي ، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1969 م.
- السباني صالح الصادق ، مملكة كانو ، برنو وعلاقاتها بأقطار الشمال من القرن الثالث على العاشر الهجري 1988.
- سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 م .
- سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1965.
- شوقي أبو الخليل، أطلس حول العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 2003.
- شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات "الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان"، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1955.

والمراجع

- شوقي عط الله الجمل، الأزهر ودوره السياسي والحضاري في إفريقيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1988.
- شوقي عط الله وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط2، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، (د.ت).
- صالح بن قربة، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- صالح صادق السباني، مملكة كانو- بريو وعلاقتها بأقطار الشمال من القرن الثالث إلى العاشر الهجري، 1988.
- عبد الإله بن مليح، الإستشراق في العالم الإسلامي بين الحرب والتجارة، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، (د.ت).
- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني: حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات، تح: إحسان عباسي، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982.
- عبد العزيز بن عبد الله، معلمة الصحراء، مطبوعات وزارة الأوقاف، المغرب، 1976.
- عبد العزيز سالم أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1969.
- عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار الكتاب للطباعة والنشر، الأسكندرية، 1967.
- (ـــــــ) ، المغرب الكبير في العصر الإسلامي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966.

والمراجع

- عبد القادر الزبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، دراسات ونصوص المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
- عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، قصر الكتاب، الجزائر، 1990.
- عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب، ج3، الدار البيضاء، (د.ت).
- عبد المنعم حقي، الموسوعة الصوفية: أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية، ط1، دار الرشاد، مصر، 1992.
- عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، الرباط، 1990.
- عبده الشمالي، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها، دار صادر، بيروت، 1965.
- عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط1، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.
- عدنان مراد، المجتمعات الإفريقية أصولها وتاريخها، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1995.
- عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في إفريقيا (430هـ-515هـ/1038م-1121م)، تح: أبو بكر العربي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
- عطية محزوم الفيتوري، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء، ط1، جامعة قاريونس، بنغازي، 1998.
- فاضل محمد كردية سعيد إبراهيم، المسلمون في غرب إفريقيا: تاريخ وحضارة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.

والمراجع

- كروم عبد الله : الرحلات بإقليم توات ، دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات .
- مارتي بول : كنتة الشرقيون ، تر: محمد محمود ، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق ، (د.ت)
- محمد أحمد لوج، التعليم العام ومناهجه: السنغال أنموذجا، الكلية الإفريقية للدراسات الإسلامية، النيجر، 2009.
- محمد أعفيف، المسالك الصحراوية: توات حلقة اتصال بين المغرب وإفريقيا الغربية، ندوة العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية، منشورات عكاظ، الرباط، 1992.
- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت).
- (ـــــــ)، تلمسان عبر العصور: دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، ج1، ط1، دار المغرب الاسلامي، بيروت و شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1985.
- محمد أمين بلغيث، النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
- محمد باي بلعام، الرحلة العلمية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ج1، دار هومة، الجزائر، 2000.
- محمد بن رمضان شاوش والغوتي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ط1، 2001.
- محمد بن عبد الرحمن باشا، السمات المشتركة بين الثقافات العربية والإفريقية ضمن النشاط الفكري والعلمي، جامعة عمر المختار، ليبيا، 2007.
- محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، مكتبة الطالب، الرباط، 1976.

والمراجع

- محمد سعد القشاط، الطوارق عبر الصحراء الكبرى، مركز الدراسات وأبحاث شؤون الصحراء، ليبيا، 1989.
- محمد شفيق، المعجم العربي الأمازيغي، ج1، مطبعة الفن التاسع، الدار البيضاء، 1993.
- محمد صالح حوتية، توات والأزواد، ج2، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.
- محمد عوض محمد، الشعوب والسلالات الإفريقية، القاهرة، 1966.
- محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر المريني، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1985.
- محمد منير موسى، التربية الوطنية: أصولها وتطورها في البلاد العربية، القاهرة، 1983.
- محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ،(د.ت)
- مقداد يالجن، فلسفة الحياة الروحية، منابعها ومشاربها ونشأتها ونشأة التصوف والطرق الصوفية، ط1، دار الشروق، بيروت، 1985.
- (ـــــ) ، أجوبة الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي للأمير الحاج محمد بن أبي بكر أسقيا الكبير ، ج2، دار الغرب للنشر والتوزيع ، 2002 .
- مقدم مبروك ، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن (8 هـ ، 9 هـ ، 10 هـ/15م ، 16م ، 17 م)
- (ـــــــ) ، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ، إسهاماته في نشر الثقافة الإسلامية بإفريقيا الغربية 9 هـ – 15م ، دار الغرب للنشر والتوزيع .
- المنوني محمد : المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث ، ج1، مؤسسة النشر بالدرا البيضاء ، 1983.

والمراجع

- ميقا اسماعيل : الحركة العلمية والثقافية والاصلاحية في السودان الغربي من القرن 5معلى القرن 12م ، مكتبة الثورة (د.ت)
- الميلي مبارك : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر،1976.
- نعيم قداح، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام،وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1990.
- (ـــــــ)، حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، مكتبة الأطلس، دمشق، 1963.
- نويهض عادل : معجم أعلام الجزائر ، منشورات المكتب التجاري ، بيروت ، 1971.
- الهادي مبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999.
- هلال عمار، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة (د.ت) .
- يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الشمالية من مطلع القرن 16 إلى مطلع القرن 20، دار الطباعة والنشر، الجزائر، 1996.
- يحي هويدي، تاريخ الفلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، (ج1: في الشمال الإفريقي)، مكتبة النهضة المصرية ودار الاتحاد العربي للطباعة، 1965.

ثالثا : المقالات والدوريات والملتقيات :

- ابن عبد العزيز عبد الله : الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية ، معلمة الصحراء ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط ، 1976 م .
- أبو بكر إسماعيل ميغا، تاريخ الثقافة الإسلامية والسودان الغربي وإفريقيا الغربية في ق4هـ حتى مطلع ق13، مجلة الدارة، العدد02، الرياض، 1414هـ.

والمراجع

- أبو ضيف مصطفى : ملتقى الدراسات الإسلامية والعربية بإفريقيا ، مجلة الرسالة ، أدرار ، العدد 10، 1988.
- أعفيف محمد : المسالك الصحراوية بتوات ، حلقة اتصال بين المغرب وإفريقيا الغربية ، ندوة العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية ، منشورات عجاظ ، الرباط ، ط 1992.
- البكري بكري : تمنطيط رمز تاريخ وعنوان حضارة ، مجلة الحضارة الإسلامية ، ع1 ، أفريل 1993.
- بلعالم محمد باي : التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها ، أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ، ط1988.
- بلقاسم محمود : التعريف ببعض الجوانب من المنطقة الجزائرية وحضارتها ، أعمال المهرجان الأول للتعريف بتاريخ منطقة أدرار 1985.
- بوبة مجاني، المدارس الحفصية: نظامها وموردها، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، العدد 12، 1999.
- بودواية مبخوت : دور علماء تلمسان الزيانية في ترسيخ الحضارة الإسلامية بالسودان الغربي (ق16.15م) مجلة الواحات ، ع1، غرداية ، ديسمبر 2006.
- بورويبة رشيد : جولة عبر مساجد تلمسان ، مجلة الأصالة ، ع6 ، 1975 .
- بوعبدلي المهدي : أضواء على تاريخ مدينة تمنطيط ودور الإمام المغيلي بها في قضية يهود توات ، مجلة الثقافة ، العدد 94 ، أغسطس ، 1986 .
- حجي محمد: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ، مطبعة الأصالة، الرباط ، ط1978.

والمراجع

- زبادية عبد القادر التلمساني ، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ، نبذة عن حياته ومآثره ، المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار ، 1985 م.
- (ـــــــ)، محمد بن عبد الكريم المغيلي : بعض آثاره وأعماله في الجنوب الجزائري وبلاد السودان ، مجلة الأصالة ، ج6 ، 1975.
- زمامة عبد القادر : كلمات من المغرب الأقصى ، مجلة المجتمع العربي ، دمشق ، المجلد 40 ، أفريل 1965 م.
- عبد الحميد حاجيات، الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، العدد 26، الجزائر، 1975.
- عبد الرحمن الجيلالي، عبد الواحد الونشريسي، مجلة الأصالة، العدد 84/83، جويلية 1980.
- عمّار هلال، العلماء الجزائريون في الأندلس فيما بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين (4 و14هـ) مجلة الدراسات التاريخية، العدد08، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993-1994.
- فضل الله يوسف، الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، بحث مقدم لندوة العرب وإفريقيا، مركز دراسات الوحدة العربية ومنتدى الفكر العربي، بيروت 1987.
- لطيفة بن عميرة، الرحلة التجارية بين تلمسان وممالك بلاد السودان الغربي، حولية المؤرخ، العدد 05، جوان 2005.
- محمد الطالبي، الهجرة الأندلسية إلى إفريقيا أيام الحفصيين في عهد بني زيان، مجلة الأصالة، العدد 26، الجزائر، 1975.
- موسى لقبال، البتر والبرانس والمظهر الاجتماعي لسكان المغرب، مجلة الأصالة، العدد 24، الجزائر، مارس 1975.

والمراجع

- وداد القاضي، النظرية السياسية للسلطان أبي حمو موسى الزياني ومكانتها بين النظريات السياسية المعاصرة، مجلة الأصالة، العدد 27، الجزائر، 1975.
- يحي بوعزيز، المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية (1236-1554)، مجلة الأصالة، العدد 26، الجزائر، 1975.

رابعا : الرسائل الجامعية :

- أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي: رائد الحركة الفكرية بتوات، عصره وآثاره (870هـ/1465م-909هـ/1503م) رسالة ماجستير، جامعة وهران، 1999-2000.
- إسماعيل سامعي : دور المذهب الحنفي في الحياة الإجتماعية والثقافية ببلاد المغرب الإسلامي، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، 1994 .
- بلحسن إبراهيم : العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن 7 هـ ـ 9 هـ/13ـ15م، رسالة ماجستير ، قسم الثقافة الشعبية ، جامعة تلمسان ، 2005 م .
- بوشقيف محمد : العلوم الدينية بالمغرب الأوسط خلال القرن 9 هـ/15م ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة وهران ، 2004 م .
- الحمدي أحمد محمد بن عبد الكريم المغيلي : رائد الحركة الفكرية بتوات ، عصره وآثاره ، (870هـ/1503م)، رسالة ماجستير ، 2000/1999 ، جامعة وهران .
- حنفي هلالي، المورسكيون في المغرب الأوسط خلال القرنين 16 و17 م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 1999-2000م.
- حوتية محمد : قبيلة كنتة بين إقليم والأزواد ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، 1992ـ 1993.

والمراجع

- صالح بوسليم، المؤسسات الثقافية بإقليم توات، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية أثناء القرنين 12هـ و13هـ / 18م و19م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2008-2009.
- عاشور بوشامة، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1991.
- عباس عبد الله : الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيره في بلاد السودان الغربي من القرنين 9و10هـ/15.16م رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر 2000م/2001م.
- عبدلي لخضر : الحياة الثقافية بالمغرب الوسط خلال عهد بني زيان ، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ، جامعة تلمسان ، 2005.
- مبخوت بودواية: العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد بني زيان ، رسالة دكتوراه بجامعة تلمسان ، 2006/2005 .
- محمد بن سويسي، العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات، تنمطيط نموذجا من القرن 6هـ إلى 13هـ، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2007-2008.

خامسا : المراجع الأجنبية :

- A.G.P Martin :guatresiécles d'histoire marocaine, imprimerie el-maarif al jadida , rabat , 1994 .
- A.Selka: notice sur le Touat , bulletin de la société géographique d'Alger et de l'Afrique du nord, 3eme trimestre, 1922.
- Echalier(j.c) : village désertes et structure agraires anciennes du Touat , Gourara algérien, paris,1972.
- Echallier (j.c) , village désertes et structure agraires anciennes du touat ,gourara algérien , paris ,1972.

والمراجع

- J.Despois-R.Raynal : géographie de l'Afrique du nord ouest paris ,payot,1967.
- L. Rouire: le sud-ouest oranais et le tout , revue de la société de géographique Oran 1891.
- L. Vonoit le Tidikelt: études sur la géographique , l'histoire et les mœurs du pays .
- L.Herbert: les foggaras du Touat, bulletin de la société géographique d'Alger et de l'Afrique du nord, 4eme trimestre, 1934.
- P.Devors: le Touat étude géographique et médicale, archives de l'institut pasteur IX.V.V n3-4 septembre –décembre, Alger, 1947.
- Rachid bourouiba – IBM Tumart ,sned , Alger , 1982.
- Rachid bourouiba: l'art religieux musulman en Algérie , sned, Alger 1973.

فهارس

فهرس الأعلام

أ

أبا الحجاج يوسف- 13 - ,
أبو الحسن القلصادي- 83 - ,- 23 - ,- 22 - ,
أبو الحسن المريني- 74 - ,- 25 - ,
أبو الحسن بن أبي سعيد- 10 - ,
أبو العباس الدكالي- 258 - ,
أبو تاشفين- 50 - ,- 11 - ,- 10 - ,
أبو ثابت- 12 - ,
أبو حمو موسى الأول- 49 - ,- 46 - ,- 25 - ,
أبو حمو موسى الثاني- 47 - ,- 36 - ,- 26 - ,
أبو زكريا يحي بن خلدون- 77 - ,
أبو زيد عبد الرحمن- 80 - ,- 73 - ,- 25 - ,
أبو سعيد عثمان- 45 - ,- 25 - ,
أبو عبد الله المقري- 75 - ,
أبو عبد الله أندغ- 203 - ,
أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني- 76 - ,
أبو عبد الله محمد المنتصر- 16 - ,
أبو عبد الله محمد بن إبراهيم - ,- 35 - ,- 26 - ,
75
أبو عمر وعثمان- 37 - ,
أبو فارس بن أبي العبّاس- 12 - ,
أبو فارس عبد العزيز- 37 - ,
أبو موسى عيسى- 73 - ,- 25 - ,
أبو يحي المنياري- 214 - ,
أبى زيان محمد- 36 - ,
أبي الحسن الزويلي- 198 - ,
أبي الحسن المريني - ,- 69 - ,- 52 - ,- 46 - ,
- 299
أبي الحسن علي الشاذلي- 32 - ,
أبي العبّاس أحمد العاقل- 16 - ,
أبي القاسم الكنباشي البجائي- 33 - ,
أبي تاشفين الأول- 25 - ,- 10 - ,- 9 - ,
أبي حفص عمر الهنتاتي- 14 - ,
أبي حمو الأول- 9 - ,
أبي حمو موسى الأول- 74 - ,- 49 - ,
أبي حمّو موسى الثاني - ,- 52 - ,- 51 - ,- 11 - ,
- 66 - ,- 53
أبي راس الناصري- 54 - ,
أبي زكريّا يحيى- 14 - ,
أبي زكريا يحيى بن خلدون- 69 - ,
أبي زيان بن ابي حمو- 13 - ,- 11 - ,
أبي زيان محمد- 9 - ,
أبي زيان محمد الثاني- 54 - ,
أبي زيد عبد الرحمن- 79 - ,- 49 - ,
أبي سعيد عثمان- 120 - ,- 46 - ,- 9 - ,
أبي عبد الله الدقاق- 32 - ,
أبي عبد الله الشريف- 36 - ,
أبي عبد الله محمد المغيلي- 33 - ,
أبي عبد الله محمد بن النجار- 26 - ,
أبي عبد الله محمد بن عبد النور الندرومي- 26 - ,
أبي عزة زيدان- 6 - ,
أبي عنان- 111 - ,- 47 - ,- 23 - ,- 11 - ,
أبي فارس عبد العزيز- 15 - ,
أبي فارس عنان- 26 - ,
أبي مالك عبد الواحد- 27 - ,- 14 - ,
أبي محمد عبد الله بن أبي حمّو- 13 - ,

أبي مدين شعيب - ,- 47 - ,- 46 - ,- 32 - , - 52

أبي موسى عمران- 50 - ,- 49 - ,- 25 - ,

أبي موسى عيسى- 49 - ,

أبي يزيد يعقوب- 76 - ,

أبي يعقوب ,- 47 - ,- 36 - ,- 33 - ,- 10 - , - 52 - ,- 51 -

أبي يوسف بن عبد الحق- 10 - ,

أحمد بابا التنبكتي - ,- 114 - ,- 26 - ,- 22 - , - ,- 186 - ,- 173 - ,- 171 - ,- 115 - ,- 202 - ,- 199 - ,- 197 - ,- 196 - ,- 214 - ,- 209 - ,- 207 - ,- 204 - ,- 223 - ,- 222 - ,- 221 - ,- 219 - ,- 276 - ,- 275 - ,- 265 - ,- 225 - 318 - ,- 303 - ,- 302

أحمد بن زاغو- 264 - ,- 84 - ,- 83 - ,

أحمد بن محمد بن زكري المانوي- 84 - ,

أحمد بن معز- 12 - ,

أحمد بن يحي الونشريسي- 86 - ,- 85 - ,- 42 - , - 272 - ,- 266 - ,

أحمد معيا- 240 - ,

أسقيا داوود- 175 - ,

أسكيا 220 - ,- 205 - ,- 198 - ,- 151 - , - 232 - ,- 231 - ,- 230 - ,- 221 - ,- ,- 242 - ,- 241 - ,- 239 - ,- 237 - , - ,- 252 - ,- 250 - ,- 247 - ,- 244 - - ,- 270 - ,- 257 - ,- 255 - ,- 253 - 320 - ,- 318 - ,- 276 - ,- 273

إ

إبراهيم بن إسماعيل- 5 - ,

إدريس الأول- 44 - ,

ا

ابن الحاجب أبو عمر عثمان- 57 - ,

ابن صعد التلمساني- 35 - ,

ابن غالب- 28 - ,

ابن فضل الله العمري- 149 - ,

ابن قنفذ القسنطيني- 80 - ,

ابن مرزوق ,- 51 - ,- 47 - ,- 29 - ,- 24 - , - 79 - ,- 75 - ,- 71 - ,- 67 - ,- 66 - ,- 84 - ,- 83 - ,- 82 - ,- 81 - ,- 80 - , -,- 268 - ,- 267 - ,- 120 - ,- 85 - , - 283 -

ابن مرزوق الخطيب - ,- 66 - ,- 47 - ,- 24 - , - 67 - ,- 71 - ,- 79 -

ت

تقي الدين بن تيمية- 73 - ,

التنسي ,- 10 - ,- 9 - ,- 7 - ,- 6 - ,- 5 - , - 11 - ,- 12 - ,- 13 - ,- 14 - ,- 15 - , - ,- 16 - ,- 17 - ,- 24 - ,- 26 - ,- 27 - ,- 36 - ,- 45 - ,- 49 - ,- 51 - ,- 52 - ,- 54 - ,- 66 - ,- 69 - ,- 75 - ,- 83 - ,- 84 - ,- 85 - ,- 175 - ,- 297 -

ح

الحسن الوزان ,- 48 - ,- 43 - ,- 42 - ,- 9 - ,
- ,- 91 - ,- 93 - ,- 95 - ,- 105 - ,-
106 - ,- 130 - ,- 131 - ,- 136 - ,-
148 - ,- 149 - ,- 152 - ,- 154 - ,-
158 - ,- 159 - ,- 164 - ,- 166 - ,-
167 - ,- 182 - ,- 183 - ,- 187 - ,-
188 - ,- 250 - ,- 253 - ,- 254 - ,-
255 - ,- 263 - ,- 264 - ,- 268 - ,-
270 - ,- 290 -
الحسن بن مخلوف - ,- 51 - ,- 36 - ,- 27 - ,
53 -

ج

جابر بن يوسف- 5 - ,
جلال الدين السيوطي 264 - ,- 253 - ,- 196 - ,
- 287 - ,- 271 - ,- 270 - ,-
جلال الدين القزويني- 73 - ,

ز

زكران بن زيان- 6 - ,
زيان بن ثابت- 8 - ,- 6 - ,

س

سعيد العقباني 80 - ,- 70 - ,- 43 - ,- 29 - ,
- 287 - ,- 85 - ,- 83 - ,- 81 - ,-
السعيد بن أبي حمّو الثاني- 13 - ,

ع

عبد الباسط بن خليل ,- 23 - ,- 22 - ,- 17 - ,
- 34 -
عبد الرحمان التاجوري- 211 - ,
عبد الرحمان السعدي- 176 - ,- 142 - ,- 89 - ,
,- 196 - ,- 194 - ,- 186 - ,- 184 - ,
- ,- 203 - ,- 202 - ,- 199 - ,- 198 -
316 -
عبد الرحمن الثعالبي - ,- 38 - ,- 33 - ,- 23 - ,
- ,- 266 - ,- 265 - ,- 263 - ,- 82 -
291 -
عبد الرحمن بن خلدون 6 - ,- 4 - ,- 3 - ,- 2 - ,
31 - ,- 29 - ,- 11 - ,- 10 - ,- 7 - ,-
- ,- 42 - ,- 41 - ,- 37 - ,- 36 - ,-
,- 58 - ,- 57 - ,- 55 - ,- 49 - ,- 47
- 77 - ,- 75 - ,- 74 - ,- 62 - ,- 61 -
- ,- 104 - ,- 103 - ,- 95 - ,- 78 - ,
- 136 - ,- 113 - ,- 111 - ,- 105
عبد الله الآبلي 76 - ,- 75 - ,- 74 - ,- 26 - ,
عبد الله البلبالي - ,- 225 - ,- 217 - ,- 205 - ,
- 320 - ,- 233
عبد الله بن خميس- 25 - ,
عبد المؤمن بن علي 14 - ,- 5 - ,- 4 - ,- 2 - ,
عثمان بن يوسف- 5 - ,
عقبة بن نافع - ,- 107 - ,- 97 - ,- 90 - ,
- 179 - ,- 110 - ,- 108
علاء الدين القونوي- 73 - ,
علاء الدين بن العطار- 73 - ,

عمر بن عبد العزيز- 110 - ,
عمر بن محمد أقيت 197 - ,- 196 - ,- 175 - ,
- 201 - ,- 200 - ,- 199 - ,- 198 - ,-
,- 210 - ,- 206 - ,- 204 - ,- 202 - ,
- ,- 269 - ,- 268 - ,- 245 - ,- 228 -
289 -
عمر بولاتة - 196 - - 150 - ,- 137 - ,

ق

قاسم بن سعيد العقباني- 29 - ,

ك

كنكان موسى- 89 - ,

ل

لسان الدين بن الخطيب - ,- 11 - ,- 4 - ,- 2 - ,
,- 80 - ,- 74 - ,- 53 - ,- 49 - ,- 28
- 135 -, - 265 -, - 324 -

م

محمد الطيب بن عبد الرحيم - ,- 112 - ,- 96 - ,
- ,- 129 - ,- 121 - ,- 116 - ,- 113
300 -, - 302 -
محمد العقباني 80 - ,- 71 - ,- 29 - ,- 23 - ,
-, - 81 -, - 85 -
محمد الكابري - ,- 209 - ,- 202 - ,- 196 - ,
229 -
محمد بن القاسم بن تومرت- 33 - ,
محمد بن عبد الكريم المغيلي 90 - ,- 86 - ,- 70 - ,
,- 177 - ,- 171 - ,- 114 - ,- 96 - ,-
- ,- 214 - ,- 210 - ,- 182 - ,- 178 -
- ,- 253 - ,- 219 - ,- 216 - ,- 215 -
- ,- 262 - ,- 261 - ,- 260 - ,- 259 -
- ,- 266 - ,- 265 - ,- 264 - ,- 263 -
- ,- 271 - ,- 270 - ,- 268 - ,- 267 -
- ,- 279 - ,- 278 - ,- 274 - ,- 272 -
- ,- 287 - ,- 286 - ,- 285 - ,- 280 -
- ,- 318 - ,- 304 - ,- 292 - ,- 291 -
- ,- 330 - ,- 329 - ,- 327 - ,- 320 -
333 -, - 334 -, - 335 -
محمد بن عيسى أبو عبد الله- 35 - ,
محمد بن قاسم العقباني- 29 - ,
محمد بن هدية- 76 - ,
محمد بن هدية القرشي- 66 - ,
محمد بن يوسف السنوسي 70 - ,- 52 - ,- 33 - ,
- 297 - ,- 287 - ,- 272 - ,-
محمود بغيغ أسكيا- 242 - ,
محمود كعت - ,- 190 - ,- 188 - ,- 169 - ,
- ,- 220 - ,- 219 - ,- 204 - ,- 203 -
- ,- 231 - ,- 229 - ,- 224 - ,- 221 -
- ,- 241 - ,- 239 - ,- 237 - ,- 232 -
- ,- 247 - ,- 244 - ,- 243 - ,- 242 -
- ,- 253 - ,- 252 - ,- 251 - ,- 250 -
256 -, - 257 -, - 321 -
مرزوق العجيسي التلمساني- 79 - ,
معاوية بن أبي سفيان- 107 - ,- 90 - ,

منسا موسى - ,- 249 - ,- 236 - ,- 174 - ,
- ,- 255 - ,- 252 - ,- 251 - ,- 250
- ,- 153 - ,- 320 - ,- 319 - ,- 258
- ,- 188 - ,- 178 - ,- 166 - ,- 158
- 238 - ,- 233 - ,- 217
ميمون بن عمر بن الباز- 216 - ,
المقري الحفيد- 28 - ,
المهدي بن تومرت- 14 - ,- 2 - ,

ي

ياقوت الحموي- 146 - ,
يحيى بن يدير بن عتيق التّدلسي- 214 - ,- 264 - ,
يحيى بن يغمراسن- 44 - ,
يعقوب بن عبد الحق- 120 - ,- 48 - ,- 37 - ,
يغمراسن بن زيان ,- 8 - ,- 7 - ,- 6 - ,- 1 - ,
- 66 - ,- 45 - ,- 35 - ,- 24 - ,- 9 -
يوسف بن تاشفين- 112 - ,- 45 - ,
يوسف بن يعقوب المريني- 10 - ,- 37 - ,

فهرس الأماكن والقبائل

أ

أغادير- 35 - ,
أغدامس- 106 - ,
أغمات- 107 - ,
أقبلي- 277 - ,- 98 - ,
الأندلس - ,- 22 - ,- 18 - ,- 16 - ,- 2 - ,
,- 30 - ,- 29 - ,- 28 - ,- 27 - ,- 23
- 91 - ,- 70 - ,- 49 - ,- 47 - ,- 37 -
,- 110 - ,- 109 - ,- 108 - ,- 107 - ,
- ,- 217 - ,- 150 - ,- 146 - ,- 136 -
- ,- 265 - ,- 262 - ,- 258 - ,- 250
- 299 - ,- 289
أودغست- 165 - ,- 147 - ,- 109 - ,
أودغشت- 179 - ,- 163 - ,- 147 - ,
أوفران- 94 - ,
أوقروت- 94 - ,
أولاد الحاج- 113 - ,- 99 - ,- 98 - ,- 96 - ,
أولاد أوشن- 95 - ,
أولاد راش- 94 - ,
أولاد راشد- 94 - ,
أولاد علي 116 - ,- 113 - ,- 95 - ,- 94 - ,
- 303 - ,- 121 - ,-
أولاد لحسن- 93 - ,
أولاد محمود- 94 - ,
أولاد ملوك- 302 - ,- 113 - ,
أولف- 98 - ,- 97 - ,

آ

آغلاد- 93 - ,

إ

إشبيلية- 27 - ,
إفريقيا 28 - ,- 25 - ,- 15 - ,- 9 - ,- 7 - ,
- ,- 52 - ,- 85 - ,- 89 - ,- 90 - ,-
91 - ,- 93 - ,- 107 - ,- 108 - ,- 110
- ,- 120 - ,- 122 - ,- 129 - ,- 130 -
,- 131 - ,- 135 - ,- 136 - ,- 137 -,
- ,- 138 - ,- 140 - ,- 141 - ,- 143 -
- ,- 144 - ,- 145 - ,- 149 - ,- 150 -
- ,- 153 - ,- 154 - ,- 158 - ,- 159 -
- ,- 160 - ,- 161 - ,- 162 - ,- 163 -
- ,- 166 - ,- 167 - ,- 169 - ,- 170 -
- ,- 174 - ,- 175 - ,- 176 - ,- 177 -
- ,- 178 - ,- 179 - ,- 181 - ,- 182 -
- ,- 184 - ,- 185 - ,- 186 - ,- 187 -
- ,- 200 - ,- 204 - ,- 224 - ,- 225 -
- ,- 226 - ,- 227 - ,- 228 - ,- 233 -
- ,- 235 - ,- 239 - ,- 240 - ,- 247 -
- ,- 248 - ,- 253 - ,- 254 - ,- 255 -
- ,- 261 - ,- 263 - ,- 264 - ,- 270 -
- ,- 274 - ,- 290 - ,- 316 - ,- 322 -
- ,- 323 - ,- 325 - ,- 326 - ,- 327 -
- ,- 328 - ,- 329 - ,- 330 - ,- 332 -
333 - ,- 335 -

إفريقية 42 – ,– 28 – ,– 16 – ,– 14 – ,– 2 – , – ,– 57 – ,– 76 – ,– 90 – ,– 107 – ,– 135 ,– 186 –
إيغزر– 93 – ,
إيكلي– 90 – ,

ب

البحر الأبيض المتوسط– 9 – ,
البرتغال– 10 – ,
البطحاء– 4 – ,
البمبارة– 143 – ,
بجاية – ,– 131 – ,– 79 – ,– 50 – ,– 9 – , – 263 ,– 265 –
بلنسية– 78 – ,– 27 – ,
بنو أرلو– 3 – ,
بنو توجين– 3 – ,
بنو رهطف– 3 – ,
بنو مرين– 261 – ,– 4 – ,– 3 – ,
بنو مطهر– 6 – ,
بنو نصر– 2 – ,
بنو ياتكين– 3 – ,
بني حفص– 2 – ,
بني راشد– 4 – ,()
بني زناسن– 15 – ,
بني عبد الواد 5 – ,– 4 – ,– 3 – ,– 2 – ,– 1 – , – 69 – ,– 18 – ,– 8 – ,– 6 – ,–
بني غانية– 2 – ,
بني مرين 14 – ,– 11 – ,– 8 – ,– 7 – ,– 2 – , – 121 – ,– 113 – ,– 37 – ,– 26 – ,–
بني مطهر– 6 – ,
بني هلال ,– 113 – ,– 109 – ,– 98 – ,– 4 – , – 263 –
بني واسين– 4 – ,– 3 – ,
بودة– 302 – ,– 107 – ,– 103 – ,– 95 – ,
بوركينافاسو– 137 – ,

ت

تاجرارت– 45 – ,– 36 – ,– 4 – ,
تاجلزي– 94 – ,
تادمايت– 103 – ,– 100 – ,– 98 – ,
تادوني– 91 – ,
تافيلالت 218 – ,– 113 – ,– 106 – ,– 91 – , تاوريرت– 97 – ,– 94 – ,– 91 – ,– 9 – ,
تبلكوزة– 130 – ,– 93 – ,– 91 – ,
تسابيت – ,– 95 – ,– 94 – ,– 93 – ,– 91 – , – 106 – ,– 105
تعنطاست– 93 – ,
تلمسان ,– 6 – ,– 5 – ,– 4 – ,– 3 – ,– 2 – , – ,– 11 – ,– 10 – ,– 9 – ,– 8 – ,– 7 – ,– 16 – ,– 15 – ,– 14 – ,– 13 – ,– 12 – 25 – ,– 24 – ,– 23 – ,– 22 – ,– 18 – ,– 35 – ,– 33 – ,– 29 – ,– 28 – ,– 27 – , – ,– 41 – ,– 40 – ,– 37 – ,– 36 – ,– 47 – ,– 46 – ,– 45 – ,– 44 – ,– 42 – 53 – ,– 52 – ,– 50 – ,– 49 – ,– 48 – ,– 64 – ,– 60 – ,– 59 – ,– 56 – ,– 54 – , – ,– 71 – ,– 70 – ,– 66 – ,– 65 – ,– 76 – ,– 75 – ,– 74 – ,– 73 – ,– 72

- 84 -, - 83 -, - 81 -, - 78 -, - 77 -
- 85 -, - 86 -, - 92 -, - 105 -, -
- 111 -, - 117 -, - 118 -, - 119 -, -
- 121 -, - 130 -, - 131 -, - 135 -, -
- 145 -, - 147 -, - 160 -, - 161 -,
- 212, - 215 -, - 222 -, - 236 -, -
- 259 -, - 260 -, - 263 -, - 264 -, -
- 267 -, - 279 -, - 290 -, - 291 -, -
- 299 -, - 303 -, - 318 -, - 324 -, -
- 325 -, - 332 -, 랠- 333 -, - 335 -
تمبكتو 153 - , - 131 -, - 150 -, - 152 -, - 153
-, - 154 -, - 157 -, - 159 -, - 161 -
, - 163 -, - 164 -, - 172 -, - 174 -,
- 175 -, - 176 -, - 177 -, - 178 -, -
- 180 -, - 181 -, - 182 -, - 183 -, -
- 188 -, - 189 -, - 196 -, - 198 -, -
- 199 -, - 200 -, - 202 -, - 203 -, -
- 205 -, - 206 -, - 220 -, - 228 -, -
- 234
تمقطن- 98 - ,
تمنطيت- 105 - ,- 103 -, - 95 - ,
تمنطيط - ,- 102 -, - 98 -, - 96 -, - 95 - ,
- 112 -, - 113 -, - 116 -, - 117 -, -
- 121 -, - 123 -, - 128 -, - 129 -, -
- 132 -, - 214 -, - 215 -, - 261 -, -
- 275 -, - 276 -, - 277 -, - 279 -, -
- 297 -, - 332
تنبكتو 176 - , - 141 -, - 142 -, - 153 -, -
-, - 196 -, - 200 -, - 201 -, - 217 -
- 220 -, - 222 -, - 232 -, - 237 -, ,
- 239 -, - 242 -, - 244 -, - 249 -, -
- 250 -, - 251 -, - 253 -, - 254 -, -
- 256 -, - 258 -, - 259 -, - 269 -, -
- 318 -, - 319 -, - 320 -, - 321 -, -
- 322 -, - 324 -, - 325 -, - 326 -, -
- 329 -, - 330
تندوف- 91 - ,
تنزروفت- 132 - ,- 102 -, - 99 -, - 92 - ,
توات -, - 89 -, - 88 -, 87, - 86 -, - 52 - ,
- 90 -, - 91 -, - 92 -, - 93 -, - 94 -
, - 95 -, - 96 -, - 97 -, - 99 -, -
- 100 -, - 101 -, - 102 -, - 103 -, -
- 104 -, - 105 -, - 106 -, - 107 -, -
- 108 -, - 109 -, - 110 -, - 111 -, -
- 112 -, - 113 -, - 114 -, - 115 -, -
- 116 -, - 117 -, - 118 -, - 119 -, -
- 120 -, - 121 -, - 122 -, - 123 -, -
- 124 -, - 125 -, - 126 -, - 127 -, -
- 129 -, - 130 -, - 131 -, - 132 -, -
- 133 -, - 141 -, - 153 -, - 157 -, -
- 160 -, - 161 -, - 177 -, - 189 -, -
195 -, 212, - 213 -, - 214 -, - 215
-, 랠- 216 -, - 219 -, - 222 -, - 260
-, - 261 -, - 262 -, - 264 -, - 267 -
, - 269 -, - 271 -, - 272 -, - 274 -,
- 279 -, - 280 -, - 284 -, - 285 -, -
- 289 -, - 290 -, - 291 -, - 292 -, -
- 293 -, - 294 -, - 295 -, - 296 -, -

297 –, – 298 –, – 299 –, – 300 –, –
301 –, – 302 –, – 303 –, – 304 –, –
306 –, – 321 –, – 322 –, – 325 –, –
326 –, – 327 –, – 328 –, – 329 –, –
330 –, – 332 –, – 333 –, – 334 –, –
335 –

تونس 17 – –, – 16 –, – 15 –, – 14 –, – 2 – ,
–, – 22 –, – 25 –, – 37 –, – 73 –, –
74 –, – 77 –, – 78 –, – 89 –, – 91 –,
– 93 –, – 107 –, – 135 –, – 160 –, –
265 –, – 278 –, – 296 –, – 315 –, –
322 –, – 326 –, – 328 –

تيديكلت –, – 97 –, – 92 –, – 91 –, – 90 – ,
– 98 –, – 127 –, – 130 –

تيط– 98 – ,

تيكورارين –, – 94 –, – 93 –, – 92 –, – 91 – ,
– 102 –, – 105 –, – 106 –, – 130 –

تيمي– 113 –, – 95 – ,

تيميمون– 94 –, – 93 – ,

تينجورارين– 92 – ,

تينركوك– 93 – ,

تينكروم– 94 – ,

التكرور 139 –, – 138 –, – 135 –, – 122 – ,
–, – 142 –, – 144 –, – 147 –, – 157 –
, – 180 –, – 198 –, – 204 –, – 222 –,
– 225 –, – 228 –, – 231 –, – 270 –, –
273 –, – 289 –, – 324 –

ج

جاو– 318 – ,– 178 –, – 161 –, – 152 – ,
, – 319 –, – 320 –, – 321 –, – 334 –
جني ,– 155 –, – 154 –, – 150 –, – 140 – ,
– 161 –, – 164 –, – 170 –, – 179 –, –
182 –, – 183 –, – 184 –, – 202 –, –
206 –, – 231 –, – 234 –, – 235 –, –
237 –, – 241 –, – 242 –, – 243 –, –
248 –, – 314 –

جيان– 27 – ,

الجزائر – ,– 7 –, – 6 –, – 5 –, – 3 –, – 2 – ,
8 –, – 9 –, – 11 –, – 12 –, – 13 –, –
16 –, – 18 –, – 19 –, – 23 –, – 24 –,
– 26 –, – 28 –, – 29 –, – 33 –, – 34 –
, – 37 –, – 38 –, – 44 –, – 45 –, – 48
–, – 51 –, – 89 –, – 90 –, – 92 –, –
93 –, – 94 –, – 95 –, – 96 –, – 97 –,
– 99 –, – 100 –, – 107 –, – 109 –, –
112 –, – 114 –, – 118 –, – 122 –, –
126 –, – 127 –, – 131 –, – 132 –, –
135 –, – 137 –, – 142 –, – 146 –, –
153 –, – 154 –, – 161 –, – 175 –, –
177 –, – 178 –, – 204 –, – 206 –, –
261 –, – 262 –, – 263 –, – 266 –, –
272 –, – 273 –, – 280 –, – 293 –, –
297 –, – 311 –, – 320 –, – 322 –, –
325 –, – 329 –

ح

الحبشة- 138 -, - 136 - ,
الحجاز- 255 -, - 249 -, - 113 -, - 62 - ,
- 320 -, - 302 -, - 269 - ,

د

داندي- 150 - ,
داهومي- 150 -, - 137 - ,
دلس- 8 - ,
الدولة الوطاسية- 303 -, - 123 -, - 122 - ,
الدولة الحفصية- 16 -, - 15 -, - 14 -, - 6 - ,
- 37 -, - 24 -, - 23 -, - 17 - ,
الدولة الزيانية 8 -, - 7 -, - 6 -, - 5 -, - 1 - ,
14 -, - 13 -, - 11 -, - 10 -, - 9 -,
-, - 22 -, - 18 -, - 17 -, - 16 -,
-, - 26 -, - 24- 25 -، - 28 -, - 27 - -
- 29, -, - 35 -- 37 -، -, - 49 -, - 41 -
- 67- 68 -,، - 70 -، -, - 69 - - 75 -،
- 85 -, - 74 -- 87 -
الدولة المرينية -, - 18 -, - 11 -, - 9 -, - 6 - ,
-, - 120 -, - 91 -, - 48 -, - 37 -, - 23
- 299 -, - 121 -
الدولة الموحدية -, - 9 -, - 6 -, - 5 -, - 2 - ,
- 120 -, - 89 -, - 14

ر

رقان -, - 102 -, - 97 -, - 94 -, - 91 - ,
- 132

ز

زناتة -, - 83 -, - 8 -, - 7 -, - 5 -, - 3 - ,
-, - 120 -, - 112 -, - 111 -, - 97
- 261

س

ساحل الذهب- 137 - ,
ساحل العاج- 137 - ,
سجلماسة -, - 101 -, - 91 -, - 90 -, - 4 - ,
-, - 135 -, - 120 -, - 106 -, - 104 -
-, - 164 -, - 163 -, - 161 -, - 138
- 324 -, - 217 -, - 171 -, - 170
سنغاي 137 -, - 136 -, - 135 -, - 134 - ,
- 149 -, - 147 -, - 144 -, - 143 -,
-, - 154 -, - 153 -, - 151 -, - 150 - ,
-, - 164 -, - 161 -, - 160 -, - 157 -
-, - 182 -, - 180 -, - 178 -, - 177
-, - 204 -, - 197 -, - 192 -, - 188
-, - 312 -, - 301 -, - 289 -, - 274
- 316
سيراليون- 137 - ,
السام- 144 - ,
الساورة -, - 103 -, - 102 -, - 92 -, - 90 - ,
- 130 -

السراكوبي- 148 - ,
- 216 -, - 217 -, - 218 -, - 219 -
السنغال 145 - ,- 141 -, - 139 -, - 137 - ,
- 220 -, - 221 -, - 222 -, - 223 -, ,
- 207 - ,- 186 -, - 182 -, - 148 -, -
- 224 -, - 225 -, - 226 -, - 227 -
- 334 - ,- 327 -, ,
231 - ,- 230 -, - 229 -, - 228 -레,
السودان 91 - ,- 89 - ,87, - 86 -, - 39 - ,
- 232 -, - 233 -, - 234 -, - 235 -
- 236 -, - 237 -, - 238 -, - 240 -, ,
- ,- 104 -, - 98 -, - 95 -, - 92 -, -
105 -, - 106 -, - 108 -, - 110 -, -
112 -, - 113 -, - 114 -, - 115 -, -
121 -, - 123 -, - 124 -, - 127 -, -
129 -, - 130 -, - 131 -, - 132 -, -
133 -, - 134 -, - 135 -, - 136 -, -
137 -, - 138 -, - 139 -, - 140 -, -
141 -, - 142 -, - 143 -, - 144 -, -
145 -, - 146 -, - 147 -, - 149 -, -
150 -, - 151 -, - 152 -, - 153 -, -
154 -, - 155 -, - 156 -, - 157 -, -
158 -, - 159 -, - 160 -, - 161 -, -
162 -, - 163 -, - 164 -, - 165 -, -
166 -, - 167 -, - 168 -, - 169 -, -
170 -, - 171 -, - 172 -, - 173 -, -
174 -, - 175 -, - 176 -, - 177 -, -
178 -, - 179 -, - 180 -, - 181 -, -
182 -, - 183 -, - 184 -, - 185 -, -
186 -, - 187 -, - 188 -, - 189 -, -
السودان الغربي - ,- 130 - ,- 114 - ,- 108 - ,
190 -, - 191 -, - 192 -, - 195 -, -
196 -, - 197 -, - 198 -, - 201 -, -
202 -, - 203 -, - 204 -, - 205 -, -
206 -, - 207 -, - 208 -, - 209 -, -
210 -, - 211 -, 212, - 213 -, - 215
138 -, - 139 -, - 140 -, - 141 -, -
159 -, - 164 -, - 166 -, - 167 -, -
171 -, - 172 -, - 181 -, - 184 -, -
188 -, - 189 -, - 195 -, - 219 -, -
229 -, - 233 -, - 247 -, - 250 -, -
334 -, - 335 -
329 -, - 330 -, - 332 -, - 333 -, -
325 -, - 326 -, - 327 -, - 328 -, -
321 -, - 322 -, - 323 -, - 324 -, -
316 -, - 317 -, - 318 -, - 320 -, -
310 -, - 313 -, - 314 -, - 315 -, -
304 -, - 306 -, - 307 -, - 308 -, -
290 -, - 300 -, - 301 -, - 303 -, -
279 -, - 284 -, - 286 -, - 289 -, -
268 -, - 269 -, - 270 -, - 271 -, -
257 -, - 258 -, - 259 -, - 260 -, -
253 -, - 254 -, - 255 -, - 256 -, -
249 -, - 250 -, - 251 -, - 252 -, -
245 -, - 246 -, - 247 -, - 248 -, -
241 -, - 242 -, - 243 -, - 244 -, -
261 -, - 262 -, - 263 -, - 267 -, -
272 -, - 273 -, - 274 -, - 277 -, -

- 251 ,- 255 ,- 257 ,- 259 ,-
304 ,- 315 ,- 317 ,- 318 ,-
321 ,- 324 ,- 325 ,- 329 -
السوس 115 -, 108 -, 107 -, 105 - ,
- 131 -,

ش

شروين- 94 - ,
شنقيط 322 -, 187 -, 185 -, 152 - ,
الشعابنة- 93 - ,

ص

صنهاجة- 143 -, 112 -, 108 -, 4 - ,
- 270 -, 148 - ,
الصنغاي- 142 - ,
الصوصو- 148 - ,

ط

طلمين- 94 - ,
الطوارق ,- 142 -, 141 -, 97 -, 89 - ,
- 224 -, 175 -, 152 -

ع

عمر بولاتة- 196 - ,
عين حمو- 93 - ,
العبّاد- 26 - ,
القاهرة- 22 - ,
القيروان ,- 107 -, 90 -, 81 -, 79 - ,
- 163 -, 109 -
الطوارق ,- 142 -, 141 -, 97 -, 89 - ,
- 224 -, 175 -, 152 -
العبّاد- 26 - ,

غ

غامبيا- 148 -, 144 -, 137 - ,
غانا- 163 -, 141 -, 115 - ,
غانة- 139 -, 135 -, 134 -, 101 - ,
,- 147 -, 146 -, 145 -, 141 - ,
- 154 -, 153 -, 149 -, 148 -
161 -, 162 -, 164 -, 166 -, -
173 -, 179 -, 180 -, 248 -, -
259 -
غاو ,- 155 -, 154 -, 153 -, 150 - ,
- 159 -, 164 -, 170 -, 181 -, -
203 -, 217 -, 234 -, 251 -, -
253 -, 273 -
غمبيا- 137 - ,

ف

فاتيس- 93 - ,
فاس -, 44 -, 23 -, 12 -, 10 - ,
48 -, 73 -, 77 -, 86 -, 105 -,
- 106 -, 114 -, 123 -, 171 -, -
205 -, 215 -, 216 -, 217 -, -
223 -, 261 -, 268 -, 271 -, -

- 296 -, - 273 -, - 290 -, 272 -
- 319 -, - 300 -, - 301 -, 299 -
320 -
فجيج - 102 -, - 91 -, - 90 -, - 8 -,
- 296 -, 130 -
فزان- 161 -, - 141 -, - 136 -,
فقيق- 4 -,
فنوغيل- 111 -, - 96 -,
فولتا العليا- 150 -, - 137 -,
الفولاني 151 -, - 144 -, - 143 -, - 139 -,

ق

قرطبة- 22 -,
قورارة -, - 100 -, - 93 -, - 92 -, - 90 -,
102 -
القاهرة- 22 -,
القيروان -, - 107 -, - 90 -, - 81 -, - 79 -,
- 163 -, - 109 -

ك

كاغو 273 -, - 260 -, - 149 -, - 122 -,
- 334 -, - 311 -, - 310 -, - 302 -,
كالي- 94 -, - 93 -,
كانو- 182 -, - 159 -, - 150 -, - 115 -,
-, 275 -, - 274 -, - 273 -, - 260 -,
- 310 -, - 307 -, - 305 -, - 304 -
كنتة -, - 269 -, - 113 -, - 111 -, - 96 -,
- 270 -, - 274 -, - 275 -, - 277 -,
- 329 -, - 330 -
كومبي- 163 -, - 162 -, - 147 -,

ل

لمتونة- 138 -, - 112 -, - 89 -,
لواتة- 108 -,

م

مازونة- 8 -,
مالي -, - 129 -, - 122 -, - 105 -, - 89 -,
- 130 -, - 131 -, - 134 -, - 137 -,
- 139 -, - 142 -, - 143 -, - 144 -,
- 145 -, - 147 -, - 148 -, - 149 -,
- 150 -, - 153 -, - 155 -, - 158 -,
- 161 -, - 164 -, - 166 -, - 169 -,
- 170 -, - 171 -, - 173 -, - 174 -,
- 177 -, - 178 -, - 188 -, - 196 -,
- 217 -, - 241 -, - 318 -, - 319 -,
321 -, - 334 -
مديونة- 4 -,
مرسية- 27 -,
مستغانم- 8 -,
مصر -, - 135 -, - 110 -, - 75 -, - 73 -,
- 136 -, - 138 -, - 139 -, - 142 -,
- 146 -, - 150 -, - 160 -, - 161 -,
- 170 -, - 181 -, - 183 -, - 185 -,

- 199 -, - 197 -, - 195 -, 187 -
- 262 -, - 258 -, - 251 -, 201 -
- 323 -, - 287 -, - 269 -, 265 -
- 328 -, - 326 -, 325 -
مغارة- 146 - ,
مغراوة- 261 -, - 8 -, - 4 -, - 3 - ,
مقزارة- 146 - ,
مكّة- 185 - ,
ملوية- 4 - ,
مليانة- 8 - ,
الماندينغ- 180 -, - 142 - ,
المحيط الأطلسي -, 143 -, - 137 -, - 135 - ,
- 323 -, - 151 -, - 148 -, - 144 -
المدية- 8 - ,
المطارفة- 276 -, - 107 -, - 94 -, - 93 - ,
المغرب الإسلامي 18 -, - 17 -, - 10 -, - 8 - ,
-, - 50 -, - 41 -, - 37 -, - 23 -,
120 -, - 108 -, - 107 -, - 67 -, 56 -
-, - 187 -, - 180 -, - 160 -, - 149 -,
- 207 -, - 195 - ,
المغرب الأقصى 91 -, - 23 -, - 12 -, - 11 - ,
-, - 175 -, - 172 -, - 153 -, - 146 -,
- 206 -, - 187 - ,
المغرب الأوسط -, - 9 -, - 6 -, - 4 -, - 3 - ,
12 -, - 13 -, - 14 -, - 15 -, - 18 -,
- 30 -, - 28 -, - 27 -, - 25 -, - 23 -
44 -, - 42 -, - 37 -, - 35 -, - 32 - ,
-, - 53 -, - 52 -, - 51 -, - 45 -,
57 -, - 62 -, - 64 -, - 69 -, - 70 -,
- 72 -, - 73 -, - 90 -, - 130 -, -
135 -, - 147 -, - 159 -, - 161 -, -
187 -, - 259 -, - 286 -, - 287 -, -
290 -, - 293 -
الموشي- 143 - ,

ن

ندرومة- 8 -, - 5 - ,
نصوحة- 3 - ,
نوميديا- 106 -, - 105 - ,
نيجيريا 150 -, - 143 -, - 137 -, - 136 - ,
-, - 171 -, - 334 -
النوبة- 139 -, - 137 -, - 136 -, - 135 - ,
- 140 - ,
النيجر- 138 -, - 137 -, - 131 -, - 89 - ,
-, - 150 -, - 148 -, - 143 -, - 142 - ,
- 151 -, - 152 -, - 153 -, - 154 -, -
156 -, - 157 -, - 186 -, - 207 -, -
322 -

هـ

هسكورة- 107 - ,
هنين- 8 -, - 2 - ,
هوارة- 108 - ,
الهقار- 104 - ,

و

واد امقيدن- 93 - ,

وادي ملوية- 8 - ,
وجدة- 296 - ,- 15 - ,- 9 - ,- 8 - ,
ونقارة- 164 - ,- 158 - ,- 146 - ,
وهران- 8 - ,
الولوف- 180 - ,- 144 - ,- 139 - ,

ي

اليمن 144 - ,- 138 - ,- 136 - ,- 135 - ,
- 150 - ,- 149 - ,-

فهرس الموضوعات

مقدمة..... أ
الفصل التمهيدي: الأوضاع السياسية للدولة الزيانية من القرن 8هـ إلى 10 هـ/ 14م إلى 16م... 01
أولا: أصل بني عبد الواد..... 03
ثانيا: الدول الزيانية..... 05
ثالثا: يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة الزيانية. 06
رابعا: الحدود السياسية للدولة الزيانية. 08
خامسا: الدولة الزيانية وصراعها مع المرينيين. 09
سادسا: الدولة الزيانية وصراعها مع الحفصيين 14
الباب الأول: الوضع الثقافي بتلمسان في العهد الزياني القرن (8هـ – 10هـ/14م –16م)..... 20
... الفصل الأول: عوامل الازدهار العلمي بتلمسان 21
1– اهتمام السلاطين الزيانيين بالعلم والعلماء. 24
2– دور هجرة الأندلسيين في الازدهار العلمي. 27
3– دور التصوف في الحركة العلمية. 30
الفصل الثاني: الحركة العلمية بتلمسان في العهد الزياني..... 40
أولا: المراكز التعليمية والمؤسسات الثقافية 41
1– الكتاتيب. 41
2– المساجد. 43
3– المدارس. 48
4– الزوايا. 51
5– المكتبات. 53
ثانيا: التعليم بمدارس تلمسان (طرقه ومراحله) 55
الفصل الثالث: أهمّ العلوم المتداولة بالمؤسسات التعليمية بتلمسان وأشهر علمائها..... 59
أولا: العلوم المتداولة في تلمسان..... 60
1– العلوم النقلية. 60
2– العلوم العقلية. 70
ثانيا: أشهر أعلام تلمسان. 80
الباب الثاني: دراسة عامة لإقليم توات و بلاد السودان الغربي 87

الفصل الأول: إقليـــم تـــوات 88
أولا: أصل تسمية توات. 89
ثانيا: الموقع الجغرافي. 90
ثالثا: الموقع الفلكي. 93
رابعا: أشهر مناطق و قصور توات. 93
خامسا: الخصائص الطبيعية. 99
سادسا: ذكر توات في كتب المؤرخين. 104
سابعا: انتشار الإسلام و اللغة العربية. 107
ثامنا: الحياة الاجتماعية. 111
تاسعا: الحياة السياسية. 120
عاشرا: الحياة الاقتصادية. 123
الفصل الثاني: بلاد السودان الغربي..... 134
أولا: أصل تسمية السودان. 135
ثانيا: الموقع الجغرافي لبلاد السودان الغربي و ذكرها في كتب المؤرخين 135
ثالثا: الحياة الاجتماعية 139
1– أصل سكان بلاد السودان الغربي 139
2– تركيبة السكّان 140
رابعا: الحياة السياسية 144
1– مملكة غانة 145
2– مالي 148
3– سنغاي 150
خامسا: الحياة الاقتصادية 155
1– الزراعة 155
2– الصناعة 158
3– التجارة 160
الفصل الثالث: الحياة الثقافية ببلاد السودان الغربي..... 168
أولا: عوامل الازدهار العلمي ببلاد السودان الغربي..... 169
ثانيا: المؤسسات التعليمية و المراكز الثقافية..... 169

1– المساجد..... 169
2– الكتاتيب..... 180
3– المدارس..... 181
4– الجامعات والمعاهد العليا..... 182
5– الزوايا..... 183
6– المحاضر..... 184
ثالثا: التعليم ببلاد السودان الغربي. 186
1– مراحله..... 189
2– مناهج و طرق التدريس..... 192
3– أشهر علماء بلاد السودان الغربي..... 195
4– أهم العلوم و مصنفاتها المتداولة في بلاد السودان الغربي..... 206
الباب الثالث: إسهامات علماء تلمسان بإقليم توات وبلاد السودان الغربي..... 212
الفصل الأول: أشهر العلماء الوافدين على إقليم توات وبلاد السودان الغربي ووظائفهم..... 213
أولا: أهم العلماء الوافدين على إقليم توات. 214
ثانيا: أشهر العلماء الوافدين على بلاد السودان الغربي. 216
ثالثا: مكانة العلماء. 219
رابعا: ألقاب العلماء. 222
خامسا: وظائف العلماء. 230
سادسا: دور العلماء في ازدهار الحركة الفقهية في غرب إفريقيا..... 247
الفصل الثاني: إسهامات علماء تلمسان بإقليم توات وبلاد السودان الغربي(الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني–أنموذجا–) 260
أولا: حياة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي. 261
ثانيا: دور الشيخ المغيلي بإقليم توات..... 279
1– نشر التعليم بإقليم توات..... 279
2– إخراج المغيلي لليهود من إقليم توات..... 290
ثالثا: دور الشيخ المغيلي ببلاد السودان الغربي..... 304
1– رسالته لسلطان كانو..... 304
2– أجوبته على سلطان كاغو..... 310

3– محاربة العادات السيئة..... 313
4– نشر المذهب المالكي..... 317
رابعا: إسهامات التجار بإقليم توات والسودان الغربي. 321
خامسا: تأثير الزوايا والطرق الصوفية..... 325
سادسا: تأثير القبائل..... 329
خاتمة..... 331
ملاحق..... 336
قائمة المصادر والمراجع..... 373
الفهارس..... 393
فهرس الأعلام..... 394
فهرس الأماكن والقبائل..... 400
فهرس الموضوعات..... 411

ملخص:

تهتم هذه الدراسة بموضوع إسهامات علماء تلمسان في الحياة الفكرية بإقليمي توات وبلاد السودان الغربي، الذين اهتموا بنشر الثقافة والعلوم بهذه المناطق ولم يبخلوا بنشر الاسلام وتصحيح العقيدة، وأشهرهم محمد بن عيد الكريم المغيلي الذي خاض حركة إصلاحية وفكرية لا مثيل لها، فكان لهؤلاء العلماء الأثر الكبير في ازدهار الحركة العلمية، فانتشرت العلوم والمعارف بهذه البلدان، وقاموا بتصحيح الكثير من المفاهيم لدى عامة الناس وتوطيد أواصر التسامح والتعايش معهم.

الكلمات المفتاحية:

تلمسان – إقليم توات – بلاد السودان الغربي – علماء تلمسان – محمد بن عبد الكريم المغيلي– الحياة الفكرية – الاصلاح.

Résumé:

Cette étude s'intéresse à la contribution des érudits de Tlemcen à la vie intellectuelle de Tuwat et de l'ouest du Soudan, qui souhaitaient propager la culture et la science dans ces régions et n'hésitaient pas à répandre l'Islam et à corriger la doctrine. Dans l'épanouissement du mouvement scientifique, la diffusion de la science et de la connaissance dans ces pays, et a corrigé de nombreux concepts du public et la consolidation des liens de tolérance et de coexistence avec eux.

Mots-clés:Tlemcen - Province de Tuwat - Soudan occidental - Scientifiques de Tlemcen - Mohammed bin Abdul Karim Almagili - vie intellectuelle - réforme

Summary:

This study is concerned with the contribution of Tlemcen scholars to the intellectual life in Tuwat and western Sudan, who were interested in propagating the culture and science in these regions and did not hesitate to spread Islam and correct the doctrine. The most famous of them was Muhammad bin Eid al-Karim al-Moghili, who fought an unprecedented reform and intellectual movement. In the flourishing of the scientific movement, the spread of science and knowledge in these countries, and corrected many of the concepts of the public and the consolidation of bonds of tolerance and coexistence with them.

Keywords: Tlemcen - Tuwat province - Western Sudan - Tlemcen scientists - Mohammed bin Abdul KarimAlmagili - intellectual life - reform